



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْجِبٌ وَتَوْجِيهٌ وَتَسْبِيحٌ

مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ مَدِينَةِ مَكَّةَ وَ مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ مَدِينَةِ مَكَّةَ  
تَمَامًا لَهَا

الجزء الثاني

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى ( معروف ) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن  
( صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و... )

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٥١	مجمع البيان فى تفسير القرآن المجلد ٢
٥١	اشاره
٥١	اشاره
٥٤	بقيه سوره البقره
٥٤	سوره البقره (٢): آيه ١٨٣
٥٤	اشاره
٥٥	الإعراب
٥٦	المعنى
٥٦	سوره البقره (٢): آيه ١٨٤
٥٦	اشاره
٥٧	القراءه
٥٧	الحجه
٥٧	اللغه
٥٧	الإعراب
٥٨	المعنى
٦٢	سوره البقره (٢): آيه ١٨٥
٦٢	اشاره
٦٢	القراءه
٦٢	الحجه
٦٢	اللغه
٦٣	الإعراب
٦٤	المعنى
٦٨	سوره البقره (٢): آيه ١٨٦

٦٨ ..... اشاره

٦٨ ..... اللغة

٦٩ ..... الإعراب

٦٩ ..... النزول

٦٩ ..... المعنى

٧٢ ..... سورة البقرة (٢): آية ١٨٧

٧٢ ..... اشاره

٧٢ ..... اللغة

٧٤ ..... النزول

٧٥ ..... المعنى

٧٦ ..... سورة البقرة (٢): آية ١٨٨

٧٦ ..... اشاره

٧٧ ..... اللغة

٧٧ ..... الإعراب

٧٧ ..... المعنى

٧٩ ..... سورة البقرة (٢): آية ١٨٩

٧٩ ..... اشاره

٧٩ ..... القراءة

٧٩ ..... الحجة

٧٩ ..... اللغة

٨٠ ..... الإعراب

٨٠ ..... النزول

٨٠ ..... المعنى

٨١ ..... سورة البقرة (٢): آية ١٩٠

٨١ ..... اشاره

٨١ ..... اللغة

النزول ..... ٨٢

المعنى ..... ٨٣

سوره البقره (٢): آيه ١٩١ ..... ٨٣

اشاره ..... ٨٣

القراءه ..... ٨٣

الحجه ..... ٨٤

اللغه ..... ٨٤

الإعراب ..... ٨٤

النزول ..... ٨٤

المعنى ..... ٨٤

سوره البقره (٢): آيه ١٩٢ ..... ٨٥

اشاره ..... ٨٥

اللغه ..... ٨٥

المعنى ..... ٨٥

سوره البقره (٢): آيه ١٩٣ ..... ٨٥

اشاره ..... ٨٥

اللغه ..... ٨٥

المعنى ..... ٨٧

سوره البقره (٢): آيه ١٩٤ ..... ٨٧

اشاره ..... ٨٧

اللغه ..... ٨٧

المعنى ..... ٨٧

سوره البقره (٢): آيه ١٩٥ ..... ٨٨

اشاره ..... ٨٨

اللغه ..... ٨٩

الإعراب ..... ٨٩

المعنى ..... ٩٠

سوره البقره (٢): آيه ١٩٦ ..... ٩١

اشاره ..... ٩١

اللغه ..... ٩١

الإعراب ..... ٩٢

المعنى ..... ٩٢

سوره البقره (٢): آيه ١٩٧ ..... ٩٦

اشاره ..... ٩٦

القرءاه ..... ٩٦

الحجه ..... ٩٦

اللغه ..... ٩٦

الإعراب ..... ٩٧

المعنى ..... ٩٧

سوره البقره (٢): آيه ١٩٨ ..... ١٠٠

اشاره ..... ١٠٠

اللغه ..... ١٠٠

الإعراب ..... ١٠١

المعنى ..... ١٠٢

سوره البقره (٢): آيه ١٩٩ ..... ١٠٢

اشاره ..... ١٠٢

اللغه ..... ١٠٢

المعنى ..... ١٠٢

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٠ ..... ١٠٣

اشاره ..... ١٠٣

اللغه ..... ١٠٣

الإعراب ..... ١٠٤



المعنى - ١٠٤ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٠١ ----- ١٠٤

اشاره ----- ١٠٤

اللغه ----- ١٠٤

المعنى - ١٠٥ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٢ ----- ١٠٥

اشاره ----- ١٠٥

اللغه ----- ١٠٥

المعنى - ١٠٥ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٣ ----- ١٠٧

اشاره ----- ١٠٧

اللغه ----- ١٠٧

الإعراب ----- ١٠٧

المعنى ----- ١٠٧

سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٥ ----- ١٠٩

اشاره ----- ١٠٩

اللغه ----- ١١١

الإعراب ----- ١١١

التنزيل ----- ١١٢

المعنى ----- ١١٢

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٦ ----- ١١٢

اشاره ----- ١١٢

اللغه ----- ١١٢

المعنى ----- ١١٢

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٧ ----- ١١٤

اللغه ----- ١١٤

الإعراب ..... ١١٤

النزول ..... ١١٤

المعنى ..... ١١٥

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٨ ..... ١١٦

اشاره ..... ١١٦

القراءه ..... ١١٦

الحجه ..... ١١٦

اللغه ..... ١١٦

الإعراب ..... ١١٦

المعنى ..... ١١٦

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٩ ..... ١١٨

اشاره ..... ١١٨

اللغه ..... ١١٨

الإعراب ..... ١١٨

المعنى ..... ١١٨

سوره البقره (٢): آيه ٢١٠ ..... ١١٨

اشاره ..... ١١٨

القراءه ..... ١٢٠

الحجه ..... ١٢٠

اللغه ..... ١٢٠

الإعراب ..... ١٢٠

المعنى ..... ١٢٠

سوره البقره (٢): آيه ٢١١ ..... ١٢١

اشاره ..... ١٢١

الإعراب ..... ١٢١

المعنى ..... ١٢١

سوره البقره (٢): آيه ٢١٢ ----- ١٢٣

اشاره ----- ١٢٣

اللغه ----- ١٢٣

الإعراب ----- ١٢٣

النزول ----- ١٢٣

المعنى ----- ١٢٥

سوره البقره (٢): آيه ٢١٣ ----- ١٢٤

اشاره ----- ١٢٤

القراءه ----- ١٢٤

الحجه ----- ١٢٤

اللغه ----- ١٢٤

الإعراب ----- ١٢٤

المعنى ----- ١٢٧

سوره البقره (٢): آيه ٢١٤ ----- ١٢٨

اشاره ----- ١٢٨

القراءه ----- ١٢٨

الحجه ----- ١٢٨

اللغه ----- ١٢٩

الإعراب ----- ١٢٩

النزول ----- ١٣٠

المعنى ----- ١٣٠

سوره البقره (٢): آيه ٢١٥ ----- ١٣١

اشاره ----- ١٣١

اللغه ----- ١٣١

الإعراب ----- ١٣١

النزول ----- ١٣١

المعنى - ١٣١ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢١٦ - ١٣٢ -----

اشاره - ١٣٢ -----

اللغه - ١٣٢ -----

الإعراب - ١٣٢ -----

المعنى - ١٣٣ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢١٧ - ١٣٤ -----

اشاره - ١٣٤ -----

اللغه - ١٣٤ -----

النزول - ١٣٤ -----

المعنى - ١٣٤ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢١٨ - ١٣٨ -----

اشاره - ١٣٨ -----

اللغه - ١٣٨ -----

النزول - ١٣٨ -----

المعنى - ١٣٨ -----

سوره البقره (٢): الآيات ٢١٩ الى ٢٢٠ - ١٣٩ -----

اشاره - ١٣٩ -----

توضيح - ١٤٠ -----

القراءه - ١٤٠ -----

الحجه - ١٤٠ -----

اللغه - ١٤١ -----

الإعراب - ١٤٢ -----

النزول - ١٤٢ -----

المعنى - ١٤٢ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٢١ - ١٤٦ -----

١٤٦ ..... اشارة

١٤٦ ..... اللغة

١٤٧ ..... الإعراب

١٤٧ ..... النزول

١٤٧ ..... المعنى

١٤٨ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٢٢

١٤٨ ..... اشارة

١٤٨ ..... القراءة

١٤٨ ..... الحجه

١٤٨ ..... اللغة

١٤٩ ..... الإعراب

١٤٩ ..... النزول

١٤٩ ..... المعنى

١٥١ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٢٣

١٥١ ..... اشارة

١٥١ ..... الإعراب

١٥١ ..... النزول

١٥١ ..... المعنى

١٥٣ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٢٤

١٥٣ ..... اشارة

١٥٤ ..... اللغة

١٥٤ ..... الإعراب

١٥٤ ..... النزول

١٥٤ ..... المعنى

١٥٦ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٢٥

١٥٦ ..... اشارة

اللغه - ١٥٦

الإعراب - ١٥٦

المعنى - ١٥٦

سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٦ الى ٢٢٧ - ١٥٨

اشاره - ١٥٨

اللغه - ١٥٨

الإعراب - ١٥٩

المعنى - ١٥٩

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٨ - ١٦١

اشاره - ١٦١

اللغه - ١٦١

الإعراب - ١٦٣

المعنى - ١٦٣

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٩ - ١٦٧

اشاره - ١٦٧

القراءه - ١٦٧

الحجه - ١٦٧

اللغه - ١٦٨

التنزل - ١٦٨

المعنى - ١٧٠

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٠ - ١٧١

اشاره - ١٧١

الإعراب - ١٧١

التنزل - ١٧٢

المعنى - ١٧٢

سوره البقره (٢): آيه ٢٣١ - ١٧٣

١٧٣ ..... اشارة

١٧٣ ..... اللغة

١٧٣ ..... الإعراب

١٧٤ ..... المعنى

١٧٥ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٢

١٧٥ ..... اشارة

١٧٥ ..... اللغة

١٧٥ ..... الإعراب

١٧٥ ..... النزول

١٧٥ ..... المعنى

١٧٧ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٣

١٧٧ ..... اشارة

١٧٧ ..... القراءة

١٧٧ ..... الحججه

١٧٨ ..... اللغة

١٧٩ ..... الإعراب

١٧٩ ..... المعنى

١٨٢ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٤

١٨٢ ..... اشارة

١٨٢ ..... القراءة

١٨٢ ..... الحججه

١٨٢ ..... اللغة

١٨٢ ..... الإعراب

١٨٤ ..... المعنى

١٨٥ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٥

١٨٥ ..... اشارة

١٨٥ ..... النزول

١٨٥ ..... اللغة

١٨٦ ..... الإعراب

١٨٦ ..... المعنى

١٨٨ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٦

١٨٨ ..... اشاره

١٨٨ ..... القراءة

١٨٨ ..... الحجه

١٨٨ ..... اللغة

١٨٨ ..... الإعراب

١٩٠ ..... المعنى

١٩١ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٧

١٩١ ..... اشاره

١٩١ ..... القراءة

١٩١ ..... الحجه

١٩٣ ..... الإعراب

١٩٣ ..... المعنى

١٩٤ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٨

١٩٤ ..... اشاره

١٩٤ ..... اللغة

١٩٤ ..... النزول

١٩٥ ..... المعنى

١٩٧ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٣٩

١٩٧ ..... اشاره

١٩٧ ..... اللغة

١٩٧ ..... الإعراب



المعنى - ١٩٨

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٠ - ١٩٨

اشاره - ١٩٨

القراءه - ١٩٨

الحجه - ١٩٨

المعنى - ١٩٩

سوره البقره (٢): الآيات ٢٤١ الى ٢٤٢ - ٢٠٠

اشاره - ٢٠٠

الإعراب - ٢٠٠

النزول - ٢٠٠

المعنى - ٢٠٠

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٣ - ٢٠١

اشاره - ٢٠١

اللغه - ٢٠١

الإعراب - ٢٠١

المعنى - ٢٠١

القصه - ٢٠٢

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٤ - ٢٠٣

اشاره - ٢٠٣

المعنى - ٢٠٣

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٥ - ٢٠٣

اشاره - ٢٠٣

القراءه - ٢٠٣

الحجه - ٢٠٣

اللغه - ٢٠٥

المعنى - ٢٠٥

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٦ ----- ٢٠٦

اشاره ----- ٢٠٦

القراءه ----- ٢٠٧

الحجه ----- ٢٠٧

اللغه ----- ٢٠٧

المعنى ----- ٢٠٩

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٧ ----- ٢١٠

اشاره ----- ٢١٠

اللغه ----- ٢١١

الإعراب ----- ٢١١

المعنى ----- ٢١١

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٨ ----- ٢١٢

اشاره ----- ٢١٢

اللغه ----- ٢١٢

الإعراب ----- ٢١٢

المعنى ----- ٢١٣

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٩ ----- ٢١٥

اشاره ----- ٢١٥

القراءه ----- ٢١٦

الحجه ----- ٢١٦

اللغه ----- ٢١٦

الإعراب ----- ٢١٨

المعنى ----- ٢١٨

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٠ ----- ٢١٩

اشاره ----- ٢١٩

اللغه ----- ٢١٩

المعنى - ٢٢٠ -

سوره البقره (٢): آيه ٢٥١ - ٢٢٠ -

اشاره - ٢٢٠ -

القراءه - ٢٢٠ -

الحجه - ٢٢٠ -

اللغه - ٢٢٠ -

المعنى - ٢٢١ -

القصه - ٢٢١ -

المعنى - ٢٢١ -

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٢ - ٢٢٢ -

اشاره - ٢٢٢ -

اللغه - ٢٢٢ -

الإعراب - ٢٢٣ -

المعنى - ٢٢٤ -

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٣ - ٢٢٤ -

اشاره - ٢٢٤ -

الإعراب - ٢٢٤ -

المعنى - ٢٢٤ -

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٤ - ٢٢٥ -

اشاره - ٢٢٥ -

القراءه - ٢٢٦ -

الحجه - ٢٢٦ -

اللغه - ٢٢٦ -

المعنى - ٢٢٦ -

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٥ - ٢٢٧ -

اشاره - ٢٢٧ -

٢٢٧ ..... توضيح

٢٢٨ ..... اللغة

٢٣٠ ..... الإعراب

٢٣١ ..... المعنى

٢٣٢ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٥٦

٢٣٢ ..... اشاره

٢٣٣ ..... اللغة

٢٣٣ ..... النزول

٢٣٤ ..... المعنى

٢٣٤ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٥٧

٢٣٤ ..... اشاره

٢٣٤ ..... اللغة

٢٣٤ ..... المعنى

٢٣٨ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٥٨

٢٣٨ ..... اشاره

٢٣٨ ..... القراءة

٢٣٨ ..... الحججه

٢٣٨ ..... اللغة

٢٣٨ ..... الإعراب

٢٤٠ ..... المعنى

٢٤٢ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٥٩

٢٤٢ ..... اشاره

٢٤٢ ..... القراءة

٢٤٢ ..... الحججه

٢٤٢ ..... اللغة

٢٤٥ ..... الإعراب

المعنى - ٢٤٥ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٠ - ٢٤٧ -----

اشاره - ٢٤٧ -----

القراءه - ٢٤٧ -----

الحجه - ٢٤٨ -----

اللغه - ٢٤٩ -----

الإعراب - ٢٤٩ -----

المعنى - ٢٤٩ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٦١ - ٢٥١ -----

اشاره - ٢٥١ -----

اللغه - ٢٥١ -----

المعنى - ٢٥٢ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٢ - ٢٥٣ -----

اشاره - ٢٥٣ -----

اللغه - ٢٥٣ -----

المعنى - ٢٥٣ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٣ - ٢٥٣ -----

اشاره - ٢٥٣ -----

اللغه - ٢٥٣ -----

المعنى - ٢٥٥ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٤ - ٢٥٥ -----

اشاره - ٢٥٥ -----

اللغه - ٢٥٦ -----

الإعراب - ٢٥٦ -----

المعنى - ٢٥٧ -----

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٥ - ٢٥٨ -----

٢٥٨ ..... اشارة

٢٥٨ ..... القراءه

٢٥٨ ..... اللغه

٢٥٩ ..... الإعراب

٢٥٩ ..... المعنى

٢٦١ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٦٦

٢٦١ ..... اشارة

٢٦١ ..... اللغه

٢٦١ ..... الإعراب

٢٦٢ ..... المعنى

٢٦٢ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٦٧

٢٦٢ ..... اشارة

٢٦٢ ..... القراءه

٢٦٢ ..... الحجه

٢٦٣ ..... القراءه العامه لثلا يتكرر حرفان مثلان و تخف الكلمه.

٢٦٣ ..... اللغه

٢٦٣ ..... الإعراب

٢٦٣ ..... النزول

٢٦٥ ..... المعنى

٢٦٧ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٦٨

٢٦٧ ..... اشارة

٢٦٧ ..... اللغه

٢٦٨ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٦٩

٢٦٨ ..... اشارة

٢٦٨ ..... القراءه

٢٦٨ ..... الحجه

المعنى ..... ٢٦٩

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٠ ..... ٢٦٩

اشاره ..... ٢٦٩

اللغه ..... ٢٦٩

الإعراب ..... ٢٧٠

المعنى ..... ٢٧٠

سوره البقره (٢): آيه ٢٧١ ..... ٢٧٠

اشاره ..... ٢٧٠

القراءه ..... ٢٧٠

الحجه ..... ٢٧٢

اللغه ..... ٢٧٢

الإعراب ..... ٢٧٣

المعنى ..... ٢٧٣

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٢ ..... ٢٧٤

اشاره ..... ٢٧٤

الإعراب ..... ٢٧٤

النزول ..... ٢٧٤

المعنى ..... ٢٧٤

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٣ ..... ٢٧٦

اشاره ..... ٢٧٦

القراءه ..... ٢٧٦

اللغه ..... ٢٧٦

الإعراب ..... ٢٧٦

النزول ..... ٢٧٧

المعنى ..... ٢٧٧

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٤ ..... ٢٧٨

٢٧٨ ..... اشارة

٢٧٨ ..... الإعراب

٢٧٨ ..... النزول

٢٧٩ ..... المعنى

٢٨٠ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٧٥

٢٨٠ ..... اشارة

٢٨٠ ..... اللغه

٢٨١ ..... الإعراب

٢٨١ ..... المعنى

٢٨٤ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٧٦

٢٨٤ ..... اشارة

٢٨٤ ..... اللغه

٢٨٤ ..... المعنى

٢٨٦ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٧٧

٢٨٦ ..... اشارة

٢٨٦ ..... المعنى

٢٨٧ ..... سورة البقره (٢): الآيات ٢٧٨ الى ٢٧٩

٢٨٧ ..... اشارة

٢٨٧ ..... القراءه

٢٨٧ ..... الحجه

٢٨٧ ..... الإعراب

٢٨٧ ..... النزول

٢٨٨ ..... المعنى

٢٨٨ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٨٠

٢٨٨ ..... اشارة

٢٨٨ ..... القراءه



٢٨٩ ..... اللغة

٢٨٩ ..... الإعراب

٢٨٩ ..... المعنى

٢٩١ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٨١

٢٩١ ..... اشاره

٢٩١ ..... القراءة

٢٩١ ..... الحججه

٢٩١ ..... الإعراب

٢٩٢ ..... النزول

٢٩٣ ..... المعنى

٢٩٤ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٨٢

٢٩٤ ..... اشاره

٢٩٤ ..... القراءة

٢٩٥ ..... الحججه

٢٩٦ ..... اللغة

٢٩٧ ..... المعنى

٣٠١ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٨٣

٣٠١ ..... اشاره

٣٠١ ..... القراءة

٣٠١ ..... الحججه

٣٠١ ..... اللغة

٣٠٣ ..... المعنى

٣٠٣ ..... سورة البقره (٢): آيه ٢٨٤

٣٠٣ ..... اشاره

٣٠٤ ..... القراءة

٣٠٤ ..... الحججه

المعنى ..... ٣٠٤

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٥ ..... ٣٠٥

اشاره ..... ٣٠٥

القراءه ..... ٣٠٥

الحجه ..... ٣٠٥

الإعراب ..... ٣٠٧

المعنى ..... ٣٠٧

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٦ ..... ٣٠٧

اشاره ..... ٣٠٧

اللغه ..... ٣٠٨

(٣) سوره آل عمران مدنيه و آياتها مائتان (٢٠٠) ..... ٣١٢

توضيح ..... ٣١٢

سوره آل عمران (٣): الآيات ١ الى ٥ ..... ٣١٣

اشاره ..... ٣١٣

توضيح ..... ٣١٣

القراءه ..... ٣١٣

الحجه ..... ٣١٣

الإعراب ..... ٣١٥

النزول ..... ٣١٥

المعنى ..... ٣١٦

سوره آل عمران (٣): آيه ٦ ..... ٣١٧

اشاره ..... ٣١٧

اللغه ..... ٣١٧

الإعراب ..... ٣١٨

المعنى ..... ٣١٨

سوره آل عمران (٣): آيه ٧ ..... ٣١٨

٣١٨ ..... اشارة

٣١٨ ..... اللغه

٣١٩ ..... الإعراب

٣١٩ ..... المعنى

٣٢٢ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٨ الى ٩

٣٢٢ ..... اشارة

٣٢٢ ..... اللغه

٣٢٢ ..... الإعراب

٣٢٣ ..... المعنى

٣٢٤ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٠

٣٢٤ ..... اشارة

٣٢٤ ..... اللغه

٣٢٤ ..... المعنى

٣٢٤ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١١

٣٢٤ ..... اشارة

٣٢٤ ..... اللغه

٣٢٥ ..... الإعراب

٣٢٥ ..... المعنى

٣٢٥ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٢

٣٢٥ ..... اشارة

٣٢٥ ..... القراءة

٣٢٥ ..... الحجه

٣٢٦ ..... اللغه

٣٢٦ ..... النزول

٣٢٦ ..... المعنى

٣٢٧ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٣

٣٢٧ ..... اشارة

٣٢٧ ..... القراءه

٣٢٧ ..... الحججه

٣٢٨ ..... اللغه

٣٢٨ ..... الإعراب

٣٢٩ ..... النزول

٣٣٠ ..... المعنى

٣٣١ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٤

٣٣١ ..... اشارة

٣٣٢ ..... اللغه

٣٣٢ ..... المعنى

٣٣٤ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٥

٣٣٤ ..... اشارة

٣٣٤ ..... القراءه

٣٣٤ ..... الحججه

٣٣٥ ..... الإعراب

٣٣٥ ..... المعنى

٣٣٥ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٦ الى ١٧

٣٣٥ ..... اشارة

٣٣٥ ..... اللغه

٣٣٦ ..... الإعراب

٣٣٦ ..... المعنى

٣٣٦ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٨ الى ١٩

٣٣٦ ..... اشارة

٣٣٧ ..... القراءه

٣٣٧ ..... الحججه

اللغه - ٣٣٧

الإعراب - ٣٣٨

المعنى - ٣٣٨

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٠ - ٣٤٠

اشاره - ٣٤٠

القراءه - ٣٤٠

الحججه - ٣٤٠

الإعراب - ٣٤١

المعنى - ٣٤١

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢١ الى ٢٢ - ٣٤١

اشاره - ٣٤١

القراءه - ٣٤٢

الإعراب - ٣٤٢

المعنى - ٣٤٢

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٣ الى ٢٤ - ٣٤٣

اشاره - ٣٤٣

اللغه - ٣٤٤

الإعراب - ٣٤٤

المعنى - ٣٤٤

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٥ - ٣٤٥

اشاره - ٣٤٥

اللغه - ٣٤٥

المعنى - ٣٤٦

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧ - ٣٤٦

اشاره - ٣٤٦

القراءه - ٣٤٧

٣٤٧ ..... الحجه

٣٤٧ ..... اللغه

٣٤٧ ..... الإعراب

٣٤٩ ..... النزول

٣٥٠ ..... المعنى

٣٥٢ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٢٨

٣٥٢ ..... اشاره

٣٥٢ ..... القراءة

٣٥٢ ..... الحجه

٣٥٢ ..... الإعراب

٣٥٢ ..... المعنى

٣٥٤ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٢٩

٣٥٤ ..... اشاره

٣٥٤ ..... اللغه

٣٥٤ ..... الإعراب

٣٥٤ ..... المعنى

٣٥٤ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٣٠

٣٥٤ ..... اشاره

٣٥٥ ..... اللغه

٣٥٥ ..... المعنى

٣٥٥ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٣٢

٣٥٥ ..... اشاره

٣٥٦ ..... اللغه

٣٥٦ ..... النزول

٣٥٦ ..... المعنى

٣٥٧ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٣٣ الى ٣٤

٣٥٧ ..... اشارة

٣٥٧ ..... اللغه

٣٥٧ ..... الإعراب

٣٥٧ ..... المعنى

٣٥٩ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٣٥ الى ٣٦

٣٥٩ ..... اشارة

٣٥٩ ..... القراءة

٣٥٩ ..... الحججه

٣٥٩ ..... اللغه

٣٥٩ ..... الإعراب

٣٦٠ ..... المعنى

٣٦١ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٣٧

٣٦١ ..... اشارة

٣٦١ ..... القراءة

٣٦١ ..... الحججه

٣٦١ ..... اللغه

٣٦٢ ..... المعنى

٣٦٣ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٣٨ الى ٣٩

٣٦٣ ..... اشارة

٣٦٣ ..... القراءة

٣٦٤ ..... الحججه

٣٦٤ ..... اللغه

٣٦٤ ..... الإعراب

٣٦٤ ..... المعنى

٣٦٧ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٤٠

٣٦٧ ..... اشارة

اللغه - ٣٦٧

المعنى - ٣٦٧

سوره آل عمران (٣): آيه ٤١ - ٣٦٨

اشاره - ٣٦٨

الإعراب - ٣٦٨

المعنى - ٣٦٩

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٢ الى ٤٣ - ٣٦٩

اشاره - ٣٦٩

المعنى - ٣٦٩

سوره آل عمران (٣): آيه ٤٤ - ٣٧٠

اشاره - ٣٧٠

اللغه - ٣٧٠

الإعراب - ٣٧٢

المعنى - ٣٧٢

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٥ الى ٤٦ - ٣٧٣

اشاره - ٣٧٣

القراءه - ٣٧٣

اللغه - ٣٧٣

الإعراب - ٣٧٣

المعنى - ٣٧٤

سوره آل عمران (٣): آيه ٤٧ - ٣٧٦

اشاره - ٣٧٦

الإعراب - ٣٧٦

المعنى - ٣٧٦

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٨ الى ٤٩ - ٣٧٧

اشاره - ٣٧٧



٣٧٧ ..... توضيح

٣٧٧ ..... القراءه

٣٧٧ ..... الحججه

٣٧٧ ..... اللغه

٣٧٨ ..... الإعراب

٣٧٨ ..... المعنى

٣٨٠ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥١

٣٨٠ ..... اشاره

٣٨٠ ..... اللغه

٣٨٠ ..... الإعراب

٣٨٠ ..... المعنى

٣٨١ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٢ الى ٥٤

٣٨١ ..... اشاره

٣٨١ ..... اللغه

٣٨١ ..... الإعراب

٣٨٢ ..... المعنى

٣٨٤ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٥٥

٣٨٤ ..... اشاره

٣٨٤ ..... الإعراب

٣٨٤ ..... المعنى

٣٨٤ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٦ الى ٥٨

٣٨٤ ..... اشاره

٣٨٤ ..... القراءه

٣٨٤ ..... الحججه

٣٨٤ ..... الإعراب

٣٨٤ ..... المعنى

٣٨٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٩ الى ٦١
٣٨٨	اشاره
٣٨٨	اللغه
٣٨٩	الإعراب
٣٨٩	النزول
٣٩٠	المعنى
٣٩١	سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٢ الى ٦٣
٣٩١	اشاره
٣٩٢	اللغه
٣٩٣	الإعراب
٣٩٣	المعنى
٣٩٣	سوره آل عمران (٣): آيه ٦٤
٣٩٣	اشاره
٣٩٤	اللغه
٣٩٤	الإعراب
٣٩٤	النزول
٣٩٤	المعنى
٣٩٤	سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٥ الى ٦٦
٣٩٤	اشاره
٣٩٤	القراءه
٣٩٤	الحجه
٣٩٤	اللغه
٣٩٨	الإعراب
٣٩٨	النزول
٣٩٨	المعنى
٣٩٩	سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٧ الى ٦٨

٣٩٩ ..... اشارة

٣٩٩ ..... اللغة

٤٠٠ ..... المعنى

٤٠٠ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٦٩

٤٠٠ ..... اشارة

٤٠٠ ..... اللغة

٤٠١ ..... المعنى

٤٠١ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٧٠ الى ٧١

٤٠١ ..... اشارة

٤٠١ ..... الإعراب

٤٠١ ..... المعنى

٤٠٢ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٧٢ الى ٧٤

٤٠٢ ..... اشارة

٤٠٢ ..... القراءة

٤٠٣ ..... الحجج

٤٠٣ ..... اللغة

٤٠٤ ..... المعنى

٤٠٤ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٧٥ الى ٧٦

٤٠٤ ..... اشارة

٤٠٤ ..... القراءة

٤٠٤ ..... الحجج

٤٠٤ ..... اللغة

٤٠٤ ..... الإعراب

٤٠٧ ..... النزول

٤٠٧ ..... المعنى

٤٠٨ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٧٧

٤٠٨ ..... اشارة

٤٠٨ ..... النزول

٤٠٨ ..... المعنى

٤٠٩ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٧٨

٤٠٩ ..... اشارة

٤٠٩ ..... اللغه

٤١٠ ..... الإعراب

٤١٠ ..... النزول

٤١٠ ..... المعنى

٤١٠ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٧٩ الى ٨٠

٤١٠ ..... اشارة

٤١٢ ..... القراءة

٤١٢ ..... الحججه

٤١٢ ..... اللغه

٤١٣ ..... النزول

٤١٣ ..... المعنى

٤١٤ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٨١ الى ٨٢

٤١٤ ..... اشارة

٤١٤ ..... القراءة

٤١٤ ..... الحججه

٤١٥ ..... المعنى

٤١٧ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٣ الى ٨٥

٤١٧ ..... اشارة

٤١٧ ..... القراءة

٤١٧ ..... الحججه

٤١٧ ..... الإعراب

٤١٨ ..... النزول

٤١٨ ..... المعنى

٤١٩ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٦ الى ٨٩

٤١٩ ..... اشاره

٤١٩ ..... اللغة

٤١٩ ..... الإعراب

٤٢٠ ..... النزول

٤٢٠ ..... المعنى

٤٢١ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٩٠

٤٢١ ..... اشاره

٤٢١ ..... النزول

٤٢١ ..... المعنى

٤٢٢ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٩١

٤٢٢ ..... اشاره

٤٢٢ ..... اللغة

٤٢٢ ..... الإعراب

٤٢٢ ..... المعنى

٤٢٣ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٩٢

٤٢٣ ..... اشاره

٤٢٣ ..... اللغة

٤٢٣ ..... المعنى

٤٢٥ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ٩٣ الى ٩٤

٤٢٥ ..... اشاره

٤٢٦ ..... اللغة

٤٢٦ ..... النزول

٤٢٦ ..... المعنى

سوره آل عمران (٣): آيه ٩٥ ..... ٤٢٧

اشاره ..... ٤٢٧

اللغه ..... ٤٢٧

المعنى ..... ٤٢٧

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٦ الى ٩٧ ..... ٤٢٨

اشاره ..... ٤٢٨

القراءه ..... ٤٢٨

الحجه ..... ٤٢٨

اللغه ..... ٤٢٨

الإعراب ..... ٤٢٩

النزول ..... ٤٢٩

المعنى ..... ٤٢٩

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الى ٩٩ ..... ٤٣٣

اشاره ..... ٤٣٣

اللغه ..... ٤٣٣

الإعراب ..... ٤٣٣

المعنى ..... ٤٣٣

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٠ الى ١٠١ ..... ٤٣٥

اشاره ..... ٤٣٥

اللغه ..... ٤٣٦

النزول ..... ٤٣٦

المعنى ..... ٤٣٦

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣ ..... ٤٣٧

اشاره ..... ٤٣٧

اللغه ..... ٤٣٧

الإعراب ..... ٤٣٨

٤٣٨ ..... النزول

٤٣٨ ..... المعنى

٤٤٢ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥

٤٤٢ ..... اشاره

٤٤٢ ..... اللغة

٤٤٢ ..... الإعراب

٤٤٣ ..... المعنى

٤٤٤ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧

٤٤٤ ..... اشاره

٤٤٤ ..... الإعراب

٤٤٤ ..... المعنى

٤٤٥ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٨ الى ١٠٩

٤٤٥ ..... اشاره

٤٤٦ ..... المعنى

٤٤٦ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١١٠

٤٤٦ ..... اشاره

٤٤٦ ..... المعنى

٤٤٨ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١١١ الى ١١٢

٤٤٨ ..... اشاره

٤٤٨ ..... الإعراب

٤٤٩ ..... النزول

٤٤٩ ..... المعنى

٤٥٠ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١١٣ الى ١١٤

٤٥٠ ..... اشاره

٤٥٠ ..... اللغة

٤٥١ ..... النزول

٤٥١ ..... المعنى

٤٥٢ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١١٥

٤٥٢ ..... اشاره

٤٥٢ ..... القراءه

٤٥٢ ..... الحجه

٤٥٢ ..... الإعراب

٤٥٢ ..... المعنى

٤٥٢ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١١٦ الى ١١٧

٤٥٢ ..... اشاره

٤٥٥ ..... اللغه

٤٥٥ ..... المعنى

٤٥٦ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١١٨

٤٥٦ ..... اشاره

٤٥٦ ..... اللغه

٤٥٧ ..... الإعراب

٤٥٧ ..... النزول

٤٥٧ ..... المعنى

٤٥٧ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١١٩

٤٥٧ ..... اشاره

٤٥٨ ..... اللغه

٤٥٨ ..... الإعراب

٤٥٨ ..... المعنى

٤٥٩ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٢٠

٤٥٩ ..... اشاره

٤٥٩ ..... القراءه

٤٥٩ ..... الحجه



٤٥٩ ..... اللغه

٤٥٩ ..... المعنى

٤٦١ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢١ الى ١٢٢

٤٦١ ..... اشاره

٤٦١ ..... اللغه

٤٦١ ..... الإعراب

٤٦١ ..... المعنى

٤٦٥ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢٣ الى ١٢٦

٤٦٥ ..... اشاره

٤٦٥ ..... القراءة

٤٦٥ ..... الحجه

٤٦٥ ..... اللغه

٤٦٥ ..... الإعراب

٤٦٧ ..... المعنى

٤٦٩ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢٧ الى ١٢٨

٤٦٩ ..... اشاره

٤٦٩ ..... اللغه

٤٦٩ ..... الإعراب

٤٧٠ ..... المعنى

٤٧١ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٢٩

٤٧١ ..... اشاره

٤٧٢ ..... اللغه

٤٧٢ ..... المعنى

٤٧٢ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٣٠ الى ١٣٢

٤٧٢ ..... اشاره

٤٧٢ ..... المعنى

سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۳ الى ۱۳۴ ..... ۴۷۴

اشاره ..... ۴۷۴

القراءة ..... ۴۷۴

الحججه ..... ۴۷۴

اللغه ..... ۴۷۴

المعنى ..... ۴۷۵

سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۵ الى ۱۳۶ ..... ۴۷۸

اشاره ..... ۴۷۸

اللغه ..... ۴۷۹

الإعراب ..... ۴۸۰

النزول ..... ۴۸۰

المعنى ..... ۴۸۰

سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۷ الى ۱۳۸ ..... ۴۸۲

اشاره ..... ۴۸۲

اللغه ..... ۴۸۲

المعنى ..... ۴۸۲

سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۹ الى ۱۴۰ ..... ۴۸۴

اشاره ..... ۴۸۴

القراءة ..... ۴۸۴

الحججه ..... ۴۸۴

اللغه ..... ۴۸۴

الإعراب ..... ۴۸۵

النزول ..... ۴۸۵

المعنى ..... ۴۸۵

سوره آل عمران (۳): آيه ۱۴۱ ..... ۴۸۸

اشاره ..... ۴۸۸

٤٨٨ ..... اللغه -

٤٨٨ ..... المعنى -

٤٨٨ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣ .....

٤٨٨ ..... اشاره .....

٤٩٠ ..... اللغه -

٤٩٠ ..... الإعراب .....

٤٩٠ ..... المعنى -

٤٩١ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٤٤ .....

٤٩١ ..... اشاره .....

٤٩١ ..... اللغه -

٤٩٣ ..... النزول .....

٤٩٥ ..... المعنى -

٤٩٥ ..... فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد صلى الله عليه و آله .....

٤٩٦ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٤٥ .....

٤٩٦ ..... اشاره .....

٤٩٦ ..... الإعراب .....

٤٩٦ ..... المعنى -

٤٩٨ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤٦ الى ١٤٨ .....

٤٩٨ ..... اشاره .....

٤٩٨ ..... القراءة .....

٤٩٨ ..... الحجه .....

٤٩٩ ..... اللغه -

٤٩٩ ..... المعنى -

٥٠٠ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠ .....

٥٠٠ ..... اشاره .....

٥٠٠ ..... اللغه -

الإعراب ..... ٥٠١

النزول ..... ٥٠١

المعنى ..... ٥٠١

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥١ ..... ٥٠١

اشاره ..... ٥٠١

القراءه ..... ٥٠١

اللغه ..... ٥٠١

النزول ..... ٥٠٢

المعنى ..... ٥٠٢

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٢ ..... ٥٠٣

اشاره ..... ٥٠٣

اللغه ..... ٥٠٣

الإعراب ..... ٥٠٣

النزول ..... ٥٠٣

المعنى ..... ٥٠٣

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٣ الى ١٥٤ ..... ٥٠٥

اشاره ..... ٥٠٥

القراءه ..... ٥٠٧

الحجه ..... ٥٠٧

اللغه ..... ٥٠٨

الإعراب ..... ٥٠٨

المعنى ..... ٥٠٨

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٥ ..... ٥١١

اشاره ..... ٥١١

المعنى ..... ٥١١

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٦ الى ١٥٨ ..... ٥١٢

٥١٢ ..... اشارة

٥١٢ ..... القراءه

٥١٢ ..... الحججه

٥١٣ ..... اللغه

٥١٣ ..... الإعراب

٥١٣ ..... المعنى

٥١٥ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٥٩

٥١٥ ..... اشارة

٥١٥ ..... اللغه

٥١٦ ..... الإعراب

٥١٦ ..... المعنى

٥١٧ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٦٠

٥١٧ ..... اشارة

٥١٧ ..... المعنى

٥١٨ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٦١

٥١٨ ..... اشارة

٥١٨ ..... القراءه

٥١٨ ..... الحججه

٥١٩ ..... اللغه

٥١٩ ..... النزول

٥٢٠ ..... المعنى

٥٢١ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٦٢ الى ١٦٣

٥٢١ ..... اشارة

٥٢١ ..... اللغه

٥٢١ ..... النزول

٥٢١ ..... المعنى

- ٥٢٢ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٦٤
- ٥٢٢ ..... اشاره
- ٥٢٢ ..... اللغه
- ٥٢٢ ..... المعنى
- ٥٢٣ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٦٥
- ٥٢٣ ..... اشاره
- ٥٢٣ ..... الإعراب
- ٥٢٣ ..... المعنى
- ٥٢٤ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧
- ٥٢٤ ..... اشاره
- ٥٢٤ ..... الإعراب
- ٥٢٤ ..... المعنى
- ٥٢٥ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٦٨
- ٥٢٥ ..... اشاره
- ٥٢٥ ..... اللغه
- ٥٢٦ ..... المعنى
- ٥٢٦ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٦٩ الى ١٧١
- ٥٢٦ ..... اشاره
- ٥٢٦ ..... القراءه
- ٥٢٧ ..... الحجه
- ٥٢٧ ..... اللغه
- ٥٢٧ ..... الإعراب
- ٥٢٧ ..... النزول
- ٥٣٠ ..... المعنى
- ٥٣٣ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٧٢ الى ١٧٤
- ٥٣٣ ..... اشاره

٥٣٣ ..... اللغة

٥٣٤ ..... الإعراب

٥٣٤ ..... النزول

٥٣٧ ..... المعنى

٥٣٨ ..... سورة آل عمران (٣): آية ١٧٥

٥٣٨ ..... اشاره

٥٣٨ ..... الإعراب

٥٣٩ ..... المعنى

٥٣٩ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٧٦ الى ١٧٧

٥٣٩ ..... اشاره

٥٣٩ ..... القراءة

٥٣٩ ..... الحجج

٥٤٠ ..... الإعراب

٥٤٠ ..... المعنى

٥٤١ ..... سورة آل عمران (٣): آية ١٧٨

٥٤١ ..... اشاره

٥٤١ ..... القراءة

٥٤١ ..... الحجج و الإعراب

٥٤٢ ..... اللغة

٥٤٢ ..... النزول

٥٤٢ ..... المعنى

٥٤٤ ..... سورة آل عمران (٣): آية ١٧٩

٥٤٤ ..... اشاره

٥٤٤ ..... القراءة

٥٤٤ ..... الحجج

٥٤٥ ..... النزول

المعنى ..... ٥٤٥

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٠ ..... ٥٤٦

اشاره ..... ٥٤٦

القراءه ..... ٥٤٦

المعنى ..... ٥٤٦

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨١ الى ١٨٢ ..... ٥٤٧

اشاره ..... ٥٤٧

القراءه ..... ٥٤٧

الحجه ..... ٥٤٨

اللغه ..... ٥٤٨

الإعراب ..... ٥٤٨

النزول ..... ٥٤٨

المعنى ..... ٥٤٨

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٣ الى ١٨٤ ..... ٥٥١

اشاره ..... ٥٥١

القراءه ..... ٥٥١

الحجه ..... ٥٥١

اللغه ..... ٥٥١

الإعراب ..... ٥٥١

النزول ..... ٥٥١

المعنى ..... ٥٥٢

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٥ ..... ٥٥٣

اشاره ..... ٥٥٣

اللغه ..... ٥٥٣

المعنى ..... ٥٥٣

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٦ ..... ٥٥٣



٥٥٤ ..... اشارة

٥٥٥ ..... الإعراب

٥٥٥ ..... النزول

٥٥٥ ..... المعنى

٥٥٦ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٨٧

٥٥٦ ..... اشارة

٥٥٦ ..... القراءة

٥٥٦ ..... الحججه

٥٥٦ ..... المعنى

٥٥٧ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٨٨

٥٥٧ ..... اشارة

٥٥٧ ..... القراءة

٥٥٧ ..... الحججه

٥٥٩ ..... النزول

٥٥٩ ..... المعنى

٥٦٠ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٨٩

٥٦٠ ..... اشارة

٥٦٠ ..... المعنى

٥٦١ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٩٠ الى ١٩٤

٥٦١ ..... اشارة

٥٦١ ..... اللغه

٥٦٣ ..... الإعراب

٥٦٣ ..... المعنى

٥٦٧ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٩٥

٥٦٧ ..... اشارة

٥٦٧ ..... القراءة

٥٦٧ ..... الحجه

٥٦٧ ..... اللغه

٥٦٧ ..... الإعراب

٥٦٨ ..... النزول

٥٦٨ ..... المعنى

٥٦٩ ..... سورة آل عمران (٣): الآيات ١٩٦ الى ١٩٨

٥٦٩ ..... اشاره

٥٦٩ ..... القراءة

٥٦٩ ..... اللغه

٥٦٩ ..... الإعراب

٥٦٩ ..... النزول

٥٦٩ ..... المعنى

٥٧١ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ١٩٩

٥٧١ ..... اشاره

٥٧١ ..... اللغه

٥٧١ ..... الإعراب

٥٧١ ..... النزول

٥٧٢ ..... المعنى

٥٧٣ ..... سورة آل عمران (٣): آيه ٢٠٠

٥٧٣ ..... اشاره

٥٧٣ ..... اللغه

٥٧٣ ..... المعنى

٥٧٦ ..... تعريف مركز

## مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ٢

### اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسي

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

### اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)

فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد صلى الله عليه وآله

كانت كفار قريش يشتمون مذمما يعنون اسم النبى ص

فروى أبو هريره عن النبى ص قال ألم تروا كيف صرف الله عنى لعن قريش و شتمهم يشتمون مذمما و أنا محمد

و فى مسند على بن موسى الرضا عن آباءه عن النبى ص أنه قال إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه و أوسعوا له فى المجلس و لا تقبحوا له وجهها و ما من قوم كان لهم مشوره فحضر معهم من اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم و ما من مائده وضعت فحضرها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس فى كل يوم ذلك المنزل مرتين

و عن أنس بن مالك قال كان النبى ص فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله فقال الرجل إنما أدعو ذاك فقال رسول الله تسموا باسمى و لا تكنوا بكينيتى

و عن أبى هريره قال قال رسول الله ص

لا تجمعوا بين اسمى و كنىتى أنا أبو القاسم الله يعطى و أنا أقسم

ثم رخص فى ذلك لعلى (عليه السلام) و ابنه

و عن على بن أبى طالب قال قال لى رسول الله ص أن ولد لك غلام نحلته اسمى و كنىتى. اللغه

الصوم فى اللغه الإمساك و منه يقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام قال ابن دريد كل شىء سكنت حركته فقد صام صوما و قال النابغه:

خيل صيام و خيل غير صائمه

تحت العجاج و أخرى تملك اللجما

أى قيام و صامت الريح أى ركبت و صامت الشمس إذا استوت فى منتصف النهار و صام النهار أيضا بمقدار قال امرؤ القيس:

فدعها و سل الهم عنك بجسره

ذمول إذا صام النهار و هجرا

و الصوم ذرق النعام و أصل الباب الإمساك و هو فى الشرع إمساك عن أشياء مخصوصه على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصه فى زمان مخصوص فالاسم شرعى و فيه معنى اللغه و الصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوما و صياما.

## الإعراب

الصيام رفع بما لم يسم فاعله و قوله «كَمَا كُتِبَ» أى مثل ما كتب فما هذه مصدرية و تقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابه مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر و أقيم صفته مقامه و يحتمل أن يكون موضع الكاف نصبا على الحال من

الصيام و تقديره كتب عليكم الصيام مفروضاً أى فى هذه الحال.

## المعنى

ثم بين سبحانه فريضه أخرى فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى يا أَيُّهَا المصدقون و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: لذه ما فى النداء أزال تعب العباده و العنا

و قال الحسن: إذا سمعت الله عز و جل يقول «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فارع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهى تنهى عنه «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ» أى فرض عليكم العباده المعروفه فى الشرع و إنما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك و لأن العباده لا تصح إلا- منهم و وجوبه عليهم لا ينافى وجوبه على غيرهم و قوله «كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» فيه أقوال (أحدها) أنه شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم أى كتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام و ليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا و لا- وقته بعدد الصوم المفروض عليهم أو وقته و هو اختيار أبى مسلم و الجبائى (و ثانيها) أنه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى و كان يتفق ذلك فى الحر الشديد و البرد الشديد فحولوه إلى الربيع و زادوا فى عدده عن الشعبى و الحسن و قيل كان الصوم علينا من العتمه إلى العتمه ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام و الشراب من وقت صلاه العتمه إلى وقت صلاه العتمه و قال بعضهم كان يحرم من وقت النوم إلى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» النصارى على قول الحسن و الشعبى و أهل الكتاب من اليهود و النصارى على قول غيرهما و قوله «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى لكى تتقوا المعاصى بفعل الصوم عن الجبائى و قيل لتكونوا أتقياء بما لطف لكم فى الصيام فإنه أقوى الوسائل و الوصل إلى الكف عن المعاصى كما

روى عن النبى ص أنه قال: خصاء أمتى الصوم

و

سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عن عله الصيام فقال إنما فرض الصيام ليستوى به الغنى و الفقير و ذلك لأن الغنى لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه أن يذيق الغنى مس الجوع ليرق على الضعيف و يرحم الجائع.

## سوره البقره (٢): آيه ١٨٤

### اشاره

أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)

ص: ٦



قرأ أبو جعفر و نافع و ابن عامر فديه طعام مساكين على إضافه فديه إلى طعام و جمع المساكين و قرأ الباقون «فَدْيَهُ» منونه «طَعَامٌ» رفع «مِسْكِينَ» موحد مجرورا و قرأ حمزه و الكسائي و من يطوع خيرا و الباقون «تَطَوَّعَ» و قد مضى ذكره و روى فى الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف و عائشه و سعيد بن المسيب و عكرمه و عطا يطوقونه على معنى يتطوقونه عن مجاهد و عن ابن عباس و عن عكرمه و روى عن ابن عباس أيضا يتطيقونه و يطيقونه أيضا.

من قرأ «فَدْيَهُ طَعَامٌ مِسْكِينَ» فطعام مسكين عطف بيان لفديه و أفراد مسكين جائز و إن كان المعنى على الكثره لأن المعنى على كل واحد طعام مسكين قال أبو زيد يقال أتينا الأمير فكسانا كلنا حله و أعطانا كلنا مائه و أما من أضاف الفديه إلى طعام كإضافه البعض إلى ما هو بعض له فإنه سمي الطعام الذى يفدى به فديه ثم أضاف الفديه إلى الطعام الذى يعم الفديه و غيرها و هو على هذا من باب خاتم حديد و أما من قرأ يطوقونه فإنه يفعلونه من الطاقه فهو كقوله يجشمونه و يكلفونه و يجعل لهم كالطوق فى أعناقهم و يطوقونه كقولك يتكلفونه و يتجشمونه و أما من قرأ يطيقونه فإنه يتطيقونه يتفعلونه إلا أن العينين أبدلتا ياء كما قالوا فى تصور الجرف تهير و يطيقونه يفعلونه منه.

السفر أصله من السفر الذى هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا و انسفرت الإبل إذا انكشفت ذاهبه و سفرت الريح السحاب قال العجاج:

(سفر الشمال الزبرج المزبرجا)

الزبرج السحاب الرقيق و فى السفر يظهر ما لا يظهر إلا به و ينكشف من أخلاق الناس ما لا ينكشف إلا به و العده فعله من العد و هى بمعنى المعدود كالمطحن بمعنى المطحون و الحمل بمعنى المحمول و الطوق الطاقه و هى القوه يقال طاق الشىء يطوقه طوقا و طاقه و الطاق إطاقه إذا قوى عليه و طوقه تطويقا ألبسه الطوق و هو معروف من ذهب كان أو من فضه لأنه يكسبه قوه بما يعطيه من الجلاله و كل شىء استدار فهو طوق و طوقه الأمير أى جعله كالطوق فى عنقه.

«أَيَّامًا» قال الزجاج يجوز فى انتصابه و جهان (أحدهما) أن يكون ظرفا كأنه كتب عليكم الصيام فى أيام و العامل فيه الصيام كان المعنى كتب عليكم أن تصوموا أياما و قال بعض النحويين أنه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك أعطى زيد المال قال و ليس هذا بشىء لأن الأيام هاهنا متعلقه بالصوم و زيد و المال مفعولان لأعطى ذلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل و ليس فى هذا إلا نصب أيام بالصيام قال أبو على «أَيَّامًا» يجوز فى

انتصابه وجهان (أحدهما) أن ينتصب على الظرف و الآخر أن ينتصب انتصاب المفعول به على السعه فإذا انتصب على أنه ظرف جاز أن يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في أيام و إن شئت اتسعت فنصبته نصب المفعول به فتقول على هذا يا مكتوب أيام عليه أو يا كاتب أيام الصيام و إنما جاز إضافه اسم الفاعل أو المفعول إلى أيام لإخراجك إياه عن أن يكون ظرفا و اتساعك في تقديره اسما و إذا كان الأمر على ما ذكرناه كان ما منعه أبو إسحاق من إجازة من أجاز أن كتب عليكم الصيام أياما بمنزله أعطى زيد المال جائز غير ممتنع قال و لا يستقيم أن ينتصب أياما بالصيام على أن يكون المعنى كتب عليكم الصيام في أيام لأن ذلك و إن كان مستقيما في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك ألا ترى أنك إذا حملته على ذلك فصلت بين الصله و الموصول بأجنبي منهما و ذلك أن أياما تصير من صله الصيام و قد فصلت بينهما بمصدر كتب لأن التقدير كتب عليكم الصيام كتابه مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقه بكتب و قد فصلت بها بين المصدر و صلته و ليس من واحد منهما و أقول أنه يستقيم أن ينتصب أياما بالصيام إذا جعلت الكاف من قوله «كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» في موضع نصب على الحال أى مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا- و كتب صلته و فى كتب ضمير يعود إلى ما و الموصول و صلته فى موضع جر بإضافه الكاف إليه و الكاف موضع النصب بأنه صفة للمحذوف الذى هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصله و الموصول ما هو أجنبي منهما على ما ذكره الشيخ أبو على و قوله «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» تقديره فعليه عده فيكون ارتفاع عده على الابتداء على قول سيبويه و على قول الأخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه و يجوز أن يكون تقديره فالذى ينوب عن صومه فى وقت الصوم عده من أيام آخر فيكون عده خبر الابتداء و آخر لا ينصرف لأنه وصف معدول عن الألف و اللام لأن نظائرها من الصغر و الكبير لا يستعمل إلا بالألف و اللام لا يجوز نسوه صغر و إن تصوموا فى موضع رفع بالابتداء و خير خبر له و لكم صفة الخبر.

## المعنى

«أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ» أى معلومات محصورات مضبوطات كما يقال أعطيت مالا معدودا أى محصورا متعينا و يجوز أن يريد بقوله «مَعْدُودَاتٍ» أنها قلائل كما قال سبحانه دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ يريد أنها قليلة و اختلف فى هذه الأيام على قولين (أحدهما) أنها غير شهر رمضان و كانت ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ و عطا و عن ابن عباس

و روى ثلاثة أيام من كل شهر و صوم عاشوراء عن قتاده ثم قيل أنه كان تطوعا و قيل بل كان واجبا و اتفق هؤلاء على أن ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان و الآخر أن المعنى بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس و الحسن و اختاره الجبائي و أبو مسلم و عليه أكثر المفسرين قالوا أوجب سبحانه الصوم أولا- فأجمله و لم يبين أنها يوم أو يومان أم أكثر ثم بين أنها أيام معلومات و أبهم ثم بينه بقوله «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» قال القاضى و هذا أولى لأنه إذا أمكن حمله على معنى من غير إثبات نسخ كان أولى و لأن ما قالوه زياده لا دليل عليه «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» عطف قوله «عَلَى سَفَرٍ» و هو ظرف على قوله «مَرِيضًا» و هو اسم مع أن الظرف لا يعطف على الاسم لأنه و إن كان ظرفا فهو بمعنى الاسم و تقديره فمن كان منكم مريضا أو مسافرا فالذى ينوب مناب صومه عده من أيام أخر و فيه دلالة على أن المسافر و المريض يجب عليهما الإفطار لأنه سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر و المرض و من قدر فى الآية فأفطر فقد خالف الظاهر و قد ذهب إلى وجوب الإفطار فى السفر جماعه من الصحابه كعمر بن الخطاب و عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و عبد الرحمن بن عوف و أبى هريره و عروه بن الزبير و هو المروى عن أئمتنا فقد روى أن عمر بن الخطاب أمر رجلا صام فى السفر أن يعيد صومه و روى يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم فى السفر فقال أ رأيت لو تصدقت على رجل صدقه فردها عليك ألا تغضب فإنها صدقه من الله تصدق بها عليكم و

روى عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر

و روى عن ابن عباس أنه قال الإفطار فى السفر عزيمه و

روى أصحابنا عن أبى عبد الله أنه قال الصائم فى شهر رمضان فى السفر كالمفطر فيه فى الحضر

و

عنه (عليه السلام) قال لو أن رجلا مات صائما فى السفر لما صليت عليه

و

عنه ص قال من سافر أفطر و قصر إلا أن يكون رجلا سفره إلى صيد أو فى معصية الله

و

روى العياشى بإسناده مرفوعا إلى محمد بن مسلم عن أبى عبد الله قال لم يكن رسول الله يصوم فى السفر تطوعا و لا فريضه حتى نزلت هذه الآية بكراع الغميم عند صلاه الهجير فدعا رسول الله بإناء فيه ماء فشرب و أمر الناس أن يفطروا فقال قوم قد توجه النهار و لو تممنا يومنا هذا فسماهم رسول الله العصاه فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله

«وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» الهاء يعود إلى الصوم عند أكثر أهل العلم أى يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين أن يصوموا و لا



يكفروا و بين أن يفطروا و يكفروا عن كل يوم بإطعام مسكين لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله «فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» و قيل أن الهاء يعود إلى الفداء عن الحسن و أبي مسلم و أما المعنى بقوله «الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» ففيه ثلاثة أقوال (أولها) أنه سائر الناس كما قدمنا ذكره من التخيير و النسخ بعده و هو قول ابن عباس و الشعبي (و ثانيها) أن هذه الرخصة كانت للحوامل و المرضع و الشيخ الفانى ثم نسخ من الآيه الحامل و المرضع و بقى الشيخ الكبير عن الحسن و عطاء (و ثالثها) أن معناه و على الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه و لا نسخ فيه عن السدى و

قد رواه بعض أصحابنا عن أبي عبد الله أن معناه و على الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش و شبه ذلك فعليهم كل يوم مد

و

روى على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق (عليه السلام) و على الذين يطيقونه فديه من مرض فى شهر رمضان فأفطر ثم صح فلم يقض ما فاتته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يقتضى و يتصدق لكل يوم مدا من طعام

و قوله «فِدْيَةُ طَعَامِ مِسْكِينٍ» اختلف فى مقدار الفديه فقال أهل العراق نصف صاع عن كل يوم و قال الشافعى عن كل يوم مد و عندنا إن كان قادرا فمدان فإن لم يقدر أجزاءه مد واحد و قوله «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ» قيل معناه من أطعم أكثر من مسكين واحد عن عطا و طاووس و قيل أطعم المسكين الواحد أكثر من قدر الكفايه حتى يزيده على نصف صاع عن مجاهد و يجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الإطعام و قيل معناه من عمل برا فى جمع الدين فهو خير له عن الحسن و قيل من صام مع الفديه عن الزهرى و قوله «وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» أى و صومكم خير لكم من الإفطار و الفديه و كان هذا مع جواز الفديه فأما بعد النسخ فلا يجوز أن يقال الصوم خير من الفديه مع أن الإفطار لا يجوز أصلا و قيل معناه الصوم خير لمطيقه و أفضل ثوبا من التكفير لمن أفطر بالعجز «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» إن الصوم خير لكم من الفديه و قيل إن كنتم تعلمون أفضل أعمالكم و فى قوله سبحانه «وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» دلالة على أن الاستطاعه قبل الفعل.

ص: ١٠

## اشاره

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)

## القراءه

قرأ أبو بكر عن عاصم و لتكملوا بالتشديد و الباقون «لِتُكْمِلُوا» بالتخفيف و قرأ أبو جعفر العسر و اليسر بالثقل فيهما و الباقون بالتخفيف.

## الحجه

حجه من قرأ «وَ لَتُكْمِلُوا» قوله الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و من قرأ و لتكملوا فلائن فعل و أفعل كثيرا ما يستعمل أحدهما موضع الآخر قال النابغه:

فكملت مائه منها حمامتها

و أسرعت حسبه في ذلك العدد.

## اللغه

الشهر معروف و جمعه في القله أشهر و في الكثره شهور و أصله من اشتهاه بالهلال يقال شهرت الحديث أظهرته و شهرت السيف انتضيته و أتان شهيره عريضه ضخمه و أصل الباب الظهور و أصل رمضان من الرمش و هو شده وقع الشمس على الرمل و غيره و إنما سموه رمضان لأنهم سموا الشهور بالأزمنه التي وقعت فيها فوافق رمضان أيام رمض الحر و قد جمعوا رمضان على رمضانات و قيل أن رمضان اسم من أسماء الله فروى عن مجاهد لا- تقل رمضان و لكن قل شهر رمضان فإنك لا تدري ما رمضان و

قد جاء في الأخبار المرويه عن النبي ص أنه قال من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه

و قيل إنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها و القرآن أصله الجمع لقولهم ما قرأت الناقه سلاقط أى ما جمعت رحمها على سلا و منه القراءه و القارئ لأنه يجمع الحروف و الفرقان الذى يفرق بين الحق و الباطل و الإراده أصلها الواو لأنك تقول راودته على أن يفعل كذا مراوده و منه راد يرود رودا فهو رائد و فى المثل الرائد لا يكذب أهله و أصل الباب الطلب و الإراده بمعنى الطلب للمراد لأنها كالسبب له و اليسر ضد العسر و اليسار الغنى و السعه و اليسار اليد اليسرى و اليسر الجماعه يجتمعون على الجزور فى الميسر و الجمع الإيسار و أصل الباب السهوله و أصل العسر الصلابه يقال عسر الشىء عسرا و رجل

أعسر يعمل بشماله و أعسر الرجل إذا افتقر و ضده اليسر و يقال كمل الشىء و أكملته و كملته أى تممته.

## الإعراب

«شَهْرُ رَمَضَانَ» فى ارتفاعه ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون خبر مبتدأ

ص: ١١

محذوف يدل عليه قوله أَيْاماً أى هى شهر رمضان (و الثانى) أن يكون بدلاً من الصيام فكأنه قال كتب عليكم شهر رمضان (و الثالث) أن يرتفع بالابتداء و يكون خبره «الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» و إن شئت جعلت الذى أنزل فيه القرآن صفه له و أضمرت الخبر حتى كأنه قال و فيما كتب عليكم شهر رمضان أى صيام شهر رمضان و لا ينصرف رمضان للتعريف و زياده الألف و النون المضارعتين لألفى التأنيث و يجوز فى العرييه شهر رمضان بالنصب من وجهين (أحدهما) صوموا شهر رمضان و الآخر على البديل من قوله أَيْاماً فقوله «هُدًى» فى موضع النصب على الحال أى هادياً للناس و قوله «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» فالشهر ينتصب على أنه ظرف لا- على أنه مفعول به لأنه لو كان مفعولاً- به للزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث أن المسافر يشهد الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا أن معناه فمن شهد منكم المصر فى الشهر و لا يكون مفعولاً به كما لو قلت أحييت شهر رمضان يكون مفعولاً به فإن قلت كيف جاء ضميره متصلاً فى قوله «فَلْيَصُمْهُ» إذا لم يكن مفعولاً به قلنا لأن الاتساع وقع فيه بعد أن استعمل ظرفاً على ما تقدم بيان أمثاله و إنما عطف الظرف على الاسم فى قوله «وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ» لأنه بمعنى الاسم فكأنه قال أو مسافراً كقوله سبحانه «دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً» أى دعانا مضطجعاً و أما العطف باللام فى قوله «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» ففيه وجهان (أحدهما) أنه عطف جملة على جملة لأن بعده محذوفاً و تقديره و لتكملوا العدة شرع ذلك أو أريد ذلك و مثله قوله «وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» أى و ليكون من الموقنين أريناه ذلك (و الثانى) أن يكون عطفاً على تأويل محذوف و دل عليه ما تقدم من الكلام لأنه لما قال «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ» دل على أنه قد فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز و لتكملوا العدة عطفاً عليه قال الشاعر:

بادت و غير آيهن مع البلى

إلا رواكد جمرهن هباء

و مشجج إما سواء قذاله

فبدا و غيب مماره المعزاء

أى سائره فعطف على تأويل الكلام كأنه قال بها رواكد و مشجج هذا قول الزجاج و الأول قول الفراء.

## المعنى

ثم بين سبحانه وقت الصوم فقال «شَهْرُ رَمَضَانَ» أى هذه الأيام



المعدودات شهر رمضان أو كتب عليكم شهر رمضان أو شهر رمضان هو الشهر «الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» فيبين أنه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو أنه «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» الذي عليه مدار الدين والإيمان ثم اختلف في قوله «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» فقيل

أن الله أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أنزل على النبي بعد ذلك نجوما في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتاده وهو المروى عن أبي عبد الله

وقيل إن الله تعالى ابتداء إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن إسحاق وقيل أنه كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة جملة واحده ثم ينزل على مواقع النجوم إرسالا في الشهور والأيام عن السدي يسنده إلى ابن عباس و

روى الثعلبي بإسناده عن أبي ذر الغفاري عن النبي ص أنه قال أنزلت صحف إبراهيم لثلاث مضي من شهر رمضان وفي روايه الواحدى في أول ليله منه و أنزلت توراه موسى لست مضي من شهر رمضان و أنزل إنجيل عيسى لثلاث عشره ليله خلت من رمضان و أنزل زبور داود لثمان عشره ليله مضت من رمضان و أنزل الفرقان على محمد لأربع و عشرين من شهر رمضان و هذا بعينه رواه العياشى عن أبي عبد الله عن آباءه عن النبي ص

وقيل المراد بقوله «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» أنه أنزل في فرضه و إيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه. كما يقول القائل أنزل الله في الزكاه كذا يريد في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله «هُدًى لِلنَّاسِ» أى هاديا للناس و دالا لهم على ما كلفوه من العلوم «وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ» أى و دلالات من الهدى و قيل المراد بالهدى الأول الهدى من الضلاله و بالثانى بيان الحلال و الحرام عن ابن عباس و قيل أراد بأول ما كلف من العلم و بالثانى ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء و شرائعهم و أخبارهم لأنها لا تدرك إلا بالقرآن عن الأصم و القاضى و قوله «وَالْفُرْقَانِ» أى و مما يفرق بين الحق و الباطل و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال القرآن جملة الكتاب و الفرقان المحكم الواجب العمل به

و

روى الحسن بن محبوب عن أبي أيوب عن أبي الورد عن أبي جعفر قال خطب رسول الله ص الناس في آخر جمعه من شعبان فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس: إنه قد أظلكم شهر فيه ليله خير من ألف شهر و هو شهر رمضان فرض الله صيامه و جعل قيام ليله فيه بتطوع صلاه كمن تطوع بصلاه سبعين ليله فيما سواه من الشهور و جعل لمن تطوع فيه بخصله من خصال الخير و البر كأجر من أدى فريضه من فرائض الله فيما سواه و من أدى فيه فريضه من فرائض الله كان كمن أدى سبعين فريضه [من فرائض] فيما سواه من

الشهور و هو شهر الصبر و إن الصبر ثوابه الجنة و هو شهر المواساه و هو شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمنين و من فطر فيه مؤمنا صائما كان له بذلك عند الله عتق رقبه و مغفره لذنوبه فيما مضى فليل له يا رسول الله ليس كلنا نقدر على أن نفطر صائما قال فإن الله كريم يعطى هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا- على مذقه من لبن يفطر بها صائما أو شربه من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك و من خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه و هو شهر أوله رحمه و أوسطه مغفره و آخره إجابته و العتق من النار و لا غنى بكم فيه عن أربع خصال خصلتين ترضون الله بهما و خصلتين لا غنى بكم عنهما فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادته أن لا- إله إلا الله و إني رسول الله و أما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم و الجنة و تسألون الله فيه العافيه و تتعوذون به من النار

و

في روايه سلمان الفارسي فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم و خصلتان لا غنى بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون ربكم بهما فشهادته أن لا إله إلا الله و تستغفرونه و أما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة و تتعوذون به من النار

و

قال رسول الله نوم الصائم عباده و صمته تسبيح و دعاؤه مستجاب و عمله مضاعف

و قوله «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» فيه وجهان (أحدهما) فمن شهد منكم المصر و حضر و لم يغب في الشهر و الألف و اللام في الشهر للعهد و المراد به شهر رمضان فليصم جميعه و هذا معنى ما

رواه زراره عن أبي جعفر أنه قال لما سئل عن هذه ما أبينها لمن عقلها قال من شهد شهر رمضان فليصمه و من سافر فيه فليفطر

و

قد روى أيضا عن علي و ابن عباس و مجاهد و جماعه من المفسرين أنهم قالوا من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر و هو حاضر فعليه أن يصوم الشهر كله

(و الثاني) من شاهد منكم الشهر مقيما مكلفا فليصم الشهر بعينه و هذا نسخ للتخيير بين الصوم و الفديه و إن كان موصولا به في التلاوه لأن الانفصال لا يعتبر عند التلاوه بل عند الإنزال و الأول أقوى و قوله «وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» قد مضى تفسيره في الآيه المتقدمه و حد المرض الذي يوجب الإفطار ما يخاف الإنسان معه الزيادة المفرطه في مرضه و

روى أبو بصير قال سألت أبا عبد الله عن حد المرض الذي على صاحبه فيه الإفطار قال هو مؤتمن عليه مفوض إليه فإن وجد ضعفا فليفطر و إن وجد قوه فليصم كان المرض على ما كان

و روى أيضا أن ذلك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلاته و به قال الحسن و في ذلك اختلاف بين الفقهاء و

أما السفر الذى يوجب الإفطار عندنا فما كان مباحا أو طاعه و كانت المسافه ثمانيه فراسخ أربعه و عشرين ميلا و عند الشافعى  
سته عشر فرسخا و عند أبى حنيفه أربعه و عشرين فرسخا و اختلف فى العده

ص: ١٤

من الأيام الآخر فقال الحسن و جماعه هي على التضييق إذا برأ المريض أو قدم المسافر و قال أبو حنيفه موسع فيها و عندنا موقت بما بين رمضانين و تجوز متتابعه و متفرقه و التتابع أفضل فإن فرط حتى لحقه رمضان آخر لزمه الفديه و القضاء و به قال الشافعي و قوله «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ» أى فى الرخصه للمريض و المسافر إذا لم يوجب الصوم عليهما و قيل يريد الله بكم اليسر فى جميع أموركم «و لا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ» أى التضييق عليكم و فيه دلالة على بطلان قول المجبره لأنه بين أن فى أفعال المكلفين ما يريده سبحانه و هو اليسر و فيها ما لا يريده و هو العسر و لأنه إذا كان لا يريد بهم العسر فإن لا يريد تكليف ما لا يطاق أولى و قوله «و لَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» تقديره يريد الله لأن يسهل عليكم و لأن تكملوا أى تمتوا عده ما أفطرتم فيه و هى أيام السفر و المرض بالقضاء إذا أقمتم و برأتم فتصوموا للقضاء بعدد أيام الإفطار و على القول الآخر فتقديره و لإكمال العده شرع الرخصه فى الإفطار و يحتمل أن يكون معناه و لتكملوا عده الشهر لأنه مع الطاقه و عدم العذر يسهل عليه إكمال العده و المريض و المسافر يتعسر عليهما ذلك فيكمالان العده فى وقت آخر و من قال أن شهر رمضان لا ينقص أبدا استدل بقوله «و لَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» و قال بين تعالى أن عده شهر رمضان محصوره يجب صيامها على الكمال و لا يدخلها نقصان و لا اختلال فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد أكملوا العده التى وجب عليكم صيامها و قد يجوز أن يكون هذه العده تاره ثلاثين و تاره تسعه و عشرين (و الآخر) ما ذكرناه من أن المراد راجع إلى القضاء و يؤيده أنه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر و المرض و قوله «و لَتُكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ» المراد به تكبير ليله الفطر عقيب أربع صلوات المغرب و العشاء الآخره و الغداه و صلاه العيد على مذهبنا و قال ابن عباس و جماعه التكبير يوم الفطر و قيل المراد به و لتعظموا الله على ما أرشدكم له من شرائع الدين «و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لتشكروا الله على نعمه.

## سوره البقره (٢): آيه ١٨٦

### إشارة

وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)

### اللغة

أجاب و استجاب بمعنى قال الشاعر:

و داع دعا يا من يحب لى النداء

فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أى لم يجبه و قال المبرد بينهما فرق و هو أن فى الاستجابه معنى الإذعان و ليس ذلك فى

الإجابة و أصله من الجواب و هو القطع يقال جاب البلاد يجوبها جوبا إذا قطعها و اجتاب الظلام بمعناه و الجابه و الإجابة بمعنى الصحيح أن الجابه و الطاعه و الطاقه و نحوها أسماء بمعنى المصادر و أجاب عن السؤال جوابا و انجاب السحاب إذا انقشع و أصل الباب القطع فإجابة السائل القطع بما سأل لأن سؤاله على الوقف أ يكون أم لا يكون و الرشد نقيض الغي رشد يرشد رشدا و رشد يرشد رشدا و رجل رشيد و ولد فلان لرشده خلاف لزنیه و أصل الباب إصابه الخير و منه الإرشاد و هو الدلاله على وجه الإصابه للخير.

## الإعراب

إذا ظرف زمان للفعل الذى يدل عليه قوله «فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» تقديره فأخبره يا محمد إنى بهذه الصفه و لا يجوز أن يعمل فيه قريب أو أجيب لأن معمول إن لا يجوز أن يعمل فيما قبل إن لما بين فى موضعه و قوله أجيب فى موضع رفع بأنه خبر إن أيضا فهو خبر بعد خبر.

## النزول

روى عن الحسن أن سائلا- سأل النبي (صلى الله عليه و آله) أ قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية و قال قتاده نزلت جوابا لقوم سألو النبي كيف ندعو.

## المعنى

لما ذكر سبحانه الصوم عقبه بذكر الدعاء و مكانه منه و إجابته إياه فقال «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي» الأقرب أن يكون السؤال عن صفته سبحانه لا عن فعله لقوله سبحانه «فَإِنِّي قَرِيبٌ» و فيه حذف أى فقل إنى قريب فدل بهذا على أنه سبحانه لا مكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كل من يناجيه و قيل معناه إنى أسمع دعاء الداعى كما يسمعه القريب المسافه منهم فجاءت لفظه قريب بحسن البيان بها فأما قريب المسافه فلا يجوز عليه سبحانه لأن ذلك إنما يتصور فيمن كان متمكنا فى مكان و ذلك من صفات المحدثات و قوله «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» مفهوم المعنى و قوله «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي» قال أبو عبيده معناه فليجيبونى فيما دعوتهم إليه و قال المبرد و السراج معناه فليدعونا للحق بطلب موافقه ما أمرتهم به و نهيتهم عنه و قال مجاهد معناه فليستجيبوا لى بالطاعه و قيل معناه فليدعونى و

روى عن النبي ص أعجز الناس من عجز عن الدعاء و أبخل الناس من بخل بالسلام

«وَلْيُؤْمِنُوا بِي» أى و ليصدقوا بجميع ما أنزلته و

روى عن أبى عبد الله أنه قال «وَلْيُؤْمِنُوا بِي» أى و ليتحققوا أنى قادر على إعطائهم ما سألوه «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» أى لعلهم يصيبون الحق و يهتدون إليه

فإذا سئل فقل نحن نرى كثيرا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» فالجواب أنه ليس أحد يدعو الله على ما



توجيه الحكمة إلا- أجابه الله فإن الداعي إذا دعاه يجب أن يسأل ما فيه صلاح له في دينه و لا يكون فيه مفسده له و لا لغيره و يشترط ذلك بلسانه أو ينويه بقلبه فالله سبحانه يجيبه إذا اقتضت المصلحه إجابته أو يؤخر الإجابة إن كانت المصلحه فى التأخير و إذا قيل إن ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعله فما معنى الدعاء و إجابته فجوابه أن الدعاء عباده فى نفسها يعبد الله سبحانه بها لما فى ذلك من إظهار الخضوع و الانقياد إليه سبحانه و أيضا فإنه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله إنما صار مصلحه بعد الدعاء و لا يكون مصلحه قبل الدعاء ففى الدعاء هذه الفائده و يؤيد ذلك ما

روى عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى (صلى الله عليه و آله) ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوه ليس فيها قطيعه رحم و لا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث إما أن يعجل دعوته و إما أن يؤخر له فى الآخرة و إما أن يدفع عنه من السوء مثله قالوا يا رسول الله إذا نكثرت قال الله أكثر و فى روايه أنس بن مالك الله أكثر و أطيب ثلاث مرات

و

روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن العبد ليدعو الله و هو يحبه فيقول يا جبرائيل لا تقض لعبدى هذا حاجته و آخرها فإنى أحب أن لا أزال أسمع صوته و أن العبد ليدعو الله و هو يبغضه فيقول يا جبرائيل اقض لعبدى هذا حاجته يا خلاصه و عجلها فإنى أكره أن أسمع صوته

و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال ربما أخرت عن العبد إجابته الدعاء ليكون أعظم لأجر السائل و أجزل لإعطاء الأمل و قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه و عرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته و عرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه و أكلتم نعمه الله فلم تؤدوا شكرها و عرفتم الجنة فلم تطلبوها و عرفتم النار فلم تهربوا منها و عرفتم الشيطان فلم تحاربوه و وافقتموه و عرفتم الموت فلم تستعدوا له و دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم و تركتم عيوبكم و اشتغلتم بعيوب الناس.

ص: ١٧

## اشاره

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

## اللغه

الرفث الجماع هاهنا بلا خلاف و قيل أن أصله القول الفاحش فكفى به عن الجماع قال العجاج:

" عن اللغا و رفث التكلم "

قال الأَخفش إنما عدت بالى فى الآيه لأنه بمعنى الإفضاء و اللباس الثياب التى من شأنها أن تستر الأبدان و يشبه به الأعشيه فيقال لبس السيف بالحليه و العرب تسمى المرأه لباسا و إزارا قال الشاعر:

إذا ما الضجيج ثنى عطفه

تثنت فكانت عليه لباسا

و قال:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا

فدى لك من أخى ثقه إزارى

قال أهل اللغه معناه امرأتى و الاختيان الخيانه يقال خانه يخونه خونا و خيانه و اختيانا «و خائنه الأعين» مسارقه النظر إلى ما لا- يحل و أصل الباب منع الحق، و المباشرة إلصاق البشره بالبشره و هى ظاهر الجلد و الابتغاء طلب البغيه و «الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ» بياض الفجر و «الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ» سواد الليل فأول النهار طلوع الفجر الثانى لأنه أوسع ضياء قال أبو داود:

فلما أضاءت لنا غدوه

و لاح من الصبح خيط أنارا

و الخيط فى اللغه معروف يقال خاطه يخيطه خيطا و خياطه و الخيط القطيع من النعام و نعامه خيطاء قيل خيطها طول قصبها و عنقها و قيل اختلاط سوادها ببياضها و السواد و البياض لونان كل واحد منهما أصل بنفسه و بيضه الإسلام مجتمعه و ابتاضوهم



أى استأصلوهم بمعنى اقتلعوا بيضتهم و السواد و المساوده المساره لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص فى سواد الليل و سواد العراق  
سمى به لكثرة الماء و الشجر الذى تسود به الأرض و سواد كل شىء شخصه و سويداء القلب و سواده دمه الذى فيه و قيل حبه  
القلب و العكوف و الاعتكاف أصله اللزوم يقال عكفت بالمكان أى أقمت به ملازماً له قال الطرماح:

ص: ١٨

و هو فى الشرع عبارته عن اللبث فى مكان مخصوص للعباده و الحد على وجوه الحد المنع و حدود الله فرائضه قال الزجاج هى ما منع الله من مخالفتها و الحد جلد الزانى و غيره و الحد حد السيف و غيره و الحد حد الدار و الحد فرق بين الشئيين و الحد نهايه الشىء التى تمنع من أن يدخله ما ليس منه أو أن يخرج عنه ما هو منه و قال الخليل الحد الجامع المانع و الحداد البواب قال الأعشى:

فقمنا و لما يصح ديكننا

إلى جونه عند حدادها

يعنى صاحبها الذى يحفظها و يمنعها و كل من منع شيئا فهو حداد و من ذلك أهدت المرأه على زوجها معناه امتنعت من الزينه و الحديد إنما سمى حديدا لأنه يمتنع به من الأعداء فأصل الباب المنع.

## النزول

روى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه رفعه إلى أبى عبد الله قال كان الأكل محرما فى شهر رمضان بالليل بعد النوم و كان النكاح حراما بالليل و النهار فى شهر رمضان و كان رجل من أصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جبير أخو عبد الله بن جبير الذى كان رسول الله و كله بغم الشعب يوم أحد فى خمسين من الرماه و فارقه أصحابه و بقى فى اثنى عشر رجلا فقتل على باب الشعب و كان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا و كان صائما فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر فلما انتبه قال لأهله قد حرم على الأكل فى هذه الليله فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمى عليه فرآه رسول الله فرق له و كان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا فى شهر رمضان فأنزل الله هذه الآيه فأحل النكاح بالليل فى شهر رمضان و الأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر

و اختلفت العامه فى اسم هذا الرجل من الأنصار فقال بعضهم قيس بن صرمه و قيل أبو صرمه و قيل أبو قيس بن صرمه و قيل صرمه بن إياس و قالوا جاء إلى رسول الله فقال عملت فى النخل نهارى أجمع حتى إذا أمسيت فأتيت أهلى لتطعمنى فأبطأت فممت فأيقظونى و قد حرم على الأكل و قد أمسيت و قد جهدنى الصوم فقال عمر يا رسول الله أعتذر إليك من مثله رجعت إلى أهلى بعد ما صليت العشاء فأتيت امرأتى و قام رجال و اعترفوا بمثل الذى سمعوا فنزلت الآيه عن ابن عباس و السدى.

ثم بين سبحانه وقت الصيام و ما يتعلق به من الأحكام فقال «أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ» أى الجماع و قال ابن عباس أن الله سبحانه حيبى يكنى بما شاء أن الرفث و اللباس و المباشرة و الإفشاء هو الجماع و قال الزجاج الرفث هو كلمه جامعها لكل ما يريد الرجل من المرأه و هذا يقتضى تحريما متقدما أزيل عنهم و المراد بليله الصيام الليله التى يكون فى غدها الصوم و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله كراهيه الجماع فى أول ليله من كل شهر إلا- أول ليله من شهر رمضان فإنه يستحب ذلك لمكان الآيه

و الأشبه أن يكون المراد به لياالى الشهر كله و إنما وحده لأنه اسم جنس يدل على الكثره «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» أى هن سكن لكم و أنتم سكن لهن كما قال «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» أى سكتنا عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و المعنى تلبسونهن و تخالطونهن بالمساكنه أى قل ما يصبر أحد الزوجين عن الآخر و قيل إنما جعل كل واحد منهما لباسا للآخر لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا لصاحبه و قال الربيع هن فراش لكم و أنتم لحاف لهن «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ» لما حرم عليهم الجماع و الأكل بعد النوم و خالفوا فى ذلك ذكرهم الله بالنعمه فى الرخصه التى نسخت تلك التحريمه فقال «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ» بالمعصيه أى لا تؤدون الأمانه بالامتناع عن المباشرة و قيل معنى تختانون تنقصون أنفسكم من شهواتها و تمنعونها من لذاتها باجتنا ب ما نهيتم عنه فخففه الله عنكم «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» أى قبل توبتكم و قيل معناه فرخص لكم و أزال التشديد عنكم «وَ عَفَا عَنْكُمْ» فيه وجهان (أحدهما) غفر ذنوبكم (و الآخر) أزال تحريم ذلك عنكم و ذلك عفو عن تحريمه عليهم «فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ» بالليل أى جامعوهن لفظه أمر و معناه الإباحه «وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» فيه قولان (أحدهما) اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن و أكثر المفسرين و هو أن يجامع الرجل أهله رجاء أن يرزقه الله ولدا يعبده و يسبح له (و الآخر) اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذى بينه فى كتابه فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه و قوله «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا» إباحه للأكل و الشرب «حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ» أى ليظهر و يتميز لكم على التحقيق الخيط الأبيض من الخيط الأسود أى النهار من الليل فأول النهار طلوع الفجر الثانى و قيل بياض الفجر من سواد الليل و قيل بياض أول النهار من سواد آخر الليل و إنما شبه ذلك بالخيط لأن القدر الذى يحرم الإفطار من البياض يشبه الخيط فيزول به مثله من السواد و لا اعتبار بالانتشار «مِنَ الْفَجْرِ»

يحتمل - من - معنيين

(أحدهما) أن يكون بمعنى التبعض لأن المعنى من بعض الفجر و ليس الفجر كله عن ابن دريد (و الآخر) أنه للتبيين لأنه بين الخيط الأبيض فكأنه قال الخيط الأبيض الذى هو الفجر و

روى أن عدى بن حاتم قال للنبي إني وضعت خيطين من شعر أبيض و أسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبين لى فضحك رسول الله حتى رؤيت نواجذه ثم قال يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار و سواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت

ثم بين تعالى الانتهاء فقال «ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» أى من وقت طلوع الفجر الثانى و هو المستطيل المعترض الذى يأخذ الأفق و هو الفجر الصادق الذى يجب عنده الصلاه إلى وقت دخول الليل و هو بعد غروب الشمس و علامه دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق و إقبال السواد منه و إلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الأرض المبسوطة و عدم الجبال و الروابى فقد دخل الليل و قوله «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ» فى معناه قولان هاهنا (أحدهما) أنه أراد به الجماع عن ابن عباس و الحسن و قتاده (و الثانى) أنه أراد الجماع و كل ما دونه من قبله و غيرها من مالک و ابن زيد و هو مذهبنا و قوله «وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ» أى معتكفون أى لا تباشروهن فى حال اعتكافكم فى المساجد و الاعتكاف لا يصح عندنا إلا فى أحد المساجد الأربعة المسجد الحرام و مسجد النبى و مسجد الكوفة و مسجد البصره و عند سائر الفقهاء يجوز فى سائر المساجد إلا أن مالكا قال أنه يختص بالجامع و لا يصح الاعتكاف عندنا إلا بصوم و به قال أبو حنيفة و مالک و عند الشافعى يصح بغير صوم و عندنا لا يكون إلا فى ثلاثه أيام و عند أبى حنيفة يوم واحد و عند مالک عشره أيام لا يجوز أقل منه و عند الشافعى ما شاء و لو ساعه واحده و فى الآيه دلاله على تحريم المباشرة فى الاعتكاف ليلا و نهارا لأنه علق المباشرة بحال الاعتكاف و قوله «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» تلك إشارة إلى الأحكام المذكوره فى الآيه حدود الله حرمان الله عن الحسن و قيل معناه معاصى الله عن الضحاک و قيل ما منع الله منه عن الزجاج «فَلَا تَقْرُبُوهَا» أى فلا تأتوها و قيل معناه تلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفه «كَذَلِكَ» أى مثل هذا البيان الذى ذكر «يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ» أى حججه و أدلته على ما أمرهم به و نهاهم عنه «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أى لكى يتقوا معاصيه و تعدى حدوده فيما أمرهم به و نهاهم عنه و أباحهم إياها و فى هذا دلاله على أن الله تعالى أراد التقوى من جميع الناس.

## سوره البقره (٢): آيه ١٨٨

### إشارة

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

الباطل الذاهب الزائل يقال بطل إذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشئ على خلاف ما هو به خبرا كان أو اعتقادا أو ظنا أو تخيلا. والحكم هو الذى يفصل بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعه الآخر ويقال أدلى فلان بحجته إذا أقامها و هو من قولهم أدليت الدلو فى البئر إذا أرسلتها و دلوتها إذا أخرجتها فمعنى قولهم أدلى بحجته أرسلها و أتى بها على صحة و فى تشبيه الخصومه بإرسال الدلو فى البئر وجهان (أحدهما) أنه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الحبل (الثانى) أنه يمضى فيه من غير تثبيت كمضى الدلو فى الإرسال من غير تثبيت و الفريق القطيعه المعزوله من الجملة سواء كان من الناس أو من غيرهم و الإثم الفعل الذى يستحق به الدم.

## الإعراب

و تدلوا محله جزم على النهى عطفًا على قوله «وَلَا تَأْكُلُوا» و يحتمل أن يكون نصبا على الظرف و يكون نصبه بإضمار أن يقول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

أى لا تجمع بينهما.

## المعنى

ثم بين سبحانه شريعته من شرائع الإسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال و الحرام فقال «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب و الظلم و الوجوه التى لا تحل كقوله «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» أى و لا يقتل بعضكم بعضا و قيل معناه لا تأكلوا أموالكم باللهو و اللعب مثل ما يؤخذ فى القمار و الملاهى لأن كل ذلك من الباطل و

روى عن أبى جعفر أنه يعنى بالباطل اليمين الكاذبه يقطع بها الأموال

و

روى عن أبى عبد الله قال كانت قريش يقامر الرجل فى أهله و ماله فنهاهم الله

و الأولى حملة على الجميع لأن الآيه تحتل الكل «وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكْمِ» و تلقوا بها إلى القضاء و قيل فيه أقوال (أحدهما) أنه الودائع و ما لا يقوم عليه بينه عن ابن عباس و الحسن و قتاده (و ثانيها) أنه مال اليتيم فى يد الأوصياء لأنهم يدفعونه إلى الحكام إذا طولبوا به ليقطعوا بعضه و تقوم لهم فى الظاهر حجة عن الجبائى (و ثالثها) أنه ما يؤخذ بشهادته الزور عن الكلبى و الأولى أن يحمل على الجميع «لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ



بِالْبِأْتِمْ» أى لتأكلوا طائفه من أموال الناس بالفعل الموجب للإثم بأن يحكم الحاكم بالظاهر و كان الأمر فى الباطن بخلافه «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أن ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم و أنتم مبطلون و هذا أشد فى الزجر

و قال أبو عبد الله (عليه السلام) علم الله أنه سيكون فى هذه الأمه حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتحاكموا إليهم و هم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق

و هذا يدل على أن الإقدام على المعصيه مع العلم أو مع التمكن من العلم أعظم.

## سوره البقره (٢): آيه ١٨٩

### اشاره

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)

### القراءه

قرأ ابن كثير و ابن ذكوان و الكسائى البيوت و الشيوخ و أخواتهما بكسر أوائلها إلا-الغيوب و قرأ حمزه و حماد و يحيى عن عاصم كلها بالكسر إلا الجيوب و قالون يكسر منها البيوت فقط و الباقرن بالضم.

### الحجه

من كسر أوائل هذه الكلمات إنما فعل ذلك لأجل الياء أبدل من الضمه الكسره لأن الكسره أشد موافقه للياء من الضمه لها كما كسر الفاء من عينه و نيب فى تصغير عين و ناب و إن لم يكن فى أبنيه التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركه مما بعدها. و من ضمها فعلى الأصل لأنها فعول.

### اللغه

الأهله جمع هلال و اشتقاقه من قولهم استهل الصبى إذا بكى حين يولد أو صاح و قولهم أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتليه و إنما قيل هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره يقال أهل الهلال و استهل و لا يقال أهل و يقال أهلنا الهلال و أهلنا شهر كذا أى دخلنا فيه و قد اختلف فى تسميته هلالا كم يسمى و متى يسمى قمرا فقال بعضهم يسمى هلالا ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا إلى أن يعود فى الشهر الثانى و قال آخرون يسمى هلالا ثلاث ليال ثم يسمى قمرا و قال بعضهم يسمى هلالا حتى يحجر و تحجيره أن

يستدير بخطه دقيقه و هذا قول الأصمعي و قال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قمر و هذا يكون في الليله السابعه و اسم القمر عند العرب الزبرقان و اسم دارته الهاله و اسم ضوءه الفخت و الميقات مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل و التوقيت تقدير الوقت و كلما قدرت غايته فهو موقت و الميقات منتهى الوقت و الآخره ميقات الخلق و الإهلال ميقات الشهر و الحج ذكرنا معناه فيما مضى و البر النفع الحسن و الظهر الصفحه القابله لصفحه الوجه و الباب المدخل يقول منه بوبه تبويبا إذا جعله أبوابا و البواب الحاجب لأنه يلزم الباب و البابه القطعه من الشئ ء كالباب من الجمله.

## الإعراب

قوله «لِلنَّاسِ» في موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هي مواقيت كائنه للناس و الباء في قوله «بِأَنَّ تَأْتُوا» مزيده لتأكيد النفي و أن تأتوا في موضع الجر بالباء و الجار و المجرور في موضع النصب بأنهما خبر ليس و قوله «وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن تقديره «وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى» كما قلناه في قوله «وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» (و الآخر) إن تقديره و لكن البار من اتقى وضع المصدر موضع الصفه.

## النزول

روى إن معاذ بن جبل قال يا رسول الله إن اليهود يكثرون مسألتنا عن الأهله فأنزل الله هذه الآيه و قال قتاده ذكر لنا أنهم سألوا رسول الله لم خلقت هذه الأهله فأنزل الله هذه الآيه.

## المعنى

ثم بين شريعه أخرى فقال «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ» أى أحوال الأهله فى زيادتها و نقصانها و وجه الحكمه فى ذلك «قُلْ» يا محمد «هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَيْجِ» أى هي مواقيت يحتاج الناس إلى مقاديرها فى صومهم و فطرمهم و عدد نسائهم و محل ديونهم و حجهم فبين سبحانه أن وجه الحكمه فى زياده القمر و نقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين و الدنيا لأن الهلال لو كان مدورا أبدا مثل الشمس لم يمكن التوقيت به و فيه أوضح دلالة على أن الصوم لا يثبت بالعدد و أنه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نص على أن الأهله هي المعتره فى المواقيت و الدلاله على الشهور فلو كانت الشهور إنما تعرف بطريق العدد لخص التوقيت بالعدد دون رؤيه الأهله لأن عند أصحاب العدد لا عبره برؤيه الأهله فى معرفه المواقيت و قوله «وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» فيه وجوه (أحدها)

أنه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من أبوابها و لكنهم كانوا ينقبون فى ظهر بيوتهم أى فى مؤخرها نقبا يدخلون و يخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس و قتاده و عطا



و رواه أبو الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام)

وقيل إلا- أن الحمس وهو قريش و كنانه و خزاعه و ثقيف و جشم و بنو عامر بن صعصعه كانوا لا يفعلون ذلك و إنما سموا حمسا لتشدهم في دينهم و الحماسه الشده و قيل بل كانت الحمس تفعل ذلك و إنما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم و بين السماء شيء (و ثانيها)

إن معناه ليس البر أن تأتوا البيوت من غير جهاتها و ينبغى أن تأتوا الأمور من جهاتها أى الأمور كان و هو المروى عن جابر عن أبي جعفر

(و ثالثها) إن معناه ليس البر طلب المعروف من غير أهله و إنما البر طلب المعروف من أهله «و لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى» قد مر معناه «و أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» قد مضى معناه و

قال أبو جعفر آل محمد أبواب الله و سبله و الدعاء إلى الجنه و القاده إليها و الأدلاء عليها إلى يوم القيامة

و

قال النبى (صلى الله عليه و آله) أنا مدينه العلم و على بابها و لا تؤتى المدينه إلا من بابها و يروى أنا مدينه الحكمة

«و أَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» معناه و اتقوا ما نهاكم الله عنه و زهدكم فيه لكى تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذى ضمنه للمتقين.

النظم

و وجه اتصال قوله «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» بقوله «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ» أنه لما بين أن الأهله مواقيت للناس و الحج و كانوا إذا أحرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله «و لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» و قيل أنه لما بين أن أمورنا مقدره بأوقات قرن به قوله «و لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» أى فكما أن أموركم مقدره بأوقات فلتكن أفعالكم جاريه على الاستقامه باتباع ما أمر الله به و الانتهاء عما نهى عنه لأن اتباع ما أمر به خير من اتباع ما لم يأمر به.

**سوره البقره (٢): آيه ١٩٠**

**اشاره**

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

**اللغه**

القتال و المقاتله محاوله الرجل قتل من يحاول قتله و التقاتل محاوله كل واحد من المتعادين قتل الآخر و الاعتداء مجاوزه الحد يقال عدا طوره إذا جاوز حده.

عن ابن عباس نزلت هذه الآية فى صلح الحديبيه و ذلك أن رسول الله لما خرج هو و أصحابه فى العام الذى أرادوا فيه العمرة و كانوا ألفا و أربعمائه فصاروا حتى نزلوا الحديبيه فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى بالحديبيه ثم صالحهم المشركون على أن يرجع من عامه و يعود العام القابل و يخلوا له مكة ثلاثه أيام فيطوف

بالبيت و يفعل ما يشاء فرجع إلى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي (صلى الله عليه و آله) و أصحابه لعمره القضاء و خافوا أن لا- تفي لهم قريش بذلك و أن يصدوهم عن البيت الحرام و يقاتلوهم و كره رسول الله قتالهم فى الشهر الحرام فى الحرم فأنزل الله هذه الآيه و عن الربيع بن أنس و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذه أول آيه نزلت فى القتال فلما نزلت كان رسول الله يقاتل من قاتله و يكف عن من كف عنه حتى نزلت «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» فنسخت هذه الآيه.

## المعنى

ثم بين سبحانه أمر الجهاد فقال مخاطبا للمؤمنين «وَ قَاتِلُوا» أى مع الكفار «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى دين الله و هو الطريق الذى بينه للعباد ليسلكوه على أمرهم به و دعاهم إليه «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ» قيل أمروا بقتال المقاتلين دون النساء و قيل أنهم أمروا بقتال أهل مكه و الأولى حمل الآيه على العموم إلا من أخرجه الدليل «وَ لَا تَعْتَدُوا» أى و لا تجاوزوا من قتال من هو من أهل القتال إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله و قيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ظاهره يقتضى أن يسخط عليهم لأنه على جهه الذم لهم و قد ذكرنا معنى المحبه لهم فيما مضى و اختلف فى الآيه هل هى منسوخه أم لا فقال بعضهم منسوخه على ما ذكرناه و روى عن ابن عباس و مجاهد أنها غير منسوخه بل هى خاصه فى النساء و الذرارى و قيل أمر بقتال أهل مكه و

روى عن أئمتنا (عليه السلام) أن هذه الآيه ناسخه لقوله «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» و كذلك قوله «وَ اقْتُلُوا حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ» ناسخ لقوله «وَ لَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ دَعِ أَذَاهُمْ».

## سوره البقره (٢): آيه ١٩١

### اشاره

وَ اقْتُلُوا حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَيْثُ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)

### القراءه

قرأ حمزه و الكسائى و لا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كل بغير ألف و الباقون بألف فى جميع ذلك.

من قرأها بغير ألف فإنما اتبع المصحف لأنه كتب في المصاحف بغير الألف و من قرأ بالألف فقال إنما تحذف الألف في الخط كما في الرَّحْمَنِ.

## اللغة

ثقفته أثقفه ثقفا و ثقافه أى وجدته و منه قولهم رجل ثقف لقف أى يجد ما يطلبه و ثقف الرجل ثقافه فهو ثقف و ثقف ثقفا بالتحريك فهو ثقف إذا كان سريع التعلم و الثقاف حديده يقوم بها الرماح المعوجه و التثقيف التكوين و الفتنه أصلها الاختبار ثم ينصرف إلى معان منها الابتلاء نحو قوله «فَتَنَّاكَ فُتُونًا» أى ابتليناك ابتلاء على إثر ابتلاء و منها العذاب كقوله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ و منها الصد عن الدين نحو قوله «وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يُفْتِنُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» و المراد بها فى الآيه الشرك بالله و برسوله.

## الإعراب

حيث فيه ثلاث لغات ضم الثاء و فتحها و كسرهما فالضم لشبهها بالغايه نحو قبل و بعد لأنه منع الإضافة إلى المفرد مع لزومه معنى الإضافة إياه فيجرى لذلك مجرى قبل و بعد فى البناء على الضم و الفتح لأجل البناء كما فتحت أين و كيف. و الكسر لأجل أنه الأصل فى التحريك لالتقاء الساكنين و الجملة بعد حيث فى موضع جر بإضافه حيث إليها فى الموضعين و تقاتلوا منصوب بإضمار أن و هو صلة أن و الموصول و الصلة فى محل جر بحتى و حتى يتعلق بتقاتلواهم.

## النزول

نزلت فى سبب رجل من الصحابه قتل رجلا من الكفار فى الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه أن الفتنه فى الدين و هو الشرك أعظم من قتل المشركين فى الشهر الحرام و إن كان غير جائز.

## المعنى

ثم خاطب الله تعالى المؤمنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال «وَ اقْتُلُوهُمْ» أى الكفار «حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ» أى وجدتموهم «وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُواكُمْ» يعنى أخرجوهم من مكه كما أخرجوكم منها «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» أى شرهم بالله و برسوله أعظم من القتل فى الشهر الحرام و سمي الكفر فتنه لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك كما أن الفتنه تؤدي إلى الهلاك و قيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختبار و قوله «وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُواكُمْ فِيهِ» نهى عن ابتدائهم بقتال أو قتل فى الحرم حتى يتبدئ المشركون بذلك «فَإِنْ قَاتَلُواكُمْ» أى بدءوكم بذلك «فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ» أن يقتلوا حيث ما وجدوا و فى الآيه دلالة على وجوب إخراج الكفار من مكه كقوله حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً و السنه قد وردت أيضا بذلك و هو

قوله لا يجتمع

فى جزيره العرب دينان.

## سوره البقره (٢): آيه ١٩٢

### اشاره

فَإِنْ اٰنتَهُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (١٩٢)

### اللغه

الانتهاء الامتناع و النهى الزجر عن الفعل بصيغه لا تفعل مع كراهه الناهى لذلك الفعل و الأمر الدعاء إلى الفعل بصيغه افعل مع إرادته الأمر لذلك و النهى الغدير لمنعه الماء أن يفيض و النهى بمنزله المنع و نهايه الشىء غايته و النهى جمع نهيه و هى العقل و التناهى هى المواضع التى تنهبط فيتناهى إليها ماء السماء واحدها تنهيه و الإنهاء إبلاغ الشىء الشىء نهايته و المغفره تغطيه الذنب بما يصير به بمنزله غير الواقع فى الحكم.

### المعنى

«فَإِنْ اٰنتَهُوْا» أى امتنعوا من كفرهم بالتوبه منه عن مجاهد و غيره «فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ» فاختصر الكلام لدلاله ما تقدم من الشرط عليه و فيه الدلاله على أنه يقبل توبه القاتل عمدا لأنه بين عز اسمه أنه يقبل توبه المشرك و الشرك أعظم من القتل.

## سوره البقره (٢): آيه ١٩٣

### اشاره

وَ قَاتِلُوْهُمْ حَتّٰى لَا تُكُوْنَ فِتْنَةً وَ يَكُوْنَ الدِّيْنُ لِلّٰهِ فَاِنْ اٰنتَهُوْا فَلَا عُدُوَانَ اِلَّا عَلَى الظّٰلِمِيْنَ (١٩٣)

### اللغه

الدين هاهنا الإذعان بالطاعه كما فى قول الأعشى:

هودان الرباب إذ كرهوا

الدين دراكا بغزوه و صيال

و قيل هو الإسلام و أصل الدين العاده قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضيئى

أ هذا دينه أبدا و دينى

وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله «ما كان ليأخذ أخاه في دين الملِك» و بمعنى الإسلام في قوله «إن الدين عند الله الإسلام» لأن الشريعة يجب أن يجرى فيها على عادة مستمره.

ص: ٢٨

ثم بين تعالى غايه وجوب القتال و قال يخاطب المؤمنين

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» أى شرك عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

«وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» و حتى تكون الطاعه لله و الانقياد لأمر الله و قيل حتى يكون الإسلام لله أى حتى لا يبقى الكفر و يظهر الإسلام على الأديان كلها «فَإِنْ انْتَهَوْا» أى امتنعوا من الكفر و أذعنوا للإسلام «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» أى فلا عقوبه عليهم و إنما العقوبه بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمى القتل عدوانا من حيث كان عقوبه على العدوان و هو الظلم كما قال فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا وَ حَسَنَ ذَلِكَ لِأَزْدِوَاجِ الكَلَامِ وَ المَزَاجِ هُنَا إِنَّمَا حَصَلَتْ فِي المَعْنَى لِأَنَّ التَّقْدِيرَ فَإِنْ انْتَهَوْا عَنِ العُدْوَانِ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ وَ هَذَا الِوَجْهَ مَرُورِ عَنِ قِتَادِهِ وَ الرِّبْعِ وَ عَكْرَمِهِ وَ قِيلَ مَعْنَى العُدْوَانِ الْإِبْتِدَاءَ بِالْقِتَالِ عَنِ مَجَاهِدٍ وَ السَّدَى وَ هَذِهِ الْآيَةُ نَاسِخَةٌ لِلأُولَى الَّتِي تَضَمَّنَتْ النِّهْيَ عَنِ الْقِتَالِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يَبْذُورُوا بِالْقِتَالِ فِيهِ لِأَنَّ فِيهَا إِجْبَابَ قِتَالِهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ عَنِ الحَسَنِ وَ الجَبَائِىِّ وَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْآيَةِ الأُولَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ فَلَا تَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ نَاسِخَةً بَلْ تَكُونُ مَوْكِدَةً وَ قِيلَ بَلْ المَرَادُ بِهَا أَنَّهُمْ إِذَا ابْتَدَأُوا بِالْقِتَالِ فِي الحَرَمِ يَجِبُ مَقَاتَلَتُهُمْ حَتَّى يَزُولَ الكُفْرُ.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٤

اشاره

الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَ الحُرْمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)

اللغه

إنما سمي الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال و نحوه و الحرمت جمع حرمة و هى ما يجب حفظه و يحرم هتكه و الحرام هو القبيح الممنوع من فعله و الحلال المطلق المأذون فيه و القصاص الأخذ للمظلوم من الظالم من أجل ظلمه إياه و اعتدى عليه و عدى عليه بمعنى مثل قرب و اقترب و جلب و اجتلب و قيل إن فى افتعل مبالغه ليست فى فعل.

المعنى

ثم بين الله تعالى القتال فى الشهر الحرام فقال «الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ» المراد بها هاهنا ذو القعدة و هو شهر الصد عام الحديبيه و الأشهر الحرم أربعه

ثلاثة سرد ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و واحد فرد و هو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو أن رجلا لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء و إنما قيل ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال و قيل في تقديره وجهان (أحدهما) أنه قتال شهر الحرام أى فى الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و قيل أنه الشهر الحرام على جهة العوض لما فأت فى السنه الأولى و معناه الشهر الحرام ذو القعدة الذى دخلتم فيه مكه و اعتمرتم و قضيتم منها و طركم فى سنه سبع بالشهر الحرام ذى القعدة الذى صددمتم فيه عن البيت و منعمتم عن مرادكم فى سنه ست «وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن الحرمات قصاص بالمراغمه بدخول البيت فى الشهر الحرام قال مجاهد

لأن قريشا فخرت بردها رسول الله ص عام الحديبيه محرما فى ذى القعدة عن البلد الحرام فأدخله الله مكه فى العام المقبل فى ذى القعدة فقضى عمرته و أقصه بما حيل بينه و بينه و هو معنى قتاده و الضحاك و الربيع و عبد الرحمن بن زيد و روى عن ابن عباس و أبى جعفر الباقر مثله

(و الثانى) أن الحرمات قصاص بالقتال فى الشهر الحرام أى لا يجوز للمسلمين إلا قصاصا قال الحسن إن مشركى العرب قالوا لرسول الله أن نهيتم عن قتالنا فى الشهر الحرام قال نعم و إنما أراد المشركون أن يغروه فى الشهر الحرام فيقاتلوه فأنزل الله هذا أى أن استحلوا منكم فى الشهر الحرام شيئا فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم و به قال الزجاج و الجبائى و إنما جمع الحرمات لأنه أراد حرمة الشهر حرمة البلد و حرمة الإحرام و قيل لأن كل حرمة تستحل فلا يجوز إلا على وجه المجازاه «فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ» أى ظلمكم «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اغْتَدَى عَلَيْكُمْ» أى فجازوه باعتدائه و قابلوه بمثله (و الثانى) ليس باعتداء على الحقيقة و لكن سماه اعتداء لأنه مجازاه اعتداء و جعله مثله و إن كان ذلك جورا و هذا عدلا لأنه مثله فى الجنس و فى مقدار الاستحقاق و لأنه ضرر كما أن ذاك ضرر فهو مثله فى الجنس و المقدار و الصفه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و نهاكم عنه «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» بالنصره لهم أو يريد أن نصره الله معهم و أصل «مَعَ» المصاحبه فى المكان أو الزمان و فى هذه الآية دلالة على أن من غصب شيئا و أتلفه يلزمه رد مثله ثم أن المثل قد يكون من طريق الصورة فى ذوات الأمثال و من طريق المعنى كالقيم فيما لا مثل له.

**سوره البقره (٢): آيه ١٩٥**

**اشاره**

وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)

ص: ٣٠



الإنفاق إخراج الشيء عن ملكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسم إنفاقاً. والإلقاء تصيير الشيء إلى جهة السفلى وقد يقال ألقى عليه مسأله مجازاً كما يقال طرح عليه مسأله وقد يقال لكل من أخذ في عمل ألقى يديه إليه وفيه قال لبيد:

حتى إذا ألقى يدا في كافر

وأجن عورات الثغور ظلامها

يعنى الشمس أى بدأت فى المغيب. التهلكه والهلاك واحد وقيل التهلكه مصدر بمعنى الهلاك وليس فى كلام العرب مصدر على تفعله بضم العين إلا هذا وقيل التهلكه كل ما يصير عاقبته إلى الهلاك وأصل الهلاك الضياع وهو مصير الشيء بحيث لا يدرى أين هو ومنه يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك والهلوك الفاجر والهالكى الحداد وأصله أن بنى الهالك بن عمرو كانوا قيوناً فنسب إليه كل قين والإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير وليس المحسن من فعل الفعل الحسن لأن مستوفى الدين لا يسمى محسناً وإن كان فعله حسناً ولا يقال أن القديم تعالى بفعل العقاب محسن وإن كان العقاب حسناً وإنما اعتبرنا النفع الحسن لأن من أوصل نفعاً قبيحاً إلى غيره لا يقال أنه محسن إليه.

## الإعراب

الباء فى قوله تعالى «بأيديكم» زائده كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به وقال الشاعر:

ولقد ملأت على نصيب جلده

مساءه إن الصديق يعاتب

أى ملأت جلده مساءه وقيل ليست الباء بزائده ولكنها على أصل الكلام من وجهين (أحدهما) أن كل فعل متعد إذا كنى عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكنى عنه فتقول فعلت به ويقال أوقعت الضرب به فجاء على أصل الأفعال للتعديه (والآخر) أنه لما كان معناه لا تهلکوا أنفسکم بأيديکم دخلت الباء لتدل على هذا المعنى وهو خلاف أهلك نفسه بيد غيره.

لما أوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقبه بذكر الإنفاق فيه فقال «وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» معناه و أنفقوا من أموالكم في الجهاد و طريق الدين و كل ما أمر الله به من الخير و أبواب البر فهو سبيل الله لأن السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق إلى الله و إلى رحمته الله و ثوابه إلا أنه كثر استعماله في الجهاد لأن الجود بالنفس أقصى غايه الجود و الجهاد هو الأمر الذي يخاطر فيه بالروح فكانت له مزيه «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» قيل في معناه وجوه (أحدها) أنه أراد لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك الإنفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو عن ابن عباس و جماعه من المفسرين (و ثانيها) أنه عنى به لا- تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة عن البراء بن عازب و عبيده السلماني (و ثالثها) أن المراد لا- تقتحموا الحرب من غير نكايه في العدو و لا قدره على دفاعهم عن الثورى و اختاره البلخي (و رابعها) أن المراد و لا تسرفوا في الإنفاق الذى يأتى على النفس عن الجبائى و يقرب منه ما

روى عن أبى عبد الله لو أن رجلا- أنفق ما فى يديه فى سبيل الله ما كان أحسن و لا وفق لقوله سبحانه «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» يعنى المقتصدین

و قال عكرمه معناه أحسنوا الظن بالله ببر بكم و قال عبد الرحمن بن زيد و أحسنوا بالعود على المحتاج و الأولى حمل الآيه على جميع هذه الوجوه و لا- تنافى فيها و فى هذه الآيه دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس و على جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأن فى ذلك إلقاء النفس إلى التهلكه و فيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار و البغاه إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله ص عام الحديبيه و فعله أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفين و فعله الحسن (عليه السلام) مع معاويه من المصالحه لما تشنت أمره و خاف على نفسه و شيعته فإن عورضنا بأن الحسين (عليه السلام) قاتل وحده فالجواب أن فعله يحتمل وجهين (أحدهما) أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله ص و الآخر أنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبورا كما فعل بابن عمه مسلم فكان القتل مع عز النفس و الجهاد أهون عليه.

## اشاره

وَ اتُّمُوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدِّ يَهُ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

## اللغه

قد ذكرنا حقيقه الحج و العمره فيما مضى عند قوله «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ» فلا معنى لإعادته و الإحصار المنع يقال للرجل الذى قد منعه الخوف أو المرض عن التصرف قد أحصر فهو محصر و يقال للرجل الذى حبس قد حصر فهو محصور و قال الفراء يجوز أن يقوم كل واحد منهما مقام الآخر و خالفه فيه أبو العباس المبرد و الزجاج.

قال المبرد و نظيره حبسه جعله فى الحبس و أحبسه عرضه للحبس و أقتله عرضه للقتل و كذلك حصره حبسه أى أوقع به الحصر و أحصره عرضه للحصر و حصر حصرا إذا عيى فى الكلام و الحصير البخيل لحبسه رفته و الحصير الذى لا يبوح بسره لأنه قد حبس نفسه عن البوح به و الحصير الحبس و الحصير الملك و الحصور الهيوب المحجم عن الشىء و الحصور الذى لا إربه له فى النساء و أصل الباب الحبس و فى أصل الهدى قولان (أحدهما) أنه من الهديه يقال أهديت الهديه إهداء و أهديت الهدى إلى بيت الله إهداء فعلى هذا إنما يكون هديا لأجل التقرب به إلى الله (و الآخر) أنه من هداه إذا ساقه إلى الرشاد فسمى هديا لأنه يساق إلى الحرم الذى هو موضع الرشاد و واحد الهدى هديه كما يقال شريه و شرى و تمره و تمر و جمع الهدى هدى على زنه فعيل كما يقال عبد و عبيد و كلب و كليب و قيل واحد الهدى هديه مثل مطيه و مطى قال الفرزدق:

حلفت برب مكه و المصلى

و أعناق الهدى مقلدات

و الحلق حلق الرأس يقال حلق و حلق و الملحق موضع الحلق بمنى و المحلق

الحلاق و حلق الطائر في الهواء إذا ارتفع و حلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها و الحلق مجرى الطعام و الشراب في المرى و حلوق الأرض مجاريها في أوديتها و حلاق المنيه و أصل الباب الاستمرار و الرأس أعلى كل شىء و الأذى كل ما تأذيت به و رجل أذ إذا كان شديد التأذى و أصله الضرر بالشىء و النسك جمع النسيكه و هى الذبيحه و يجمع أيضا على نسائك كصحيفه و صحائف و صحف و كلما ذبح لله فهو نسيكه و النسك العباده و منه رجل ناسك أى عابد و التمتع أصله الالتذاذ و الاستمتاع و متعه الحجه هى أن يعتمر فى أشهر الحج ثم يحل و يتمتع بالإحلال بأن يفعل ما يفعله المحل ثم يحرم بالحج من غير رجوع إلى الميقات فهو إحلال بين إحرامين و أهل الرجل زوجته و التأهل التزوج و أهل الرجل أخص الناس به و أهل البيت سكانه و أهل الإسلام من يدين به و أهل القرآن من يقرؤه و يقوم بحقوقه و أهله لهذا الأمر أى جعلته أهلا- له و قولهم أهلا- و مرحبا أى اختصاصا بالتحية و التكرمه و العقاب مصدر يقال عقبه عقابا و معاقبه و عقوبه و أصله من عقب الشىء أى خلفه فكان القبيح يعقبه الشده و عقب الإنسان نسله و عقبه مؤخر قدميه.

## الإعراب

قوله «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» موضع ما رفع كأنه قال فعليه ما استيسر و يجوز أن يكون موضعه نصبا و تقديره فأهدوا ما استيسر و الرفع أولى لكثرة نظائره كقوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ مِنْ صِيَامٍ» «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ» \* «فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ» و قوله «فِي الْحَجِّ» يتعلق بالمصدر و ليس فى موضع خبر و هذا النحو قد جاء مرفوعا على تقدير إضمار خبر.

## المعنى

ثم بين سبحانه فرض الحج و العمره على العباد بعد بيانه فريضه الجهاد فقال «وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ» أى أتموهما بمناسكهما و حدودهما و تأديه كل ما فيهما عن ابن عباس و مجاهد و قيل

معناه أقيموهما إلى آخر ما فيهما و هو المروى عن أمير المؤمنين و على بن الحسين

و عن سعيد بن جبير و مسروق و السدى و قوله «لِلَّهِ» أى اقصدوا بهما التقرب إلى الله و العمره واجبه عندنا مثل الحج و به قال الشافعى فى الجديد و قال أهل العراق أنها مسنونه و أركان أفعال الحج النيه و الإحرام و الوقوف بعرفه و الوقوف بالمشعر و طواف الزيارة و السعى بين الصفا و المروه و أما الفرائض التى ليست بأركان فالتلبية و ركعتا الطواف و طواف النساء و ركعتا الطواف له و أما المسنونات من أفعال الحج فمذكوره فى الكتب المصنفة فيه و أركان فرائض العمره النيه و الإحرام و طواف الزيارة و السعى و أما ما

ليس بركن من فرائضها فالتلبيه و ركعتا الطواف و طواف النساء و ركعتا الطواف له و قوله «فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ» فيه قولان (أحدهما)

أن معناه منعكم خوف أو عدو أو مرض فامتنعتم لذلك عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و عطا و هو المروى عن أئمتنا

(و الثانى) معناه إن منعكم حابس قاهر عن مالك «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» فعليكم ما سهل من الهدى أو فأهدوا ما تيسر من الهدى إذا أردتم الإحلال و الهدى يكون على ثلاثه أنواع جزور أو بقره أو شاه و

أيسرها شاه و هو المروى عن على

و ابن عباس و الحسن و قتاده و روى عن ابن عمر و عائشه أنه ما كان من الإبل و البقر دون غيرهما و الأول هو الصحيح «وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَيْكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ» أى لا- تتحللوا من إحرامكم حتى يبلغ الهدى محله و ينحر أو يذبح و اختلف فى محل الهدى على قولين (الأول) أنه الحرم فإذا ذبح به فى يوم النحر أحل عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و عطا (و الثانى) أنه الموضع الذى يصد فيه لأن النبى ص نحر هديه بالحديبيه و أمر أصحابه ففعلوا مثل ذلك و ليست الحديبيه من الحرم عن مالك و أما على مذهبن فالأول حكم المحصر بالمرض و الثانى حكم المحصور بالعدو و إن كان الإحرام بالحج فمحله منى يوم النحر و إن كان الإحرام بالعمره فمحله مكه «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ» أى من مرض منكم مرضا يحتاج فيه إلى الحلق للمداواه أو تأذى بهوام رأسه أبيض له الحلق بشرط الفديه و روى أصحابنا أن هذه نزلت فى إنسان يعرف بكعب بن عجره و أنه كان قد قمل رأسه و قوله «فَفِدْيَةٌ» أى فحلق لذلك العذر فعليه فديه أى بدل و جزاء يقوم مقام ذلك من صيام أو صدقه أو نسك

المروى عن أئمتنا أن الصيام ثلاثه أيام و الصدقه على ستة مساكين و روى على عشره مساكين

و النسك شاه و هو مخير فيها و قوله «فَإِذَا أَمِنْتُمْ» معناه فإذا أمنتكم الموانع من العدو و المرض و كل مانع «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» فعليه ما تيسر من الهدى و التمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام و حاضر المسجد الحرام هو من كان على اثنى عشر ميلا- من كل جانب إلى مكه فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من الحاضرين و صفه التمتع بالعمره إلى الحج أن ينشئ الإحرام فى أشهر الحج ثم يدخل إلى مكه فيطوف بالبيت و يسعى بين الصفا و المروه و يقصر و يحل من إحرامه ثم ينشئ إحراما آخر للحج من المسجد الحرام و يخرج إلى عرفات ثم يفيض إلى المشعر و يأتى بأفعال الحج على ما هو مذکور فى الكتب و فى بعض ذلك خلاف بين الفقهاء و الهدى واجب للتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف فى أنه نسك أو جبران و عندنا أنه نسك «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثِهِ»

أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ» أَي فَمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ وَ لَا ثَمَنَهُ فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ عِنْدَنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ يَوْمٌ قَبْلَ يَوْمِ التَّرْوِيهِ وَ يَوْمِ التَّرْوِيهِ وَ يَوْمِ عَرَفَةَ وَ إِنَّ صَامَ فِي أَوَّلِ الْعَشْرِ جَازَ ذَلِكَ رِخْصَهُ وَ إِنَّ صَامَ يَوْمَ التَّرْوِيهِ وَ يَوْمَ عَرَفَةَ قَضَى يَوْمًا آخَرَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَ إِنَّ فَاتَهُ صَوْمُ يَوْمِ التَّرْوِيهِ أَيْضًا صَامَ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةَ بَعْدَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مُتَتَابِعَاتٍ وَ قَوْلُهُ «وَ سَبَّعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ» أَي وَ سَبَّعَهُ أَيَّامًا إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ وَ أَهَالِكُمْ وَ بِهِ قَالَ قَتَادَةُ وَ عَطَاءُ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِذَا رَجَعْتُمْ مِنْ مَنَى فَصَوْمُهَا فِي الطَّرِيقِ عَنْ مُجَاهِدٍ وَ الْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا وَ قَوْلُهُ «تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» فِيهِ أَقْوَالٌ (أَحَدُهَا)

أَنَّ مَعْنَاهُ كَامِلَةٌ مِنَ الْهَدْيِ إِذَا وَقَعَتْ بَدَلًا مِنْهُ اسْتَكْمَلْتَ ثَوَابَهُ عَنِ الْحَسَنِ وَ هُوَ الْمُرُودُ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ

وَ اخْتَارَهُ الْجَبَائِيُّ (وَ ثَانِيهَا) أَنَّهُ لِإِزَالَةِ الْإِبْهَامِ لثَلَاثَ أَيَّامٍ أَنْ الْوَاوُ بِمَعْنَى أَوْ فِيكَوْنُ كَأَنَّهُ قَالَ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَوْ سَبَّعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَعْمَلَ أَوْ بِمَعْنَى الْوَاوُ جَازَ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْوَاوُ بِمَعْنَى أَوْ كَمَا قَالَ فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ فَالْوَاوُ هَاهُنَا بِمَعْنَى أَوْ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِارْتِفَاعِ اللَّبْسِ عَنِ الزَّجَاجِ وَ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَلْخِيِّ (وَ ثَالِثُهَا) أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ كَامِلَةً لِتَلْتَوِيذٍ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

ثَلَاثٌ وَ اثْنَتَانِ فَهِنَّ خَمْسٌ

وَ سَادِسُهُ تَمِيلٌ إِلَى تَمَامٍ

وَ قَوْلُهُ «ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أَي مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْعَمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ لَيْسَ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَ مِنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ وَ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَاضِرِي مَكَّةَ وَ هُوَ مِنْ يَكُونُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ مِيْلًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ نَهَاكُمْ عَنْهُ «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لِمَنْ عَصَاهُ. الْحَدِيثُ

رَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَادٍ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ لَمْ يَحْجِ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَ أَدْنَى فِي النَّاسِ الْآيَةَ فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنِينَ أَنْ يُؤَذِّنُوا بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْجِ مِنْ عَامِهِ هَذَا فَعَلِمَ بِهِ مِنْ حَضَرِ الْمَدِينَةِ وَ أَهْلِ الْعَوَالِي وَ الْأَعْرَابِ فَاجْتَمَعُوا فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحَلِيفَةِ فَزَالَتِ الشَّمْسُ اغْتَسَلَ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ الَّذِي عِنْدَهُ الشَّجَرَةُ فَصَلَّى فِيهِ الظُّهْرَ وَ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ ثُمَّ سَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَرُوهِ بَعْدَ فِرَاعِهِ مِنَ السَّعْيِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا جِبْرَائِيلُ وَ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى خَلْفِهِ يَأْمُرُنِي أَنْ أَمْرَ مِنْ لَمْ يَسْقِ هَدْيًا أَنْ يَحِلَّ وَ لَوْ اسْتَقْبَلْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتَ لَصَنَعْتَ مِثْلَ مَا أَمَرْتُكُمْ وَ لَكِنِّي سَقَتُ الْهَدْيَ وَ لَا يَنْبَغِي لِسَائِقِ الْهَدْيِ أَنْ يَحِلَّ حَتَّى يَبْلُغَ هَذَا الْهَدْيِ مَحَلَّهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ نَخْرُجَ حِجَابًا وَ رِءُوسَنَا تَقَطَّرُ فَقَالَ إِنَّكَ لَنْ تَوْمَنَ بِهَا أَبَدًا فَقَامَ إِلَيْهِ سِرَاقَةُ بْنُ

مالك بن جعثم الكنانى فقال يا رسول الله علمتنا ديننا فكأننا خلقنا اليوم فهذا الذى أمرتنا به لعامنا أو لما نستقبل فقال له رسول الله بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شبك بين أصابعه بعضها فى بعض و قال دخلت عمره فى الحج إلى يوم القيامة و قدم على من اليمن على رسول الله و هو بمكة فدخل على فاطمه و هى قد أحلت فوجد عليها ثيابا مصبوغة فقال ما هذا يا فاطمه فقالت أمرنا بهذا رسول الله فخرج إلى رسول الله مستفتيا محرشا على فاطمه فقال يا رسول الله إنى رأيت فاطمه قد أحلت و عليها ثياب مصبوغة فقال رسول الله أنا أمرت الناس بذلك و أنت يا على بم أهلت فقال قلت يا رسول الله إهلالا كإهلال النبى فقال رسول الله كن على إحرامك مثلى و أنت شريكى فى هدىي قال و نزل رسول الله بمكة بالبطحاء هو و أصحابه و لم ينزل الدور فلما كان يوم الترويه عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا و يهلوا بالحج فخرج النبى و أصحابه مهلين بالحج حتى أتوا منى و صلى الظهر و العصر و المغرب و العشاء الآخرة و الفجر ثم غدا و الناس معه و كانت قريش تفيض من المزدلفة و هو جمع و يمنعون الناس أن يفيضوا منها فأنزل الله على نبيه **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** يعنى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق فى إفاضتهم منها و من كان بعدهم فلما رأى قريش أن قبه رسول الله قد مضت كأنه دخل فى أنفسهم شىء للذى كانوا يرجون من الإفاضه من مكانهم حتى انتهى إلى نمره و هى بطن عرفه بجبال الأراك فضرب قبه و ضرب الناس أحييتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله و معه قومه و قد اغتسل و قطع التلبيه حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس و أمرهم و نهاهم ثم صلى الظهر و العصر بأذان و إقامتين ثم مضى إلى الموقف فوقف به فجعل الناس يتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحاهما ففعلوا مثل ذلك فقال يا أيها الناس أنه ليس موضع أخفاف ناقتى الموقف و لكن هذا كله موقف و أوما بيده إلى الموقف فتفرق الناس و فعل مثل ذلك بالمزدلفة فتوقف حتى وقع قرص الشمس ثم أفاض و أمر الناس بالدعه حتى إذا انتهى إلى المزدلفة و هى المشعر الحرام صلى المغرب و العشاء الآخرة بأذان واحد و إقامتين ثم أقام حتى صلى فيها الفجر و عجل ضعفاء بنى هاشم بالليل فأمرهم أن لا يرموا الجمره جمره العقبه حتى تطلع الشمس فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمره العقبه و كان الهدى الذى جاء به رسول الله أربعاً و ستين أو ستاً و ستين و جاء على بأربع و ثلاثين أو ست و ثلاثين فحمر رسول الله ستاً و ستين بدنه و نحر على (عليه السلام) أربعاً و ثلاثين بدنه و أمر

رسول الله أن يأخذ من كل بدنه منها جذوه من لحم ثم تطرح في برمه ثم تطبخ فأكل رسول الله منها و على و تحسبها من مرقها و لم يعط الجزارين جلودها و لا جلالها و لا قلائدها و تصدق به و حلق و زار البيت و رجع إلى منى فأقام بها حتى كان يوم الثالث من آخر أيام التشريق ثم رمى الجمار و نفر حتى انتهى إلى الأبطح فقالت عائشه يا رسول الله ترجع نساؤك بحجه و عمره معا و أرجع بحجه فأقام بالأبطح و بعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم فأهلت بعمره ثم جاءت فطافت بالبيت و صلت ركعتين عند مقام إبراهيم و سعت بين الصفا و المروه ثم أتت النبي فارتحل من يومه فلم يدخل المسجد و لم يطف بالبيت و دخل من أعلى مكة من عقبه المدنيين و خرج من أسفل مكة من ذى طوى.

## سوره البقره (٢): آيه ١٩٧

### اشاره

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ (١٩٧)

### القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب فلا رفث و لا فسوق بالرفع «و لا جدال» بالفتح و قرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع و التنوين و قرأ الباقر جميع بالفتح.

### الحجه

حجه من فتح الجميع أن يقول أنه أشد مطابقه للمعنى المقصود ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث و الفسوق كما أنه إذا قال لا- ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فإذا رفع و نون فكان النفي لواحد منه ألا- ترى أن سيبويه يرى أنه إذا قال لا غلام عندك و لا- جاريه فهو جواب من سأل فقال أ غلام عندك أم جاريه فالفتح أولى لأن النفي قد عم و المعنى عليه و حجه من رفع أنه يعلم من الفحوى أنه ليس المنفى رفثا واحدا و لكنه جميع ضروره و أن النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع و إن لم يبين فيه الاسم مع لا نحو ما رجل في الدار.

### اللغه

الرفث أصله في اللغه الإفحاش في النطق قال العجاج

" عن اللغا و رفث التكلم "

و قيل الرفث بالفرج الجماع و باللسان المواعده للجماع و بالعين الغمز للجماع



و الفسوق الخروج من الطاعة. و الجدال فى اللغة و المجادله و المنازعه و المشاجره و المخاصمه نظائر و جدلت الحبل فتلته و الجديل زمام البعير فعيل بمعنى مفعول و المجدل القصر و الجداله الأرض ذات العمل الرقيق و غلام جادل إذا ترعرع و اشتد و الزاد الطعام الذى يتخذ للسفر و المزود وعاء يجعل فيه الزاد و كل من انتقل بخير من عمل أو كسب فقد تزود منه تزودا و اللب العقل سمي بذلك لأنه أفضل ما فى الإنسان و أفضل كل شىء لباً.

## الإعراب

الحج مبتدأ و أشهر خبره و تقديره أشهر الحج أشهر معلومات ليكون الثانى هو الأول فى المعنى أو الحج حج أشهر معلومات فحذف المضاف أى لا حج إلا فى هذه الأشهر فالأشهر على هذا متسع فيها مخرجه عن الظروف و المعنى على ذلك ألا ترى أن الحج فى الأشهر و قد يجوز أن يجعل الحج الأشهر على الاتساع لكونه فيها و لكثرتة من الفاعلين له كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

فإنما هى إقبال و إدبار

جعلتها الإقبال و الإدبار لكثرتهما منها و قوله «فَلَا رَفَتْ» إذا فتحت فعلى البناء و قد تقدم بيانه فيما مضى و إذا رفعت فعلى الابتداء و يكون فى الحج خبراً لهذه المرفوعات و إذا فتحت ما قبل المرفوع و أثبت ما بعده مرفوعاً جاز أن يكون عطفاً على الموضوع و جاز أن يكون بمعنى ليس كما فى قوله:

من صد عن نيرانها

فأنا ابن قيس لا براح

و ما بعد الفاء فى موضع الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء و الفاء مع ما بعده فى محل الجزم أو فى محل الرفع لأنه جواب شرط مبنى.

## المعنى

«الْحَجُّ» أى أشهر الحج «أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ» أى أشهر مؤقتة معينه لا- يجوز فيها التبديل و التغيير بالتقديم و التأخير اللذين كان يفعلهما النساء الذين أنزل فيهم إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ الْآيَةِ و

أشهر الحج عندنا شوال و ذو القعدة و عشر من ذى الحجة على ما روى عن أبى جعفر

و به قال ابن عباس و مجاهد و الحسن و غيرهم و قيل

هى شوال و ذو القعدة و ذو الحجة عن عطاء و الربيع و طاووس و روى ذلك فى أخبارنا

و إنما صارت هذه أشهر الحج لأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها بلا خلاف و عندنا لا يصح

ص: ٣٩

أيضا الإحرام بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج إلا فيها و من قال أن جميع ذى الحجة من أشهر الحج قال لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة و ذبح الهدى و متى قيل كيف سمي الشهران و بعض الثالث أشهرها فجوابه أن الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله

(ظهراهما مثل ظهور الترسين)

و أيضا فقد يضاف الفعل إلى الوقت و إن وقع في بعضه و يضاف الوقت إليه كذلك تقول صليت صلاة يوم الجمعة و صلاة يوم العيد و إن كانت الصلاة في بعضه و قدم زيد يوم كذا و إن كان قدم في بعضه فكذلك جاز أن يقال في شهر الحج ذو الحجة و إن وقع الحج في بعضه «فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ» معناه فمن أوجب على نفسه فيهن الحج أى فمن أحرم فيهن بالحج بلا خلاف أو بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج على مذهبننا «فَلَا رَفْتٌ» كنى بالرفث عن الجماع هاهنا عند أصحابنا و هو قول ابن مسعود و قتاده و قيل هو مواعده الجماع و التعريض للنساء به عن ابن عباس و ابن عمر و عطا و قيل هو الجماع و التعريض له بمداعبه أو مواعده عن الحسن «وَلَا فُسُوقٌ» و روى أصحابنا أنه الكذب و قيل هو معاصى الله كلها عن ابن عباس و الحسن و قتاده و هذا أعم و يدخل فيه الكذب و قيل هو التنازع بالألقاب لقوله «بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ» عن الضحاك و قيل هو السباب

لقوله (سباب المؤمن فسوق و قتاله كفر

) عن إبراهيم و مجاهد و قال بعضهم لا- يجوز أن يراد به هنا إلا- ما نهى المحرم عنه مما يكون حلالا له إذا أحل لاختصاصه بالنهى عنه و هذا تخصص للعموم بلا دليل و قد يقول القائل ينبغي لك أن تقيد لسانك في رمضان لئلا يفسد صومك و قد جاء

في الحديث إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و لا يكون يوم صومك كيوم فطرك

فإنما خصه بذلك لعظم حرمة «وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ» روى أصحابنا أنه قول لا و الله و بلى و الله صادقا أو كاذبا و للمفسرين فيه قولان (أحدهما) أنه المراء و السباب و الإغصاب على جهة المحك و اللجاج عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن (و الثانى) أن معناه لا جدال فى أن الحج قد استدار فى ذى الحجة لأنهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون و يؤخرون فربما اتفق فى غيره عن مجاهد و السدى «وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ» معناه ما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لأن الله عالم بجميع المعلومات على كل حال إلا أنه جعل يعلمه فى موضع يجازه للمبالغة فى صفة العدل أى أنه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم فيجازى به و ذلك تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم أنه يكون منهم قبل أن

يفعلوه «و تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» قيل فيه قولان (أحدهما) أن معناه أن قوما كانوا يرمون بأزوادهم و يتسمون بالمتوكله ف قيل لهم تزودوا من الطعام و لا تلقوا كلكم على الناس و خير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن و قتاده و مجاهد (و الثاني) أن معناه تزودوا من الأعمال الصالحه «فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» و ذكر ذلك في أثناء أفعال الحج لأنه أحق شىء بالاستكثار من أعمال البر فيه «وَ اتَّقُونِ» فيما أمرتكم به و نهيتكم عنه «يا أُولَى الْأَلْبَابِ» يا ذوى العقول.

## سوره البقره (٢): آيه ١٩٨

### اشاره

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضًّا لَّ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَاِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨)

### اللغه

الجناح الحرج فى الدين و هو الميل عن الطريق المستقيم و الابتغاء الطلب و الإفاضه مأخوذه من فيض الإناء عن امتلائه فمعنى أفضتم دفعتم من عرفات إلى المزدلفه عن اجتماع و كثره و يقال أفاض القوم فى الحديث إذا اندفعوا فيه و أكثروا التصرف و أفاض الرجل إناءه إذا صبه و أفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها لأنها تقع متفرقه، قال أبو ذؤيب:

و كأنهن ربابه و كأنه

يسر يفيض على القداح و يصدع

و أفاض البعير بجرته إذا رمى بها متفرقه كثيره قال الراعى:

و أفضن بعد كظومهن بجره

من ذى الأباطح اذرعين حقيلا

فالإفاضه فى اللغه لا- تكون إلا- عن تفرق أو كثره و عرفات اسم للبقعه المعروفة يجب الوقوف بها فى الحج و يوم عرفه يوم الوقوف بها و اختلف فى سبب تسميتها بعرفات ف قيل

لأن إبراهيم (عليه السلام) عرفها بما تقدم له من النعت لها و الوصف روى ذلك عن على

و ابن

ص: ٤١

عباس وقيل أنها سميت بذلك لأن آدم وحواء اجتمعا فيها فتعارفا بعد أن كانا افترقا عن الضحاك و السدى و قد رواه أصحابنا أيضا وقيل سميت بذلك لعلوها و ارتفاعها و منه عرف الديك و قيل سميت بذلك لأن إبراهيم كان يريه جبرائيل المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطاء و روى عن ابن عباس أن إبراهيم رأى فى المنام أنه يذبح ابنه فأصبح يروى يومه أجمع أى يفكر أ هو أمر من الله أم لا- فسمى بذلك يوم الترويه ثم رأى فى الليلة الثانية فلما أصبح عرف أنه من الله فسمى يوم عرفه و روى أن جبريل قال لآدم هناك اعترف بذنبك و اعرف مناسكك فقال «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا» الآية فلذلك سميت عرفه و المشعر الحرام هو المزدلفه سميت مشعرا لأنه معلم للحج و الصلاة و المقام و المبيت به و الدعاء عنده من أعمال الحج و إنما سمي المشعر الحرام مزدلفه لأن جبريل قال لإبراهيم بعرفات ازدلف إلى المشعر الحرام فسمى المزدلفه و سمي جمعا لأنه يجمع به بين المغرب و العشاء الآخره بأذان واحد و إقامتين و سميت منى منى لأن إبراهيم تمنى هناك أن يجعل الله مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه فديه له.

## الإعراب

جناح اسم ليس و خبره عليكم و موضع أن تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح فى أن تبتغوا فلما سقط فى عمل فيها معنى جناح و المعنى لستم تأثمون فى أن تبتغوا. و عرفات اسم معرفه لمواضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض و إنما صرفت و إن كان فيها سببان من أسباب منع الصرف و هو التعريف و التأنيث لأنها على حكاية الجمع فالتنوين فيها يإزاء النون فى مسلمون و لو سميت امرأه بمسلمون لم تحذف هذه النون و تقول أقبلت مسلمون و رأيت مسلمين و يجوز فى عرفات حذف التنوين أيضا تشبيها بالواحد إذا كان اسما لواحد إلا أنه لا يكون إلا مكسورا و إن أسقطت التنوين و مثلها أذرعاع فى قول امرئ القيس:

تنورتها من أذرعاع و أهلها

بيثرب أدنى دارها نظر عال

أكثر الروايه بالتنوين و قد أنشد بالكسر بغير تنوين و الأول اختيار النحويين لما ذكرنا من إجرائهم إياه مجرى المسلمون و أما فتح التاء فخطا «وَ إِنْ كُنْتُمْ» إن هنا هى المخففه من الثقيله بدلاله أن لام الابتداء معها و إذا خففت لم تعمل إن «وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنْ»

الضَّالِّينَ» لا موضع له من الإعراب لأنه وقع بعد حرف غير عامل و إنما هذه الواو عطفت جمله على جمله.

## المعنى

«لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» قيل كانوا يتأثمون بالتجاره فى الحج فرفع الله بهذه اللفظه الإثم عمن يتجر فى الحج عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و عطاء و فى هذا تصريح بالإذن فى التجاره و هو المروى عن أئمتنا و قيل كان فى الحج أجراء و مكارون و كان الناس يقولون أنه لا حج لهم فبين سبحانه أنه لا إثم على الحاج فى أن يكون أجيرا غيره أو مكاريا و قيل

معناه لا جناح عليكم أن تطلبوا المغفره من ربكم رواه جابر عن أبى جعفر (عليه السلام)

«فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ» أى دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها «فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ» و فى هذا دلالة على أن الوقوف بالمشعر الحرام فريضه كما ذهبنا إليه لأن ظاهر الأمر على الوجوب فقد أوجب الله الذكر فيه و لا يجوز أن يوجب الذكر فيه إلا و قد أوجب الكون فيه و لأن كل من أوجب الذكر فيه فقد أوجب الوقوف و تقدير الكلام فإذا أفضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام و اذكروا الله فيه «وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ» معناه و اذكروه بالثناء و الشكر على حسب نعمته عليكم بالهدايه فإن الشكر يجب أن يكون على حسب النعمه فى عظم المنزله كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمه و لا- يجوز التسويه بين من عظمت نعمته و بين من صغرت نعمته و تقدير الكلام و اذكروه ذكرا مثل هدايته إياكم «وَ إِنْ كُنْتُمْ» أى و إنكم كنتم من قبله أى من قبل الهدى و قيل من قبل محمد ص فتكون الهاء كناية عن غير مذكور «لِمَنْ الضَّالِّينَ» عن النبوه و الشريعه فهذاكم إليه.

## سوره البقره (٢): آيه ١٩٩

### اشاره

ثُمَّ أْفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)

### اللغه

الاستغفار طلب المغفره و المغفره التغطيه للذنب و الفرق بين غفور و غافر أن فى غفور مبالغه لكثره المغفره فأما غافر فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران و العفو هو المغفره و قد فرق بينهما بأن العفو ترك العقاب على الذنب و المغفره تغطيه الذنب بإيجاب المثوبه و لذلك كثرت المغفره فى صفات الله دون صفات العباد فلا يقال أستغفر السلطان كما يقال أستغفر الله.

## المعنى

«ثُمَّ أْفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن

المراد به الإفاضه من عرفات و أنه أمر لقريش و حلفائها و هم الحمس لأنهم كانوا لا يقفون

مع الناس بعرفه و لا يفيضون منها و يقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه و كانوا يقفون بالمزدلفه و يفيضون منها فأمرهم الله بالوقوف بعرفه و الإفاضه منها كما يفيض الناس و المراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس و عائشه و عطاء و مجاهد و الحسن و قتاده و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

و قال الضحاك أنه أمر لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم عن الضحاك قال و لما كان إبراهيم إماما كان بمنزله الأمة فسماه وحده ناسا- (و الثانى)- أن المراد به الإفاضه من المزدلفه إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى و النحر عن الجبائى قال و الآيه تدل عليه لأنه قال فإذا أفضتم من عرفات ثم قال «ثُمَّ أْفِيضُوا» فوجب أن يكون إفاضه ثانيه فدل ذلك على أن الإفاضتين واجبتان و الناس المراد به إبراهيم كما أنه فى قوله «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» نعيم بن مسعود الأشجعى و قيل

إن الناس إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و من بعدهم من الأنبياء عن أبى عبد الله

و مما يسأل على الأول أن يقال إذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا و قد روى أصحابنا فى جوابه أن هاهنا تقديما و تأخيرا و تقديره (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و استغفروا الله إن الله غفور رحيم) و قيل أراد بالناس آدم عن سعيد بن جبیر و الزهرى و قيل هم أهل اليمن و ربيعه عن الكلبى و قيل هم العلماء الذين يعلمون الدين و يعلمونه الناس «وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» أى اطلبوا المغفره منه بالندم على ما سلف من المعاصى «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» أى كثير المغفره «رَحِيمٌ» واسع الرحمه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٠٠

### اشاره

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)

### اللغه

أصل القضاء فصل الأمر على إحكام و قد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك و قد يفصل بأن يعمل على تمام كقوله «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» و قد يفصل بالإخبار به على القطع كقوله «وَ قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» و قد يفصل بالحكم كقضاء القاضى على وجه الإلزام و الخلاق النصيب من الخير و أصله التقدير فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق و قيل أنه من الخلق فهو نصيب مما يوجهه الخلق الكريم.

أشد في موضع جر و لكنه لا ينصرف لأنه على وزن الفعل و هو صفة و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر على و اذكروه أشد ذكرا و ذكرا منصوب على التمييز في الآخرة الجار و المجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله «لَهُ» و له في موضع خبر للمبتدأ الذى هو من خلاق فإن من مزيدة و الجار و المجرور في موضع رفع بالابتداء و يجوز أن يكون في الآخرة في موضع نصب على الحال و العامل فيه ما في له من الفعل.

### المعنى

«فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ» معناه فإذا أدبتم مناسككم و قيل فإذا فرغتم من مناسككم و المناسك جمع المنسك و المنسك يجوز أن يكون موضع النسك و يجوز أن يكون مصدرا فإن كان موضعا فالمعنى فإذا قضيتم ما وجب عليكم إيقاعه في متعبداتكم و إن كان بمعنى المصدر فإنما جمع لأنه يشتمل على أفعال و أذكار فجاز جمعه كالأصوات أى فإذا قضيتم أفعال الحج فاذكروا الله و اختلف في الذكر على قولين - (أحدهما) - أن المراد به التكبير المختص بأيام منى لأنه الذكر المرغب فيه المندوب إليه في هذه الأيام (و الآخر) أن المراد به سائر الأدعية في تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل منه في غيرها «كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ» معناه ما

روى عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك و يعدون مفاخر آبائهم و مآثرهم و يذكرون أيامهم القديمة و أياديهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آبائهم في هذا الموضع

«أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا» أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله و يعدوا آلاءه و يشكروا نعماءه لأن آبائهم و إن كانت لهم عليهم أيد و نعم فنعم الله عليهم أعظم و أياديهم عندهم أفخم و لأنه المنعم بتلك المآثر و المفاخر على آبائهم و عليهم و هذا هو الوجه في تشبيهه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذى هو دونه في الوجوب و هو قول الحسن و قتاده و قيل معناه و استغيثوا بالله و أفرغوا إليه كما يفرغ الصبى إلى أبيه في جميع أموره و يلهج بذكره فيقول يا أبت عن عطاء و الأول أصح و قوله «فَمِنَ النَّاسِ مَنُ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا» بين سبحانه أن الناس في تلك المواطن أصناف فمنهم من يسأل نعيم الدنيا و لا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بالبعث و النشور «وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» أى نصيب من الخير موفور.

### سورة البقره (٢): آيه ٢٠١

#### إشاره

وَمِنْهُمْ مَنُ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)

#### اللغه

الفرق بين القول و الكلام أن القول يدل على الحكايه و ليس كذلك الكلام



نحو قال الحمد لله فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق و الحكايه على ثلاثه أوجه (أحدها) حكايه على اللفظ و المعنى نحو قال آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا إذا حكاها من يعرف لفظه و معناه و حكايه على اللفظ نحوها إذا حكاها من يعرف لفظه دون معناه و حكايه على المعنى نحو أن تقول نحاسا بدل قوله قطرا و الإيتاء الإعطاء و أصله الآتى بمعنى المجىء فأتى إذا كان منه المجىء ء و آتى غيره حملة على المجىء ء فيقال أتاه ما يحب و آتى غيره ما يحب و ق أصله من وقى يقى وقايه و وقاء و الوقاء أصله الحجز بين الشيئين و الوقاء الحاجز الذى يسلم به من الضرر.

## المعنى

لما ذكر سبحانه دعاء من سأله من أمور الدنيا فى تلك المواقف الشريفه ما لا يرتضيه عقبه بما يسأله المؤمنون فيها من الدعاء الذى يرغب فيه فقال «و مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا» أى أعطنا «فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» أى نعيم الدنيا و نعيم الآخرة عن أنس و قتاده و

روى عن أبى عبد الله أنها السعه فى الرزق و المعاش و حسن الخلق فى الدنيا و رضوان الله و الجنة فى الآخرة

و قيل العلم و العباده فى الدنيا و الجنة فى الآخرة عن الحسن و قتاده و قيل هى المال فى الدنيا و فى الآخرة الجنة عن ابن زيد و السدى و قيل

هى المرأه الصالحه فى الدنيا و فى الآخرة الجنة عن على (عليه السلام)

و

روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال من أوتى قلبا شاكرا و لسانا ذاكرا و زوجه مؤمنه تعينه على أمر دنياه و أخراه فقد أوتى فى الدنيا حسنه و فى الآخرة حسنه و وقى عذاب النار.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٠٢

### اشاره

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)

### اللغه

النصيب الحظ و جمعه أنصباء و أنصبه و حد النصيب الجزء الذى يختص به البعض من خير أو شر و الكسب الفعل الذى يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر و السريع من العمل هو القصير المده يقال سرع سرعه و سرعا فهو سريع و أقبل فلان فى سرعان قومه أى فى أوائلهم المسرعين و الحساب مصدر كالمحاسبه.

## المعنى

«أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا» أى حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه «وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه سريع المجازاة للعباد على أعمالهم و أن وقت الجزاء قريب و يجرى مجراه قوله وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ و عبر عن الجزاء بالحساب لأن الجزاء كفاء للعمل و بمقداره فهو حساب له يقال أحسبني الشىء كفانى (و ثانيها) أن يكون المراد به أنه يحاسب أهل الموقف فى

أوقات يسيره لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره كما لا يشغله شأن عن شأن و

ورد في الخبر أنه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر و روى بقدر حلب شاه

و هذا أحد ما يدل على أنه ليس بجسم و أنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آله لأنه لو كان كذلك لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين و لكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره و لكانت مده محاسبته للخلق على أعمالهم طويله و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال معناه أنه يحاسب الخلق دفعه كما يرزقهم دفعه

(و ثالثها) أن معناه أنه تعالى سريع القبول لدعاء هؤلاء و الإجابة لهم من غير احتباس فيه و بحث عن المقدار الذي يستحقه كل داع كما يحتبس المخلوقون للإحصاء و الاحتساب و يقرب منه ما روى عن ابن عباس أنه قال يريد أنه لا حساب على هؤلاء إنما يعطون كتبهم بأيمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم و هذه حسناتكم قد ضعفتموها لكم.

## سورة البقرة (٢): آية ٢٠٣

### إشارة

وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِيْ اَيّٰمٍ مَّعْدُوْدٰتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِيْ يَوْمَيْنِ فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَاَخَّرَ فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقٰى وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوْا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ (٢٠٣)

### اللغة

المعدودات تستعمل كثيرا في اللغة للشئ القليل و كل عدد قل أو كثر فهو معدود و لكن معدودات أدل على القلة لأن كل قليل يجمع بالألف و التاء و الحشر جمع القوم من كل ناحية إلى مكان و المحشر المكان الذي يحشرون فيه و حشرتهم السنه إذا أجمعت بهم لأنها تضمهم من النواحي إلى المصر و سهم حشر خفيف لطيف لأنه ضامر باجتماعه و أذن حشره لطيفه و ضامره و حشرات الأرض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية فأصل الباب الاجتماع.

### الإعراب

العامل في اللام من قوله «لِمَنِ اتَّقَى» فيه قولان (أحدهما) أن تقديره ذلك «لِمَنِ اتَّقَى» فيكون الجار و المجرور في موضع خبر المبتدأ و إنما حذف ذلك لأن الكلام الأول دل على وعد للعامل (و الثاني) أن يكون العامل فيه معنى لا إثم عليه لأنه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى.

### المعنى

«وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِيْ اَيّٰمٍ مَّعْدُوْدٰتٍ» هذا أمر من الله للمكلفين أن يذكروه



فى أيام معدودات

و هى أيام التشريق ثلاثه أيام بعد النحر و الأيام المعلومات عشر ذى الحجه عن ابن عباس و الحسن و أكثر أهل العلم و هو المروى عن أئمتنا

و ذكر الفراء أن المعلومات أيام التشريق و المعدودات العشر و الذكر المأمور به هو أن تقول عقيب خمس عشره صلوات الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله و الله أكبر الله أكبر و لله الحمد الله أكبر على ما هدانا و الحمد لله على ما أولانا و الله أكبر على ما رزقنا من بهيمه الأنعام و

أول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر و آخره عقيب صلاه الفجر من اليوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى و من كان بغير منى من الأمصار يكبر عقيب عشر صلوات أولها صلاه الظهر من يوم النحر أيضا هذا هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

و فى ذلك اختلاف بين الفقهاء و وافقنا فى ابتداء التكبير من صلاه الظهر من يوم النحر ابن عباس و ابن عمر قوله «فَمَنْ تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ فَلَا- إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا- إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ» المعنى فى ذلك الرخصه فى جواز النفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق و الأفضل أن يقيم إلى النفر الأخير و هو الثالث من التشريق و إذا نفر فى الأول نفر بعد الزوال إلى غروب الشمس فإن غربت فليس له أن ينفر إلى اليوم الثالث و قوله «فَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ» فيه قولان- (أحدهما)- أن معناه لا إثم عليه لأن سيئاته صارت مكفوره بما كان من حجه المبرور و هو قول ابن مسعود- (و الثانى)- إن معناه لا إثم عليه فى التعجيل و التأخير و إنما نفى الإثم لثلاثه متوهم متوهم إن فى التعجيل إثما و إنما قال «فَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ» فى التأخير على وجه المزواجه كما يقال إن أعلنت الصدقه فحسن و أن أسررت فحسن و إن كان الإسرار أحسن و أفضل عن الحسن و قوله «لِمَنْ اتَّقَى» فيه قولان- (أحدهما)- إن الحج يقع مبرورا مكفرا للسيئات إذا اتقى ما نهى الله عنه و الآخر ما رواه أصحابنا أن قوله «لِمَنْ اتَّقَى» متعلق بالتعجيل فى اليومين و تقديره فمن تعجل فى يومين فلا- إثم عليه لمن اتقى الصيد إلى انقضاء النفر الأخير و ما بقى من إحرامه و من لم يتقها فلا يجوز النفر فى الأول و هو المروى عن ابن عباس و اختاره الفراء

و قد روى أيضا عن أبى عبد الله فى قوله «فَمَنْ تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ» أى من مات فى هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب «وَ مَنْ تَأَخَّرَ» أى من أجله فلا إثم عليه إذا اتقى الكبائر

و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى اجتنبوا معاصى الله «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أى تحققوا أنكم بعد موتكم تجمعون إلى الموضع الذى يحكم الله فيه بينكم و يجازيكم على أعمالكم.

**سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٥**

**اشاره**

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فى قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥)



الإعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن و منه العجب بالنفس و هو سرور المعجب من الشىء استحسانا له و ذلك إذا تعجب من شدة حسنه تقول عجب و تعجب و عجه غيره و أعجبه و استعجب الرجل إذا اشتد تعجبه قال الأزهرى العجب كل شىء غير مألوف و الألد الشديد الخصومه تقول لد يلد لدودا و لده يلده إذا غلبه فى الخصومه و لد الدواء فى حلقه إذا أوجره فى أحد شقى فمه و اللديدان جانبا الوادى و لديدا كل شىء جانبا و التلدد التلفت عن تحير و الخصام قيل أنه جمع الخصم عن الزجاج و فعل إذا كان صفه فإنه يجمع على فعال نحو صعب و صعاب و إذا كان اسما فإنه يجمع فى القله على أفعل و فى الكثره على فعال كفرخ و فراخ و قيل الخصام مصدر كالمخاصمه عن الخليل و التولى هو الانحراف و الزوال عن الشىء إلى خلاف جهته و قوله «سعى» قد يكون بمعنى عمل و قد يكون بمعنى أسرع قال الأعشى:

و سعى لکنده سعى غير مواكل

قيس فضر عدوها و بنى لها

أى عمل لکنده و الإفساد هو عمل الضرر بغير استحقاق و لا وجه من وجوه المصلحه و الإهلاك العمل الذى ينفى الانتفاع و الحرث الزرع و النسل العقب من الولد و قال الضحاک الحرث كل نبات و النسل كل ذات روح و يقال نسل ينسل نسولا إذا خرج فسقط و منه نسل و بر البعير أو ريش الطائر و الناس نسل آدم لخروجهم من ظهره و أصل باب النسول الخروج.

## الإعراب

ليفسد نصب بإضمار أن و يجوز إظهارها بأن يقال لأن يفسد فيها و لا- يجوز إظهار أن فى قوله لِيَذَرَ من «ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ» و الفرق بينهما أن اللام فى ليفسد على أصل الإضافه فى الكلام و اللام فى ليدر لتأكيد النفى كما دخلت الباء فى ليس زيد بقائم.

نزلت الآيات الثلاثة فى المرائى لأنه يظهر خلاف ما يبطن و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

إلا- أنه عين المعنى به و قال الحسن نزلت فى المنافقين و قال السدى نزلت فى الأخنس بن شريق و كان يظهر الجميل بالنبي و المحبه له و الرغبة فى دينه و يبطن خلاف ذلك.

## المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكره أحوال المؤمنين و الكافرين فقال «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ» أى تستحسن كلامه يا محمد و يعظم موقعه من قبلك «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى يقول آمنت بك و أنا صاحب لك و نحو ذلك «وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ» أى يحلف بالله و يشهده على أنه مضممر ما يقول فيقول اللهم اشهد على به و ضميره على خلافه «وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» أى و هو أشد المخاصمين خصومه و من قال أن الخصام مصدر فمعناه و هو شديد الخصومه عند المخاصمه جدل مبطل «وَ إِذَا تَوَلَّى» أى أعرض عن الحسن و قيل معناه ملك الأمر و صار واليا عن الضحاك و معناه إذا ولى سلطانا جار و قيل ولى عن قوله الذى أعطاه عن ابن جريج «سَيَعَى فِي الْأَرْضِ» أى أسرع فى المشى من عندك و قيل عمل فى الأرض «لِيُفْسِدَ فِيهَا» قيل ليقطع الرحم و يسفك الدماء عن ابن جريج و قيل ليظهر الفساد و يعمل المعاصى «وَيُهْلِكُ الْخَرْثَ وَ النَّسِيلَ» أى النبات و الأولاد و ذكر الأزهري أن الحرث النساء و النسل الأولاد لقوله «نَسَاؤُكُمْ خَرْثٌ لَكُمْ» و

روى عن الصادق (عليه السلام) إن الحرث فى هذا الموضع الدين و النسل الناس

«وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ» أى العمل بالفساد و قيل أهل الفساد و فيه دلالة على بطلان قول المجبره إن الله تعالى يريد القبائح لأنه تعالى نفى عن نفسه محبه الفساد و المحبه هى الإرادة لأن كل ما أحب الله أن يكون فقد أراد أن يكون و ما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٠٦

## اشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)

## اللغه

الاتقاء طلب السلامه بما يحجز عن المخافه و اتقاء الله إنما هو اتقاء عذابه و الأخذ ضد الإعطاء و العزه القوه التى تمتنع بها عن الذله و المهاد الوطاء من كل شىء و كل شىء و وطئته فقد مهدته و الأرض مهاده لأجل توطئته للنوم و القيام عليه.

## المعنى



ثم بين تعالى صفه من تقدم من المنافقين فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ» أى و إذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما نهاك عنه من السعى فى الأرض بالفساد و إهلاك الحرث و النسل «أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) حملته العزه

ص: ٥٠

و حميه الجاهليه على فعل الإثم و دعته إليه كما يقال أخذته بكذا أى ألزمته ذلك و أخذته الحمى أى لزمته- (و الثانى)-  
أخذته العزه من أجل الإثم الذى فى قلبه من الكفر عن الحسن «فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ» أى فكفاه عقوبه من إضلاله أن يصلى نار جهنم «وَ  
لَبِئْسَ الْمِهَادُ» أى القرار عن الحسن كما قال فى موضع آخر وَ بِيَسِّ الْقَرَارُ لِأَنَّ الْقَرَارَ كَالْوِطَاءِ فى الثبوت عليه و قيل إنما سميت  
جهنم مهادا لأنها بدل من المهاد كما قال سبحانه «فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» لأنه موضع البشرى بالنعيم على جهه البدل منه و فى هذه  
الآيه دلالة على أن من تكبر عن قبول الحق إذا دعى إليه كان مرتكباً أعظم كبيره و لذلك قال ابن مسعود أن من الذنوب التى لا  
تغفر أن يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٠٧

### اللغه

الشرء من الأضداد يقال شرى إذا باع و شرى إذا اشترى و قوله «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ» أى باعوه و الرضا ضد  
السخط و قد تقدم معنى الرؤوف.

### الإعراب

ابتغاء نصب لأنه مفعول له كقول الشاعر:

و أغفر عوراء الكريم ادخاره

و أعرض عن قول اللئيم تكريماً.

### النزول

روى السدى عن ابن عباس قال نزلت هذه الآيه فى على بن أبى طالب حين هرب النبى (صلى الله عليه و آله) عن المشركين إلى  
الغار و نام على (عليه السلام) على فراش النبى (صلى الله عليه و آله) و نزلت الآيه بين مكه و المدينه و

روى أنه لما نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه و جبرائيل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب  
يباهى الله بك الملائكه

و قال عكرمه نزلت فى أبى ذر الغفارى جندب بن السكن و صهيب بن سنان لأن أهل أبى ذر أخذوا أبا ذر فانفلت منهم فقدم  
على النبى (صلى الله عليه و آله) فلما رجع مهاجراً أعرضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبى (صلى الله عليه و آله) و أما صهيب  
فإنه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجراً و

روى عن على و ابن عباس أن المراد بالآيه الرجل الذى يقتل على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

و قال قتاده نزلت فى المهاجرين و الأنصار و قال الحسن هى عامه فى كل مجاهد فى سبيل الله.

ثم عاد سبحانه إلى وصف المؤمن الأمر بالمعروف في قوله وَإِذَا قِيلَ لَهُ

ص: ٥١

اتَّقِ اللَّهَ لِأَنَّ هَذَا الْقَائِلَ أَمْرٌ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ فَقَالَ «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي» أَيْ يَبِيعُ نَفْسَهُ «إِثْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» أَيْ لِابْتِغَاءِ رِضَا اللَّهِ وَ إِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْبَيْعِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِطَلْبِ رِضَا اللَّهِ كَمَا أَنَّ الْبَائِعَ يَطْلُبُ الثَّمَنَ بِالْبَيْعِ «وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ» أَيْ وَاسِعَ الرَّحْمَةِ بَعِيدَهُ يَنْبِئُهُمْ مَا حَاوَلُوهُ مِنْ مَرْضَاتِهِ وَ ثَوَابِهِ.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٠٨

### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)

### القراءه

قرأ أهل الحجاز و الكسائي في السلم كافة بفتح السين و الباقون بكسرها.

### الحجه

قال الأخفش السلم بكسر السين الصلح و فيه ثلاث لغات السلم السلم السلم و أنشد:

أ نائل إننى سلم

لأهلك فاقبلى سلمى

قال أبو عبيده السلم بكسر السين و الإسلام واحد و هو في موضع آخر المسالمة و الصلح و السلم الاستسلام و منه قوله تعالى «وَ رَجُلًا سَيَلَمًا لِرَجُلٍ» أَيْ مَسْتَسْلِمًا لَهُ مَنَقَادًا لِمَا يَرِيدُهُ مِنْهُ فَيَكُونُ مَصْدَرًا وَصَفَ بِهِ وَ يَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ فِعْلًا بِمَعْنَى فَاعِلٍ مِثْلَ بَطَلٍ وَ حَسَنٍ وَ نَظِيرِهِ يَابِسٌ وَ يَيْسٌ وَ وَاسِطٌ وَ وَسْطٌ.

### اللغه

كافه معناه جميعا و اشتقاقه في اللغه مما يكف الشىء في آخره و من ذلك كفه القميص لحاشيته لأنها تمنعه من أن ينتشر و كل مستطيل فحرفه كفه و يقال في كل مستدير كفه نحو كفه الميزان و استكف السائل و تكفف إذا بسط كفه للسؤال و كل شىء جمعته فقد كفته و استكف القوم بالشىء إذا أحذقوا به.

### الإعراب

كافه منصوب على الحال من الواو في ادخلوا و قيل هو حال من السلم و لكم يتعلق بمحذوف فهو في موضع نصب على الحال من عدو.

### المعنى

لما قدم تعالى ذكر الفرق الثلاث من العباد دعا جميعهم إلى الطاعة و الانقياد فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ» أى فى الإسلام أى دوموا فيما دخلتم فيه كقوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» عن

ص: ٥٢

ابن عباس و السدى و الضحاك و مجاهد و قيل معناه «ادخلوا في السلم» في الطاعة عن الربيع و هو اختيار البلخي و الكلام محتمل للأمرين و حملها على الطاعة أعم و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من أن المراد به الدخول في الولاية «كأفّه» أى جميعا أى ادخلوا جميعا في الإسلام و الطاعة و الاستسلام و قيل معناه ادخلوا في السلم كله أى في جميع شرائع الإسلام و لا تتركوا بعضه معصيه و يؤيد هذا القول ما

روى أن قوما من اليهود أسلموا و سألوا النبي أن يبقى عليهم تحريم السبت و تحريم لحم الإبل فأمرهم أن يلتزموا جميع أحكام الإسلام

«وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ» أى آثاره و نزعاته لأن ترككم شيئا من شرائع الإسلام اتباع للشيطان «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» أى مظهر للعداوة بامتناعه من السجود لآدم بقوله لَأَخْتَبِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٠٩

### اشاره

فَإِنْ زَلَّتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)

### اللغه

يقال زل الرجل يزل زلا- و زللا- و مزله إذا أذنب و زل فى الطريق زليلا و أصله من الزوال و معنى الزله الزوال عن الاستقامه و العزيز هو القدير المنيع الذى لا يعجزه شىء و أصل العزه الامتناع و منه أرض عزاز إذا كانت ممتنعه بالشده و قد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق.

### الإعراب

ما حرف موصول و جاء تكم صلته و اعلموا جمله فى موضع الرفع لأنها بعد الفاء فى جواب الشرط و الفاء مع الجملة فى محل الجزم أو محل الرفع لأنه جواب شرط مبنى.

### المعنى

لما أمر سبحانه عباده بالطاعة عقبه بالوعيد على تركها فقال «فَإِنْ زَلَّتُمْ» أى تنحيتم عن القصد و عدلتم عن الطريق القويم الذى أمركم الله تعالى بسلوكه «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ» أى الحجج و المعجزات «فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» فى نعمته لا يمتنع شىء من بطشه و عقوبته «حَكِيمٌ» فيما شرع من أحكام دينه لكم و فيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد إقامه الحجه عليكم.

## سوره البقره (٢): آيه ٢١٠

### اشاره

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)

ص: ٥٣

قرأ أبو جعفر والملائكة بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن عامر والكسائي وحمزة ترجع الأمور بفتح التاء والباقون بضمها.

### الحج

من قرأ والملائكة بالجر فإنه عطفها على الغمام أى فى ظلل من الغمام وفى ظلل من الملائكة أى جماعه من الملائكة وقراءه السبعه بالرفع عطفها على قوله الله أى «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» وإلا- أن يأتهم الملائكة و حجه من قرأ «تُزَجُّ الْأُمُورُ» على بناء الفعل للمفعول به قوله ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ وَلَيُنْزِلُنَّ رُدْدًا إِلَى رَبِّي وَلَيُنْزِلُنَّ رُجْعًا إِلَى رَبِّي و حجه من قرأ ترجع على بناء الفعل للفاعل قوله أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ.

### اللغة

النظر هنا بمعنى الانتظار كما فى قول الشاعر:

فينا نحن نظره أانا

معلق شكوه و زناد راع

أى تنتظره و أصل النظر الطلب لإدراك الشىء و إذا استعمل بمعنى الانتظار فلأن المنتظر يطلب إدراك ما يتوقع و إذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلأن المتفكر يطلب به المعرفه و إذا كان بالعين فإن الناظر يطلب الرؤيه و الظلل جمع ظله و هى ما يستظل به من الشمس و سُمى السحاب ظله لأنه يستظل به و الغمام السحاب الأبيض الرقيق سُمى بذلك لأنه يغم أى يستر.

### الإعراب

هل حرف استفهام بمعنى النفى. إلا- هاهنا لنقض النفى. «أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» فى موضع نصب ينظرون. «مِنَ الْغَمَامِ» يتعلق بمحذوف فهو جمله ظرفيه فى موضع الجر صفة ظلل.

### المعنى

ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ» أى هل ينتظر هؤلاء المكذبون بآيات الله إلا أن يأتهم أمر الله أو عذاب الله و ما توعدهم به على معصيته فى ستر من السحاب و قيل قطع من السحاب وهذا كما يقال قتل الأمير فلانا و ضربه و أعطاه و إن لم يتول شيئاً من ذلك بنفسه بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به و قيل معناه ما ينتظرون إلا أن يأتهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد و يراد بذلك جنده و إنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأحوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه وَ إِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ



كَالظَّلْمِ وَقَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ يَأْتِيهِمْ اللَّهُ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحِسَابِ كَمَا قَالَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا أَيْ أَتَاهُمْ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ الْمَعْنَى بَلِ الْمَعْنَى فِي الْجَمِيعِ وَاحِدٌ أَيْ هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ يَرَادُ بِهِ النِّفْيُ وَالْإِنْكَارُ أَيْ مَا يَنْتَظِرُونَ كَمَا يَقَالُ هَلْ يَطَالِبُ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا مُتَعَنَّتْ أَيْ مَا يَطَالِبُ وَمِثْلُهُ فِي التَّنْزِيلِ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَقَدْ يَقَالُ أَتَى وَجَاءَ فِيمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ تَقُولُ أَتَانِي وَعِيدُ فَلَانٌ وَجَاءَنِي كَلَامُ فَلَانٍ وَ أَتَانِي حَدِيثُهُ وَلَا يَرَادُ بِهِ الْإِتْيَانُ الْحَقِيقِيُّ قَالَ:

أتانى فلم أسرر به حين جاءنى

حديث بأعلى القبتين عجيب

وقال الآخر:

أتانى نصرهم وهم بعيد

بلادهم بأرض الخيزران

وَأَمَّا قَوْلُهُ «وَالْمَلَائِكَةُ» فَقَدْ ذَكَرْنَا الْوَجْهَ فِي رَفْعِهِ وَجَرِّهِ قَبْلَ وَقِيلَ مَعْنَى الْآيَةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ بِظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ أَيْ بِجَلَائِلِ آيَاتِهِ وَبِالْمَلَائِكَةِ وَقَوْلُهُ «وَقُضِيَ الْأَمْرُ» مَعْنَاهُ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ وَهُوَ الْمَحَاسِبَةُ وَإِنْزَالَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ هَذَا فِي الْآخِرَةِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَجِبَ الْعَذَابُ أَيْ عَذَابُ الْإِسْتِئْصَالِ وَهَذَا فِي الدُّنْيَا «وَاللَّهُ تُرْجِعُ الْأُمُورَ» أَيْ إِلَيْهِ تَرُدُّ الْأُمُورَ فِي سُؤَالِهِ عَنْهَا وَمَجَازَاتِهِ عَلَيْهَا وَكَانَتْ الْأُمُورُ كُلُّهَا لَهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ فَسَلَكَ بَعْضُهَا فِي الدُّنْيَا غَيْرَهُ ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّهَا إِلَيْهِ فِي الْحِشْرِ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ هُنَاكَ شَيْئًا وَقِيلَ إِلَيْهِ تَرْجِعُ أُمُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

## سورة البقره (٢): آيه ٢١١

### اشاره

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)

### الإعراب

كَمْ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِآتَيْنَا وَإِنَّمَا وَجِبَ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الَّتِي هِيَ «كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ» قَدْ وَقَعَتْ مَوْضِعَ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِقَوْلِهِ: «سَلِّ» مِنْ آيَةٍ يَتَعَلَّقُ بِآتَيْنَا أَيْضًا وَمَا حَرَفَ مَوْصُولَ جَاءَتْ صِلَتَهُ وَالْمَوْصُولُ وَالصِّلَةُ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ بِإِضَافِهِ بَعْدَ إِلَيْهِ.

### المعنى

«سَلِّ» يَا مُحَمَّدُ «بَنِي إِسْرَائِيلَ» أَيْ أَوْلَادَ يَعْقُوبَ وَهُمْ الْيَهُودَ الَّذِينَ



كانوا حول المدينة و المراد به علماءهم و هو سؤال تقرير لتأكيد الحجج عليهم «كَمْ آتَيْنَاهُمْ» أى أعطيناهم «مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ» من حجة ظاهره واضحه مثل اليد البيضاء و قلب العصا حيه و فلق البحر و تظليل الغمام عليهم و إنزال المن و السلوى عن الحسن و مجاهد و قيل كم من حجة واضحه لمحمد تدل على صدقه عن الجبائي «وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ» فى الكلام حذف و تقديره فبدلوا نعمه الله و كفروا بآياته و خالفوه فضلوا و أضلوا و من يبدل الشكر عليها بالكفران و قيل من يصرف أدله الله عن وجوها بالتأويلات الفاسده الخاليه من البرهان «فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» له و قيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور و فى الآيه دلالة على فساد قول المجبره فى أنه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمه لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال فى موضع آخر يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا و نحو ذلك من وجه آخر و هو أنه أضاف التبديل إليهم و أوعدهم عليه بالعقوبه فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبه. و التبديل هو أن يحرف أو يكتم أو يتأول على خلاف جهته كما فعلوه فى التوراه و الإنجيل و كما فعلوه مبتدعه الأممه فى القرآن.

## النظم

لما بين الله تعالى شرائعه و إن الناس فيها ثلاث فرق مؤمن و كافر و منافق ثم وعد و أوعد و أوعد بين بعد ذلك أن تركهم الإيمان ليس بتقصير فى الحجج و لكن لسوء طباعهم و خبت أفعالهم فقد فعلوا قبلك يا محمد هذا الصنيع فقال «سَلِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

## سوره البقره (٢): آيه ٢١٢

### اشاره

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)

### اللغه

التزيين و التحسين واحد و الزين خلاف الشين و الزينه اسم جامع لكل ما يتزين به.

### الإعراب

الدنيا صفة الحياه بغير حساب الجار و المجرور فى محل النصب على الحال و العامل فيه يرزق و ذو الحال الضمير فى يرزق أو الموصول الذى هو من يشاء و تقديره غير محاسب أو غير محاسب.

### النزول

نزلت الآيه فى أبى جهل و غيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا و كانوا يسخرون من قوم من المؤمنين فقراً مثل عبد الله بن مسعود و عمار و بلال و خباب و يقولون



لو كان محمد نبيا لا تبعه أشرفنا عن ابن عباس و قيل نزلت في عبد الله بن أبي و أصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل و قيل نزلت في رؤساء اليهود من بنى قريظه و النضير و قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطا و لا مانع من نزوله في جميعهم.

## المعنى

ثم بين سبحانه أن عدولهم عن الإيمان إنما هو لإيثارهم الحياه الدنيا فقال «زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» و فيه قولان (أحدهما) أن الشيطان زينها لهم بأن قوى دواعيهم و حسن فعل القبيح و الإخلال بالواجب إليهم فأما الله فلا يجوز أن يكون المزين لهم إياها لأنه زهد فيها و قال و اعلم أنها متاع الغرور و قال قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ عَنِ الْحَسَنِ وَ الْجَبَائِي (و الآخر) أن الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المحبوه المعجبه و بما خلق لهم من الشهوه لها كما قال زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْآيَةِ و إنما كان كذلك لأن التكليف لا يتم إلا مع الشهوه فإن الإنسان إنما يكلف بأن يدعى إلى شىء تنفر نفسه عنه أو يزجر عن شىء تتوق نفسه إليه و هذا معنى

قول النبي (صلى الله عليه و آله) حفت الجنه بالمكراه و حفت النار بالشهوات

و إنما ذكر الفعل و هو مستند إلى الحياه لأن تأنيث الحياه غير حقيقى و هو بمعنى العيش و البقاء و نحوهما و لأنه فصل بين الفعل و الفاعل بقوله «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» و إذا قالوا في التأنيث الحقيقى حضر القاضى اليوم امرأه و جوزوا التذكير فيه فهو في التأنيث غير الحقيقى أجوز «وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» و يهزون من المؤمنين لفرهم و قيل لإيمانهم بالبعث و جدهم في ذلك و قيل لزهدهم في الدنيا و يمكن حمله على الجميع إذ لا تنافى بين هذه الأقوال «وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات و قيل أراد أن تمتعهم بنعيم الآخرة أكثر من استمتاع هؤلاء في الآخرة بنعيم الدنيا و قيل أراد أن حالهم فوق هؤلاء الكفار لأنهم في عليين و هؤلاء في سجين و هذا كقوله «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا» و مثله قول حسان يعنى رسول الله و أبا جهل:

(فشر كما لخير كما الفداء)

و قيل أنه أراد أن حال المؤمنين في الهزء بالكفار و الضحك منهم في الآخرة حال فوق هؤلاء في الدنيا و يدل على ذلك قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» إلى قوله «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» «وَ اللَّهُ يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه يعطيهم الكثير الواسع الذى لا يدخله الحساب من كثرته (و ثانيها) أنه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابله أعمالهم و إيمانهم و كفرهم فلا

يدل بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله و إن قلنا أن المراد به في الآخرة فمعناه أن الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلاً (و ثالثها) أنه يعطيه عطاء لا يؤاخذ به بذلك أحد و لا يسأله عنه سائل و لا يطلب عليه جزاء و لا مكافاه (و رابعها) أنه يعطى العدد من الشىء لا يضبط بالحساب و لا يأتى عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه و لا- محصور فهو يعطى الشىء لا- من عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطى الألف من الألفين و العشره من المائه عن قطرب (و خامسها) أن معناه يعطى أهل الجنه ما لا يتناهى و لا يأتى عليه الحساب و كل هذه الوجوه جائز حسن.

## سوره البقره (٢): آيه ٢١٣

### اشاره

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَ مَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

### القراءه

قرأ أبو جعفر القارئ وحده ليحكم بضم الياء و فتح الكاف و الباقون بفتح الياء و ضم الكاف.

### الحجه

وجه القراءه الظاهره أن الكتاب يحكم و يكون على التوسع كقوله تعالى «هذا كتابنا ينطق عليك بالحق» و يجوز أن يكون فاعل يحكم الله أى ليحكم الله فى عباده و وجه قراءه أبى جعفر ظاهر.

### اللغه

الأمة على وجوه ذكرناها عند قوله تَلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ\* و هى هنا بمعنى المله و الدين.

### الإعراب

«مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ» نصب على الحال بالحق فى موضع الحال و العامل فيه أنزل و ذو الحال الكتاب «لِيُحْكُمَ» جار و مجرور و اللام يتعلق بأنزل و «بَغْيًا»

بَيْنَهُمْ» نصب على أنها مفعول له أى لم يوقعوا الاختلاف إلا للبعى و يجوز أن يكون مصدرا وقع موقع الحال و ما اسم موصول و اختلفوا صلته و اللام يتعلق بهدى و من الحق فى موضع الحال من الموصول و العامل فيه هدى و الباء فى ياذنه يتعلق بهدى أيضا.

## المعنى

ثم بين سبحانه أحوال من تقدم من الكفار تسليه للنبي فقال «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى ذوى أمه واحده أى أهل مله واحده و على دين واحد فحذف المضاف و اختلف فى أنهم على أى دين كانوا فقال قوم أنهم كانوا على الكفر و هو المروى عن ابن عباس فى إحدى الروايتين و الحسن و اختاره الجبائى ثم اختلفوا فى أى وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين آدم و نوح و قال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح إلى أن بعث الله إبراهيم و النبيين بعده و قال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي و هذا غير صحيح لأن الله بعث كثيرا من الأنبياء إلى المؤمنين فإن قيل كيف يجوز أن يكون الناس كلهم كفارا و الله تعالى لا يجوز أن يخلق الأرض من حجه له على خلقه قلنا يجوز أن يكون الحق هناك فى واحد أو جماعه قليله لم يمكنهم إظهار الدين خوفا و تقيه فلم يعتد بهم إذا كانت الغلبه للكفار و قال آخرون إنهم كانوا على الحق و هو المروى عن قتاده و مجاهد و عكرمه و الضحاك و ابن عباس فى الروايه الأخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس و قتاده هم كانوا بين آدم و نوح و هم عشر فرق كانوا على شريعه من الحق فاختلّفوا بعد ذلك و قال الواقدي و الكلبى هم أهل سفينه نوح حين غرق الله الخلق ثم اختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول هؤلاء «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» فاختلّفوا «فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ» و قال مجاهد المراد به آدم كان على الحق إماما لذريته فبعث الله النبيين فى ولده و

روى أصحابنا عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال كانوا قبل نوح أمه واحده على فطره الله لا مهتدين و لا ضلالا فبعث الله النبيين

و على هذا فالمعنى أنهم كانوا متعبدين بما فى عقولهم غير مهتدين إلى نبوه و لا شريعه ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم أن مصالحهم فيها «فَبَعَثَ اللَّهُ» أى أرسل الله «النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ» لمن أطاعهم بالجنه «و مُنذِرِينَ» لمن عصاهم بالنار «وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ» أى أنزل مع كل واحد منهم الكتاب و قيل معناه و أنزل مع بعثهم الكتاب إذ الأنبياء لم يكونوا منزلين حتى ينزل الكتاب معهم و أراد به مع بعضهم لأنه لم ينزل مع كل نبي كتاب و قيل المراد به الكتب لأن الكتاب اسم جنس فمعناه الجمع قوله «بِالْحَقِّ» أى بالصدق و العدل و قيل معناه و أنزل الكتاب بأنه حق و أنه من عند الله و قيل معناه و أنزل الكتاب بما فيه من بيان الحق و قوله «لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ» الضمير فى يحكم يرجع إلى

الله أى ليحكم الله منزل الكتاب و قيل يرجع إلى الكتاب أى ليحكم الكتاب فأضاف الحكم إلى الكتاب و إن كان الله هو الذى يحكم على جهه التفخيم لأمر الكتاب «فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ» من الحق قبل إنزال الكتاب و متى سئل عن هذا فقيل إذا كانوا مختلفين فى الحق فكيف عمهم الكفر فى قول من قال أنهم كانوا كلهم كفارا فجوابه أنه لا- يمتنع أن يكونوا كفارا و بعضهم يكفر من جهه الغلو و بعضهم يكفر من جهه التقصير كما كفرت اليهود و النصارى فى المسيح فقالت النصارى هو رب و قالت اليهود هو كاذب و قوله «وَمَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ» معناه و ما اختلف فى الحق إلا الذين أعطوا العلم به كاليهود فإنهم كتموا صفه النبى بعد ما أعطوا العلم به «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ» أى الأدله و الحجج الواضحه و قيل التوراه و الإنجيل و قيل معجزات محمد «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» أى ظلما و حسدا و طلبا للرئاسه و قوله «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ» معناه فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه و الأذن بمعنى العلم مشهور فى اللغه قال الحارث بن حلزه:

" آذنتنا بينها أسماء "

أى أعلمتنا و إنما خص المؤمنين لأنهم اقتصوا بالاهتداء و قيل إن معنى بإذنه بلطفه فعلى هذا يكون فى الكلام محذوف أى فاهتدوا بإذنه و إنما قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق و لم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان أولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بمن «وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» فيه أقوال (أحدها) أن المراد به البيان و الدلاله و الصراط المستقيم هو الإسلام و خص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائى (و ثانيها) أن المراد به يهديهم باللطف فيكون خاصا بمن علم من حاله أنه يصلح به عن البلخى و ابن الإخشيد (و ثالثها) أن المراد به يهديهم إلى صراط الجنه و يأخذ بهم على طريقها فتكون مخصوصا بالمؤمنين.

**سوره البقره (٢): آيه ٢١٤**

**اشاره**

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبُأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ زُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)

**القراءه**

قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع و الباقون بالنصب.

**الحجه**

من نصب فالمعنى و زلزلوا إلى أن قال الرسول و ما ينصب بعد حتى جاء

ص: ٦٠



من الأفعال على ضربين (أحدهما) أن يكون بمعنى إلى كما فى الآيه و الآخر أن يكون بمعنى كى كما تقول أسلمت حتى أدخل الجنه فهذا تقديره أسلمت كى أدخل الجنه فالإسلام قد كان و الدخول لم يكن و فى الوجه الأول كلا الفعلين السبب و المسبب قد مضى و أما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون إلا فعل حال و يجىء أيضا على ضربين (أحدهما) أن يكون الفعل الأول الذى هو السبب قد مضى و الفعل الثانى المسبب لم يمض كما تقول مرض حتى لا يرجونه و تتجه الآيه على هذا الوجه لأن المعنى زلزلوا فيما مضى حتى أن الرسول يقول الآن «مَتَى نَضْرُ اللَّهُ» و حكيت الحال التى كانوا عليها كما حكيت الحال فى قوله هذا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عِدُوِّهِ (و الثانى) أن يكون الفعلان جميعا قد مضيا نحو سرت حتى أدخلها فالدخول متصل بالسير بلا- فصل بينهما و الحال محكيه كما كانت فى الوجه الأول ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالا و حتى إذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها و ليست العاطفه و لا الجاره و إذا نصب الفعل بعدها فهى الجاره و ينصب الفعل بعدها بإضمار أن كما ينصب بعد اللام و الفعل و أن المضمرة معها فى موضع جر.

## اللغه

الزلزله شده الحركه و الزلزال البليه المزعجه لشده الحركه و الجمع زلازل و أصله من قولك زل الشىء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفه معناه نحو صر و صرصر و صل و صلصل فإذا قلت زلزله فتأويله كررت تحريكه عن مكانه.

## الإعراب

أم هذه هى المنقطعه و معناه بل أ حسبتم و الفرق بين أ حسبتم و أم حسبتم أن أم لا- تكون إلا متصله بكلام و الألف تكون مستأنفه. أن تدخلوا صله و موصول فى موضع نصب بأنه مفعول حسبتم و قد سدا مسد مفعوليه و قيل مفعوله الثانى محذوف و تقديره أم حسبتم دخولكم الجنه ثابتا و الجنه نصب لأنها ظرف مكان لتدخلوا و لما أصلها لم زيد عليها ما غيرت معناها كما غيرت معنى لو إذا قلت لو ما فصيرته بمعنى هلا- و الفرق بين لم و لما إن لما يصح أن يوقف عليها مثل قولك فى جواب من يقول أ قدم الأمير؟ لما و لا يجوز أن يقول لم و فى لما توقع لأنها عقبيه قد إذا انتظر قوم ركوب الأمير قلت قد ركب فإن نفيت هذا قلت لما يركب و ليس كذلك لم و يجمعهما نفى الماضى " مثل " مرفوع بأنه صفه محذوف مرفوع بياتى تقديره و لما يأتكم نصب مثل الذى أصاب الذين خلوا من قبلكم و إضافه مثل غير حقيقه لأنه فى تقدير الانفصال فالمجرور فى تقدير المنصوب لأنه مفعول و لما مع الجملة فى موضع نصب على الحال و الواو واو الحال و تقديره أن تدخلوا

الجنة غير مصابين و مستهم البأساء فى موضع الحال أيضا يا ضمار قد و العامل فىه خلوا و زلزلوا معطوفه على مستهم و نصر الله مبتداً و إضافته غير حقيقه و متى فى موضع خبر المبتداً.

## النزول

قيل نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافه و حوصر المسلمون فى المدينه فدعاهم الله إلى الصبر و وعدهم بالنصر عن قتاده و السدى و قيل نزلت فى حرب أحد لما قال عبد الله بن أبى لأصحاب النبى إلى متى تقتلون أنفسكم لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليه الأسر و القتل و قيل نزلت فى المهاجرين من أصحاب النبى (صلى الله عليه و آله) إلى المدينه إذ تركوا ديارهم و أموالهم و مسهم الضر عن عطا.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الأمم الخاليه تسليه لنبيه و لأصحابه فيما لهم من المشركين و أمثالهم لأن سماع أخبار الخيار الصالحين يرغب فى مثل أحوالهم فقال «أَمْ حَسِبْتُمْ» معناه بل أظننتم و خلتتم أيها المؤمنون «أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» معناه و لما تمتحنوا و تبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا و هذه استدعاء إلى الصبر و بعده الوعد بالنصر و المثل مثل الشبه و الشبه أى لم يصيبكم شبه الذين خلوا أى مضوا قبلكم من النبيين و المؤمنين و فى الكلام حذف و تقديره مثل محنه الذين أو مصيبه الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما أصاب أولئك فقال «مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَ الضَّرَاءُ» و المس و اللمس واحد و البأساء نقيض النعماء و الضراء نقيض السراء و قيل البأساء القتل و الضراء الفقر و قيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب و خروج من الأهل و المال و إخراج فمدحوا بذلك إذ توقعوا الفرج بالصبر «وَ زُلْزَلُوا» أى حركوا بأنواع البلايا و قيل معناه هنا أزعجوا بالمخافه من العدو و ذلك لفرط الحيره «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ» قيل هذا استعجال للموعد كما يفعله الممتحن و إنما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهه التمنى و قيل إن معناه الدعاء لله بالنصر و لا يجوز أن يكون على جهه الاستبطاء لنصر الله لأن الرسول يعلم أن الله لا يؤخره عن الوقت الذى توجهه الحكمة ثم أخبر الله سبحانه أنه ناصر أوليائه لا محاله فقال «أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» و قيل إن هذا من كلامهم بأنهم قالوا عند الإياس «مَتَى نَصِيرُ اللَّهِ» ثم تفكروا فعلموا أن الله منجز وعده فقالوا «أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» و قيل أنه ذكر كلام الرسول و المؤمنين جمله و تفصيلا و قال المؤمنون «مَتَى نَصِيرُ اللَّهِ» و قال الرسول «أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» كقوله جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ أى لتسكنوا بالليل و لتبتغوا من فضله بالنهار.

## اشاره

يَسِّرْ لَكُمْ مَا ذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْأَيْتَامِ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

## اللغه

النفقه إخراج الشىء من الملك بيع أو هبه أو صلّه أو نحو ذلك وقد غلب فى العرف على إخراج ما كان من المال من عين أو ورق و السؤال طلب الجواب بصيغه مخصوصه من الكلام.

## الإعراب

موضع ما من قوله «ما ذَا يُنْفِقُونَ» يحتمل أن يكون مرفوعا أو منصوبا فأما الرفع فيكون على تقدير ما الذى ينفقون أى شىء الذى ينفقونه والعائد من الصلّه محذوف و يكون ذا موصولا بمنزله الذى و ينفقون صلته و النصب على تقدير أى شىء ينفقون فيكون ما و ذا بمنزله شىء واحد و يكون ذا لغوا لأن ما مفيده للمعنى و ما من قوله «ما أَنْفَقْتُمْ» اسم للشرط فى محل الرفع بالابتداء و أنفقتم فى محل الجزم بما من خير جار و مجرور فى موضع الحال و من للتبيين و تقديره ما أنفقتم كائنا من خير فذو الحال الضمير المحذوف من الصلّه فللوالدين الجار و المجرور خبر مبتدأ محذوف و المبتدأ و الخبر فى محل الرفع لوقوعهما بعد الفاء و الفاء مع ما بعده جواب للشرط و معنى حرف الشرط الذى تضمنه ما مع الشرط و الجزاء فى موضع رفع لأنها خبر المبتدأ الأول «و ما تَفَعَّلُوا» ما اسم شرط فى محل النصب بتفعلوا و يجوز أن يكون ما فى أنفقتم أيضا منصوب الموضع بأنفقتم فيكون مفعولا له.

## النزول

نزلت فى عمرو بن الجموح و كان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بما ذا أتصدق و على من أتصدق فأنزل الله هذه الآيه.

## المعنى

«يَسِّرْ لَكُمْ» يا محمد «ما ذَا» إلى أى شىء ينفقون و السؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فإنهم قد علموا أن الأمر وقع بإنفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقه و على من ينفق فقال قل يا محمد «ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» أى مال فدل على أن له مقدارا و أنه مما ينتفع به لأن ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا «فَلِلْوَالِدَيْنِ»

وَ الْأَقْرَبِينَ» و المراد بالوالدين الأب و الأم و الجد و الجده و إن علوا لأنهم يدخلون فى اسم الوالدين و المراد بالأقربين أقارب المعطى «وَ الْيَتَامَى» أى كل من لا أب له مع صغره «وَ الْمَسَاكِينَ» الفقراء «وَ ابْنِ السَّبِيلِ» المنقطع به و اختلفوا فى هذه النفقه فقال الحسن المراد به نفقه التطوع على من لا- يجوز وضع الزكاه عنده و الزكاه لمن يجوز وضع الزكاه عنده فهى عامه فى الزكاه المفروضه و فى التطوع و قال السدى الآيه و ارده فى الزكاه ثم نسخت ببيان مصارف الزكاه و الأول أظهر لأنه لا دليل على نسخها و اتفق العلماء على أنه لا يجوز دفع الزكاه إلى الأب و الأم و الجد و الجده و إلى الأولاد فأما النفقه فلا خلاف أن النفقه على الوالدين إذا كانا فقيرين واجبه و أما النفقه على ذى الرحم فلا يجب عندنا و عند الشافعى و يجب عند أبى حنيفه و قوله «وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ» أى من عمل صالح يقربكم إلى الله «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» يجازيكم به من غير أن يضيع منه شىء لأنه تعالى لا يخفى عليه شىء.

## النظم

و وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أن الآيه الأولى فيها دعاء إلى الصبر على الجهاد فى سبيل الله و فى هذه الآيه بيان لوجه النفقه فى سبيل الله و كل ذلك دعاء إلى فعل البر و الطاعه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢١٦

### اشاره

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)

### اللغه

الكره بالفتح المشقه التى تحمل على النفس و الكره بالضم المشقه حمل على النفس أو لم يحمل و قيل الكره الكراهه و الكره المشقه و قد يكره الإنسان ما لا يشق عليه و قد يشق عليه ما لا يكرهه و قيل الكره و الكره لغتان مثل الضعف و الضعف و الخير نقيض الشر و الخير النفع الحسن و الشر الضرر القبيح و هذا هو الأصل ثم يستعملان فى غير ذلك توسعا يقال شر يشر شراره و شرار النار و شررها لهيها و شره الشباب نشاطه و تشيرير اللحم أو الثوب أن تبسطه ليحف و الأشرار الإظهار.

### الإعراب

«وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ» فيه حذف و تقديره و هو ذو كره لكم و يجوز أن يكون

معناه و هو مكروه لكم فوقع المصدر موقع المفعول و مثله رجل رضا أى ذو رضا و يجوز أن يكون بمعنى مرضى «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا» موضع أن تكرهوا رفع بأنه فاعل عسى و عسى هذه تامه لأنها تمت بالفاعل و لم تحتج إلى خبر.

## المعنى

هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحه لمن أمر به قال سبحانه «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ» أى فرض عليكم الجهاد فى سبيل الله «وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ» أى شاق عليكم تكرهونه كراهه طباع لا على وجه السخط و قد يكون الشىء مكروها عند الإنسان فى طبعه و من حيث تنفر نفسه عنه و إن كان يريد له لأن الله تعالى أمره بذلك كالصوم فى الصيف و قيل معناه أنه مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم لأن المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا» معناه و قد تكرهون شيئا فى الحال و هو خير لكم فى عاقبه أموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطره بالروح «وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» لأن لكم فى الجهاد إحدى الحسنين إما الظفر و الغنيمه و إما الشهاده و الجنه «وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ» أى و قد تحبون ما هو شر لكم و هو القعود عن الجهاد لمحبه الحياه و هو شر لما فيه من الذل و الفقر فى الدنيا و حرمان الغنيمه و الأجر فى العقبى «وَاللَّهُ يَعْلَمُ» أى يعلم ما فيه مصالحكم و منافعكم و ما هو خير لكم فى عاقبه أمركم «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به و إن شق عليكم و أجمع المفسرون إلا- عطاء إن هذه الآية داله على وجوب الجهاد و فرضه غير أنه فرض على الكفايه حتى أن لو قعد جميع الناس عنه أثموا به و إن قام به من فى قيامه كفايه و غناء سقط عن الباقيين و قال عطاء إن ذلك كان واجبا على الصحابه و لم يجب على غيرهم و قوله شاذ عن الإجماع.

## اشاره

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اشْتَرَعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)

## اللغة

الصد والمنع و الصرف نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدودا و صدا إذا عرض و عدل عنه و صد غيره يصدده صدا إذا عدل به عنه و منعه و الصدد ما استقبلك و صار في قبالتك لأنه يعدل إلى مواجعتك و الصدان ناحيتا الشعب و الوادى و الصداد ضرب من الجرذان يعد لك لشده تحرزه و الصداد الوزغ لأنه يعدل عنه استقدارا له و أصل الباب العدو. لا يزال أصله من الزوال و هو العدول و معنى لا يزال يدوم موجودا و ما زال أى دام.

و حبط عمل الرجل حبطا و حبوطا و أحبطه الله إحباطا و الحبط فساد يلحق الماشيه فى بطونها لأكل الحباط و هو ضرب من الكلا يقال حبطت الإبل تحبط حبطا إذا أصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطا و

فى الحديث أن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم

. الإعراب

قتال فيه مجرور على البدل من الشهر و هو بدل الاشتمال لأن الزمان يشتمل على ما يقع فيه و مثله فى المكان قوله «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ» النار و قال الأعشى:

لقد كان فى حول ثواء ثوبته

تقضى لبانات و يسأم سائم

و قال الكوفيون هو مجرور على إضمار عن و قال بعضهم هو على التكرير و هذه ألفاظ متقاربه فى المعنى و إن اختلف فى العبارة عنه و قوله «قِتَالٍ» مرفوع بالابتداء و كبير خبره «وَ صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» مبتدأ «وَ كُفْرٌ بِهِ» معطوف عليه «وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ» معطوف عليه أيضا و خبره «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» أى هذه الأشياء أكبر عند الله أى أعظم إثما و أجاز الفراء رفعه على وجهين (أحدهما) أنه مردود على كبير أى «قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ» أى القتال قد جمع أنه كبير و أنه صد عن سبيل الله و كفر به (و الآخر) أن يجعل الصد الكبير أى القتال فيه كبير و الصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعا بالابتداء و خبره محذوف و خطأ العلماء بالنحو قالوا لأنه يصير المعنى فى التقدير الأول قل القتال فى الشهر الحرام كفر بالله و هذا خطأ بالإجماع و يصير التقدير فى الثانى و إخراج أهله منه أكبر عند الله من الكفر و هذا أيضا خطأ بالإجماع و للفراء أن يقول فى هذه: المعنى و إخراج

أهله منه أكبر من

ص: ٦٦

القتل فيه لا- من الكفر به لأن المعنى فى إخراج أهله منه إخراج النبى و المؤمنين بعده فأما الوجه الأول فلا مخلص للفراء منه و المسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كأنه قال و صد عن سبيل الله و عن المسجد الحرام و هو قول المبرد و قيل أنه عطف على الشهر الحرام كأنه قال يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام و المسجد الحرام و هو قول الفراء و لا يجوز حمله على الباء فى قوله «وَ كُفِّرَ بِهِ» لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار إلا فى ضروره الشعر و من يردد على إظهار التضعيف لسكون الثانى و يجوز يردد بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات و يجوز بكسر الدال على أصل التحريك لالتقاء الساكنين و الفتح أجود.

## النزول

قال المفسرون بعث رسول الله سريره من المسلمين و أمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدى و هو ابن عمه النبى ص و ذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخله فوجدوا بها عمرو بن الحضرمى فى غير تجاره لقريش فى آخر يوم من جمادى الآخرة و كانوا يرون أنه من جمادى و هو رجب فاختصم المسلمون فقال قائل منهم هذه غره من عدو و غنم رزقتموه و لا ندرى أ من الشهر الحرام هذا اليوم أم لا و قال قائل منهم لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام و لا نرى أن تستحلوه لطمع أشقيتم عليه فغلب على الأمر الذى يريدون عرض الحياه الدنيا فشدوا على ابن الحضرمى فقتلوه و غنموا غيره فبلغ ذلك كفار قريش و كان ابن الحضرمى أول قتيل قتل بين المشركين و المسلمين و ذلك أول فى ء أصابه المسلمون فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبى ص فقالوا أ يحل القتال فى الشهر الحرام فأنزل الله هذه الآية.

## المعنى

«يَسْأَلُونَكَ» يا محمد و السائلون أهل الشرك على جهه العيب للمسلمين باستحلالهم القتال فى الشهر الحرام عن الحسن و أكثر المفسرين و قيل السائلون أهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه «عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» يعنى عن قتال فى الشهر الحرام و هو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه و لعظم حرمة و لذلك كان يسمى فى الجاهليه منزع الأسنان و منصل الأمل لأنهم كانوا ينزعون الأسنان و النصال عند دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه و كان يدعى الأصم لأنه لا يسمع فيه فقععه السلاح فنسب الصمم إليه كما قيل ليل نائم و سر كاتم فكان الناس لا يخاف بعضهم بعضا و تأمن



السبل إلى أن ينقضى الشهر «قُل» يا محمد «قِتَالٍ فِيهِ» أى فى الشهر الحرام «كَبِيرٌ» أى ذنب عظيم ثم استأنفه و قال «وَ صَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ» أى و الصد عن سبيل الله و الكفر بالله «وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى و الصد عن المسجد الحرام و على القول الآخر معناه يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام و قيل معناه و الكفر و المسجد الحرام عن الجبائى فحملة عن الباء فى قوله «وَ كُفْرٌ بِهِ» «وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ» يعنى أهل المسجد و هم المسلمون و «مِنَهُ» أى من المسجد «أَكْبَرُ» أى أعظم وزرا «عِنْدَ اللَّهِ» يعنى إخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا إلى المدينة و الظاهر يدل على أن القتال فى الشهر الحرام كان محرما لقوله «قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و ذلك لا- يقال إلا فيما هو محرم محذور و قيل أن النبى ص عقل ابن الحضرمى و قوله «وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» معناه الفتنة فى الدين و هو الكفر أعظم من القتل فى الشهر الحرام يعنى قتل ابن الحضرمى و قال قتاده و غيره أن تحريم القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام منسوخ بقوله «وَ قَاتِلُوهُمْ حَيْثُ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ» و بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و قال عطاء هو باق على التحريم و عندنا أنه باق على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة و لا يبتدون فيها بالقتال و كذلك فى الحرم و إنما أباح الله تعالى للنبى ص قتال أهل مكة عام الفتح

فقال (عليه السلام) إن الله أحلها لى فى هذه الساعة و لا يحلها لأحد من بعدى إلى يوم القيامة

و من لا يرى منهم حرمة الحرم و حرمة هذه الأشهر جاز قتاله أى وقت كان و التحريم منسوخ فى حقه و قوله تعالى: «وَ لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ» يعنى أهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين «حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ» أى يصرفوكم عن دين الإسلام و يلجئوكم إلى الارتداد «إِنْ اسْتَطَاعُوا» أى إن قدروا على ذلك «وَ مَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ» هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه «فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ» يعنى مات على كفره «فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» معناه أنها صارت بمنزله ما لم يكن لإيقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به لأن إحباط العمل و إبطاله عبارته عن وقوعه على خلاف الوجه الذى يستحق عليه الثواب و ليس المراد أنهم استحقوقا على أعمالهم الثواب ثم انحبط لأنه قد دل الدليل على أن الإحباط على هذا الوجه لا يجوز «وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون.

النظم

نظم الآيه و تقديرها يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام فقل ذلك كبير و لكن الكفر بالله و صد المسلمين عن بيت الله و دينه و إخراجهم عن أوطانهم أعظم عند الله و أكبر وزرا و هؤلاء الكفار مع هذه الأفعال يقاتلونكم ليردوكم عن

ص: ٦٨

الدين فكل واحد من هذا أعظم مما سألوا عنه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢١٨

### اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)

### اللغه

الهجر ضد الوصل يقال هجره يهجره هجرانا و هجرا و هجره إذا قطع مواصلته و هجر المريض يهجر هجرا إذا قال ما ينبغي أن يهجر من الكلام و سموا المهاجرين لهجرتهم قومهم و أرضهم و إنما أطلق على هؤلاء اللفظ الذى يقع على الاثنين لأن كل واحد من هؤلاء فعل مثل فعل صاحبه و ترك ما تركه اختيارا لصحبه النبي و جاهدت العدو مجاهده و جهادا إذا حملت نفسك على المشقه فى قتاله و الرجاء الأمل و قوله ما لكم لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً أى لا تخافون و قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها

و خالفها فى بيت نوب عوامل

أى لم يخف و ذلك أن الرجاء للشىء معه الخوف من أن لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء.

### النزول

نزلت الآيه فى قصه عبد الله بن جحش و أصحابه لما قاتلوا فى رجب و قتل واقد السهمى ابن الخضرمى فظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فأنزل الله الآيه فيهم بالوعد.

### المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا» أى قطعوا عشائرهم و فارقوا منازلهم و تركوا أموالهم «وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى قاتلوا الكفار فى طاعه الله التى هى سبيله المشروعه لعباده و إنما جمع بين هذه الأشياء لبيان فضلها و الترغيب فيها لا لأن الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد «أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ» أى يأملون نعمه الله فى الدنيا و العقبى و هى النصره فى الدنيا و المثوبه فى العقبى «وَاللَّهُ غَفُورٌ» يغفر ذنوبهم «رَحِيمٌ» يرحمهم و إنما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين و إن كانوا يستحقون الثواب قطعا و يقينا لأنهم لا يدرون ما يكون منهم فى

المستقبل الإقامه على طاعه الله أو الانقلاب عنها إلى معصيه الله و وجه آخر و هو الصحيح و هو أن يرجوا رحمه الله في غفران معاصيهم التي لم يتفق لهم التوبه منها و اخترموا دونها فهم يرجون أن يسقط الله عقابها عنهم تفضلاً فأما الوجه الأول فإنما يصح على مذهب من يجوز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه أو يفعل في المستقبل كبيره تحبط ثواب إيمانه و هذا لا يصح على مذهبنا في الموافاه و قال الحسن أراد به إيجاب الرجاء و الطمع على المؤمنين لأن رجاء رحمه الله من أركان الدين و اليأس من رحمته كفر كما قال «لا- يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» الآية و الأمن من عذابه خسران كما قال «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» فمن الواجب على المؤمن أن لا- ييأس من رحمته و أن لا- يأمن من عقوبته و يؤيده قوله تعالى «يَخِذِرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ» و قوله «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا» و ليس في الآية دلالة على أن من مات مصراً على كبيره لا يرجو رحمه الله لأمرين (أحدهما) أن الدليل المفهوم غير صحيح عند أكثر المحصلين (و الآخر) أنه قد يجتمع عندنا الإيمان و الهجره و الجهاد مع ارتكاب الكبيره و لا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له.

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر في الأولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف و الرجاء إذ ذاك أحق بتدبير الحكماء و أوكد في الاستدعاء.

**سوره البقره (٢): الآيات ٢١٩ الى ٢٢٠**

**اشاره**

يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَ يَسْتَلُونَكَ مَا ذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَقْتُكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

ص: ٧٠

آيتان فى الكوفى و آيه واحده فى الكوفى تتفكرون آيه و تركها غيره.

## القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم إثم كثير بالباء و الباقون بالباء و قرأ أبو عمرو وحده قل العفو بالرفع و الباقون بالنصب.

## الحجه

قال أبو على حجه من قرأ بالباء أن يقول الباء أولى لأن الكبر مثل العظم و مقابله الصغر و الكبير العظيم قال تعالى: «وَكُلُّ صَيْغِرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ» و قد استعملوا فى الذنب إذا كان موبقا الكبيره كقوله «كَبَائِرٌ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ» و «كَبَائِرٌ الْإِثْمِ» فلذلك ينبغى أن يكون قوله «قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ» بالباء لأن شرب الخمر و الميسر من الكبيره و قالوا فى غير الموبق صغير و صغيره و لم يقولوا قليل و مقابل الكثير القليل كما أن مقابل الكبير الصغير و يدل على ذلك أيضا قوله «وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» و اتفاقهم هنا على أكبر و رفضهم لأكثر و وجه من قرأ بالباء أنه قد جاء فيهم إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء فى الخمر و الميسر وَ يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ وَ

فى الحديث لعن الرسول فى الخمر عشره مشتريها و المشتراه له و عاصرها و المعصوره له و ساقيتها و المستقى لها و حاملها و المحموله إليه و آكل ثمنها

فهذا يقوى قراءه من قرأ كثير و أما وجه قول من نصب العفو فهو أن قولهم ما ذا يستعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون ما مع ذا اسما واحدا (و الآخر) أن يكون ذا بمعنى الذى فالأول قول العرب عما ذا تسأل أثبتوا الألف فى ما لما كان ما مع ذا بمنزله اسم واحد فإن الحذف إنما يقع إذا كانت الألف آخرًا و من ذلك قول الشاعر:

يا خزر تغلب ما ذا بال نسوتكم

لا يستفقتن إلى الدينين تحتانا

أى ما بال نسوتكم فإذا كان ما مع ذا بمنزله اسم واحد كان قوله «ما ذا يُنْفِقُونَ» فى موضع نصب بمنزله ما ينفقون أى ما ينفقون فجواب هذا العفو بالنصب و أما وجه قول من رفع فهو أن يجعل ما ذا على الضرب الآخر فيكون تقديره ما الذى ينفقون فجوابه العفو على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى الذى ينفقون العفو و مثله فى التنزيل و إذا قيل لَهُمْ ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ و اعلم أن سيبويه لا يجوز أن يكون ذا بمنزله الذى إلا فى هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك و الكوفيون يجيزون فى غير هذا الموضع

و يحتجون بقول الشاعر:

عدس ما لعباد عليك إماره

نجوت و هذا تحمليين طليق

و بقوله سبحانه وَ مَا تَلْكَ بِبِئْسَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى و لا دلاله لهم فى الآيه فإن قوله بِبِئْسَ بِيَمِينِكَ يجوز أن يكون ظرفا فى موضع الحال فلا يكون صلة و كذلك تحمليين فى البيت و العامل فى الحال فى الموضعين ما فى المبهم من معنى الفعل.

## اللغة

الخمير أصله الستر و الخمير ما واراك من الشجر و غيره و منه الخمار للمقنعه و دخل فى خمار الناس أى فى الكثير الذى يستتر فيهم و يقال خامره الداء إذا خالطه قال كثير:

هنيئا مريئا غير داء مخامر

لعزه من أعراضنا ما استحلحت

و خمرت الإناء أى غطيته و

فى الحديث كان النبى يسجد على الخمره

و هى السجاده الصغيره من الحصير سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض قال الزجاج و قد لبس على أبى الأسود الدؤلى فقيل له أن هذا المسكر الذى سموه بغير الخمر حلال فظن أن ذلك كما قيل له ثم رده طبعه إلى أن حكم بأنهما واحد فقال له:

دع الخمر تشربها الغواه فإننى

رأيت أخاها مجزيا بمكانها

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه

أخوها غذته أمه بلبانها

و أصل الباب الستر و الميسر القمار اشتق من اليسر و هو وجوب الشىء لصاحبه من قولك يسر لى هذا الشىء يسر يسرا و ميسرا إذا وجب لك و الياسر الواجب بقдах و جب لك أو غيره و قيل للمقامر ياسر و يسر قال النابغه:

أو ياسر ذهب القдах بوفره

أسف تأكله الصديق مخلع

أى قامر و قيل أخذ من التجزئه لأن كل شىء جزأته فقد يسرته و الياسر الجازر و الميسر الجزور و قيل أخذ من اليسر و هو السهوله لأنهم كانوا يشتركون فى الجزور ليسهل

ص: ٧٢

أمرها إلا أنه على جهه القمار و العفو مأخوذ من الزيادة و منه قيل حتى عفوا أى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر:

و لكننا يعرض السيف منا

بأسوق عافيات الشحم كوم

أى زائدات الشحم و قيل هو مأخوذ من الترك من قوله فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ أَى ترك و منه

قوله عفوت لكم عن صدقه الخيل

أى تركتها فيكون العفو المتروك غنى عنه و المخالطه مجامعه يتعذر معها التمييز كمخالطه الخل للماء و ما أشبهه و الخليطان الشريكان لاختلاط أموالهما و الخليط: القوم أمرهم واحد و الإعانت الحمل على مشقه لا تطاق ثقلا و عنت العظم عنتا أصابه و هن أو كسر بعد جبر و عنت عنتا إذا اكتسب مأثما و تعنته تعنتا إذا لبس عليه فى سؤاله له و الأ-كمه العنوت الطويله و أصل الباب المشقه و الشده.

## الإعراب

العامل فى الظرف من قوله «فِي الدُّنْيَا وَ الْمَآخِرَةِ» قوله «يُيَبِّئُ» أى مبين لكم الآيات فى أمر الدنيا و الآ-خره و يجوز أن يكون تتفكرون أيضا أى تتفكرون فى أمر الدنيا و أمر الآ-خره و قوله «فَيَا إِخْوَانُكُمْ» رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره فهم إخوانكم و يجوز فى العرييه فإخوانكم على النصب على تقدير فإخوانكم يخاطبون و الوجه الرفع.

## النزول

نزلت فى جماعه من الصحابه أتوا رسول الله ص فقالوا أفتنا فى الخمر و الميسر فإنها مذهبه للعقل مسلبه للمال فنزلت الآية.

## المعنى

ثم عاد سبحانه إلى بيان الشرائع و الأحكام فقال «يَسْتَأْذِنُكُمْ» يا محمد «عَنِ الْخَمْرِ» و هى كل شراب مسكر مخالط للعقل مغط عليه و ما أسكر كثيره فقليله خمر هذا هو الظاهر فى روايات أصحابنا و هو مذهب الشافعى و قيل الخمر عصير العنب إذا اشتد و غلى و هو مذهب أبى حنيفه «وَ الْمَيْسِرِ» و

هو القمار كله عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و قتاده و الحسن و هو المروى عن أئمتنا حتى قالوا أن لعب الصبيان بالجوز هو القمار

«قُلْ فِيهِمَا» أى فى الخمر و الميسر «إِنَّكُمْ كَبِيرٌ» أى وزر عظيم و كثير من الكثره «وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ» منفعه الخمر ما كانوا يأخذونه فى أثمانها و ما يحصل من اللذه و الطرب و القوه بشربها و منفعه القمار هو أن يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كد و لا مشقه و يرتفق به الفقراء «وَ إِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» أى ما فيهما من الإثم أكبر مما فيهما من النفع لأن نفعهما فى الدنيا و ما يحصل من

الإثم بهما يوجب سخط الله في الآخرة فلا

ص: ٧٣



يظهر في جنبه إلا نفع قليل لا بقاء له قال الحسن في الآية تحريم الخمر من وجهين (أحدهما) قوله «وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ» فإنه إذا زادت مضرة الشيء على منفعته اقتضى العقل الامتناع عنه (و الثاني) أنه بين أن فيهما الإثم وقد حرم في آية أخرى الإثم فقال قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ قِيلَ إِنَّ الْخَمْرَ يُسَمَّى إِثْمًا فِي اللُّغَةِ قَالَ الشَّاعِرُ:

شربت الإثم حتى ضل عقلي

كذاك الإثم يصنع بالعقول

على أنه قد وصف الإثم بأنه كبير و الكبير محرم بلا خلاف و قال الضحاك معناه و إثمهما بعد تحريمهما أكبر من نفعهما قبل تحريمهما و قال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعني أن الإثم الذي يحدث من أسبابهما أكبر من نفعهما و قال قتاده هذه الآية لا تدل على تحريمهما و إنما تدل الآية التي في المائدة من قوله «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ إِلَى آخِرِهَا وَ قَوْلُهُ «وَ يَسِيئُلُونَكَ مَا إِذَا يُنْفِقُونَ» أَي شَيْءٌ يَنْفِقُونَ وَ السَّائِلُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ سَأَلَ عَنِ النَّفَقَةِ فِي الْجِهَادِ وَ قِيلَ فِي الصَّدَقَاتِ «قُلِ الْعَفْوَ» فِيهِ أَقْوَالٌ (أحدها) أنه ما فضل عن الأهل و العيال أو الفضل عن الغنى عن ابن عباس و قتاده (و ثانيها)

أن العفو الوسط من غير إسراف و لا إقتار عن الحسن و عطا و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

(و ثالثها)

أن العفو ما فضل عن قوت السنه عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال و نسخ ذلك بآيه الزكاه

و به قال السدي (و رابعها) أن العفو أطيب المال و أفضله و قوله «كَذَلِكَ» إنما وحد الكاف لأن الخطاب للنبي و يدخل فيه الأمة و قيل أن تقديره كذلك أيها القبيل «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ» أي الحجج في أمر النفقه و الخمر و الميسر و قيل في سائر شرائع الإسلام «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» أي لكي تتفكروا «فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» أي في أمر الدنيا و أمر الآخرة فتعلمون أن الدنيا دار بلاء و عناء و فناء و الآخرة دار جزاء و بقاء فتزهدوا في هذه و ترغبوا في تلك و قيل أنه من صله يبين أي كما يبين لكم الآيات في الخمر و الميسر يبين لكم الآيات في أمور الدنيا و الآخرة لكي تتفكروا في ذلك دلالة على أن الله أراد منهم التفكر سواء تفكروا أو لم يتفكروا «وَ يَسِيئُلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى» قال ابن عباس لما أنزل الله وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ\* الآية وَ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه و شرابه من شرابه و اشتد ذلك عليهم فسألوا عنه فنزلت هذه الآية و لا بد من إضمار في الكلام لأن السؤال لم يقع عن أشخاص اليتامى و لا ورد الجواب عنها فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى أو التصرف في أموال اليتامى قل يا

محمد «إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ» يعنى إصلاح لأموالهم من غير أجره و لا- أخذ عوض منهم خير و أعظم أجرا «وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ» أى تشاركوهم فى أموالهم و تخلطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضا عن قيامكم بأموالهم «فَإِخْوَانُكُمْ»

أى فهم إخوانكم و الإخوان يعين بعضهم بعضا و يصيب بعضهم من مال بعض و هذا إذن لهم فيما كانوا يتخرجون منه من مخالطة الأيتام فى الأموال من المأكل و المشرب و المسكن و نحو ذلك و رخصه لهم فى ذلك إذا تحروا الصلاح بالتوفير على الأيتام عن الحسن و غيره و هو المروى فى أخبارنا

«وَ اللَّهُ يَغْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ» معناه و الله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى إفساد مالهم أو إصلاح مالهم «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَأَعَنْتَكُمْ» أى لضيق عليكم فى أمر اليتامى و مخالطتهم و ألزمتهم و ألتزمتهم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم و قال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق عليكم فتعتون و لكنه لم يفعل و فى هذا دلالة على بطلان قول المجبره لأنه سبحانه إذا لم يشأ إعانتهم و لو أعتنهم لكان جائزا حسنا لكنه وسع عليهم لما فى التوسعه من النعمه فكيف يصح أن يشأ تكليف ما لا- يطاق و كيف يكلف ما لا سبيل للمكلف إليه و يأمره بما لا يتصور إحداثه من جهته و أى عنت أعظم من هذا قال البلخى و فيه أيضا دلالة على فساد مذهب من قال أنه تعالى لا يقدر على الظلم لأن الإعانت بتكليف ما لا يجوز فى الحكمة مقدور و لو شاء لفعله «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» يفعل بعزته ما يحب لا يدفعه عنه دافع «حَكِيمٌ» فى تدبيره و أفعاله ليس له عما توجه الحكمة مانع.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٢١

### اشاره

وَ لَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَ لَأَمَّهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)

### اللغه

النكاح اسم يقع على العقد و الوطاء و قيل أن أصله الوطاء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما أن الحدث يسمى عذره و هى اسم للفناء و يسمى غائطا و هو اسم للمكان

المطمئن يقال نكح ينكح نكاحا إذا تزوج و أنكحه غيره زوجه و الأمه المملوكه يقال أمه بينه الأموه و أميت فلانه و تأميتها إذا جعلتها أمه و أصل أمه فعله بدلاله قولهم فى جمعها إماء و آم نحو أكمه و إكام و آكم.

## الإعراب

يؤمن فى محل النصب بأن مضمرة و أن يؤمن فى موضع جر بحتى و حتى يتعلق بتنكح و من مشرکه من يتعلق بخير و الجار و المجرور فى محل النصب بأنه مفعول به و لو أعجبتكم جواب لو محذوف تقديره و لو أعجبتكم أمه مشرکه لأمه مؤمنه خير منها و لا تنكحوا المشركين المفعول الثانى محذوف تقديره و لا تنكحوا المشركين الأزواج حتى يؤمنوا و إعراب قوله «حَتَّى يُؤْمِنُوا» و قوله «وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ» مثل ما قلناه فى حتى يؤمن و لو أعجبتكم.

## النزول

نزلت فى مرثد بن أبى مرثد الغنوى بعثه رسول الله إلى مکه ليخرج منها ناسا من المسلمين و كان قويا شجاعا فدعته امرأه يقال لها عناق إلى نفسها فأبى و كانت خله فى الجاهليه فقالت هل لك أن تتزوج بى فقال حتى أستأذن رسول الله فلما رجع استأذن فى التزوج بها فنزلت الآية.

## المعنى

لما تقدم ذكر المخالطه بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» أى لا تتزوجوا النساء الكافرات «حَتَّى يُؤْمِنَ» أى يصدقن بالله و رسوله و هى عامه عندنا فى تحريم مناكحه جميع الكفار من أهل الكتاب و غيرهم و ليست بمنسوخه و لا مخصوصه و اختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على أهل الكتاب و قد فصل الله بينهما فقال لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ مَا يَؤُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ وَ عطف أحدهما على الآخر فلا نسخ فى الآية و لا- تخصيص و قال بعضهم الآية متناوله جميع الكفار و الشرك يطلق على الكل و من جحد نبوه نبينا محمد (صلى الله عليه و آله) فقد أنكر معجزه و أضافه إلى غير الله و هذا هو الشرك بعينه لأن المعجز شهاده من الله له بالنبوه ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال أن الآية منسوخه فى الكتاب بالآيه التى فى المائده وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و منهم من قال أنها مخصوصه بغير الكتابيات عن قتاده و سعيد بن جبير و منهم من قال أنها على ظاهرها فى تحريم نكاح كل كافر كتابيه كانت أو مشرکه عن ابن عمر

و بعض الزيديه و هو مذهبنا و سيأتى بيان آيه المائده فى موضعها إن شاء الله «و لَمَّا مَنَّ مُؤْمِنُهُ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكِهِ» معناه مملوكه مصدقه مسلمه خير من حره مشركه «و لَوْ أَعْجَبْتُمْ» و لو أعجبكم بمالها أو حسبها أو جمالها و ظاهر هذا يدل على أنه يجوز نكاح الأمه المؤمنه مع وجود الطول فأما قوله «و مَنْ لَمْ يَشِ تَطَّعْ مِنْكُمْ طَوَّلًا الْآيَهُ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى التَّنْزِيهِ دُونَ التَّحْرِيمِ» «و لَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا» معناه و لا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من أهل الكتاب و غيرهم حتى يؤمنوا و هذا يؤيد قول من يقول أن قوله «و لَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكَاتِ» يتناول جميع الكافرات و قوله «و لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ» أى عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك و لو أعجبكم ماله أو حاله أو جماله و الفرق بين و لو أعجبكم و بين و إن أعجبكم أن لو للماضى و إن للمستقبل و كلاهما يصح فى معنى الآيه و هو من العجب الذى هو بمعنى الاستعظام و ليس من التعجب «أُولَئِكَ» يعنى المشركين «يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» يعنى إلى الكفر و المعاصى التى هى سبب دخول النار و هذا مثل التعليل لأن الغالب أن الزوج يدعو زوجته إلى دينه «و اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ» أى إلى فعل ما يوجب الجنة «و الْمَغْفِرَةَ» من الإيمان و الطاعه «بِإِذْنِهِ» أى بأمره يعنى بما يأمر و يأذن فيه من الشرائع و الأحكام عن الحسن و الجبائى و قيل بإعلامه و قوله «و يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ» أى حججه و قيل أوامره و نواهيه و ما يحظره و يبيحه للناس «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتذكروا أو يتعظوا.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٢٢

### إشارة

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)

### القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء و الهاء و الباقون بالتخفيف.

### الحججه

من قرأ «يَطْهُرْنَ» فإنه من طهرت المرأة و طهرت طهرا و طهاره و طهرت بالفتح أقيس لأنه خلاف طمشت فينبغى أن يكون على بنائه و أيضا فقولهم طاهر يدل على أنه مثل قعد فهو قاعد و من قرأ يطهرن فإنه يتطهرن فأدغم التاء فى الطاء.

### اللغه

حاضت المرأة تحيض حيضا و محيضا و محاضا و المصدر من هذا الباب

المفعل و المفعل جائر فيه قال الراعى:

بنيت مرافقهن فوق مزله

لا يستطيع بها القراد مقيلا

أى قيلولة و امرأه حائض و نساء حيض و الاعتزال التنحى عن الشىء و كل شىء نحيته عن موضع فقد عزلته عنه و منه عزل الوالى و أنت عن هذا بمعزل أى متنحى و عزلاء المزاده مخرج الماء من إحدى جانبيها و الجمع عزال و المعزال من الناس الذى لا ينزل مع القوم فى السفر لكنه ينزل ناحيه و الطهر خلاف الدنس و الطهور يكون اسما و يكون صفة فإذا كان اسما كان على ضربين (أحدهما) أن يكون مصدرا كما حكاه سيبويه تطهرت طهورا حسنا و توضأت وضوءا (و الآخر) أن يكون اسما ليس بمصدر كما جاء فى قوله (طهورا ناء أحدكم) كذا و هو اسم لما يطهر كالفطور و الوجور و السعوط و السحور و أما كونه صفة فهو فى قوله «وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» فهذا كالرسول و العجوز و نحو ذلك من الصفات التى جاءت على فعول و لا دلالة فيه على التكرير لما لم يكن متعديا نحو ضروب أ لا ترى أن فعله غير متعد كما يتعدى ضربت و من الصفة قوله هو الطهور مأؤه لأنه ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفة المتقدمه.

## الإعراب

من حيث جار و مجرور و لكن حيث مبنى لا- يظهر فيه الإعراب و إنما بنى لمشابهة الحرف لأنه لا يفيد إلا مع غيره كالحرف و من يتعلق بقول «فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» جملة فى محل الجر بإضافه حيث إليه.

## النزول

قيل كانوا فى الجاهليه يتجنبون مؤاكلة الحائض و مشاربتها و مجالستها فسألوا عن ذلك فنزلت الآية عن الحسن و قتاده و الربيع و قيل كانوا يستجيزون إتيان النساء فى أدبارهن أيام الحيض فلما سألوا عنه بين لهم تحريمه عن مجاهد و الأول عندنا أقوى.

## المعنى

ثم بين سبحانه شريعته أخرى فقال «وَ يَسْتَلُونَكَ» يا محمد و السائل أبو الدحداح فيما قيل «عَنِ الْمَحِيضِ» أى عن الحيض و أحواله «قُلْ» يا محمد «هُوَ أَذَى» معناه قذر و نجس عن قتاده و السدى و قيل دم عن مجاهد و قيل هو أذى لهن و عليهن لما فيه من المشقه قاله القاضى «فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» أى اجتنبوا مجامعتهن

فى الفرج عن ابن عباس و عائشه و الحسن و قتاده و مجاهد و هو قول محمد بن الحسن و يوافق مذهبنا أنه لا- يحرم منها غير موضع الدم فقط و قيل يحرم ما دون الإزار و يحل ما فوقه عن شريح و سعيد بن المسيب و هو قول أبى حنيفة و الشافعى «و لا تَقْرُبُوهُنَّ» بالجماع أو ما دون الإزار على الخلاف فيه «حَتَّى يَطْهَرْنَ» بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن و بالتشديد معناه يغتسلن عن الحسن و يتوضأن عن مجاهد و طاووس و هو مذهبنا «فَإِذَا تَطَهَّرْنَ» أى اغتسلن و قيل توضأن و قيل غسلن الفرج «فَمَا تَوَهَّنَّ» فجامعوهن و هو إباحه و إن كان صورته صورة الأمر كقوله «وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» معناه من حيث أمركم الله تجنبه فى حال الحيض و هو الفرج عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الربيع و قيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدى و الضحاك و قيل من قبل النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية و الأول أليق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التى تحل فيها أن تقرب المرأه و لا- تقربوهن من حيث لا- يجب أى لا تقربوهن و هن صائمت أو محرمت أو معتكفات و قال الفراء و لو أراد الفرج لقال فى حيث فلما قال من حيث علمنا أنه أراد من الجهه التى أمركم الله بها و قال غيره إنما قال من حيث لأن من لا ابتداء الغايه فى الفعل نحو قولك أنت زيدا من مأتاه أى من الوجه الذى يؤتى منه «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» من الذنوب «وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» قيل معناه المتطهرين بالماء عن عطا و قد رواه أصحابنا أيضا فى سبب نزول الآيه و قيل يحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد بن جبير و لم يذكر المتطهرات لأن المؤنث يدخل فى المذكر و قيل التوابين من الكبائر و المتطهرين من الصغائر و فى هذه الآيه دلالة على وجوب اعتزال المرأه فى حال الحيض و فيها ذكر غايه التحريم و يشتمل ذلك على فصول أحدها ذكر الحيض و أقله و أكثره و عندنا أقله ثلاثة أيام و أكثره عشره أيام و هو قول أهل العراق و عند الشافعى و أكثر أهل المدينة أقله يوم و ليله و أكثره خمسه عشر يوما و ثانيها حكم الوطء فى حال الحيض فإن عندنا إن كان فى أوله يلزمه دينار و إن كان فى وسطه فنصف دينار و إن كان فى آخره فربع دينار و قال ابن عباس عليه دينار و لم يفصل و قال الحسن يلزمه بدنه أو رقبه أو عشرون صاعا و ثالثها غايه تحريم الوطء و اختلف فيه فمنهم من جعل الغايه انقطاع الدم و منهم من قال إذا توضأت أو غسلت فرجها حل و طؤها عن عطا و طاووس و هو مذهبنا و إن كان المستحب أن لا يقربها إلا بعد الغسل و منهم من قال إذا انقطع دمها فاغتسلت حل و طؤها عن الشافعى و منهم من قال إذا كان حيضها عشرا فنفس انقطاع الدم يحللها للزوج و إن كان دون العشره فلا يحل و طؤها

إلا بعد الغسل أو التيمم أو مضى وقت الصلاة عليها عن أبي حنيفة.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٢٣

### اشاره

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

### الإعراب

أنى فى محل النصب لأنه ظرف مكان إذا كان بمعنى حيث أو أين أو ظرف زمان إذا كان بمعنى متى و العامل فيه فأتوا و شئتم جملة فعلية فى موضع الجر بإضافه الظرف إليها و إذا كان أنى بمعنى كيف فهو فى محل النصب على المصدر و لا محل لشئتم و تقديره فأتوا حرثكم أى نوع شئتم.

### النزول

قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا أن الرجل إذا أتى المرأة من خلفها فى قبلها خرج الولد أحول فكذبهم الله عن ابن عباس و جابر و قيل أنكرت اليهود إتيان المرأة قائمه و باركه فأنزل الله إباحته عن الحسن.

### المعنى

لما بين تعالى أحوال النساء فى الطهر و الحيض عقب ذلك بقوله «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ» و فيه وجهان- أحدهما- أن معناه مزدرع لكم و محترث لكم عن ابن عباس و السدى- (و الثانى)- إن معناه ذوات حرث لكم منهن تحرثون الولد و اللذه فحذف المضاف و هذا فى المعنى مثل الأول عن الزجاج و قال أبو عبيده كنى بالحرث عن الجماع و الثالث معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه كما قال الشاعر:

النشر مسك و الوجوه دنا

نير و أطراف الأكف عنم

و قد سمي العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمه أنشدنى أبى:

إذا أكل الجراد حروث قوم

فحرثى همه أكل الجراد

يريد امرأتى «فَأَتُوا حَرْثَكُمْ» أى موضع حرثكم يعنى نساءكم «أَنَّى شِئْتُمْ» معناه من أين شئتم عن قتاده و الربيع قيل كيف شئتم عن مجاهد و قيل متى شئتم عن الضحاك و هذا خطأ عند أهل اللغة لأن أنى لا يكون إلا بمعنى من أى كما قال أنى لك هذا و

قيل معناه من أى وجه و استشهد بقول الكميت:

أنى و من أين أبك الطرب

من حيث لا صبوه و لا ريب

ص: ٨٠



و ليس فى البيت شاهد لهم لأنه لا يجوز أن يكون أتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا و أى وقت كان و يجوز أن يكون بمعنى كيف و استدلال مالك بقوله «أَنْتَى شَيْئْتُمْ» على جواز إتيان المرأه فى دبرها و رواه عن نافع عن ابن عمر و حكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر و به قال كثير من أصحابنا و خالف فى ذلك جميع الفقهاء و قالوا أن الحرث لا يكون إلا بحيث النسل فيجب أن يكون الوطء حيث يكون النسل فأجيبوا عن ذلك بأن النساء و إن كن لنا حرثا فقد أيسح لنا و طوهن بلا خلاف فى غير موضع الحرث كالوطء فيما دون الفرج و ما أشبهه و قوله «وَ قَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» معناه قدموا الأعمال الصالحة التى أمرتم بها و رغبتم فيها لتكون ذخرا لكم عند الله و وجه اتصاله بما قبله أنه لما تقدم الأمر بعده أشياء قال بعدها و قدموا لأنفسكم بالطاعة فيما أمرتم به «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» و اتقوا عقاب الله بترك مجاوزة الحد فيما بين لكم و فى ذلك الحث على العمل بالواجب الذى عرفوه و التحذير من مخالفه ما ألزموه و قيل معنى التقديم هنا طلب الولد فإن فى اقتناء الولد الصالح يكون تقديم عظيم

لقوله إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ولد صالح يدعو له و صدقه جاريه و علم به ينتفع بعد موته

و قيل هو تقديم الإفراط

لقوله من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحله القسم فقيل يا رسول الله و اثنان قال و اثنان

و قيل هو التسميه عند الجماع عن عطاء و قيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد و يؤيده ما

روى عن ابن عباس قال قال النبى إذا أراد أحدكم أن يأتى أهله فليقل بسم الله اللهم جنبنى الشيطان و جنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينهما ولد لم يضره شيطان

و قيل هو التزوج بالعفاف ليكون الولد طاهرا صالحا «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُونَ» أى ملاقوا جزائه يعنى ثوابه إن أطعتموه و عقابه إن عصيتموه و إنما أضافه إليه على ضرب من المجاز «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» بالثواب و الجنة و لا يصح حمل اللقاء على الرؤيه لأن لفظ اللقاء يقع على معان مختلفه يقال لقى جهده و لقى حمامه و لأن فى الآيه إثبات اللقاء لجميع العباد و هذا خلاف ما ذهب إليه أهل التشبيه.

**سوره البقره (٢): آيه ٢٢٤**

**اشاره**

وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)

ص: ٨١

يقال لكل من يصلح للشيء هو عرضه له والمرأه عرضه للنكاح والدابه المعده للسفر عرضه له وقال الشاعر:

فهذى لأيام الحروب و هذه

للهورى و هذى عرضه لارتحالنا

أى عده و قال أبو العباس العرضه الاعتراض فى الخير و الشر و اليمين و القسم و الحلف واحد و قيل أخذ من القوه لأنه يتقوى به على ما يحلف عليه و منه قوله " تلقاها عرابه باليمين " و قيل أخذ من الجراحه لأنهم كانوا عند الأيمان يضربون أيديهم على أيديهم فسمى الحلف بذلك و قيل أخذ من اليمن الذى هو البركه لأنه عقد خير يتبرك بذكره للتأكيد.

### الإعراب

قوله «أَنْ تَبْرُوا» فى موضعه ثلاثه أقوال (أحدها) أن موضعه جر بحذف اللام عن الخليل قال أبو على جاز أن يكون المصدر الذى هو أن مع الفعل فى موضع جر و إن لم يجر ذلك فى غير أن لأمرين (أحدهما) أن الكلام قد طال بالصله فحسن الحذف (و الآخر) أن أن حرف و إذا حذف اللام صار كان حرفا كان قد أقيم مقام حرف فعاقبه فللهذا حسن حذف اللام مع أن دون المصدر غير الموصول فى اللفظ بالفعل و أقول عنى بذلك أنك إذا قلت جئتكم لضرب زيد لم يجر أن تحذف اللام فتقول جئتكم ضرب زيد و إذا قلت جئتكم لأن تضرب زيدا جاز أن تحذف اللام فتقول جئتكم أن تضرب زيدا (و الثانى) أن موضعه النصب لأنه لما حذف الجار وصل الفعل و هو قول سيبويه و هو القياس و أقول على القولين جميعا فيكون تقديره لأن لا تبروا على النفى أو لأن تبروا على الإثبات فعلى القول الأول و هو النفى يكون فى موضع النصب بأنه مفعول له و على القول الثانى و هو الإثبات يجوز أن يكون مفعولا له و يجوز أن يكون فى محل النصب على الحال و العامل فيه ما فى قوله «لِأَيْمَانِكُمْ» من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضه لأيمانكم كائنه لأن تبروا أى لبركم و ذو الحال الإيمان (و الثالث) ما قاله قوم أن موضعه رفع تقديره أن تبروا و تتقوا أولى فحذف الخبر الذى هو أولى لأنه معلوم المعنى.

### النزول

نزلت فى عبد الله بن رواحه حين حلف أن لا يدخل على ختنه و لا يكلمه و لا يصلح بينه و بين امرأته فكان يقول إنى حلفت بهذا فلا يحل لى أن أفعله فنزلت الآية.

### المعنى

لما بين سبحانه أحوال النساء و ما يحل منهن عقبه بذكر الإيلاء و هو

اليمين التي تحرم الزوجه فابتدأ بذكر الأيمان أولا تأسيسا لحكم الإيلاء فقال «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ» و في معناه ثلاثه أقوال (أحدها) أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله عله مانعه لكم من البر و التقوى من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها و تقولوا حلفنا بالله و لم تحلفوا به عن الحسن و طاووس و قتاده و أصله في هذا الوجه الاعتراض الذى هو المانع بينكم و بين البر و التقوى لأن المعترض بين الشيتين يكون مانعا من وصول أحدهما إلى الآخر فالعله مانعه كهذا المعترض (و الثانى) أن عرضه معناه حجه فكأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجه في المنع من البر و التقوى فإن كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر أن غيرها خير منها فافعلوا الذى هو خير و لا تحتجوا بما قد سلف من اليمين عن ابن عباس و مجاهد و الربيع و أصله في هذا القول و الأول واحد لأنه منع من جهه الاعتراض لعله أو حجه (و الثالث) أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله عده مبتذله في كل حق و باطل لأن تبروا في الحلف بها و تتقوا المأثم فيها عن عائشه لأنها قالت

لا تحلفوا به و إن بررتم و به قال الجبائى و أبو مسلم و هو المروى عن أئمتنا

نحو

ما رواه عثمان بن عيسى عن أبى أيوب الخزاز قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين و لا كاذبين فإنه سبحانه يقول «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ»

قال أبو مسلم و من أكثر ذكر شىء في معنى فقد جعله عرضه له و تقول جعلتنى عرضه لقومك قال الشاعر:

" و لا تجعلينى عرضه للوائم "

و تقديره على الوجه الأول و الثانى لا تجعلوا الله مانعا من البر و التقوى باعتراضك به حالفا و على الوجه الثالث لا تجعلوا الله مما تحلف به دائما باعتراضك بالحلف به في كل حق و باطل و قوله «أَنْ تَبْرُوا» قيل في معناه أقوال (الأول) لأن تبروا على معنى الإثبات أى لأن تكونوا برره أتقياء فإن من قلت يمينه كان أقرب إلى البر ممن كثرت يمينه و قيل لأن تبروا في اليمين (و الثانى) أن المعنى لدفع أن تبروا أو لترك أن تبروا فحذف المضاف عن المبرد (و الثالث) أن معناه أن لا تبروا فحذف لا عن أبى عبيده قال و قد حذف لا لأنه في معنى القسم كقول امرئ القيس:

" فقلت يمين الله أبرح قاعدا "

أى لا أبرح و أنكر المبرد هذا لأنه لما كان معه أن بطل أن يكون جوابا للقسم و إنما يجوز و الله أقوم في القسم بمعنى لا أقوم لأنه لو كان إثباتا لقال لأقوم باللام و النون و المعنى في قول أبى العباس و أبى عبيده واحد و التقدير مختلف «و تَتَّقُوا» أى تتقوا الإثم و المعاصى في الأيمان «و تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ» في الإيمان و تصلحوا بين الناس عطف على ما سبق و معناه و لا تجعلوا الحلف

بالله عله أو حجه فى أن لا تبروا و لا تتقوا و لا تصلحوا لكى تكونوا من البرره و الأتقياء و المصلحين بين الناس أو لدفع أن تبروا و تتقوا و تصلحوا و على الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذله لأن تبروا و تتقوا و تصلحوا أى بين الناس فإن من كثرت يمينه لا- يوثق بحلفه و من قلت يمينه فهو أقرب إلى التقوى و الإصلاح بين الناس «وَاللَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلِيمٌ» بما فى ضمائرهم لا يخفى عليه من ذلك خافيه و فى هذه الآيه دلالة على أن من حلف على شىء فرأى غيره خيرا منه فله أن ينقض يمينه و يفعل الذى هو خير و هل يجب عليه الكفاره فيه خلاف فعند أكثر الفقهاء يجب عليه الكفاره و لا كفاره عليه عندنا و من أقسم على غيره ليفعل فعلا أو ليمتنع عن فعل و لا يبالى بذلك قال بعضهم أن المقسم عليه لا يأثم بذلك و الصحيح أن المقسم عليه يأثم لقول النبى من سألكم بالله فأعطوه و من استعاذكم بالله فأعيذوه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٢٥

### اشاره

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَاكْرَهُ لَكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاكْرَهُ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)

### اللغه

أصل اللغو الكلام الذى لا فائده فيه يقال لغا يلغو لغوا إذا أتى بكلام لا فائده فيه و ألقى الكلمه إذا طرحها لأنه لا فائده فيها و اللغويه الكلمه القبيحه الفاحشه و منه اشتقاق اللغه لأنها كلام لا فائده فيه عند غير أهله و لغو الطائر منطقه قال ثعلبه بن صعير المازنى:

باكرتهم بسباء جون ذارع

قبل الصباح و قبل لغو الطائر

و اللغا الذكر بالكلام القبيح لغى يلغى لغى و أصل الحلم الأناه و هو فى صفته تعالى الإمهال بتأخير العقاب على الذنب.

### الإعراب

«فِي أَيْمَانِكُمْ» فى موضع الحال و العامل فيه يؤاخذ و ذو الحال اللغو «بِمَا كَسَبْتُمْ» يجوز أن يكون ما اسما موصولا و يجوز أن يكون حرفا موصولا.

### المعنى

ثم بين سبحانه أقسام اليمين فقال «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ» اختلفوا فى يمين اللغو

فقيل هو ما يجرى على عادته الناس من قول لا و الله و بلى و الله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال و لا يظلم بها أحد عن ابن عباس و عائشه



و الشعبي و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله

و هو قول الشافعى و قيل هو أن يحلف و هو يرى أنه صادق ثم تبين أنه كاذب فلا إثم عليه و لا كفاره عن الحسن و مجاهد و قتاده و غيرهم و هو قول أبى حنيفة و أصحابه و قيل هو يمين الغضبان لا يؤخذكم بالحنث فيها عن ابن عباس أيضا و طاووس و به قال سعيد بن جبیر إلا- أنه أوجب فيها الكفاره و قال مسروق كل يمين ليس له الوفاء فهى لغو و لا يجب فيها كفاره «وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ» أى بما عزمتم و قصدتم لأن كسب القلب العقد و النيه و فيه حذف أى من أيمانكم و قيل بأن تحلفوا كاذبين أو على باطل عن إبراهيم «وَاللَّهُ غَفُورٌ» يغفر الذنوب «حَلِيمٌ» يمهل العقوبه على الذنب و لا يعجل بها.

## سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٦ الى ٢٢٧

### اشاره

لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَأُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)

### اللغه

آلى الرجل من امرأته يؤلى إبلاء من الأليه و الألوه و هى الحلف قال الشاعر:

كفينا من تغيب من نزار

و أحثنا إليه مقسمينا

و ائلى و تألى بمعناه و فى التنزيل «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» و قرأ و لا يتأل و جمع الأليه أليا و أليات كعشيه و عشايا و عشيات و جمع الألوه الأيى كركوبه و ركائب و التربص الانتظار و يقال تربصت به قال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها

تطلق يوما أو يموت حليلها

و الفى ء الرجوع يقال فاء يفى ء فيئا إذا رجع و فاء الفى ء إذا تحول عن جهه الغداه برجوع الشمس عنه و الفرق بين الفى ء و الظل ما قال المبرد أن الفى ء ما نسخ الشمس لأنه هو الراجع و الظل ما لا شمس فيه و كل فى ء ظل و ليس كل ظل فيئا و أهل الجنه فى ظل لا

فى فى ء لأن الجنة لا شمس فيها و فى التنزيل وَ ظَلَّ مَمْدُودٍ و جمع الفى ء أفياء و الفى ء غنائم المشركين أفاء الله علينا منهم و هو من رجوع الشىء إلى حقه و فلان سريع الفى ء من غضبه أى الرجوع و العزم هو العقد على فعل شىء فى مستقبل الأوقات و هو إرادته متقدمه للفعل بأكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم يقال عزم على الشىء ء يعزم عزمًا و اعترم و عزمت عليك لتفعلن أى أقسمت و عزم الراقى كأنه أقسم على الداء و ما لفلان عزمه أى ما يثبت على شىء ء لتلونه و عزائم القرآن التى تقرأ على ذوى الآفات لما يرجى من البرء بها و الطلاق حل عقد النكاح بسبب من جهه الرجل و امرأه طالق زعم قوم أن تاء التأنيث إنما حذفت لأنه لا حظ فيه للمذكر و هذا ليس بشىء ء لأن فى الكلام أشياء كثيره يشترك فيها المذكر و المؤنث لا يثبت فيها الهاء فى المؤنث يقال بعير ضامر و ناقه ضامر و أمثاله كثيره و قال سيبويه أنه وقع على لفظ التذكير صفه للمؤنث لأن المعنى شىء ء طالق و حقيقته أنه على جهه النسب نحو قولهم امرأه مطفل أى ذات طفل و طالق أى ذات طلاق فإذا أجرته على الفعل قلت طالقه قال الأعشى:

أيا جارتى بينى فإنك طالقه

كذاك أمور الناس غاد و طارقه

و أصل الطلاق من الانطلاق و طلقت المرأه عند الولاده فهى مطلوقه إذا تمخضت و الطلق الشوط من الجرى و الطلق الحبل الشديد الفتل و السميع من كان على صفه يجب لأجلها أن يدرك المسموعات إذا وجدت و هى ترجع إلى كونه حيا لا آفه به و السامع المدرك و يوصف القديم سبحانه فى الأزل بأنه سميع و لا- يوصف فى الأزل بأنه سامع إنما يوصف به إذا وجدت المسموعات.

## الإعراب

يجوز فى «أَرْبَعَهُ أَشْهُرٍ» ثلاثه أوجه الجر على الإضافه و عليه القراءه و هذه الإضافه غير حقيقه فإن الأربعة فى محل النصب و إن كان مجرور اللفظ و يجوز فى العريبه الرفع و النصب «تَرَبُّصُ أَرْبَعِهِ أَشْهُرٍ» كقوله فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ و مثله فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ و تربص أربعة أشهر كقوله «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا» أى تكفتكم أحياء و أمواتا.

## المعنى

ثم بين تعالى حكم الإيلاء لأنه من جمله الأيمان و الأقسام و شريعته من شرائع الإسلام فقال «لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ» أى يحلفون و فيه حذف أى أن يعتزلوا عن وطء

نسائهم على وجه الإضرار بهن «تَرُبُّصُ أَرْبَعِهِ أَشْهُرٌ» أى التوقف و التثبيت فى أربعة أشهر و اليمين التى يكون الرجل بها موليا هى اليمين بالله عز و جل أو بشىء من صفاته التى لا يشاركه فيها أحد غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذى لا فائده فيه و

يكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب و الضرار و هو المروى عن على

و ابن عباس و الحسن و قيل فى الغضب و الرضا عن إبراهيم و الشعبى و جماعه من الفقهاء و قيل هو فى الجماع و غيره من الضرار نحو أن يحلف لا يكلمها عن سعيد بن المسيب «فَإِنْ فَاؤُ» أى رجعوا إلى أمر الله بأن يجامعوا عند قدره عليه أو يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس و مسروق و سعيد بن المسيب و هو مذهبنا و به قال أبو حنيفة و أصحابه و قيل يكون فائيا بالعزم فى حال العذر إلا أنه ينبغى أن يشهد على فيئه عن الحسن و إبراهيم و علقمه و هذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع و يجب على الفائى عندنا كفاره و لا عقوبه عليه و به قال ابن عباس و سعيد بن المسيب و قتاده و قال الحسن و إبراهيم لا كفاره عليه و لا عقوبه لقوله «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و معنى غفور عندنا أنه لا يتبعه بعقوبه و من حلف أن لا يجامع أقل من أربعة أشهر لا يكون موليا و من حلف أن لا يقربها و هى مرضعه مخافه أن تحبل فيضر ذلك بولدها لا يلزمه حكم الإيلاء و إذا مضت أربعة أشهر و لم يجامع ألزمه الحاكم إما الرجوع و الكفاره و إما الطلاق فإن امتنع حبسه حتى يفىء أو يطلق «وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ» عزيمه الطلاق عندنا أن يعزم ثم يتلفظ بالطلاق و متى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فإن المرأة لا تبين منه إلا أن تستعدى فإن استعدت و أنظره الحاكم أربعة أشهر فإنه يوقف عند الأشهر الأربعة و يقال له فىء أو طلق فإن لم يفعل حبسه حتى يطلق و به قال الشافعى إلا أنه قال متى امتنع من الطلاق و الفئه طلق عنه الحاكم طلقه رجعيه و قال أبو حنيفة و أصحابه إذا مضت أربعة أشهر و لم يفىء بانته منه بتطبيقه و لا رجعه له عليها و عليها العده يخطبها فى العده و لا يخطبها غيره «فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» يسمع قوله و يعلم ضميره و قيل يسمع إيلاءه و يعلم نيته و إنما ذكر عقيب الأول «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لأنه لما أخبر عن المولى أنه يلزمه الفىء أو الطلاق بين أنه إن فاء فإن الله غفور رحيم بأن يقبل رجوعه و لا يتبعه بعقاب ما ارتكبه و ذكرها هنا أنه سميع عليم لما أخبر عنه بإيقاع الطلاق و كان ذلك مما يسمع أخبر بأنه لا يخفى عليه و أنه يسمعه فكل لا يليق إلا بموضعه و ذلك من عظيم فصاحه القرآن.



## اشاره

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ  
بِعَوْلْتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكِ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  
(٢٢٨)

## اللغه

القروء جمع قرء و جمعه القليل أقرؤ و الكثير أقرأء و قروء و صار بناء الكثير فيه أغلب في الاستعمال يقال ثلاثه قروء مثل ثلاثه  
شسوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل و وجه آخر و هو أنه لما كانت كل مطلقه يلزمها هذا دخله معنى الكثره فأتى ببناء  
الكثره للإشعار بذلك فالقروء كثيره إلا- أنها ثلاثه في ثلاثه في القسمة و هذا الحرف من الأضداد و أصله في اللغه يحتمل  
وجهين (أحدهما) الاجتماع و منه قرأت القرآن لاجتماع حروفه و ما قرأت الناقه سلاقط أى لم يجتمع رحمها على ولد قط قال  
عمرو بن كلثوم:

ذراعى عيطل أدماء بكر

هجان اللون لم تقرأ جنينا

فعلى هذا يقال أقرأت المرأه فهى مقرئ إذا حاضت و أنشد:

" له قروء كقروء الحائض "

و ذلك لاجتماع الدم فى الرحم و يجىء على هذا أن يكون القراء الطهر لاجتماع الدم فى جملة البدن (و الوجه الثانى) أن أصل  
القراء الوقت الجارى فى الفعل على عادته و هو يصلح للحيض و الطهر يقال هذا قارئ الرياح أى وقت هبوبها قال الشاعر:

شئت العقر عقر بنى شليل

إذا هبت لقاريها الرياح

أى لوقت هبوبها و شده بردها و الذى يدل على أن القراء الطهر قول الأعشى:

و فى كل عام أنت جاشم غزوه

تشد لأقصاها عزيزم عزائكا

مورثه مالا و فى الأرض رفعه

لما ضاع فيها من قروء نسائكا

فالذى ضاع هاهنا الأطهار لا الحيض و البعوله جمع بعل و يقال بعل يبعل بعوله و هو

ص: ٨٨

بعل و سمي الزوج بعلا لأنه عال على المرأه بملكه لزوجيتها و قوله «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» أى ربا و قيل أنه صنم و البعل النخل يشرب بعروقه لأنه مستعل على شربه و بعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعا لأنه علاه منه ما ضاق به ذرعه و بعل الرجل بطر لأنه استعلى تكبرا و امرأه بعله لا تحسن لبس الثياب لأن الحيره تستعلى عليها فتدهشها و الرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجله أى القوه و هو أرجلهما أى أقواهما و فرس رجيل قوى على المشى و سميت الرجل رجلا لقوتها على المشى و رجل من جراد أى قطعه منه تشبيها بالرجل لأنها قطعه من الجملة و الراجل الذى يمشى على رجله و ارتجل الكلام ارتجالا لأنه قوى عليه من غير ركوب فكره و ترجل النهار لأنه قوى ضيائه بنزول الشمس إلى الأرض و رجل شعره إذا طوله و أصل الباب القوه و الدرجه المنزله.

## الإعراب

«إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ» جواب الشرط محذوف و تقديره إن كن يؤمن بالله لا يكتمن و كذلك جواب الشرط من قوله تعالى «إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا» محذوف و تقديره إن أرادوا إصلاحا فبعولتهن أحق بردهن «مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» إضافة مثل غير حقيقه لأن الذى عليهن مفعوله.

## المعنى

ثم بين سبحانه حكم المطلقات و الطلاق فقال «وَالْمُطَلَّقاتُ» أى المخليات عن حبال الأزواج بالطلاق و إنما يعنى المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لأن فى الآيه بيان عدتهن «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلاثة قروء فلا يتزوجن لفظه خبر و معناه أمر و المراد بالقروء الأطهار عندنا و به قال زيد بن ثابت و عائشه و ابن عمر و مالك و الشافعى و أهل المدينة قال ابن شهاب ما رأيت أحدا من أهل بلدنا إلا و هو يقول الأقرء الأطهار إلا سعيد بن المسيب و المروى عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و مجاهد و

رووه أيضا عن على أن القراء الحيض

و المراد بثلاثة قروء ثلاثة حيض و هو مذهب أبى حنيفة و أصحابه و استشهدوا

بقوله (عليه السلام) للمستحاضه دعى الصلاه أيام أفرائك

و الصلاه إنما تترك فى أيام الحيض و استشهد من ذهب إلى أن القراء الطهر بقوله تعالى: «فَطَلَّوْهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» أى فى طهر لم تجامع فيه كما يقال لغره الشهر.

و

يقول النبى (صلى الله عليه و آله) لما طلق ابن عمر زوجته و هى حائض مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك و تلا النبى ص إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّوْهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ لِقَبْلِ عَدَّتِهِنَّ

فأخبر أن العده الأطهار دون الحيض لأنها حينئذ تستقبل عدتها و لو طلقت حائضا لم تكن مستقبله



عدتها إلا بعد الحيض و

روى أصحابنا عن زراره قال سمعت ربيعه الرأى يقول أن من رأى أن الأقرء التى سمى الله فى القرآن إنما هى الطهر فيما بين الحيضين و ليست بالحيض قال فدخلت على أبى جعفر فحدثته بما قال ربيعه فقال كذب لم يقل برأيه و إنما بلغه عن على (عليه السلام) فقلت أصلحك الله أ كان على يقول ذلك قال نعم كان يقول إنما القرء الطهر تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض قذفته قلت أصلحك الله رجل طلق امرأته طاهره من غير جماع بشهاده عدلين قال إذا دخلت فى الحيضه الثالثه فقد انقضت عدتها و حلت للأزواج قال قلت إن أهل العراق يروون عن على (عليه السلام) أنه كان يقول هو أحق بردها ما لم تطهر من الحيضه الثالثه فقال كذبوا

«وَلَا يَحِلُّ لَهَنَّ» أى للمطلقات اللاتى تجب عليهن العده «أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ» قيل أراد به الحيض عن إبراهيم و عكرمه و قيل أراد به الحبل عن ابن عباس و قتاده و

قيل أراد به الحيض و الحبل عن ابن عمر و الحسن و هو المروى عن الصادق (عليه السلام) قال قد فوض الله إلى النساء ثلاثه أشياء الحيض و الطهر و الحمل

و هذا القول أعم فالأخذ به أولى و إنما لم يحل لهن الكتمان لثلا يظلمن الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس و قيل بنسبه الولد إلى غيره كفعل الجاهليه عن قتاده و قوله «إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فهذه صفته و حليته و ليس هذا بشرط حتى أنها إذا لم تكن مؤمنه يحل لها الكتمان و لكن المراد أن الإيمان يمنع من ارتكاب هذه المعصيه كما يقول الرجل لصاحبه إن كنت مؤمنا فلا تظلم و هذا على وجه الوعيد «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ» يعنى أن أزواجهن أولى بمراجعتهن و هى ردهن إلى الحاله الأولى فى ذلك الأجل الذى قدر لهن فى مده العده فإنه ما دامت تلك المده باقيه كان للزوج حق المراجعة و يفوت بانقضائها و فى هذا ما يدل على أن الزوج ينفرد بالمراجعة و لا يحتاج فى ذلك إلى رضاء المرأه و لا إلى عقد جديد و إشهاد و هذا يختص بالرجعيات و إن كان أول الآيه عاما فى جميع المطلقات الرجعيه و البائنه «إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا» لا-إضراراً و ذلك أن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته طلقها واحده و تركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها و تركها مده ثم طلقها أخرى و تركها مده كما فعل فى الأولى ثم راجعها و تركها مده ثم طلقها أخرى فجعل الله الزوج أحق بالمراجعة على وجه الإصلاح لا على وجه الإضرار و إنما شرط الإصلاح فى إباحه الرجعه لا فى ثبوت أحكامها لإجماع الأمة على أن مع إرادته الإضرار يثبت أحكام الرجعه و قوله

«وَلَهُنَّ» أى للنساء على أزواجهن «مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ عَلَيْهِنَّ» من الحق «بِالْمَعْرُوفِ» وهذا من الكلمات العجيبه الجامعه للفوائد الجمه و إنما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن العشره و ترك المضاره و التسويه فى القسم و النفقه و الكسوه كما أن للزوج حقوقا عليها مثل الطاعه التى أوجبها الله عليها له و أن لا تدخل فراشه غيره و أن تحفظ ماءه فلا تحتال فى إسقاطه و

روى أن امرأه معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجه على زوجها قال أن لا يضرب وجهها و لا يقبحها و أن يطعمها مما يأكل و يلبسها مما يلبس و لا يهجرها

و

روى عنه ص أنه قال اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانه الله و استحلتتم فروجهن بكلمه الله و من حاكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح و لهن عليكم رزقهن و كسوتهن بالمعروف

و قوله «وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» قيل معناه فضيله منها الطاعه و منها أن يملك التخليه و منها زياده الميراث على قسم المرأه و الجهاد هذا قول مجاهد و قتاده و قيل معناه منزله فى الأخذ عليها بالفضل فى المعامله حتى يقول ما أحب أن أستوفى منها جميع حتى ليكون لى عليها الفضيله عن ابن عباس و قيل معناه أن المرأه تنال اللذه من الرجل كما ينال الرجل منها و له الفضل بنفقته و قيامه عليها عن الزجاج و فى تفسير على بن إبراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء أفضل من حق النساء على الرجال و فى كتاب من لا يحضره الفقيه

روى عن الباقر (عليه السلام) قال جاءت امرأه إلى رسول الله ص فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأه فقال لها أن تطيعه و لا- تعصيه و لا- تصدق من بيتها بشىء إلا بإذنه و لا تصوم تطوعا إلا بإذنه و لا تمنعه نفسها و إن كانت على ظهر قتب و لا تخرج من بيتها إلا- بإذنه فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكه السماء و ملائكه الأرض و ملائكه الغضب و ملائكه الرحمه حتى ترجع إلى بيتها فقالت يا رسول الله من أعظم الناس حقا على المرأه قال زوجها قالت فما لى من الحق عليه مثل ما له من الحق على قال لا و لا من كل مائه واحده فقالت و الذى بعثك بالحق لا يملك رقبتى رجل أبدا

و

قال (عليه السلام) لو كنت أمرا أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأه أن تسجد لزوجها

«وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى قادر على ما يشاء يمنع و لا- يمنع و يقهر و لا- يقهر فاعل ما تدعو إليه الحكمه و قد قيل فى الآيه إن المطلقه قبل الدخول و المطلقه الحامله نسختا من هذه الآيه بقوله فما لكم عليهن من عدّه تغتدونها و أولات الأحمال أجلهن أن يضرعن حملهن و قيل إنهما مخصوصتان من الآيه كما ذكرناه فى أول الآيه.

## اشاره

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)

## القراءة

قرأ أبو جعفر و حمزه إلا أن يخافا بضم الياء و الباقون بفتحها.

## الحججه

خاف فعل يتعدى إلى مفعول واحد و ذلك المفعول يكون أن و صلتها نحو قوله تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ و يكون غيرها نحو قوله تَخَافُونَهُمْ فوجه قراءه حمزه إلا أن يخافا أنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه فلم يبق شىء يتعدى إليه فأما أن من قوله «أَلَّا يُقِيمَا» فإن الفعل يتعدى إليه بالجار كما تعدى بالجار فى قوله:

و لو خافك الله عليه حرمه

و موضع أن فى الآيه جر بالجار المقدر على قول الخليل و الكسائى و نصب فى قول سيبويه و أصحابه إلا أنه لما حذف الجار وصل الفعل إلى المفعول الثانى مثل أستغفر الله ذنبا و أمرتك الخير فقراءته مستقيمه على ما رأيت فإن قال قائل لو كان يخافا كما قرأ لكان ينبغى أن يكون فإن خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه فى القراءه لأنهم قد قرءوا إلا أن يخافا و لم يقولوا فإن خافا و ليس يلزم هذا السؤال جميعهم لأمرين (أحدهما) أنه انصرف من الغيبه إلى الخطاب كما قال الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ قَالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ مَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاهٍ تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ و هذا النحو كثير فى التنزيل و غيره (و الآخر) أن يكون الخطاب فى قوله «فَإِنْ خِفْتُمْ» مصروفا إلى الولاه و الفقهاء الذين يقومون بأمر الكافه و جاز أن يكون الخطاب للكثيره فيمن جعله انصرافا من الغيبه إلى الخطاب لأن ضمير الاثنين فى يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان إنما يراد به أن كل من كان هذا شأنه فهذا حكمه فأما من قرأ «يخافا» بفتح الياء فالمعنى أنه إذا خاف كل واحد من الزوج و المرأه أن لا يقيما حدود الله حل الافتداء.

المره و المرتان كالكره و الكرتين و أصل المره المرور خلاف الوقوف و المره شده الفتل لاستمراره على الأحكام و الإمساك خلاف الإطلاق و ما بفلان مسكه و تماسك إذا لم يكن فيه خير و الممسك البخيل و المسك الإهاب لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه و المسك السوار لاستمساكه في اليد و التسريح مأخوذ من السرح و هو الإطلاق و سرح الماشيه في المرعى سرحا إذا أطلقها ترعى و سرحت الماشيه انطلقت في المرعى و السرحان الذئب لاتباعه السرح و السرحه الشجره المرتفعه لانطلاقها في جهه الطول و المسرح المشط لإطلاق الشعر به و السرياح الجراد لانطلاقه في البلاد و «أَنْ يَخَافَا» معناه أن يظنا قال الشاعر:

أتانى كلام عن نصيب يقوله

و ما خفت يا سلام إنك عائبى

يعنى ما ظننت و أنشد الفراء:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمه

تروى عظامى بعد موتى عروقها

و لا تدفنى فى الفلاه فإننى

أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

. الإعراب

الطلاق رفع بالابتداء و مرتان الخبر و قوله «فَإِمْسَاكٌ» خبر مبتدأ محذوف تقديره فالواجب عليك إمساك و لو كان فى الكلام فإمساكا بالنصب لكان جائزا على فأمسكوهن إمساكا بمعروف كما قال فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ و «أَنْ يَخَافَا» موصول و صله موضعهما نصب بأنه مفعول له تقديره لمخافتهما و «أَلَّا يُقِيمَا» فى موضع نصب بأنه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك إقامة حدود الله.

## النزول

روى هشام بن عروه عن أبيه عن عائشه أن امرأه أتها فشكت أن زوجها يطلقها و يسترجمها يضارها بذلك و كان الرجل فى الجاهليه إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضى عدتها كان له ذلك و إن طلقها ألف مره لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ك لرسول الله فنزلت «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ» فجعل حد الطلاق ثلاثا و الطلاق الثالث قوله فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ وَجْأً غَيْرَهُ و

روى أيضا أنه قيل للنبي الطلاق مرتان فأين الثالثه قال «فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ»



وقوله «إِلَّا أَنْ يَخَافَا» فَأَنْزَلَ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ وَزَوْجَتِهِ جَمِيلَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَكَانَ يُحِبُّهَا وَتَبَغَّضَهُ فَقَالَ لَهَا أ  
تَرْدِينَ عَلَيَّ حَدِيقَتَهُ قَالَتْ نَعَمْ وَأَزِيدَهُ قَالَ لَا حَدِيقَتَهُ فَقَطْ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ فَقَالَ يَا ثَابِتُ خُذْ مِنْهَا مَا أُعْطَيْتَهَا وَخُلْ سَبِيلَهَا  
فَفَعَلَ فَكَانَ أَوَّلَ خُلْعٍ فِي الْإِسْلَامِ.

ص: ٩٣

ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ» أى الطلاق الذى يملك فيه الرجعه مرتان و فى معناه قولان (أحدهما) أنه بيان تفصيل طلاق السنه و هو أنه إذا أراد طلاقها ينبغى أن يطلقها فى طهر لم يقربها فيه بجماع تطليقه واحده ثم يتركها حتى تخرج من العده أو حتى تحيض و تطهر ثم يطلقها ثانيه عن ابن عباس و مجاهد (و الثانى) إن معناه البيان عن عدد الطلاق الذى يوجب البينونه مما لا- يوجبها و فى الآيه بيان أنه ليس بعد التطليقتين إلا الفرقه البائنه و لفظه لفظ الخبر و معناه الأمر أى طلقوا دفعتين و قوله «فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ» تقديره فالواجب إذا راجعها بعد التطليقتين إمساك بمعروف أى على وجه جميل سائغ فى الشريعه لا على وجه الإضرار بهن «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» فيه قولان (أحدهما) أنه الطلقه الثالثه (و الثانى)

أنه يترك المعتده حتى تبين بانقضاء العده عن السدى و الضحاك و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

«وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ» خطاب الأزواج «أَنْ تَأْخُذُوا» فى حال الطلاق و استبدال «مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ» أى أعطيتموهن من المهر «شَيْئاً» ثم استثنى الخلع فقال «إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» معناه إلا أن يغلب على ظنهما أن لا يقيما حدود الله لما بينهما من أسباب التباعد و التباغض و قال ابن عباس هو أن يظهر من المرأه النشوز و سوء الخلق بغضا للزوج و

قال أبو عبد الله إذا قالت المرأه له لا أغتسل لك من جنبه و لا أبر لك قسما و لأوطن فراشك و لأدخلن عليك بغير إذنك إذا قالت له هذا حل له أن يخلعها و حل له ما أخذ منها

و على الجمله إذا خاف أن تعصى الله فيه بارتكاب محذور أو إخلال بواجب و أن لا تطيعه فيما يجب عليها فحينئذ يحل له أن يخلعها و روى مثل ذلك عن الحسن و قال الشعبى هو نشوزها و نشوزه «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» أى فإن ظننتم أن لا يكون بينهما صلاح فى المقام «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» أى فلا حرج و لا إثم عليهما و هذا يفيد الإباحه و فى قوله «عَلَيْهِمَا» و إن كانت الإباحه للزوج و جهان (أحدهما) إن الزوج لو خص بالذكر لأوهم أنها عاصيه و إن كانت الفديه له جائزه فبين الأذن لهما فى ذلك ليزول الإيهام عن على بن عيسى (و الآخر) أن المراد به الزوج و إنما ذكر معه المرأه لاقترانهما كقوله «نَسِيَا حُوتَهُمَا» و قوله «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ» و إنما هو من الملح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن و هذا أليق بمذهبننا لأن الذى يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأه عاصيه و أقول أن الذى عندى فى ذلك أن جواز وقوع العصيان منها هو السبب فى إباحه الخلع و رفع الجناح إنما تعلق بالخلع لا بأسبابه و الوجه الأول أولى بالاختيار و أشد ملائمه لظاهر الآيه و الوجه الأخير مرغوب عنه لعدوله عن سنن الاستقامه إذ لا يكون الاثنان

واحدا في الحقيقة «فِيمَا أُفْتِدَتْ بِهِ» أى بذلت من المال و اختلف في ذلك فعندنا إن كان البغض منها وحدها و خاف منها العصيان جاز أن يأخذ المهر و زياده عليه و إن كان منهما فدون المهر و قيل أنه يجوز الزيادة على المهر و النقصان من غير تفصيل عن ابن عباس و ابن عمر و رجاء بن حيوة و إبراهيم و مجاهد و

قيل المهر فقط عن ربيع و عطا و الزهرى و الشعبى و روه عن على

و الخلع بالفديه على ثلاثه أوجه (أحدها) أن تكون المرأه عجوز أو دميمه فيضار بها الزوج لتفتدى نفسها فهذا لا يحل له الفداء لقوله «وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ» الآية (و الثانى) أن يرى الرجل امرأته على فاحشه فيضار بها لتفتدى نفسها فهذا جائز و هو معنى قوله «وَلَا تَعْضُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» (و الثالث) أن يخافا ألا يقيما حدود الله لسوء خلق أو قله نفقه من غير ظلم أو نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفديه على ما مر تفصيله «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» أى أوامره و نواهيها و ما نصب من الآيات فى الخلع و الطلاق و الرجعه و العده «فَلَا تَعْتَدُوهَا» أى فلا تجاوزوها بالمخالفه «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» أى يتجاوزها بأن يخالف ما حد له «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع لأنه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالث على الخلاف فى أنها قوله «أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ» أو قوله «فَإِنْ طَلَّقَهَا» و من طلق ثلاثا بلفظ واحد فإنه لم يأت بالمرتين و لا بالثالثه كما أنه لما أوجب فى اللعان أربع شهادات فلو أتى بالأربع بلفظ واحد لما أتى بالشروع و لم يحصل حكم اللعان و كذلك لو رمى فى الجمار بسبع حصيات دفعه واحده لم تجزئ عنه بلا خلاف و كذلك الطلاق.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣٠

### اشاره

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)

### الإعراب

موضع أن فى قوله «فلا- جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا» جر بإضمار الجار و تقديره فى أن يتراجعا عن الخليل و الكسائى و الزجاج و قيل و موضعه نصب و هو اختيار الزجاج و باقى النحويين و موضع أن الثانيه و هو «أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» نصب بلا خلاف بظنا و إنما

جاز حذف في من «أَنْ يَتَرَجَعَا» و لم يجز حذفه من المصدر الذى هو التراجع لطول أن بالصله كما جاز الذى ضربت زيد لطول "الذى" بالصله و لم يجز في المصدر كما لم يجز في اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرو و يريد ضاربه.

## النزول

الزهرى عن عروه عن عائشه قالت جاءت امرأه رفاعه بن وهب القرظى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقالت إني كنت عند رفاعه فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير و أن ما معه مثل هدبه الثوب و أنه طلقنى قبل أن يمسنى فارجع إلى ابن عمى فتبسم رسول الله و قال أ تريدن أن ترجعى إلى رفاعه لا حتى يذوق عسيلتك و تذوقى عسيلته

و فى قصه رفاعه و زوجته نزل فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره.

## المعنى

ثم بين سبحانه حكم التلقيه الثالثه فقال «فَإِنْ طَلَّقَهَا»

يعنى التلقيه الثالثه على ما روى عن أبى جعفر

و به قال السدى و الضحاك و قيل هو تفسير قوله «أَوْ تَشِيرِيحُ بِإِحْسَانٍ» عن مجاهد و هذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا «فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ» أى لا تحل هذه المرأه أى لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذى طلقها حتى تزوج زوجا غيره و يجامعها و يختلف فى ذلك فقيل العقد علم بالكتاب و الوطاء بالسنه عن الجبائى و قيل بل كلاهما علم بالكتاب لأن لفظ النكاح يطلق عليهما فكأنه قيل حتى يتزوج و يجامعها الزوج و لأن العقد مستفاد بقوله «زَوْجًا غَيْرَهُ» و النكاح مستفاد بقوله «حَتَّى تَنْكِحَ» و إنما أوجب الله ذلك لعلمه بصعوبه تزوج المرأه على الرجل حتى لا يعجلوا بالطلاق و أن يتثبتوا قال أبو مسلم و هذا من الكنايات الفصيحه و الإيجاز العجيب «فَمَاِنْ طَلَّقَهَا» الزوج الثانى «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَجَعَا» أى فلا جناح على الزوج و على المرأه أن يعقدا بينهما عقد النكاح و يعودا إلى الحاله الأولى فذكر النكاح بلفظ التراجع «إِنْ طَلَّقَا» أى إن رجيا و قيل علما و قيل اعتقدا «أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» فى حسن الصحبه و المعاشره و أنه يكون بينهما الصلاح «وَتَلَكَّ» إشاره إلى الأمور التى بينها فى النكاح و الطلاق و الرجعه «حُدُودَ اللَّهِ» أوامره و نواهيه «يُبَيِّنُهَا» يفصلها «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» خص العالمين بذكر البيان لهم لأنهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزله من لا يعتد به و يجوز أيضا أن يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرائيل و ميكائيل

بالذكر من بين الملائكة و تدل الآيه على أنه إذا طلقها الثالثه فلا تحل له إلا بعد شرائط الزوج الثاني و وطئه فى القبل و فرقة و انقضاء عدتها. و صفه الزوج الذى يحل المرأه للزوج الأول أن يكون بالغاً و يعقد عليها عقداً صحيحاً دائماً و اختلف فى التحليل على ثلاثه أقاويل فمنهم من قال إذا نوى التحليل يفسد النكاح و لا تحل للأول عن مالك و الأوزاعى و الثورى و روى نحوه عن أبى يوسف و احتجوا

بقوله (لعن الله المحلل و المحلل له)

و منهم من قال إذا لم يشرط فى العقد حل و إذا شرطه يفسد و لا يحل عند الشافعى و منهم من قال يصح العقد و يبطل الشرط و تحل للأول و لكن يكره ذلك و هو الظاهر من مذهب أبى حنيفه و أهل العراق و قال محمد يصح النكاح و لا تحل للأول و فى قوله «فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ» دلالة على أن النكاح بغير ولى جائز و إن المرأه يجوز لها أن تعقد على نفسها لأنه أضاف العقد إليها دون وليها.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣١

### اشاره

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)

### اللغه

الأجل آخر المده و عاقبه الأمور و المراد بالمعروف هاهنا الحق الذى يدعو إليه العقل أو الشرع للمعرفه بصحته خلاف المنكر الذى يزجر عنه العقل أو السمع لاستحاله المعرفه بصحته فما يجوز المعرفه بصحته معروف و ما لا يجوز المعرفه بصحته منكر.

### الإعراب

«فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» الجملة فى موضع جر بالعطف على الجملة قبلها و هى «طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» مجروره الموضع بإضافه إذا إليها و ضرارا نصب الحال من الواو فى

تمسكوهن تقديره و لا- تمسكوهن مضارين و اللام فى لتعتدوا يتعلق بتمسكوا و ضرارا و هزوا مفعول ثان لتتخذوا و ما أنزل موصول و صله فى محل النصب بالعطف على نعمه. من الكتاب فى محل النصب على الحال و العامل فيه اذكروا و ذو الحال ما أنزل و من يكون بمعنى التبيين يعظكم جملة فى موضع الحال و العامل فيه أنزل.

## المعنى

ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال «وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» و هذا خطاب للأزواج «فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ» البلوغ هاهنا بلوغ مقاربه أى قاربن انقضاء العده بما يتعارفه الناس بينهم بما تقبله النفوس و لا تنكره العقول و المراد بالمعروف هاهنا أن يمسكها على الوجه الذى أباحه الله له من القيام بما يجب لها من النفقه و حسن العشره و غير ذلك «أَوْ سَيَّرَهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيكن أملاك بأنفسهن «وَ لَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا» أى لا تراجعوهن لا لرغبه فيهن بل لطلب الإضرار بهن أما فى تطويل العده أو بتضييق النفقه فى العده «لِتَعْتَدُوا» أى لتظلموهن «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» أى الإمساك للمضاره «فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» فقد أضر بنفسه و عرضها لعذاب الله «وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا» أى لا- تستخفوا بأوامره و فروضه و نواهيه و قيل آيات الله قوله «فَأِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحُ بِإِحْسَانٍ» «وَ اذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ» فيما أباحه لكم من الأزواج و الأموال و ما بين لكم من الحلال و الحرام «وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ» يعنى العلوم التى دل عليها و الشرائع التى بينها «يَعُظُّكُمْ بِهِ» لتتعظوا فتؤجروا بفعل ما أمركم الله به و ترك ما نهاكم عنه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى معاصيه التى تؤدى إلى عقابه و قيل اتقوا عذاب الله باتقاء معاصيه «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» من أفعالكم و غيرها.

## اشاره

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

## اللغه

العضل الحبس و قيل هو مأخوذ من المنع و قيل هو مأخوذ من الضيق و الشده و الأمر المعضل الممتنع بصعوبته و عضلت الناقه فهى معضله إذا احتبس ولدها فى بطنها و عضلت الدجاجة إذا احتبس بيضها و تقول عضل المرأه يعضلها عضلا إذا منعها من التزويج ظلما و أعضل الداء الأطباء إذا أعياهم أن يقوموا به و امتنع عليهم لشده و داء عضال و فلان عضله من العضل أى داهيه من الدواهي.

## الإعراب

موضع أن من قوله «أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ» جر عند الخليل و الكسائى و تقديره من أن و نصب عند غيرهما بوصول الفعل « ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ » مبتدأ و خبر و قوله «مَنْ كَانَ (مِنْكُمْ) يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» فى موضع رفع بيوعظ و منكم فى موضع الحال فى الضمير فى يؤمن.

## النزول

نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته جملاء أن ترجع إلى الزوج الأول و هو عاصم بن عدى فإنه كان طلقها و خرجت من العده ثم أراد أن يجتمعا بعقد آخر فمنعها من ذلك فنزلت الآية عن قتاده و الحسن و جماعه و قيل نزلت فى جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدى و الوجهان لا يصحان على مذهبنا لأنه لا ولاية للأخ و ابن العم عندنا و لا تأثير لعضلها فالوجه فى ذلك أن تحمل الآية على المطلقين كما فى الظاهر فكأنه قال لا تعضلوهن أى لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن إضرارا بهن لا رغبه فيهن فإن ذلك لا يسوغ فى الدين و يجوز أن يكون العضل محمولا على الجبر و الحيلولة بينهما و بين التزويج دون ما يتعلق بالولاية.

## المعنى

«وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أى انقضت عدتهن «فَلَا تَعْضُوهُنَّ» أى لا تمنعهن ظلما عن التزوج و قيل المراد به التخليه و قيل هو خطاب للأولياء و منع لهم من عضلهم و قيل خطاب للأزواج يعنى أن تطلقوهن فى السر و لا- تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فييقين لا ممسكات إمساك الأزواج و لا مخليات تخليه الطلاق أو تطولوا العده عليهن «أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ» أى من رضين بهم أزواجا لهن و قيل الذين كانوا أزواجا لهن من قبل «إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ» أى بما لا يكون مستنكرا فى عاده و لا- خلق و لا- عقل و قيل إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدى و قيل إذا تراضيا بالمهر قليلا كان أو كثيرا

«ذَلِكَ» إشاره إلى ما سبق من الأمر و النهى «يُوعَظُ بِهِ» يزجر و يخوف به «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» إنما خصهم بالذكر لأنهم

ص: ٩٩



الذين انتفعوا به أو لأنهم أولى بالاعتاظ به وقيل لأن الكافر إنما يلزمه الوعظ بعد قبوله الإيمان و اعترافه بالله تعالى «ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ» أى خير لكم و أفضل و أعظم بركه و أخرى أن يجعلكم أزكيا «وَ أَطْهَرُ» أى أطهر لقلوبكم من الريه فإنه لعل فى قلبها حبا فإذا منعها من التزويج لم يؤمن أن يتجاوزا إلى ما حرم الله وقيل أطهر لكم من الذنوب «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» ما لكم فيه من الصلاح فى العاجل و الآجل «وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» و أنتم غير عالمين إلا بما أعلمكم و ليس لأحد أن يستدل بالآيه على أن العقد لا يصح إلا- بولى لأنا قد بينا أن المراد بالعضل المنع و إذا حملنا الآيه على أنها خطاب للأزواج سقط قولهم و هذا أولى لأنه لم يجر للأولياء ذكر كما جرى ذكر المطلقين.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣٣

### اشاره

وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِينَ عَنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بَوْلِدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرَضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

### القرءاء

قرأ أهل البصره و ابن كثير و قتيبه عن الكسائى لا تضار بالرفع و تشديد الراء و قرأ أبو جعفر وحده بتخفيف الراء و سكونها و الباقون بتشديدها و فتحها و قرأ ابن كثير وحده ما أتيتم مقصوره الألف و الباقون «ما آتيتم» و كذلك فى الروم.

### الحجه

من رفع فلائن قبله لا- تكلف فأتبعه ما قبله ليكون أحسن لتشابه اللفظ فإن قلت أن ذلك خبر و هذا أمر قيل إن الأمر قد يجىء على لفظ الخبر فى التنزيل ألا ترى إلى قوله «وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ» و يؤكد ذلك أن ما بعده على لفظ الخبر و هو قوله

«وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ» و المعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه صار فى لفظه و من فتح جعله أمرا و فتح الراء ليكون حركته موافقه لما قبلها و هو الألف و أما قراءه أبى جعفر لا تضار فينبغى أن يكون أراد لا تضار كما روى فى الشواذ عن أبان عن عاصم إلا أنه حذف إحدى الرائين تخفيفا كما قالوا أحست فى أحسست و ظلت و مست فى ظللت و مسست و من قرأ «آتَيْتُمْ» فالمراد إيتاء المهر كقوله «وَأَتَيْتُمْ إِخِيْدَاهُنَّ فِنْطَارًا» و قوله «إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» و أما قول ابن كثير فتقديره إذا سلمتم ما أتيتم نقده أو أتيتم سوقه فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلة فكأنه قال أتيت نقد ألف أى بذلته كما يقول أتيت جميلا أى فعلته و يؤيده قول زهير:

فما يك من خير أتوه فإنما

توارثه آباء آبائهم قبل

فكما تقول أتيت خيرا فكذلك تقول أتيت نقد ألف و قد وقع أتيت موضع آتيت و يجوز أن يكون ما فى الآية مصدرا فيكون التقدير إذا سلمتم الإتيان و الإتيان المأتى مما يبذل بسوق أو نقد كقوله ضرب الأمير أى مضروبه.

#### اللغة

الرضع مص الشدى بشرب اللبن منه يقال رضع و رضع و المصنوع الرضع و الرضع و الرضاع و الرضاعة و لثيم راضع يرضع لبن ناقته من لؤمه لثلا يسمع الضيف صوت الشخب و أرضعت المرأة فهى مرضعه و قولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع و الحول السنه مأخوذ من الانقلاب فى قولك حال الشىء عما كان عليه يحول و منه الاستحاله فى الكلام لانقلابه عن الصواب و قيل أخذ من الانتقال من قولك تحول عن المكان و الكسوه مصدر كسوته ثوبا أى ألبسته و اكتسى أى لبس و الكسوه اللباس و التكليف الإلزام الشاق و أصله من الكلف و هو ظهور الأثر لأنه يلزمه ما يظهر فيه أثره و تكلف أى تحمل و الكلف بالشىء الإيلاج به و الوسع الطاقه مأخوذ من سعه المسلك إلى الغرض فيمكن لذلك فلو ضاق لأعجز عنه و السعه فيه بمنزله القدره فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقه و الفصال الفطام لانفصال المولود عن الاغتذاء بشدى أمه إلى غيره من الأقوات و فصيله الرجل بنو أبيه لانفصالهم من أصل واحد و الفصل الفرق و التشاور مأخوذ من الشور و هو اجتناء العسل تقول شرت العسل أشوره شورا إذا اجتنيته من مكانه و المشوره استخراج الرأى من

المستشار لأنها تجتنى منه و أشار إليه إشاره أو ما إليه و المشيره الإصبع التي تسمى السبابه لأنه يشار بها و الشاره الهياه و اللباس الحسن لأنه مما يشار إليه لحسنه و التشوير استخراج سير الدابه كالاجتناء.

## الإعراب

عن تراض فى موضع الحال تقديره فإن أراد متراضين منهما فى موضع جر صفه لتراض «أَنْ تَسْتَرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ» معناه لأولادكم فحذفت اللام للدلاله الاسترضاع عليه من حيث إنه لا يكون إلا للأولاد و لا يجوز دعوت زيدا تريد لزيد لأنه لا يجوز أن يكون مدعوا له إذ معنى دعوت زيدا عمرو خلاف دعوت زيدا فقط فلا يجوز للالتباس و قوله «بِالْمَعْرُوفِ» جاز أن يتعلق بسلمتم كأنه قال إذا سلمتم بالمعروف ما آتيتم و يجوز أن يتعلق بأتيتم على حد قولك أتيته بزيد.

## المعنى

لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه بيان أحكام الأولاد الصغار فى الرضاع و التريه و ما يجب فى ذلك من الكسوه و النفقه فقال «وَالْوَالِدَاتُ» أى الأمهات «يُضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ» صيغته صيغه الخبر و المراد به الأمر أى ليرضعن أولادهن كقوله «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ» و جاز ذلك التصرف فى الكلام مع رفع الإشكال إذ لو كان خبرا لكان كذبا لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل و قولك حسبك درهم معناه اكتف بدرهم تام و قيل هو خبر بمعنى الأمر و تقديره و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فى حكم الله الذى أوجه على عباده فحذف للدلاله عليه و هذا أمر استحباب لا- أمر إيجاب و المعنى إنهن أحق برضاعهم من غيرهن بدليل قوله «وَإِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَضِعْ لَهُ أُخْرَى» ثم بين مده الرضاع فقال «حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» أى عامين تامين أربعة و عشرين شهرا و إنما ذكر كاملين و إن كانت التثنيه تأتى على استيفاء العده لرفع الإبهام الذى يعرض فى الكلام فإن الرجل يقول سرت شهرا و أقمت عند فلان سنه و إن كان قد سار قريبا من شهر و أقام قريبا من سنه و فى هذا بيان لأمرين (أحدهما) مندوب (و الثانى) فرض فالمندوب و هو أن يجعل الرضاع تمام الحولين و المفروض هو أن المرضعه تستحق الأجره فى مده الحولين و لا تستحق فيما زاد عليه و اختلف فى هذا الحد هل هو لكل مولود أو للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود و لكن لمن ولد لسته أشهر و إن ولد لتسعه أشهر فثلاثة و عشرون و إن ولد لتسعه أشهر فأحد و عشرون يطلب بذلك تكمله ثلاثين شهرا فى الحمل و الفصال و على هذا يدل ما رواه أصحابنا فى هذا الباب لأنهم

رووا أن ما نقص عن أحد و عشرين شهرا

وقال الثوري وجماعه هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه رجعا إلى الحولين من غير زياده و لا نقصان و لا يجوز لهما غير ذلك و الرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا و به قال ابن عباس و ابن مسعود و أكثر العلماء قالوا المراد بالآيه بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي الحولين يحرم و ما بعده لا- يحرم و قوله «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ» أى لمن أراد أن يتم الرضاعه المفروضه عليه و هذا يدل على أن الرضاع غير مستحق على الأم لأنه علقه بالإراداه و يدل عليه قوله «وَ إِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزُجُّ لَهٗ أُخْرَى» و قال قتاده و الربيع فرض الله على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين ثم أنزل الرخصه بعد ذلك فقال لمن أراد أن يتم الرضاعه يعنى إن هذا منتهى الرضاع و ليس فيما دون ذلك حد محدود و إنما هو على مقدار صلاح الصبي و ما يعيش به «وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ» يعنى الأب «رِزْقُهُنَّ» يعنى الطعام و الإيدام «وَ كِسْوَتُهُنَّ» يعنى لباسهن و المراد رزق الأم و كسوتها ما دامت فى الرضاعه اللازمه و ذلك فى المطلقه عن الثورى و الضحاك و أكثر المفسرين «بِالْمَعْرُوفِ» يعنى على قدر اليسار لأنه علم أحوال الناس فى الغنى و الفقر و جعل حق الحضانه للأم و النفقه على الأب على قدر اليسار و لم يرد به نفقه الزوجات لأنه قابلها بالإرضاع و نفقه الزوجه لا- تجب بسبب الإرضاع و إنما تجب بسبب الزوجيه و قال بعضهم أراد به نفقه الزوجات و قوله «لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا» أى لا يلزم إلا دون طاقتها «لا تَضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا» أى لا تترك الوالده إرضاع ولدها غيظا على أبيه فتضر بولده به لأن الوالده أشفق عليه من الأجنبيه «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ» أى لا يأخذه من أمه طلبا للإضرار بها فيضر بولده فيكون المضاره على هذا بمعنى الإضرار أى لا تضر الوالده و لا الوالد بالولد و إنما قال تضار و الفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغه كان بمنزله أن يكون الفعل من اثنين و قيل الضرر يرجع إلى الولد كأنه يقول لا يضار كل واحد من الأب و الأم بالصبي الأم بأن لا ترضعه و الأب بأن لا ينفق أو بأن ينتزعه من الأم و الباء زائده و المعنى لا تضار والده ولدها و لا والد ولده و قيل معناه لا تضار والده الزوج بولدها و لو قيل فى ولدها لجاز فى المعنى و

روى عن السيدين الباقر و الصادق (عليه السلام) لا تضار والده بأن يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع

«وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ» أى لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضر ذلك بالأب و قيل لا تضار والده بولدها بأن ينتزع الولد منها و يسترضع امرأه غيرها مع إجابتها إلى الرضاع بأجره المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ» أى لا تمتنع هى من الإرضاع إذا أعطيت أجره مثلها فإن فعلت استأجر الأب مرضعه ترضعه غيرها و لا تمنعه من رؤيه الولد، فيكون

فيه مضاره بالوالد وقوله «بَوْلَدِهِ» بسبب ولده أيضا وليس بين هذه الأقوال تناف فالأولى حمل الآيه على جميعها وقوله «وَعَلَى الْوَارِثِ» قيل معناه وارث الولد عن الحسن و قتاده و السدى و هو من يرثه إذا مات و قيل وارث الوالد عن قبيصه بن ذؤيب و الأول أقوى «مِثْلُ ذَلِكَ» أى مثل ما كان على الوالد من النفقه و الرضاع عن الحسن و قتاده و قيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضاره عن الضحاك و المفهوم عند أكثر العلماء الأمران معا و هو أليق بالعموم و اختلفوا فى أن النفقه على كل وارث أو على بعضهم فقيل هى على العصابات دون أصحاب الفرائض من الأم و الأخوه من الأم عن عمر بن الخطاب و الحسن و قيل على وارث الصبى من الرجال و النساء على قدر النصيب من الميراث عن قتاده و قيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون ذى رحم ليس بمحرم كابن العم و ابن الأخت فيجب على ابن العم و إن كان وارثه فى تلك الحال عن أبى حنيفة و صاحبيه و قيل على الوارث أى الباقي من أبويه عن سفيان و هو الصحيح عندنا و هو أيضا مذهب الشافعى لأن عنده لا يجبر على نفقه الرضاع إلا الولدان فقط و

قد روى أيضا فى أخبارنا أن على الوارث كائنا من كان النفقه

و هذا يوافق الظاهر و به قال قتاده و أحمد و إسحاق و قوله «فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا» أى

قبل الحولين عن مجاهد و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله

و قيل قبل الحولين أو بعدهما عن ابن عباس «عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا» أى من الأب و الأم «وَتَشَاوُرٍ» يعنى اتفاق منهما و مشاوره و إنما بشرط تراضيهما و تشاورهما مصلحة للولد لأن الوالده تعلم من تربيته الصبى ما لا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا و يتشاورا فى ذلك أدى إلى ضرر الصبى «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» أى لا حرج عليهما إذا تماسك الولد فإن تنازعا رجعا إلى الحولين و قوله «وَإِنْ أَرَدْتُمْ» خطاب للآباء «أَنْ تَشْتَرِيَهُمْ أَوْ أَوْلَادَكُمْ» أى لأولادكم أن تطلبوا لهم مرضع غير أمهاتهم لآباء أمهاتهم الرضاع أو لعله بهن من انقطاع لبن أو غيره «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أى لا حرج و لا ضيق فى ذلك «إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ» أى إذا أسلمتم إلى الأم أجره المثل مقدار ما أرضعت عن مجاهد و السدى و قيل إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض و اتفاق دون ذلك الضرر عن أبى شهاب و هذا معنى قول ابن عباس و فى روايه عطاء قال إذا سلمت أمه و رضى أبوه لعل له غنى يشتري له مرضعا و قيل إذا سلمتم أجره المسترضعه عن الثورى و قيل إذا سلمتم أجره الأم أو الظئر عن ابن جريج و معنى قوله «آتَيْتُمْ» ضمنتم و ألزمتم ثم أوصى بالتقوى فقال «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» يعنى معاصيه أو عذابه فى مجاوزة ما حده لكم «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى بأعمالكم «بَصِيرٌ» أى عليم لا يخفى عليه شىء منها و فى قوله «لَا تُكَلِّفُ

نَفْسٍ إِلَّا وَسَّيْعَهَا» دلالة على فساد قول المجبره فى حسن تكليف ما لا- يطابق لأنه إذا لم يجر أن يكلف مع عدم الجده فإن لا يكلف مع عدم القدره أخرى فإن فى الحالين لا سبيل له إلى أداء ما كلف.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣٤

### اشاره

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)

### القراءه

روى فى الشواذ عن على (عليه السلام) يتوفون بفتح الياء.

### الحجه

قال ابن جنى هو على حذف المفعول أى الذين يتوفون أيامهم أو آجالهم و أعمارهم و حذف المفعول به كثير فى القرآن و فصيح الكلام إذا كان هناك دليل عليه كما قال الله وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ءِ أَي شَيْئًا قَالَ الْحَطِيبُ:

منعمه تصون إليك منها

كصونك من رداء شرعى

أى تصون الكلام منها و توفيت الشىء استوفيته أخذته و افياء.

### اللغه

يدر و يدع يترك و لا يستعمل منهما الماضى استغنى عنه بترك و العله فى ذلك أنهم تركوا الواوات فى أول الكلمه حتى أنهم لم يلحقوها أولا- على جهه الزيادة أصلا و الأجل غايه الوقت فى محل الدين و نحوه لتأخيره إلى ذلك الوقت و الأجل نقيض العاجل لتأخره عن وقت غيره و فعله من أجل كذا أى لعاقبه كذا و هى متأخره عن وقت الفعل الذى دعت إليه و القطيع من بقر الوحش يسمى أجلا و قد تأجل الصوار أى صار أجلا لتأخر بعضه عن بعض و أجل عليهم شرا أجلا أى جناه لأنه أعقبهم شرا و الآ-جله الآ-خره و العاجله الدنيا و الخبير العالم بمخبر الخبر و أصله من السهوله و الخبار الأرض السهله و أخبرت بالشىء لأنه تسهيل لطريق العلم به و الخبير الأكار و المخابره المؤاكره و هو أن يزرع على النصف أو الثلث أو نحوه و ذلك لتسهيل الزراعه.

### الإعراب

الذين مرتفع بالابتداء و يتوفون صلته و منكم فى موضع نصب على



الحال من الواو فى يتوفون «وَ يَدْرُونَ أَزْوَاجًا» عطف على الصلّه فهو أيضا من الصلّه و يتربصن و ما بعده خبر المبتدأ و إذا كان خبر المبتدأ لا يخلو من أن يكون هو هو أو يكون له فيه ذكر فلا يجوز أن يكون هذا الظاهر على الذى هو عليه لخلوه من ضربى خبر الابتداء و قد قيل فيه أقوال (أحدها) أن تقدير خبر المبتدأ يتربصن بعدهم لأن المعنى يتربصن أزواجهم بعدهم أربعة أشهر و عشرا و جاز حذف هذا الذى يتعلق به الراجع إلى المبتدأ كما جاء ذلك فى قولهم السمن منوان بدرهم و المعنى على منوان منه بدرهم عن الأخفش (و الثانى) أن يكون تقديره أزواجهم يتربصن عن أبى العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدأ الذى هو أزواجهم و ساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه كما يسوغ حذف المفرد إذا قامت الدلالة عليه و قيام الدلالة على المضاف أن الأزواج قد تقدم ذكرهن فساغ إضمارهن و حسن و أما حذف المضاف إليه فلاقتضاء المبتدأ الراجع إليه و قد جاء المبتدأ مضافا محذوفا كما جاء المفرد و ذلك قوله تعالى: «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ» أى تقلبهم متاع قليل (و الثالث) أن يكون تقديره يتربصن أزواجهن ثم كنى عن الأزواج عن الكسائى و إنما قال و عشرا بالتأنيث تغليا لليالى على الأيام إذا اجتمعت فى التاريخ لأن ليله كل يوم قبله كما قيل لخمس بقين و قد علم المخاطب أن الأيام داخله مع الليالى و أنشد سيبويه:

فطافت ثلاثا بين يوم و ليله

يكون النكير أن تضيف و تجارا

فيما فعلن ما مع صلته فى موضع الجر بفى و قوله «بِالْمَعْرُوفِ» الجار و المجرور فى موضع النصب على الحال.

## المعنى

لما بين عده المطلقات بين عده الوفاة فقال «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ» منكم أى يقبضون و يموتون «وَ يَدْرُونَ» أى يتركون «أَزْوَاجًا» أى نساء «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ» أى ينتظرن انقضاء العده و يجبسن أنفسهن عن التزويج معتدات «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا» أى و عشر ليال و عشره أيام و هذه عده المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها حره كانت أو أمه فإن كانت حبلى فعدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل أو مضى أربعة أشهر و عشر و وافقنا فى عده الأمه الأصم و خالف باقى الفقهاء فى ذلك فقالوا عدتها نصف عده الحره شهران و خمسه أيام و إليه ذهب قوم من أصحابنا و قالوا فى عده الحامل أنها بوضع الحمل و إن كان بعد على المغتسل و روى ذلك عن عمر بن



الخطاب و أبي مسعود البدرى و أبي هريره و عندنا أن وضع الحمل يختص عدّه المطلقه و الذى يجب على المعتده فى عدّه الوفاه اجتنابه هو الزينه و الكحل بالإثممد و ترك النقله عن المنزل عن ابن عباس و الزهرى و الامتناع من التزوج لا- غير عن الحسن و إحدى الروايتين عن ابن عباس و عندنا أن جميع ذلك واجب «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أى آخر العده بانقضائها «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» قيل أنه خطاب للأولياء و قيل لجميع المسلمين لأنه يلزمهم منعها عن التزوج فى العده و قيل معناه لا جناح على النساء و عليكم «فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ» من النكاح و استعمال الزينه التى لا- ينكر مثلها و هذا معنى قوله «بِالْمَعْرُوفِ» و قيل معنى قوله «بِالْمَعْرُوفِ» ما يكون جائزا و قيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عليم و هذه الآيه ناسخه لقوله «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّهُ لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ» و إن كانت متقدمه فى التلاوه عليه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣٥

### اشاره

وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذُكَّرُونَ هُنَّ وَ لَكِنْ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَ لَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)

### النزول

آيه فى الكوفى و آيتان فى غيرهم يترك «قَوْلًا مَعْرُوفًا» الكوفى.

### اللغه

التعريض ضد التصريح و هو أن تضمن الكلام دلالة على ما تريد و أصله من العرض من الشىء الذى هو جانبه و ناحيه منه و

فى الحديث من عرض عرضنا و من مشى على الكلا ألقيناه فى النهر

و معناه من عرض بالقذف عرضنا له بتأديب لا يبلغ الحد و من صرح ألقيناه فى نهر الحد و الفرق بين التعريض و الكنايه أن التعريض تضمنين الكلام دلالة

ص: ١٠٧

على شىء ليس فيه ذكر له و الكنايه العدول عن الذكر الأخص بالشىء إلى ذكر يدل عليه فالأول كقول القائل ما أقيح البخل تعرض بأن المخاطب بخيل (و الثانى) كقولك زيدا ضربته كنيته عنه بالهاء و الخطبه الذكر الذى يستدعى به إلى عقده النكاح أخذ من الخطاب و هو توجيه الكلام للأفهام و الخطبه الوعظ المتسق على ضرب من التأليف و قيل الخطبه ما له أول و آخر مثل الرساله و الخطبه للحال نحو الجلسه و القعده و الإكنان الستر للشىء و الكن الستر أيضا و الفرق بين الإكنان و الكن أن الإكنان الإضمار فى النفس و لا يقال كنىته فى نفسى و الكن فى معنى الصون و فى التنزيل يَبْصُرُ مَكْنُونٌ و الكانون يحتاج إليه فى وقت الاكتنان من البرد و الكنانه الجعبه الصغيره تتخذ للنبل و السر فى اللغه على ثلاثه أوجه الإخفاء فى النفس و الشرف فى الحساب يقال فلان فى سر قومه أى فى صميمهم و الجماع فى الفرج قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسه اليوم أننى

كبرت و أن لا يشهد السر أمثالى

و قال الأعشى:

و لا تنكحن جاره إن سرها

عليك حرام فانكحن أو تأبدا

و العزم عقد القلب على أمر تفعله و

فى الحديث خير الأمور عوازمها

يعنى ما وكدت عزمك عليه و العقده من العقد و هو الشد و فى المثل يا عاقد اذكر حلا و عقد اليمين خلاف اللغو.

## الإعراب

«فِيمَا عَرَّضْتُمْ» الجار و المجرور فى موضع الحال و كذا فى قوله «مِنْ خِطْبِهِ النَّسَاءِ» «أَنْ تَقُولُوا» فى موضع نصب بدل من سرا تقديره و لا تواعدوهن إلا قولا معروفا «وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النَّكَاحِ» أى على عقده النكاح فحذف على استخفافا كما قالوا ضرب زيد الظهر و البطن معناه على الظهر و البطن قال سيويه أن الحذف فى هذه الأشياء لا يقاس عليه.

## المعنى

لما تقدم ذكر عدو النساء و جواز الرجعه فيها للأزواج عقبه بيان حال غير الأزواج فقال «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أى لا حرج و لا ضيق عليكم يا معشر الرجال «فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبِهِ النَّسَاءِ» المعتدات و لم تصرحوا به و ذلك بأن تذكروا ما يدل على

رغبتكم فيها ثم اختلف في معناه فقيل التعريض هو أن يقول الرجل للمعتده إنى أريد النكاح و إنى أحب امرأه من صفتها كذا و كذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس و قيل هو أن يقول إنك لنافعه و إنك لموافقته لى و إنك لمعجبه جميله فإن قضى الله شيئا كان عن القاسم بن محمد و الشعبي و قيل هو كل ما كان من الكلام دون عقده النكاح عن ابن زيد «أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ» أى أسررتم و أضمرتم فى أنفسكم من نكاحهن بعد مضى عدتهن و قيل هو إسرار العزم دون إظهاره و التعريض إظهاره عن مجاهد و ابن زيد «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَيَتَذَكَّرُونَ هُنَّ» برغبتكم فيهن خوفا منكم أن يسبقكم إليهن غيركم فأباح لكم ذلك «وَ لَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا» فيه أقوال (أحدها) أن معناه لا تواعدوهن فى السر لأنها أجنبيه و المواعده فى السر تدعو إلى ما لا يحل (و ثانيها) أن معناه الزنا عن الحسن و إبراهيم و قتاده و قالوا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنيه و هو معرض للنكاح فنهوا عن ذلك (و ثالثها) أنه العهد على الامتناع من تزويج غيرك عن ابن عباس و سعيد بن جبير (و رابعها) هو أن يقول لها إنى ناكحك فلا تفوتينى نفسك عن مجاهد (و خامسها) أن السر هو الجماع فمعناه لا تصفوا أنفسكم بكثرة الجماع و لا تذكره عن جماعه. (و سادسها) أنه إسرار عقده النكاح فى السر عن عبد الرحمن بن زيد و يجمع هذه الأقوال ما

روى عن الصادق أنه قال لا تصرحوا لهن النكاح و التزويج قال و من السر أن يقول لها موعدك بيت فلان

«إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا» يعنى التعريض الذى أباحه الله و إلا بمعنى لكن لأن ما قبله هو المنهى عنه و ما بعده هو المأذون فيه و تقديره و لكن قولوا قولاً معروفاً «وَ لَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النَّكَاحِ» أى على عقده النكاح يعنى لا تبتوا النكاح و لا تعقدوا عقده النكاح فى العده و لم يرد به النهى عن العزم على النكاح بعد العده لأنه أباح ذلك بقوله «أَوْ أَكُنْتُمْ» «حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» معناه حتى تنقضى العده بلا خلاف و قيل الكتاب هو القرآن و المعنى حتى يبلغ فرض الكتاب أى ما فرض فى القرآن من العده و الأجل المضروب لها و قيل معناه حتى يبلغ الفرض أجله و عبر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب أى فرض و هذا لأن ما كتب فقد أثبت فقد اجتمعا فى معنى الثبوت و قيل أن هذا تشبيه للعده بالدين المؤجل المكتوب أجله فى كتاب فكما يتأخر المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب أجله كذلك يتأخر خطبه النكاح فى العده إلى انقضاء العده «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ» من أسراركم و ضمائركم «فَاخْذَرُوهُ» فاتقوا عقابه و لا تخالفوا أمره «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» لعباده «حَلِيمٌ» يمهل العقوبه المستحقه فلا يعجل بها.

## إشارة

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَتَعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)

## القراءة

قرأ حمزه و الكسائي تماسوهن بضم التاء و بألف في موضعين هاهنا و في الأحزاب و قرأ الباقون «تَمَسُّوهُنَّ» و قرأ أبو جعفر و أهل الكوفة إلا أبا بكر و ابن ذكوان قدره بفتح الدال في الموضعين و الباقون بإسكانها.

## الحجج

حججه من قرأ «تَمَسُّوهُنَّ» قوله «وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرًا» و «لَمْ يَطْمِئُنُّهُنَّ» و «فَأَنكِحُوهُنَّ» و النكاح عبارته عن الوطء قال جرير:

التاركون على طهر نساءهم

و الناكحون بشطىء دجله البقرا

و حججه من قرأ و لا تماسوهن أن فاعل و فعل قد يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر و ذلك نحو طارقت النعل و عاقبت اللص و قال أبو الحسن يقال هو القدر و القدر و هم يختصمون في القدر و القدر قال الشاعر:

(ألا يا لقوم للنوائب و القدر)

و خذ منه بقدر كذا و قدر كذا لغتان و في كتاب الله فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةَ بِقَدْرِهَا و قدرها و «عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ» و قدره و ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ و لو حركت كان جائزا و كذلك إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ و لو خففت كان جائزا إلا أن رءوس الآي كلها متحركة فيلزم الفتح لأن ما قبلها مفتوح.

## اللغة

الموسع الذى يكون فى سعه لغناه و المقتر الذى يكون فى ضيق لفقره يقال أوسع الرجل إذا كثر ماله و اتسعت حاله و أقر إذا افتقر و قترت الشىء أى أقرته قترا و قترته تقتيرا إذا ضيقت الإنفاق منه و القتر دخان الشحم على النار لقلته بالإضافة إلى بقيته و القتر الغبار و القتر مسامير الدرع لقلتها و صغرها و القتر ابتداء الشيب لقلته و يجوز أن يكون مشبها بالدخان أول ما يرتفع و القتره ناموس الصائد لأنها كالقتر و أصل الباب الإقلال و قدرت الشىء أى قدره و أقدره قدرا و قدرت على الشىء أى أقدر عليه قدره و قدورا.

## الإعراب

«مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ» موصول و صله فى موضع نصب تقديره مده ترك المس فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و العامل فى الظرف طلق و جواب الشرط محذوف تقديره إن طلقتم النساء فلا جناح عليكم متاعا نصب على أحد وجهين إما أن

ص: ١١٠

يكون حالاً- من قدره و العامل فيه الظرف أى ممتعا متاعا و أما على المصدر أى متعوهن متاعا و حقا ينتصب أيضا على أحد وجهين إما أن يكون حالاً من قوله «بِالْمَعْرُوفِ» و العامل فيه معنى عرف حقا و إما أن يكون على التأكيد بجمله الخبر فكأنه قال أخبركم به حقا أو أحقه حقا أو حق ذلك عليهم حقا كأنه قال إيجابا على المحسنين.

## المعنى

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل الفرض و الميسيس فقال «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ» هذا إباحه للطلاق قبل الميسيس و فرض المهر فرفع الإثم عن الطلاق قبل الدخول لثلا يتوهم أحد أن الطلاق فى هذه الحاله محظور و المس كناية عن الوطء و المفروض صداقها داخله فى دلالة الآية و إن لم يذكر لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن «أَوْ» لم «تَفْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً» لأن أو تنبئ عن ذلك إذ لو كان على الجمع لكان بالواو و المراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لأنه يجب بالعقد على المرأة فهو فرض لوجوبه بالعقد و معناه أو لم تقدروا لهن مهرا مقدر و إنما خص التى لم يدخل بها الذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها و إن كان حكمهما واحدا لأمرين (أحدهما) لإزالة الشك على ما قدمنا ذكره (و الثانى) لأن له أن يطلق التى لم يدخل بها أى وقت شاء بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز أن يطلقها إلا فى طهر لم يجامعها فيه «و مَتَّعُوهُنَّ» أى أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به و المتعه و المتاع ما يتمتع به «عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ» أى على الغنى الذى هو فى سعه لغناه على قدر حاله «و عَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ» أى على الفقير الذى هو فى ضيق بقدر إمكانه و طاقته و

المتعه خادم أو كسوه أو رزق عن ابن عباس و الشعبي و الربيع و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و هو مذهب الشافعى و قيل هو مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحه عن أبى حنيفة و أصحابه ثم اختلف فى ذلك

فقيل إنما تجب المتعه للتى لم يسم لها صداق خاصه عن سعيد بن المسيب و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و هو مذهب أبى حنيفة و أصحابه و قيل المتعه لكل مطلقه إلا المختلعه و المبارئه و الملاعنه عن الزهرى و سعيد بن جبير و أبى العالیه و قيل المتعه لكل مطلقه سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق و لا متعه لها عن ابن عمر و نافع و عطاء و هو مذهب الشافعى و قد رواه أصحابنا أيضا و ذلك محمول على الاستحباب و قوله «مَتَاعًا» أى و متعوهن متاعا «بِالْمَعْرُوفِ» أى وسطا ليس فيه إسراف و لا تقتير و قيل متاعا معتبرا بحال الرجل فى اليسار و الإقتار و قيل معتبرا بحالهما جميعا إذ لا يسوى بين حره شريفه و بين أمه معتقه ليكون ذلك خارجا عن التعارف عن القاضى و قال أهل المدينة يؤمر الزوج به من غير أن يجبر عليه و عندنا يجبر عليه و به

قال أهل العراق «حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ» أى واجبا على الذين يحسنون الطاعة و يجتنبون المعصية و إنما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لا أنه لا يجب على غيرهم و دل ذلك على وجوب الإحسان على جميعهم فإن على كل إنسان أن يكون محسنا فهو كقوله هُدًى لِلْمُتَّقِينَ و قيل معناه من أراد أن يحسن فهذا حقه و حكمه و طريقه عن أبى مسلم هذا كله فى المطلقه فأما المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث و عليها العده إجماعا و قال أكثر الفقهاء لها صداق مثلها و حكى أبو على الجبائى عن بعض الفقهاء أنه قال لا مهر لها و هو الذى يليق بمذهبنا لأنه لا نص لأصحابنا فى ذلك.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣٧

### اشاره

وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

### القراءه

روى فى الشواذ عن الحسن أو يعفو الذى بيده بسكون الواو و عن على (عليه السلام) و لا تناسوا الفضل.

### الحجه

قال ابن جنى سكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل و سكون الياء فيه أكثر و أصل السكون فى هذا إنما هو للألف نحو أن يسعى ثم شبهت الياء بالألف لقربها منها نحو قوله:

كان أيديهن بالموماه

أيدي جوار بتن ناعمات

و قوله:

(كان أيديهن بالقاع القرق)

ثم شبهت الواو فى ذلك بالياء قال الأخطل:

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها

رفعن و أنزلن القطين المولدا

و قال:

" أبى الله أن أسمو بأم و لا أب "

و أما قوله تعالى ولا تناسوا فإنما هو نهى

ص: ١١٢



عن فعلهم الذى اختاروه و تظاهروا به كما يقال تغافل و تصام و تحسن هذه القراءه إنك إنما تنهى الإنسان عن فعله و النسيان ظاهره أن يكون من فعل غيره كأنه أنسى فنسى قال الله سبحانه و ما أنسانيه إلا الشيطان.

## الإعراب

«فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» رفع تقديره عليكم نصف ما فرضتم و قوله «يَعْفُونَ» فى موضع نصب بأن إلا أن فعل المضارع إذا اتصل به نون ضمير جماعه المؤنث بنى فيستوى فى الرفع و النصب و الجزم و «أَنْ يَعْفُونَ» موصول و صله فى محل نصب على الاستثناء «أَوْ يَعْفُوا» تقديره أو أن يعفو و هو فى محل نصب بالعطف على الموصول و الصله قبلها «وَأَنْ تَعْفُوا» فى موضع الرفع بالابتداء و أقرب خبره و تقديره و العفو أقرب للتقوى و اللام يتعلق بأقرب و هو بمعنى من أو إلى و الألف و اللام فى النكاح بدل من الإضافة إذ المعنى أو يعفو الذى بيده عقده نكاحه و مثله قوله «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» و معناه هى مأواه.

## المعنى

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال «وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ» يعنى إن طلقتم أيها الرجال النساء «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ» أى تجامعوهن «وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً» أى أوجبتن لهن صداقا و قدرتم مهرا «فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» أى فعليكم نصف ما قدرتم و هو المهر المسمى «إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ» يعنى الحرائر البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن أى يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق فلا يطالبن الأزواج بذلك عن ابن عباس و مجاهد و سائر أهل العلم «أَوْ يَعْفُوا» أى يترك و يهب الذى بيده عقده النكاح

قيل هو الولى عن مجاهد و علقمه و الحسن و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و هو مذهب الشافعى غير أن عندنا الولى هو الأب أو الجد مع وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ فأما من عداهما فلا ولايه له إلا بتوليتها إياه و

قيل هو الزوج و روه عن على

و سعيد بن المسيب و شريح و إبراهيم و قتاده و الضحاك و هو مذهب أبى حنيفة و رواه أيضا أصحابنا غير أن الأول أظهر و هو المذهب

و من جعل العفو للزوج قال له أن يعفو عن جميع النصف و من جعله للولى من أصحابنا قال له أن يعفو عن بعضه و ليس له أن يعفو عن جميعه فإن امتنعت المرأه عن ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضته المصلحه عن أبى عبد الله

«وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» خطاب للزوج و المرأه جميعا عن ابن عباس و للزوج وحده عن الشعبى قال و إنما جمع لأنه خطاب لكل زوج و قول ابن عباس أقوى لعمومه و إنما كان العفو أقرب للتقوى من وجهين (أحدهما) أن معناه أقرب إلى أن يتقى

أحدهما ظلم صاحبه لأن من ترك لغيره حق نفسه كان أقرب إلى أن لا- يظلم غيره بطلب ما ليس له (و الثاني) أن معناه أقرب إلى أن يتقى معصيه الله لأن من ترك حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يعصى الله بطلب ما ليس له «وَلَا تَتَسَوَّا الْفَضْلَ بَيْنَكُم» أى لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان بينكم والإفضال فتأخذوا بمر الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال بين الله سبحانه فى هذه الآيه الحكم الذى لا يعذر أحد فى تركه وهو أنه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر ولا للمرأة أن تطالبه بالزيادة ثم بين طريق الفضل من الجانبين و ندب إليه و حث عليه «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى بأعمالكم «بَصِيرٌ» أى عليم و روى عن سعيد بن المسيب أن هذه الآيه ناسخه لحكم المتعه فى الآيه الأولى و قال أبو القاسم البلخى و هذا ليس بصحيح لأن الآيه تضمنت حكم من لم يدخل بها و لم يسم لها مهرا إذا طلقها و هذه تضمنت حكم التى فرض لها المهر و لم يدخل بها إذا طلقها و أحد الحكمين غير الآخر و أقول إذا بينا فى الآيه الأولى أنها تتناول المطلقات غير المدخول بهن سواء فرض لهن المهر أو لم يفرض و قلنا إن متعهن لا يحمل على العموم إذ لا متعه لمن فرض لها المهر و إن لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه و تقدير و حذف أى و متعوا من طلقتم منهن و لم تفرضوا لهن فريضه و إنما جاز هذا الحذف لدلاله ذكر من فرض لها المهر و حكمها فى الآيه الأخرى عليه و هذا ما سنح لى هاهنا و لم أر أحدا من المفسرين تعرض لذكره و بالله التوفيق.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣٨

### اشاره

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)

### اللغه

الحفظ ضبط الشىء فى النفس ثم يشبهه به ضبطه بالمنع من الذهاب و الحفظ خلاف النسيان و أحفظه أغضبه لأنه حفظ عليه ما يكرهه و منه الحفيظه الحميه و الحفاظ المحافظه و الوسطى تأنيث الأوسط و هو الشىء بين الشئيين على جهه الاعتدال و أصل القنوت الدوام على أمر واحد و قيل أصله الطاعه و قيل أصله الدعاء فى حال القيام قال على بن عيسى و الأول أحسن لحسن تصرفه فى الباب لأن المداوم على الطاعه قانت و كذلك المداوم فى صلاته على السكوت إلا عن الذكر المشروع و كذلك المداوم على الدعاء و يقال فلان يقنت عليه أى يدعو عليه دائما.

### النزول

عن زيد بن ثابت أن النبى كان يصلى بالهاجره و كانت أثقل الصلوات

على أصحابه فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان فقال لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فنزلت هذه الآية ..

## المعنى

لما حث الله سبحانه على الطاعة خص الصلاة بالمحافظة عليها لأنها أعظم الطاعات فقال «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ» أى داوموا على الصلوات المكتوبات فى مواعيقتها بتمام أركانها ثم خص الوسطى تفخيماً لشأنها فقال «وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى» كقوله سبحانه «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ» أى و الصلاة الوسطى خاصة فداوموا عليها ثم اختلف فى الصلاة الوسطى على أقوال (أحدها)

أنها صلاة الظهر عن زيد بن ثابت و ابن عمر و أبى سعيد الخدرى و أسامه و عائشه و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله و هو قول أبى حنيفة و أصحابه و

ذكر بعض أئمة الزيدية إنها الجمعة يوم الجمعة و الظهر سائر الأيام و رواه عن على

و يدل عليه سبب نزول هذه الآية و هو أنها وسط النهار و أول صلاة فرضت و

روى عن على قال قال النبى ص إن الله فى السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فإذا زالت الشمس سبح كل شىء لربنا فأمر الله سبحانه بالصلاة فى تلك الساعة و هى الساعة التى تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر و يستجاب فيها الدعاء (و ثانيها)

أنها صلاة العصر عن ابن عباس و الحسن و روى ذلك عن على

و ابن مسعود و قتاده و الضحاك و روى ذلك عن أبى حنيفة و

روى مرفوعاً إلى النبى قالوا لأنها بين صلاتى النهار و صلاتى الليل و إنما خصت بالذكر لأنها تقع فى وقت اشتغال الناس فى غالب الأمر

و

روى عن النبى أنه قال الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله و ماله

و

روى بريده قال قال النبى ص بكروا بالصلاة فى يوم الغيم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله

(و ثالثها) أنها المغرب عن قيصره بن ذؤيب قال لأنها وسط فى الطول و القصر من بين الصلوات و

روى الثعلبى بإسناده عن عائشه قالت قال رسول الله إن أفضل الصلوات عند الله صلاه المغرب لم يحطها الله عن مسافر و لا مقيم فتح الله بها صلاه الليل و ختم بها صلاه النهار فمن صلى المغرب و صلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرًا فى الجنة و من صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين أو أربعين سنه

(و رابعها) أنها صلاه العشاء الآخره عن بعضهم قال لأنها بين صلاتين لا تقصران و

روى عن النبى أنه قال من صلى العشاء الآخره فى جماعه كان كقيام نصف ليله و من صلى صلاه الفجر فى جماعه كان كقيام ليله

(و خامسها) أنها صلاه الفجر عن معاذ و ابن عباس و جابر بن عبد الله و عطاء و عكرمه و مجاهد و هو قول الشافعى قالوا لأنها بين صلاتى الليل و صلاتى النهار و بين الظلام و الضياء و لأنها صلاه لا تجمع مع غيرها فهى منفرده بين مجتمعين و يدل عليه

ص: ١١٥

من التنزيل قوله وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً يعنى تشهده ملائكه الليل و ملائكه النهار و هو مكتوب فى ديوان الليل و ديوان النهار قالوا و يدل عليه آخر الآيه و هو قوله «وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» يعنى و قوموا فيها لله قانتين قال أبو رجاء العطاردى صلى بنا ابن عباس فى مسجد البصره صلاه الغداه فقتت فيها قبل الركوع و رفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاه الوسطى التى أمرنا أن نقوم فيها قانتين أورده الثعلبى فى تفسيره و

روى بإسناده مرفوعا إلى أنس بن مالك قال ما زال رسول الله يقنت فى صلاه الغداه حتى فارق الدنيا

(و سادسها) أنها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله و أخفاها فى جملة الصلوات المكتوبه ليحافظوا على جميعها كما أخفى ليله القدر فى ليالى شهر رمضان و اسمه الأعظم فى جميع الأسماء و ساعه الإجابة فى ساعات الجمعة عن الربيع بن خيثم و أبى بكر الوراق «وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» قال ابن عباس

معناه داعين و القنوت هو الدعاء فى الصلاه فى حال القيام و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و قيل معناه طائعين عن الحسن و سعيد بن المسيب و قتاده و الضحاك و طاووس و إحدى الروايتين عن ابن عباس و قيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث و الالتفات فى الصلاه و قيل ساكنين عن ابن مسعود و زيد بن أرقم و الأصل فيه الإتيان بالدعاء أو غيره من العبادات فى حال القيام و يجوز أن يطلق فى سائر الطاعات فإنه و إن لم يكن فيه القيام الحقيقى فإن فيه القيام بالعباده.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٣٩

### اشاره

فَإِنْ حِفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

### اللغه

الرجال جمع راجل مثل تجار و صحاب و قيام فى جمع تاجر و صاحب و قائم و الراجل هو الكائن على رجله واقفا كان أو ماشيا و الركبان جمع راكب كالفرسان جمع فارس و كل شىء علا شيئا فقد ركب و الركاب المطى و ركب الرجل أركبه ركبا أى ضربته بركبته و أصبت ركبته أيضا و هذا قياس فى جميع الأعضاء نحو رأسه و بطنته و ظهرته.

### الإعراب

رجالا- منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا- كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا و ما مصدرية فى ما علمكم و قوله «ما لم تكونوا تعلمون» موصول و صلته فى موضع المفعول الثانى لعلم.

لما قدم سبحانه وجوب المحافظة على الصلاة عقبه بذكر الرخصه عند المخافه فقال «فَإِنْ خِفْتُمْ» أى إن لم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين الصلاة حقها لخوف عرض لكم «فَرَجَالًا» أى فصلوا رجالا- على أرجلكم وقيل مشاه «أَوْ رُكْبَانًا» أى على ظهور دوابكم عنى بها صلاة الخوف و صلاة الخوف من العدو ركعتان فى السفر والحضر إلا المغرب فإنها ثلاث ركعات و

يروى أن عليا صلى ليله الهرير خمس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير وإن النبى صلى يوم الأحزاب إيماء

«فَإِذَا أَمِنتُمْ» من الخوف «فَمَاذُكُرُوا اللَّهَ» أى فصلوا صلاة الأيمن وقيل اذكروا الله بالثناء عليه والحمد له «كَمَا عَلَّمَكُم» من أمور دينكم وغير ذلك من أموركم «مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ».

## سوره البقره (٢): آيه ٢٤٠

### اشاره

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّهٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)

### القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن كثير و الكسائى و أبو بكر عن عاصم وصيه بالرفع و الباقون بالنصب.

### الحجه

قال أبو على حجه من قرأ وصيه بالرفع أنه يجوز أن يرتفع من وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ و الظرف خبره و حسن الابتداء بالنكره لأنه موضع تخصيص كما حسن أن يرتفع سلام عليكم و خير بين يديك و نحو قوله لملتمس المعروف أهل و مرحب لأنها فى موضع دعاء فجاز فيها الابتداء بالنكره لما كان معناها كمعنى المنصوب (و الآخر) أن تضمير له خبرا فيكون لأزواجهم صفه و تقدير الخبر المضمير فعلهم وصيه لأزواجهم و من نصب وصيه حمله على الفعل أى ليوصوا وصيه و يكون قوله «لِأَزْوَاجِهِمْ» وصفا كما كان فى قول من أضمير الخبر كذلك و من حجتهم أن الظرف إذا تأخر عن النكره كان استعماله صفه أكثر و إذا كان خبرا تقدم على النكره إذا لم يكن فى معنى المنصوب كقوله تعالى «وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ» «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» فإذا تأخرت فالأكثر فيها أن تكون صفاتا و قال بعضهم لا يجوز غير الرفع لأنه لا يمكن الوصيه بعد الوفاه و لأن فرض النفيه كان لهن أوصى أو لم يوص قال على بن عيسى و هذا غلط لأن المعنى و الذين تحضرهم الوفاه منكم

فلذلك قال «يَتَوَفَّوْنَ» على لفظ الحاضر الذى يتناول نحو قوله (الذين يصلون فليعرضوا عن الفكر فيما يشغلهم) فأما قولهم أن الفرض كان لهن و إن لم يوصوا فغير صحيح لأن الزوج إذا فرط فى الوصيه فلا- ينكر أن يوجهه الله على الورثه و قال قتاده و السدى كان يجب على الزوج الوصيه لها كما أوجب الوصيه للوالدين و الأقربين و قوله «متاعاً» نصب على وجهين (أحدهما) أنه على تقدير متعهن متاعاً (و الثانى) جعل الله لهن ذلك متاعاً لأن ما قبله دل عليه و قوله «غَيْرِ إِخْرَاجٍ» منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون صفه لمتاع (و الثانى) أن يكون مصدراً وضع موضع الحال قال الفراء و هو كقولك جئتكم غير رغبه إليكم فكأنه قال متعهن متاعاً فى مساكنهن و أقول إن تقديره غير مخرجات إخراجاً فيكون ذو الحال هن من متعهن و يجوز أن يكون تقديره غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعهن.

## المعنى

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» أى الذين يقاربون منكم الوفاه لأن المتوفى لا يؤمر و لا ينهى «وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّهً لِأَزْوَاجِهِمْ» أى فليوصوا وصيه لهن و من رفع فمعناه وصيه من الله لأزواجهم أو عليهم وصيه لهن «متاعاً إِلَى الْحَوْلِ» يعنى ما ينتفعن به حولا من النفقه و الكسوه و السكنى و قيل و هو مثل المتعه فى المطلقات و كان واجبا فى المتوفى عنها زوجها بالوصيه من مال الزوج «غَيْرِ إِخْرَاجٍ» أى لا- يخرجن من بيوت الأزواج «فَإِنْ خَرَجْنَ» بأنفسهن قبل الحول من غير أن يخرجهن الورثه و قيل أن المراد إذا خرجن بعد مضى الحول و قد مضت العده فإن بمعنى إذا عن القاضى و غيره «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» يا معشر أولياء الميت «فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ» اختلفوا فى رفع الجناح قيل لا جناح فى قطع النفقه و السكنى عنهن عن الحسن و السدى قالوا و هذا دليل على سقوط النفقه بالخروج و أن ذلك كان واجبا لهن بالإقامه إلى الحول فإن خرجن قبله بطل الحق الذى وجب لهن بالإقامه و قيل لا جناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لأن مقامها سنه فى البيت غير واجب و لكن قد خيرها الله فى ذلك عن الجبائى و قيل لا جناح عليكم أن تزوجن بعد انقضاء العده و هذا أوجه و تقديره إذا خرجن من العده بانقضاء السنه فلا جناح إن تزوجن و قوله «مِنْ مَعْرُوفٍ» يعنى طلب النكاح و التزين «وَاللَّهُ عَزِيزٌ قَادِرٌ لَأَشْيَاءٍ يَعِجْزُهُ» لا يصدر منه إلا ما تقتضيه الحكمه و اتفق العلماء على أن هذه الآيه منسوخه و

قال أبو عبد الله ثم كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولا ثم أخرجت بلا ميراث ثم نسختها آيه الربع و الثمن فالمرأه ينفق عليها من نصيبها

و

عنه قال نسختها يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا وَ نسختها آيه المواريث.

## اشاره

وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)

## الإعراب

الوجه فى انتصاب قوله «حَقًّا» مثل ما بيناه فيما قبل فى قوله حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ كذلك الكاف يتعلق بيبين أى مثل هذا البيان يبين لكم.

## النزول

قيل لما نزلت وَ مَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ إِلَى قوله حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ قال بعضهم إن أحببت فعلت و إن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

## المعنى

لما قدم سبحانه بيان أحوال المعتدات عقبه ببيان ما يجب لهن من المتعه فقال «وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ» اختلف فيه فقال سعيد بن جبير و أبو العاليه و الزهرى إن المراد بهذا المتاع المتعه و أن المتعه واجبه لكل مطلقه و قال أبو على الجبائى المراد به النفقه و هو المتاع المذكور فى قوله مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ و قال سعيد بن المسيب الآيه منسوخه بقوله تعالى فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ و عندنا أنها مخصوصه بتلك الآيه إن نزلتا معا و إن كانت تلك متأخره فمنسوخه لأن عندنا لا تجب المتعه إلا للمطلقه التى لم يدخل بها و لم يفرض لها مهر فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسم لها مهر و إن سمي لها مهر فما سمي لها و غير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر و لا متعه فى هذه الأحوال و به قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآيه و ذكرنا الكلام فى المتعه عند قوله «وَمَتَّعُوهُنَّ» و قوله «بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» مضى تفسيره و خص المتقين هنا كما خص المحسنين هناك «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ» أى كما بين الله لكم الأحكام و الآداب التى مضت مما تحتاجون إلى معرفتها فى دينكم يبين لكم هذه الأحكام فشبّه البيان الذى يأتى بالبيان الماضى و البيان هو الأدله التى يفرق بها الحق و الباطل «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» معناه لكى تعقلوا آيات الله و قيل لعلكم تكمل عقولكم فإن العقل الغريزى إنما يكمل بالعقل المكتسب و المراد به استعمال العقل مع العلم به و من لم يستعمل العقل فكأنه لا عقل له و هذا كقوله تعالى إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ جعلهم جهالا لأنهم آثروا هواهم على ما علموا أنه الحق.



## اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَمَدُّو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)

## اللغه

الرؤية هنا بمعنى العلم و معنى ألم تر ألم تعلم و هذه الألف ألف التوقيف و تر متروكه الهمزه و أصله ألم ترا من رأى يرى مثل نأى ينأى إلا أنهم على إسقاط الهمزه هنا للتخفيف.

## الإعراب

«حَذَرَ الْمَوْتِ» نصب لأنه مفعول له و جاز أن يكون نصبه على المصدر لأن خروجهم يدل على حذروا الموت حذرا.

## المعنى

لما ذكر قوله يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ عقبه بذكر آيه من آياته فقال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم: يا محمد أو أيها السامع أو لم ينته علمك إلى خبر هؤلاء «الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» قيل هم من قوم بنى إسرائيل فروا من طاعون وقع بأرضهم عن الحسن و قيل فروا من الجهاد و قد كتب عليهم عن الضحاك و مقاتل و احتجا بقوله عقيب الآيه وَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ و قيل هم قوم حزقييل و هو ثالث خلفاء بنى إسرائيل بعد موسى و ذلك أن القيم بأمر بنى إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقييل و قد كان يقال له ابن العجوز و ذلك أن أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد و قد كبرت و عقت فوهبه الله لها و قال الحسن هو ذو الكفل و إنما سمي حزقييل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبيا نجاهم من القتل و قال لهم اذهبوا فإنى إن قتلت كان خيرا من أن تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود و سألو حزقييل عن الأنبياء السبعين فقال إنهم ذهبوا و لا أدري أين هم و منع الله ذا الكفل منهم «وَهُمْ أُلُوفٌ» أجمع أهل التفسير على أن المراد بألوف هنا كثره العدد إلا ابن زيد فإنه قال معناه خرجوا مؤتلفى القلوب لم يخرجوا عن تباغض فجعله جمع ألف مثل قاعد و قعود و شاهد و شهود و اختلف من قال المراد به العدد الكثير فليل كانوا ثلاثة آلاف عن عطاء الخراسانى و قيل ثمانيه آلاف عن مقاتل و الكلبي و قيل عشره آلاف عن ابن روق و قيل بضعه و ثلاثين ألفا عن السدى و قيل أربعين ألفا عن ابن عباس و ابن جريج و قيل سبعين ألفا عن عطا بن أبى رباح و قيل كانوا عددا كثيرا عن الضحاك و الذى يقضى به الظاهر أنهم كانوا أكثر من عشره آلاف لأن بناء فعول للكثرة و هو ما زاد على العشره و ما نقص عنها يقال فيه آلاف يقال فيه عشره آلاف و لا يقال عشره ألوف «حَذَرَ الْمَوْتِ» أى من خوف الموت «فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن معناه أماتهم الله كما يقال

قالت السماء فهطلت معناه فهطلت السماء و قلت برأسى كذا و قلت بيدي كذا و معناه أشرت برأسى و بيدي و ذلك لما كان القول في الأ-كثر استفتاحا للفعل كالقول الذي هو تسميه و ما جرى مجراه مما كان يستفتح به الفعل صار معنى قالت السماء فهطلت أى استفتحت بالهطلان كذلك معناه هاهنا فاستفتح الله بإماتتهم (و الثاني) أن معناه أماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبره ثم أحياهم الله بدعاء نبيهم حزقيل عن ابن عباس و قيل إنه شمعون من أنبياء بنى إسرائيل «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» لما ذكر النعمه عليهم بما أراهم من الآيه العظيمة فى أنفسهم ليلتموا سبيل الهدى و يجتنبوا طريق الردى ذكر بعده ما له عليهم من الأنعام و الإحسان مع ما هم عليه من الكفران و هذه الآيه حجه على من أنكر عذاب القبر و الرجعه معا لأن إحياء أولئك مثل إحياء هؤلاء الذين أحياهم الله للاعتبار.

## القصة

قيل إن اسم القرية التى خرجوا منها هربا من وبائها داوردان قبل واسط قال الكلبى و الضحاك و مقاتل أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جنبوا و كرهوا الموت فاعتلوا و قالوا إن الأرض التى نأتىها بها الوباء فلا نأتىها حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب و إله موسى قد ترى معصيه عبادك فأرهم آيه فى أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فأماتهم الله جميعا و أمات دوابهم و أتى عليه ثمانيه أيام حتى انتفخت و أروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيره دون السباع و تركوهم فيها قالوا و أتى على ذلك مده حتى بليت أجسادهم و عريت عظامهم و تقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل و جعل يتفكر فيهم متعجبا منهم فأوحى إليه يا حزقيل تريد أن أريك آيه و أريك كيف أحى الموت قال نعم فأحياهم الله و قيل إنهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانيه أيام و ذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يا رب كنت فى قوم يحمدونك و يسبحونك و يقصدونك فبقيت وحيدا لا قوم لى فأوحى الله إليه قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل أحيوا ياذن الله فعاشوا و

سأل حمران بن أعين أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن هؤلاء القوم الذين «قال لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» فقال أحياهم حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم أم ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور و أكلوا

الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور و أكلوا الطعام و نكحوا النساء و مكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بأجالهم.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٤٤

### اشاره

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)

### المعنى

اختلف فى المخاطب بقوله «وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فقيل توجه الخطاب إلى الصحابه بعد ما ذكرهم بحال من فر من الموت فلم ينفعه الفرار يحرضهم على الجهاد لئلا يسلكوا فى الفرار من الجهاد سبيل أولئك الذين فروا من الديار و قيل أنه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير و قيل لهم قاتلوا فى سبيل الله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أى سميع لما يقول المنافق عليم بما يجنه فاحذروا حاله.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٤٥

### اشاره

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

### القراءه

«فَيُضَاعِفُهُ» فيه أربع قراءات قرأ أبو عمرو و نافع و حمزه و الكسائى فيضاعفه بالألف و الرفع و قرأ عاصم الألف و النصب و قرأ ابن كثير و أبو جعفر فيضعفه بالتشديد و الرفع و قرأ ابن عامر و يعقوب بالتشديد و النصب و قرأ أبو عمرو و الكسائى و حمزه يسط و بسطه:

و فى الأعراف أيضا بالسين و روى عنهم أيضا بالصاد و يعقوب و هشام بالسين و الباقر مختلف عنهم.

### الحجه

قال أبو على للرفع فى قوله فيضاعفه وجهان (أحدهما) أن يعطفه على ما فى الصله و الآخر أن يستأنفه فأما النصب فى «فَيُضَاعِفُهُ» فالرفع أحسن منه ألا- ترى أن الاستفهام إنما هو عن فاعل الإقراض لا- عن الإقراض و إذا كان كذلك لم يكن مثل قولك أ تقرضنى فأشكرك لأن الاستفهام هاهنا عن الإقراض و وجه قول ابن عامر و عاصم فى النصب من فاء «فَيُضَاعِفُهُ» أنه حمل الكلام على المعنى و ذلك أنه لما كان المعنى أ يكون قرض حمل قوله «فَيُضَاعِفُهُ» على ذلك كما أن من قرأ من يضلل الله فلا هادى له و يذرهم جزم قوله و يذرهم لما كان معنى قوله فلا هادى له لا يهدى و نحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فأما القول فى يضاعف و يضعف فكل واحد منهما فى معنى الآخر و قوله



«أضعافاً» منصوب على الحال و تقديره فيكثره فإذا هي أضعاف فيكون حالاً بعد الفراغ من الفعل و وجه قول من أبدل من السين الصاد في هذه المواضع التي ذكرت أن الطاء حرف مستعل يتصعد من مخرجها إلى الحنك و لم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فأبدل من السين حرفاً في مخرجها في تصعد الطاء فتألم الحرفان و صار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد فزال في الإبدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل و لو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرناه و هو أن يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك و لم يدلوا أ لا ترى أنهم قالوا طسم الطريق و قسوت و قست فلم يكرهوا التسفل عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بصط فأبدلوا فأما من لم يبدل السين في بسط و ترك السين فلأنه الأصل و لأن ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته.

## اللغة

القرض هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يرد بعينه أو يرد مثله بدلاً منه و أصل القرض القطع بالمناب يقال قرض الشيء يقرض إذا قطعه بناه و أقرض فلان فلانا إذا أعطاه ما يتجازاه منه و الاسم منه القرض و التضعيف و المضاعفه و الأضعاف بمعنى و هو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر تقول ضعفت القوم أضعفهم ضعفاً إذا كثرتهم فصرت مع أصحابك على الضعف منهم و ضعف الشيء مثله في المقدار إذا زيد عليه فكل واحد منهما ضعف و ضعف الشيء ضعفاً و ضعفاً و الضعف خلاف القوه و القبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضاً و القبض ضم الكف على الشيء و التقبض التشنج و تقبض عنه إذا اشأز عنه لأنه ضم نفسه عن الانبساط إليه و قبض الإنسان إذا مات و الملك قابض الأرواح و بسط يبسط بسطاً و البساط ما بسطته و البساط بفتح الباء الأرض الواسعه و كتب يبسط بالسين و بسطه بالصاد لأن القلب على الساكن أقوى منه على المتحرك.

## المعنى

لما حث سبحانه على الجهاد و ذلك يكون بالنفس و المال و عقبه بالتلطف في الاستدعاء إلى أعمال البر و الإنفاق في سبيل الخير فقال «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ» أى ينفق في سبيل الله و طاعته و المراد به الأمر و ليس هذا بقرض حازه على ما ظنه اليهود فقال إنما يستقرض منا ربنا عن عوز فإنما هو فقير و نحن أغنياء بل سمي تعالى الإنفاق قرضاً تلطفاً للدعاء إلى فعله و تأكيداً للجزاء عليه فإن القرض يوجب الجزاء «قَرْضاً حَسِيناً» و القرض الحسن أن ينفق من حلال و لا يفسده بمن و لا أذى و قيل هو أن يكون محتسباً طيباً به نفسه عن الواقدى و قيل هو أن يكون حسن الموقع عند الإنفاق فلا يكون خسيساً

و الأولى أن يكون جامعا لهذه الأمور كلها فلا تنافى بينها «فِيضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً» أى فيزيده له أى يعطيه ما لا يعلمه إلا الله و هو مثل قوله تعالى «و يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» عن الحسن و السدى و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال لما نزلت هذه الآية من جاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا قال رسول الله رب زدنى فأنزل الله من جاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا فقال رسول الله رب زدنى فأنزل الله سبحانه «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»

و الكثير عند الله لا يحصى «وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْضُطُ» معناه و الله يقبض الرزق عن أقوام بأن يقتره عليهم و يبسط الرزق على أقوام بأن يوسع عليهم عن الحسن و ابن زيد و قيل معناه يقبض الصدقات و يبسط الجزاء عليها عاجلا أو آجلا أو كلاهما عن الأصم و الزجاج و قيل يقبض الرزق بموت واحد و يبسط لوارثه «و إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» و هذا تأكيد للجزاء قال الكلبي فى سبب نزول هذه الآية

أن النبي ص قال من تصدق بصدقه فله مثلها فى الجنة فقال أبو الدحداح الأنصارى و اسمه عمرو بن الدحداح يا رسول الله إن لى حديقتين إن تصدقت بإحدهما فإن لى مثلها فى الجنة قال نعم قال و أم الدحداح معى قال نعم قال و الصبيه معى قال نعم فتصدق بأفضل حديقتيه فدفعها إلى رسول الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته ألفى ألف و ذلك قوله «أَضْعَافًا كَثِيرَةً» قال فرجع أبو الدحداح فوجد أم الدحداح و الصبيه فى الحديقه التى جعلها صدقه فقام على باب الحديقه و تحرج أن يدخلها فنادى يا أم الدحداح قالت لبيك يا أبا الدحداح قال إنى قد جعلت حديقتى هذه صدقه و اشتريت مثلها فى الجنة و أم الدحداح معى و الصبيه معى قالت بارك الله لك فيما شريت و فيما اشتريت فخرجوا منها و أسلموا الحديقه إلى النبي فقال النبي كم نخله متدل عدوقها لأبى الدحداح فى الجنة.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٤٦

### اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)

قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين و الباقون بفتحها.

## الحجج

المشهور في عسيت فتح السين و وجه قراءه نافع أنهم قالوا هو عس بذلك و ما عساه و أعس به حكاة ابن الأعرابي و هذا يقوى قراءه نافع لأن عس مثل حر و شج و قد جاء فعل و فعل مثل نغم و نغم و ورت بك زنادى و وريت فكذلك عست و عسيت فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم أن تقول عسى زيد مثل رضى فإن قاله فهو قياس قوله و إن لم يقله فسائغ له أن يأخذ باللغتين معا و يستعمل إحداهما فى موضع و الأخرى فى موضع آخر كما فعل ذلك غيره.

## اللغة

الملا الجماعة الأشراف من الناس و

روى أن رجلا من الأنصار قال يوم بدر إن قتلنا الأعاجيز صلعا فقال النبى أولئك الملا من قريش لو رأيتهم فى أنديتهم لهبتهم و لو أمروك لأطعتهم و لاحتقرت فعالك عند فعالهم

و ملأت الإناء أترعته لأنه يجتمع فيه ما لا يكون مزيد عليه و ملأت الرجل عاونته و تمالأوا على ذلك إذا تعاونوا و ملأ الرجل ملاءه فهو ملئ بالأمر إذا أمكنه القيام به و الملا الخلق لأن جميع أفعال صاحبه يجرى عليه يقال أحسنوا املاءكم أى أخلاقكم قال:

تنادوا يأل بهته إذ رأونا

فقلنا أحسنى ملا جهينا

و أصل الباب الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد و إنما سمي الأشراف ملا لأنه لا مزيد على شرفهم و قيل لأن هيبتهم تما لأ الصدور و الملا مقصورا المتسع من الأرض قال الشاعر:

ألا غنيانى و ارفعا الصوت بالملا

فإن الملا عندى تريد المدى بعدا

. الإعراب

«مِنْ بَيْنِ إِسْرَائِيلَ» الجار و المجرور فى محل نصب على الحال و العامل فيه تر و ذو الحال الملا و «مِنْ بَعْدِ مُوسَى» فى موضع الحال أيضا و هو حال بعد حال أو حال من الضمير فى الجار و المجرور قبله و قوله «نُقَاتِلُ» جزم على الجواب للمسألة التى هى على لفظ الأمر أى إن تبعث لنا ملكا نقاتل و لو كان بالياء لجاز الرفع على أن يكون صفة للملك قال الزجاج و الرفع فى نقاتل

بعيد يجوز على معنى فإننا نقاتل في سبيل الله و كثير من

ص: ١٢٥



النحويين لا- يجيز الرفع فيه و قوله «أَلَا تُقَاتِلُوا» في موضع نصب لأنه خبر عسى و قوله «وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ» قال أبو الحسن الأخفش فيه و في قوله مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا إن أن زائده كأنه قال مَا لَنَا لَا نَقَاتِلُ و مَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ كقوله مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ و مَا لَكُمْ لَا تَأْمَنَّا وقع الفعل المنفى موقع الحال كما وقع الموجب موقعه في قولك مَا لَكَ تَفْعَلُ و قد يقال أيضا في نحو ذلك أن المعنى و مَا لَنَا فِي أَنْ لَا نَقَاتِلُ و مَا لَكُمْ فِي أَنْ لَا تَأْكُلُوا فكأنه حمل الآية على وجهين قال أبو علي و القول الثاني أوضح و يكون أن مع حرف في موضع نصب الحال كقوله تعالى «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ» و نحو ذلك ثم حذف الجار و سد أن و صلتها ذلك المسد و الحال في الأصل هو الجالب للحرف المقدر إلا- أنه ترك إظهاره لدلاله المنصوب عنه عليه و مثله في وقوع الظرف موقع الحال قول أبو ذؤيب:

يعثرن في حد الظباه كأنما

كسيت برود بنى يزيد الأذرع

و هذا كما يقال خرجت في الثياب أى خرجت لابسا و وجه ثالث ذكره المبرد و هو أن يكون ما جحدوا و تقديره و ما لنا نترك القتال و على الوجهين الأولين يكون ما استفهما و قد أخرجنا جملة في موضع الحال و تقديره و ما لنا ألا نقاتل مخرجين من ديارنا و ذو الحال الضمير في ألا نقاتل و قليلا منصوب على الاستثناء من الموجب.

## المعنى

لما قدم تعالى ذكر الجهاد عقبه بذكر القصة المشهورة في بنى إسرائيل تضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه تحذيرا من سلوك طريقهم فيه «أَلَمْ تَرَ» أى ألم ينته علمك يا محمد «إِلَى الْمَلَأِ» أى جماعه الأشراف «مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى» أى من بعد وفاته «إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ» اختلف في ذلك النبي فقيل اسمه شمعون سمته أمه بذلك لأن أمه دعت إلى الله أن يرزقها غلاما فسمع الله دعاءها فيه و هو شمعون بن صفيه من ولد لاوى بن يعقوب عن السدى و قيل هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب عن قتاده و

قيل هو إشمويل و هو بالعربية إسماعيل عن أكثر المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر

«ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» اختلف في سبب سؤالهم ذلك فقيل كان سبب سؤالهم ذلك استدلال الجابره لهم لما ظهروا على بنى إسرائيل و غلبوهم على كثير من ديارهم و سبوا كثيرا من ذراريهم بعد أن كانت الخطايا قد كثرت في بنى إسرائيل

و عظمت فيهم الأحداث و نسوا عهد الله تعالى و لم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فبعث الله إليهم إسمويل نبيا فقالوا له إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آيه من نبوتك عن الربيع و الكلبي و قيل أرادوا قتال العمالقه فسألوا ملكا يكون أميرا عليهم تنتظم به كلمتهم و يجتمع أمرهم و يستقيم حالهم في جهاد عدوهم عن السدي و قيل بعث الله إسمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت و العمالقه ما كان فقالوا لإسمويل ابعث لنا ملكا عن وهب و

قال أبو عبد الله كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود و النبي يقيم له أمره و ينبئه بالخبر من عند ربه فأجابهم نبينهم ف «قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال»

أى لعلكم إن فرض عليكم المحاربه مع ذلك الملك «ألا تقاتلوا» أن لا تفوا بما تقولون و تجنبوا فلا تقاتلوا و إنما سألهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال و هذا كأخذ العهد عليهم و معنى عسيتم قاربتم فإذا قلت عسيتم أن أفعل كذا فمعناه قاربت فعله «قالوا» يعنى قال الملاء «و ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله» معناه و أى شىء لنا فى ترك القتال و قيل معناه ليس لنا ترك القتال «و قد أخرجنا» لفظه عام و معناه خاص أى قد أخرج بعضنا «من ديارنا و أبنائنا» أوطاننا و أهالينا بالسبى و القهر على نواحينا و المعنى أنهم أجابوا نبينهم بأن قالوا إنما كنا لا نرغب فى القتال إذ كنا أعزاء لا يظهر علينا عدونا فأما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد «فلما كتب عليهم القتال» فيه حذف تقديره فسأل النبي الله تعالى أن يبعث لهم ملكا يجاهدون معه أعداءهم فسمع الله دعوته و أجاب مسألته فبعث لهم ملكا و كتب عليهم القتال أى فرض فلما كتب عليهم القتال «تولوا» أى أعرضوا عن القيام به و ضيعوا أمر الله «إلا قليلا منهم» و هم الذين عبروا النهر على ما نبينه من بعد «و الله عليم بالظالمين» هذا تهديد لمن يتولى عن القتال لأنهم ظلموا أنفسهم بمعصيه الله.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٤٧

### اشاره

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتْ سَيِّعَهُ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)

ص: ١٢٧

اصطفاه اختاره و استصفاه بمعناه و أصله اصتفاه إلا أن التاء أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء و الطاء مطبقة كما أن الصاد مطبقة فأبدلوا منها ليسهل النطق بها بعد الصاد و البسطه الفضيله فى الجسم و المال و الجسم حده الطويل العريض العميق بدلاله قولهم جسم جسمه أى ضخم و هذا جسيم أى ضخيم و هذا أجسم من هذا إذا زاد عليه فى الطول و العرض و العمق و قيل الجسم هو المؤلف و قيل هو القائم بنفسه و الصحيح الأول.

## الإعراب

طالوت و جالوت و داود لا- تنصرف لأنها أسماء أعجميه و فيها سببان التعريف و العجمه فأما جاموس فلو سميت رجلا به لانصرف و إن كان أعجميا لأنه قد تمكن فى العريبه لأنك تدخل عليه الألف و اللام فتقول الجاموس " ملكا " نصب على الحال العامل فيه بعث و ذو الحال طالوت و أنى فى موضع نصب لأنه خبر يكون و الملك اسمه و له فى موضع الحال و ذو الحال الملك تقديره و أنى يكون له الملك يستقر له علينا و يجوز أن يكون كان هنا تامه فيتعلق اللام بكون و أنى فى موضع نصب على الحال من يكون و علينا يتعلق بالملك «و نَحْنُ أَحَقُّ» فى محل نصب على الحال أيضا تقديره أنى يكون له أن يملك علينا و نحن أحق منه بالملك «و لَمْ يُؤْتِ سَعَةَ» فى محل الحال أيضا عطف على نحن أحق و العامل فيه الملك و ذو الحال الضمير فى أن يملك و تقديره أن يملك علينا غير مؤتى سعه ماله.

## المعنى

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» أى جعله ملكا و كان طالوت من ولد بنيامين بن يعقوب و لم يكن من سبط النبوه و لا- من سبط المملكه و سمي طالوت لطوله و يقال كان سقاء و قيل كان خرنبدجا و قيل كان دباغا و كانت النبوه فى سبط لاوى بن يعقوب و كانت المملكه فى سبط يهوذا بن يعقوب و قيل فى سبط يوسف و قوله «مَلِكًا» يعنى أميرا على الجيش عن مجاهد و قيل بعثه نبيا بعد أن جعله ملكا «قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا» أى من أين له الملك و هذا أول اعتراضهم إذ أنكروا ملكه «و نَحْنُ أَحَقُّ» أى أولى «بِالْمُلْكِ مِنْهُ» لأننا من سبط النبوه و المملكه و أوتينا المال «و لَمْ يُؤْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ» أى لم يعط ما يملك به الناس و هو المال إذ لا بد للملك من المال يحصل به المماليك و قيل معناه و لم يؤت سعه من المال فيشرف به و يجبر نقصا لو كان فيه حتى يساوى أهل الأنساب فأعلمهم الله أنه أعرف بوجوه الحكمة منهم فإن المقصود فى الملك و الرئاسة هو العلم و الشجاعه و أخبرهم بذلك عن لسان نبيهم

«قَالَ إِنَّ اللَّهَ اضْيَطَفَاءُ» أى اختاره «عَلَيْكُمْ» عن ابن عباس «وَزَادَهُ بَسِطَةً» أى فضيله و سعه «فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ» و كان أعلم بنى إسرائيل فى وقته و أجملهم و أتمهم و أعظمهم جسما و أقواهم شجاعه و قيل كان إذا قام الرجل فيسط يده رافعا لها نال رأسه قال وهب كان ذلك فيه قبل الملك و زاده ذلك بعد الملك «وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ» أى لا تنكروا ملكه و إن لم يكن من أهل بيت الملك فإن الله سبحانه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير أى كبير القدر (و الثانى) أن الواسع بمعنى الموسع أى يوسع على من يشاء من نعمه كما جاء أليم بمعنى مؤلم و سميع بمعنى مسمع (و الثالث) أن معناه ذو سعه نحو عَيْشِهِ رَاضِيَةٍ أى ذات رضا و رجل تأمر أى ذو تمر و لابن أى ذو لبن و قوله «عَلِيمٌ» أى عليم بمن ينبغى أن يؤتية الفضل و المملكه إما للاستصلاح و إما للامتحان و فى هذه الآيه دلالة على أن الملك قد يضاف إليه سبحانه و ذلك بأن ينصب الملك للتدبير و يعطيه آلات الملك و يأمر الخلق بالانقياد له فعند ذلك يجوز أن يقال بعثه الله سبحانه ملكا و إن لم يكن فى البعثه كالأنبياء و يقال فى ملكه أيضا أنه من جهة الله سبحانه لأن تصرفه صادر عن إذنه و فيها دلالة أيضا على أن الملك ليس بواجب أن يكون وراثه و إنما يكون بحسب ما يعلمه الله من المصلحه و فيها دلالة على أن من شرط الإمام أن يكون أعلم من رعيته و أكمل و أفضل فى خصال الفضل و الشجاعه لأن الله علل تقديم طالوت عليهم بكونه أعلم و أقوى فلو لا أن ذلك شرط لم يكن له معنى.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٤٨

### اشاره

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨)

### اللغه

التابوت بالتاء لغه جمهور العرب و التابوه بالهاء لغه الأنصار و السكينه مصدر وقع موقع الاسم نحو القضييه و البقيه و العزيمه و أخذ من السكون.

### الإعراب

موضع أن يأتىكم رفع المعنى أن آيه ملكه إتيان التابوت إياكم «فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ» مبتدأ و خبر فى موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار و المجرور فى موضع الصفه لبقية.

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ» أى علامه تمليكك الله إياه و حجه صحه ملكه «أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ» و فى هذا دليل على أنهم قالوا لرسولهم إن كان ملكه بأمر من الله و من عنده فأتنا بعلامه تدل على ذلك فأجابهم بهذا و

روى على بن إبراهيم فى تفسيره عن أبى جعفر أن التابوت كان الذى أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنها و ألقته فى البحر و كان فى بنى إسرائيل معظما يتبركون به فلما حضر موسى الوفاه وضع فيه الألواح و درعه و ما كان عنده من آثار النبوه و أودعه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم و بنو إسرائيل فى عز و شرف ما دام فيهم حتى استخفوا به و كان الصبيان يلعبون به فى الطرقات فلما عملوا المعاصى و استخفوا به رفعه الله عنهم فلما سألوا نبيهم أن يبعث إليهم ملكا بعث الله لهم طالوت و رد عليهم التابوت

و

قيل كان فى أيدي أعداء بنى إسرائيل من العمالقه غلبوهم عليه لما مرج أمر بنى إسرائيل و حدث فيهم الأحداث ثم انتزعه الله من أيديهم و رده على بنى إسرائيل تحمله الملائكه عن ابن العباس و وهب و روى ذلك عن أبى عبد الله

و قيل كان التابوت الذى أنزله الله على آدم فيه صور الأنبياء فتوارثه أولاد آدم و كان فى بنى إسرائيل يستفتحون به على عدوهم و قال قتاده و كان فى بنيه التيه خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكه إلى بنى إسرائيل و قيل كان قدر التابوت ثلاثه أذرع فى ذراعين عليه صفائح الذهب و كان من شمشار و كانوا يقدمونه فى الحروب و يجعلونه أمام جندهم فإذا سمع من جوفه أنين زف التابوت أى سار و كان الناس يسرون خلفه فإذا سكن الأنين و حمد فوقف الناس بوقوفه «فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ» قيل فى التابوت نفسه و قيل فيما فى التابوت و اختلف فى السكينه

فقيل إن السكينه التى كانت فيه ريح هفافه من الجنه لها وجه كوجه الإنسان عن على (عليه السلام)

و قيل

كان له جناحان و رأس كراس الهره من الزبرجد و الزمرد عن مجاهد و روى ذلك فى أخبارنا

و قيل كان فيه آيه يسكنون إليها عن عطا و قيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب «وَبَقِيَّتُهُ مِمَّا تَرَكَّ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ» قيل

إنها عصا موسى و رضاض الألواح عن ابن عباس و قتاده و السدى و هو المروى عن أبى جعفر الصادق

و قيل هى التوراه و شىء من ثياب موسى عن الحسن و قيل كان فيه أيضا لوحان من التوراه و قفيز من المن الذى كان ينزل عليهم و نعلا- موسى و عمامه هارون و عصاه هذه أقوال أهل التفسير فى السكينه و البقيه و الظاهر أن السكينه آمنه و طمأنينه جعلها الله فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل و البقيه جائز أن يكون بقيه من العلم أو شىء من علامات الأنبياء و جائز أن يتضمنها

جميعا على ما قاله الزجاج و قيل أراد بآل موسى و آل هارون موسى و هارون على نبينا و عليهما السلام يعنى مما ترك موسى و هارون تقول العرب

ص: ١٣٠

آل فلان يريدون نفسه أنشد أبو عبيده:

فلا تبك ميتا بعد ميت أحبه

على وعباس و آل أبي بكر

يريد أبا بكر نفسه وقال جميل:

بشينة من آل النساء وإنما

يكن لأذنى لا وصال لغائب

أى من النساء «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ» قيل حملته الملائكة بين السماء والأرض حتى رآه بنو إسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن و قيل لما غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام فأصبحت أصنامهم منكبه فأخرجوه ووضعوه ناحيه من المدينة فأخذهم وجع فى أعناقهم و كل موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلاء و موت و وباء فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فأجمع رأيهم على أن يأتوا به و يحملوه على عجله و يشدوها على ثورين ففعلوا ذلك و أرسلوا الثورين فجاءت الملائكة و ساقوا الثورين إلى بنى إسرائيل فعلى هذا يكون معنى «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ» تسوقه كما تقول حملت متاعى إلى مكة و معناه كنت سببا لحمله إلى مكة «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَمَآيَةٍ لَّكُمْ» أى فى رجوع التابوت إليكم علامه أن الله سبحانه ملك طالوت عليكم «إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مصدقين و لا يجوز أن يكون على تثبيت الإيمان لهم لأنهم كفروا حين ردوا على نبيهم و قيل إن كنتم مؤمنين كما تزعمون.

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٩

اشاره

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)

ص: ١٣١

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أهل المدينة غرفه بالفتح و الباقون بالضم.

### الحجج

قال أبو علي من فتح الغين عدى الفعل إلى المصدر و المفعول في قوله محذوف و المعنى إلا من اغترف ماء غرفه و من ضم الغين عدى الفعل إلى المفعول به و لم يعده إلى المصدر لأن الغرفه العين المغترفه فهو بمنزله إلا من اغترف ماء و البغداديون يجعلون هذه الأسماء المشتقه من المصادر بمنزله المصادر و يعملونها كما يعملون المصادر فيقولون عجبت من دهنك لحيتك و قد جاء من العرب ما يدل عليه و هو قول الشاعر:

(و بعد عطائك المائه الرتاعا)

و أشياء غير هذا فعلى هذا يجوز أن ينصب الغرفه نصب الغرفه و قد قال سيبويه في نحو الجلسه و الركبه أنه قد يستغنى بها عن المصادر أو قال تقع مواقعها و هذا كالمقارب لقولهم و لو قيل أن الضم هنا أوجه لقوله «فَشْرَبُوا مِنْهُ» و المشروب منه و المشروب منه الغرفه لكان قولاً.

### اللغه

الفصل القطع و فصل بالجنود أى سار بهم و قطعهم عن موضعهم و فصل الصبى فصلاً قطعاً عن اللبن و الجنود جمع جند و جند الجنود أى جمعهم و

في الحديث الأرواح جنود مجنده

و أصل الباب الجند الغليظ من الأرض يقال طعم الماء كما يقال طعم الطعام و أنشدوا:

فإن شئت حرمت النساء سواكم

و إن شئت لم أطعم نقاخا و لا بردا

أراد لم أذق و النقاخ العذب و غرف الماء يغرف غرفاً و اغترف بمعنى و المغرفه الآله التي يغرف بها و غرب غروف كبير و المجاوزه من الجواز يقال جاز الشىء يجوزه إذا قطعه و أجازه إجازة إذا استصوبه و الشىء يجوز إذا لم يمنع منه دليل و جوز الشىء وسطه مشبه بمجاز الطريق و هو وسطه الذى يجاز فيه و قيل إن اشتقاق الجوزاء منه لأنها تعترض جوز السماء و المجاز فى الكلام لأنه خروج عن الأصل إلى ما يجوز فى الاستعمال و أصل الباب الجواز و هو المرور من غير شىء يصدر منه التجاوز عن الذنب لأنه المرور عليه بالصفح و الطاقه القوه يقال أطقت الشىء إطاقه و طاقه و طوقاً مثل أطعته إطاعه و طوعاً و الفئه الطائفه من الناس و الجمع فئون و فئات و لا يجوز فى عده إلا عادات لأن نقص عده من أوله و ليس كذلك فئه و ما نقص من أوله يجزى فى الباب على اطراد بمنزله غير المنقوص و أما فئه و مائه و عزه فإن النقص فيه على غير اطراد و تقول فأوت رأسه



بالسيف إذا قطعتة و انفاء

ص: ١٣٢

الشيء انفياء إذا انقطع و أصل الباب القطع و منه الفئه لأنهم قطعه من الناس.

## الإعراب

قوله «بَيْدِهِ» من فتح فاء غرفه جاز أن يتعلق بالمصدر عنده و جاز أن يعلقه بالفعل أيضا و من أعمل الغرفه إعمال المصدر جاز أن يتعلق الباء بها في قوله و كلاً- الأمرين مذهب و «مَنْ اغْتَرَفَ» في موضع نصب بالاستثناء و كم خبريه و هي في موضع رفع بالابتداء.

## المعنى

«فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ» في الكلام حذف لدلاله ما بقى عليه و هو فأتاهم التابوت بالصفه التي وعدوا بها فصدقوا و انقادوا لطالوت فلما فصل طالوت أى خرج من مكانه و قطع الطريق بالجنود أى العساكر و اختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين ألف مقاتل عن السدى و قيل سبعين ألفا عن مقاتل و ذلك أنهم لما رأوا التابوت أيقنوا بالنصر فبادروا إلى الجهاد «قَالَ» يعنى طالوت «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ» أى مختبركم و ممتحنكم و معنى الابتلاء هاهنا تمييز الصادق عن الكاذب في قوله عن الحسن و كان سبب ابتلائهم بالنهر شكائهم قله الماء و خوف التلف من العطش عن وهب و قيل إنما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم و يستحقوا به النصر على عدوهم و ليتعودوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المحاربه و لا ينهزموا و اختلف في النهر الذى ابتلوا به فقيل هو نهر بين الأردن و فلسطين عن قتاده و الربيع و قيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس و السدى و قوله «فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ» الهاء كناية عن النهر في اللفظ و هو في المعنى للماء و يقال شربت من نهر كذا و يراد به الماء «فَلَيْسَ مِنِّي» معناه ليس من أهل ولايتى و ليس من أصحابى و ممن يتبعنى «وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ» أى و من لم يطعم من ذلك الماء «فَإِنَّهُ مِنِّي» أى من أهل ولايتى و أوليائى و هو من الطعم الذى هو ما يؤديه الذوق أى لم يجد طعمه لا- من الطعام و الطعم يوجد في الماء و في الطعام جميعا «إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ» إلا من أخذ الماء مره واحده باليد و من قرأ بالضم فمعناه إلا من شرب مقدار ملء كفه «فَشَرِبُوا مِنْهُ» أى شربوا كلهم أكثر من غرفه إلا قليلا منهم قيل إن الذين شربوا منه غرفه كانوا ثلاث مائه و بضعه عشر رجلا عن الحسن و قتاده و جماعه و قيل أربعة آلاف رجل و نافق سته و سبعون ألفا ثم نافق الأربعة الآلاف إلا ثلاثمائه و بضعه عشر عن السدى و قيل من استكثر من ذلك الماء عطش و من لم يشرب إلا- غرفه روى و ذهب عطشه و رد طالوت عند ذلك العصاه منهم فلم يقطعوا معه النهر «فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» معناه فلما تخطى النهر طالوت و المؤمنون معه و هم أصحابه و روى عن البراء بن عازب و قتاده و الحسن أنه إنما جاوز معه المؤمنون خاصه كانوا مثل عدد أهل بدر و قيل بل جاوز المؤمنون و الكافرون إلا أن الكافرين انزلوا و بقى المؤمنون على عدد أهل بدر عن ابن عباس و السدى و هذا أقوى

لقوله سبحانه «فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» فلما رأوا كثره جنود جالوت «قالوا» أى قال الكفار منهم «لا- طاقه لنا اليوم بجالوت و جنوده» فقال المؤمنون حينئذ الذين عددهم عدة أهل بدر «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» قال أبو القاسم البلخي و يجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين غير أن بعضهم أشد إيقانا و أقوى اعتقادا و هم الذين قالوا «كم من فئة قليلة» إلى آخره «قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله» أى راجعون إلى الله و إلى جزائه قيل فى يظنون ثلاثة أقوال (أحدها) إن معنى يظنون يستيقنون عن السدى كقول دريد بن الصمه:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج

سراتهم فى الفارسي المسرد

أى أيقنوا (و الثانى) إن معناه يحدثون نفوسهم و هو أصل الظن لأن حديث النفس بالشىء قد يكون مع الشك و قد يكون مع العلم إلا- أنه قد كثر على ما كان مع الشك (و الثالث) يظنون أنهم ملأوا الله بالقتل فى تلك الوقعة «كم من فئة» أى فرقه «قليله غلبت فئة كثيرة» أى قهرت فرقه كثيرة «بإذن الله» أى بنصره عن الحسن لأنه إذا أذن الله فى القتال نصر فيه على الوجه الذى أذن فيه «و الله مع الصابرين» بالنصره لهم على أعدائهم.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٥٠

### اشاره

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

### اللغه

البروز أصله الظهور و منه البراز و هى الأرض الفضاء و رجل برز و امرأه برزه أى ذو عفه و فضل لظهور ذلك منهما و الإفراغ الصب للسيال على جهة إخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغا و أفرغ إفراغا و أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَاغًا أى خاليا من الصبر و أصل الفراغ الخلو و التثبيت تمكين الشىء فى مكانه للزومه إياه و قد يقال تثبته بمعنى حكم بوجوده و رجل ثبت المقام إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه، و طعنه فأثبت فيه الرمح أى نفذ فيه لأنه يلزم فيه و أثبت حجته أى أقامها و رجل ثبت أى ثقه مأمون فيما روى و النصر هو المعونه على العدو و يكون ذلك بأشياء منها بزيادة القوه و منها بالرعب عن الملاقاه و منها

بالاطلاع على العوره و منها بتخيل الكثره و منها باختلاف الكلمه و الفرق بين النصر و اللطف إن كل نصر من الله فهو لطف و ليس كل لطف نصرا لأن اللطف يكون فى أخذ طاعه بدلا من معصيه و قد يكون فى فعل طاعه من النوافل و النصر فعل الله و الصبر من فعل العبد لأنه يجازى عليه و هو حبس النفس عما تنازع إليه من الفعل و هو هاهنا حبسها عما تنازع إليه من الفرار من القتال.

## المعنى

«وَلَمَّا بَرَزُوا» أى ظهر طالوت و المؤمنون معه لمحاربه جالوت «وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ» أى أصب علينا صبيرا أى وفقنا للصبر على الجهاد و شبهه بتفريغ الإناء من جهه أنه نهايه ما توجه الحكمه كما أنه نهايه ما فى الواحد من الآنيه «وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا» أى وفقنا للثبوت على الأمر «وَأَنْصُرْنَا» أعنا «عَلَى» جهاد «الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» قوم جالوت.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٥١

### اشاره

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

### القرءاء

قرأ أبو جعفر و نافع و يعقوب دفاع الله بالألف و فى الحج مثله و قرأ الباقون بغير ألف.

### الحجه

قال أبو على دفاع يحتمل أمرين أحدهما أن يكون مصدر الفعل كالكتاب و اللقاء و نحو ذلك الثانى أن يكون مصدرا لفاعل و يدل عليه قرءاءه من قرأ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا و كان معنى دفع و دافع سواء أ لا ترى إلى قوله:

و لقد حرصت بأن أَدافع عنهم

فإذا المنية أقبلت لا تدفع

كان المعنى حرصت بأن أَدافع عنهم المنية و المنية لا تدفع فوضع أَدافع موضع فإذا كان كذلك فيدفع و يدافع متقاربان.

### اللغه

الهزم الدفع يقال هزم القوم فى الحرب يهزمهم هزما إذا دفعهم بالقتال

هربا منه فانهمزوا انهما و تهزم السقاء إذا ييس فتصدع لاندفاع بعضه عن بعض و الاهتزام الذبح يقال اهترم شاتك قبل أن تهزم فتهلك لدفع ضياعها بتذكيته و أصل الدفع الصرف عن الشيء و الدفاع السيل و الدفعه اندفاع الشيء جمله.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال «فَهَزَمُوهُمْ» و لا بد من حذف هنا كأنه لما قالوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا قال فاستجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره أى دفعوهم و كسروهم لأن ذكر الهزيمة بعد سؤال النصره دليل على معنى الإجابة و معنى هزموهم سببوا لهزيمتهم بأن فعلوا ما ألجأهم إليها فعلى هذا يكون حقيقه و قال أبو على الجبائى ذلك مجاز لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال أخرجته من منزله إذا ألجأه إلى الخروج و لم يفعل خروجه و الصحيح الأول و قوله «يَا ذُنِ اللّٰهِ» أى بأمر الله و قيل بعلم الله «وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ».

## القصة

و كان من قصه داود على ما

رواه على بن إبراهيم بن هاشم عن الصادق (عليه السلام) أن الله أوحى إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوى عليه درع موسى و هو رجل من ولد لاوى بن يعقوب و اسمه داود بن أيشا راع و كان لأيشا عشرة بنين أصغرهم داود فلما بعث الله طالوت إلى بنى إسرائيل و جمعهم لحرب جالوت بعث إلى أيشا بأن أحضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فألبسه درع موسى فممنهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه فقال لأيشا هل خلفت من ولدك أحدا قال نعم أصغرهم تركته فى الغنم يرهاها فبعث إليه فجاء به فلما دعى أقبل و معه مقلاع قال فنادته ثلاث صخرات فى طريقه يا داود خذنى فأخذها فى مخلاته و كان حجر الفيروزج و كان داود شديد البطش شجاعا قويا فى بدنه فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف حذاء جالوت و كان جالوت على الفيل و على رأسه التاج و فى جبهته ياقوته تلمع نورا و جنوده بين يديه فأخذ داود حجرا من تلك الأحجار فرمى به فى ميمنه جالوت و وقع عليهم فانهمزوا و أخذ حجرا آخر فرمى به فى ميسره جالوت فانهمزوا و رمى بالثالث إلى جالوت فأصاب موضع الياقوته فى جبهته و وصلت إلى دماغه و وقع إلى الأرض ميتا

و قيل إن جالوت طلب البراز فخرج إليه داود فرماه بحجر من مقلاع فوقع بين عينيه و خرج من قفاه و أصاب جماعه كثيره من أهل عسكره فقتلهم و انهزم القوم عن آخرهم عن وهب و غيره من المفسرين

## المعنى

«وَ آتَاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ» أى و أعطاه الملك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين عن الضحاك «وَ الْحِكْمَةَ» قيل النبوه و لم يكن نبيا قبل قتل جالوت فجمع الله له الملك و النبوه عند موت طالوت فى

حاله واحده لأنه لا يجوز أن يترأس من ليس بنبي لأنه قلب ما توجه الحكمة لأن النبي يوثق بظاهره و باطنه و لا يخبر إلا بحق و لا- يدعو إلا إلى حق فليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن و قيل يجوز ذلك إذا كان يفعل ما يفعل بأمره و مشورته «وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ» معناه و علمه أمور الدين و ما شاء من أمور الدنيا منها صنعه الدروع فإنه كان يلين له الحديد كالشمع و قيل الزبور و الحكم بين الناس و كلام الطير و النمل و قيل الصوت الطيب و الألحان «وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» قيل فيه ثلاثه أقوال (أحدها) لو لا- دفع الله بجنود المسلمين الكفار و معرفتهم لغلّبوا و خربوا البلاد عن ابن عباس و مجاهد (و الثاني) معناه

يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن علي

و قتاده و جماعه من المفسرين و مثله ما رواه

جميل عن أبي عبد الله قال إن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عن لا يصلي منهم و لو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا و إن الله ليدفع بمن يزكى من شيعتنا عن لا يزكى منهم و لو اجتمعوا على ترك الزكاه لهلكوا و إن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عن لا يحج منهم و لو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا

و قريب من معناه ما

روى عن النبي أنه قال لو لا عباد الله ركع و صبيان رضع و بهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا

و

روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله و لا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم

(و الثالث) أن في معنى قول الحسن ما يزرع الله بالسلطان أكثر مما يزرع بالقرآن لأن من يمتنع عن الفساد لخوف السلطان أكثر ممن يمتنع منه لأجل الوعد و الوعيد الذي في القرآن «وَلِكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» أى ذو نعمه عليهم فى دينهم و دنياهم.

**سوره البقره (٢): آيه ٢٥٢**

**اشاره**

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

**اللغه**

التلاوه ذكر الكلمه بعد الكلمه من غير فاصله لأن التالى للشىء ء يليه من غير فصل بغيره و أصل التلو إيقاع الشىء ء بعد الشىء ء الذى يليه و الحق هو وقوع الشىء ء موقعه الذى هو له من غير تغيير عنه بما لا- يجوز فيه و الرساله تحمیل جمله من الكلام لها

فأئءه إىى المقصوء بالءالاه.

## الإعراب

نتلوهأ ءمله فى مؤضع الحال و العامل فىه معنى الإشاره فى تلك و ذو الحال آيات الله أى متلوه عليك و الباء فى بالحق يتعلق بنتلوه أىضا.

ص: ١٣٧

## المعنى

«تِلْكَ» إشاره إلى ما تقدم ذكره من إمامته أُلوف من الناس دفعه واحده وإحيائهم دفعه واحده بدعاء نبينهم و من تمليك طالوت و هو من أهل الخمول الذى لا ينقاد لمثله الناس لما جعل الله له من الآيه علما على تمليكه و نصره أصحاب طالوت مع قله عددهم و ضعفهم على جالوت و أصحابه مع قوتهم و شوكتهم «آياتُ اللَّهِ» أى دلالات الله على قدرته «تَتْلُوهَا عَلَيْكَ» نقرؤها عليك يا محمد «بِالْحَقِّ» بالصدق و قيل يقرأها جبريل عليك «بِالْحَقِّ» بأمرنا «وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» معناه و إنك لمن المرسلين بدلاله إخبارك بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها و لم تخالط أهلها و لا تعلم ذلك مع عدم المشاهده و مخالطه أهلها إلا بوحي من جهة الله و الله لا يوحى إلا إلى أنبيائه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٥٣

### اشاره

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)

### الإعراب

درجات منصوب على الحال و العامل فيه رفع و ذو الحال بعضهم و تقديره رفع بعضهم ذوى درجات فحذف المضاف و يجوز أن يكون حالا بعد الفراغ من الفعل تقديره و رفع بعضهم فإذا هم ذوو درجات و يجوز أن يكون ظرف مكان و يجوز أن يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره و رفع بعضهم رفعا.

### المعنى

«تِلْكَ» بمعنى أولئك إلا أنه أراد به الإشاره إلى الجماعه فأتى بلفظ الإفراد الذى يكون للمؤنث المفرد كما يقال القوم خرجت أى أولئك الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء فى الكتاب «فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» إنما ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض لأمر (أحدها) لأن لا يغلط غلط فيسوى بينهم فى الفضل كما استوتوا فى الرساله (و ثانيها) أن يبين أن تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم



على بعض (و ثالثها) أن الفضيله قد تكون بعد أداء الفريضة و هذه الفضيله المذكوره هاهنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليله نحو كلامه لموسى بلا- سفير و كإرساله محمدا إلى الكافه من الجن و الإنس و قيل أراد التفضيل فى الآخره لتفاضلهم فى الأعمال و تحمل الأثقال و قيل بالشرائع فمنهم من شرع و منهم من لم يشرع و الفرق بين الابتداء بالفضيله و بين المحاباه أن المحاباه اختصاص البعض بالنفع على ما يوجبه الشهوه دون الحكمة و ليس كذلك الابتداء بالفضيله لأنه قد يكون للمصلحه التى لولاها لفسد التدبير و أدى إلى حرمان الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الإنسان تفضيل غيره عليه إذا كان فى ذلك مصلحه له فهذا وجه تدعو إليه الحكمة و ليس كالوجه الأول الذى إنما تدعو إليه الشهوه «مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ» أى كلمه الله و هو موسى «وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ» قال مجاهد أراد به محمدا (صلى الله عليه و آله) فإنه تعالى فضله على جميع أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلفين من الجن و الإنس و بأن أعطاه جميع الآيات التى أعطاهها من قبله من الأنبياء و بان خصه بالقرآن الذى لم يعطه غيره و هو المعجزه القائمه إلى يوم القيامة بخلاف سائر المعجزات فإنها قد مضت و انقضت و بأن جعله خاتم النبيين و الحكمة تقتضى تأخير أشرف الرسل لأعظم الأمور «وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» أى الدلالات كإبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى و الإخبار عما كانوا يأكلونه و يدخرونه فى بيوتهم «وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» قد مر تفسيره فى الآيه الخامسه و الثمانين من هذه السوره «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» أى من بعد الرسل و قال قتاده و الربيع من بعد موسى و عيسى و أتى بلفظ الجمع لأن ذكرهما يغنى عن ذكر المتبعين لهما كما يقال خرج الأمير فنكوا فى العدو نكايه عظيمه معناه و لو شاء الله لم يقتل الذين من بعد الأنبياء بأن يلجئهم إلى الإيمان و يمنعهم عن الكفر إلا أنه لم يلجئهم إلى ذلك لأن التكليف لا يحسن مع الضروره و الإلجاء و الجزاء لا يحسن إلا مع التخليه و الاختيار عن الحسن و قيل معناه لو شاء الله ما أمرهم بالقتال «مَنْ بَعِدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ» من بعد وضوح الحجه فإن المقصد من بعثه الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال «وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» بتوفيق الله و لطفه و حسن اختياره «وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» بسوء اختياره «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا» كرر ذلك تأكيداً و تنبيهاً و قيل الأول مشيئه الإكراه أى لو شاء الله اضطرهم إلى حال يرتفع معها التكليف و الثانى الأمر للمؤمنين بالكف عن قتالهم «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» ما تقتضيه المصلحه و توجه الحكمة.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٤

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)

ص: ١٣٩

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب لا بيع فيه و لا خله و لا شفاعه بالفتح فيها أجمع و فى سورة إبراهيم لا بيع فيه و لا خلال و فى الطور لا لغو فيها و لا تأثيم و قرأ الباقون جميعها بالرفع.

## الحجه

قال أبو على أما من فتح بلا- تنوين فإنه جعله جواب هل فيها من لغو أو تأثيم و من رفع جعله جواب أ فيها لغو أو تأثيم و قد ذكرنا صدرا من القول على النفي فيما تقدم و المعنيان متقاربان فى أن النفي يراد به العموم و الكثره فى القراءتين يدل على ذلك قول أميه:

" فلا لغو و لا تأثيم فيها "

أ لا ترى أنه يريد من نفي اللغو و إن كان قد رفعه ما يريد بنفى التأثيم الذى فتحه و لم ينونه فإن جعلت قوله فيها خبرا أضمرت للأول خبرا و إن جعلته صفة أضمرت لكل واحد من الاسمين خبرا.

## اللغه

البيع هو استبدال المتاع بالثمن و البيع نقيض الشراء و البيع أيضا الشراء لأنه تاره عقد على الاستبدال بالثمن و تاره على الاستبدال بالمتاع و البيع الصفقه على إيجاب البيع و البيعه الصفقه على إيجاب الطاعه و البيعان البائع و المشتري و الخله خالص الموده و الخلل الانفراج بين الشيتين و خللته بالخلال أخله خللا إذا شككته به و اختلال الحال انحرافها بالفقر و الخليل الخالص الموده من الخله لتخلل الأسرار بينهما و قيل لأنه يمتنع من الشوب فى الموده بالنقيصه و الخليل أيضا المحتاج من الخله و الخل معروف لتخلله بحدته و لطفه فيما ينساب فيه و الخل الرجل الخفيف الجسم و الخل الطريق فى الرمل و فى فلان خله رائقه أى خصله و الخله جفن السيف و قد ذكرنا معنى الشفاعه عند قوله و لا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ.

## المعنى

لما قص الله سبحانه أخبار الأمم السابقيه و ثبت رساله نبينا (صلى الله عليه و آله) عقبه بالحث على الطاعه فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا محمدا (صلى الله عليه و آله) فيما جاء به «أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ» قيل أراد به الفرض كالزكاه و نحوها دون النفل لاقتران الوعيد به عن الحسن و لأن ظاهر الأمر يقتضى الإيجاب و قيل يدخل فيه النفل و الفرض عن ابن جريج و اختاره البلخى و هو الأقوى لأنه أعم و لأن الآيه ليس فيها وعيد على ترك النفقه و إنما فيها إخبار عن عظم أهوال يوم القيامة و شدائدتها «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ» أى يوم

القيامه «لا يَبِيعُ فِيهِ» أى لا تجاره «وَلَا خُلَّةٌ» أى ولا صداقه لأنهم بالمعاصى يصيرون أعداء وقيل لأن شغله بنفسه يمنع من صداقه غيره وهذه كقوله الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ «وَلَا شَفَاعَةَ» أى لغير المؤمنين مطلقاً فأما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم أنبياءهم كما قال سبحانه وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ «وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ» إنما ذم الله الكافر بالظلم وإن كان الكفر أعظم منه لأمرين (أحدهما) الدلالة على أن الكافر ضر نفسه بالخلود فى النار فقد ظلم نفسه (والآخر) أنه لما نفى البيع فى ذلك اليوم والخلة والشفاعة وأخبر أنه قد حرم الكافر هذه الأمور قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لأنهم عملوا بأنفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الأمور ووجه آخر فى تخصيص الكافر بالظلم وهو إن ظلم الكافر هو غايه الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لأنفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القائل فلان هو الفقيه فى البلد و فلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما أضيف إليه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٥٥

### اشاره

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)

### توضيح

آيتان بصرى و آيه واحده عند غيرهم عد البصرى «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» آيه.

### فضل الآيه

ذكر ابن انجويه الفسوى فى كتاب الترغيب بإسناد متصل عن أبى بن كعب قال قال رسول الله يا أبا المنذر أى آيه فى كتاب الله أعظم قلت «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» قال فضرِب فى صدرى ثم قال ليهنك العلم والذى نفس محمد بيده إن لهذه الآيه للسانا و شفيتين تقدس الملك عند ساق العرش

و

روى الثعلبى بإسناده عن عبد الله بن عمر قال

ص: ١٤١

قال النبي من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والإكرام و كان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد

و

ياسناده عن علي (عليه السلام) قال سمعت نبيكم علي أعواد المنبر و هو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت و لا يواظب عليها إلا صديق أو عابد و من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه و جاره و جار جاره

و

عنه قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم و سيد العرب محمد و لا فخر و سيد الفرس سلمان و سيد الروم صهيب و سيد الحبشه بلال و سيد الجبال الطور و سيد الشجر السدر و سيد الشهور الأشهر الحرم و سيد الأيام يوم الجمعة و سيد الكلام القرآن و سيد القرآن البقره و سيد البقره آية الكرسي يا علي إن فيها لخمسين كلمه في كل كلمه خمسون بركه

و روى عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ عشر آيات من سورة البقره في كل ليله في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح أربع آيات من أولها و آية الكرسي و آيتين بعدها و خواتيمها و

روى عن أبي جعفر الباقر قال من قرأ آية الكرسي مره صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا و ألف مكروه من مكاره الآخرة أيسر مكروه الدنيا الفقر و أيسر مكروه الآخرة عذاب القبر

و

عن أبي عبد الله قال إن لكل شىء ذروه و ذروه القرآن آية الكرسي.

## اللغة

الحى من كان على صفه لا يستحيل معها أن يكون قادرا عالما و إن شئت قلت هو من كان على صفه يجب لأجلها أن يدرك المدرجات إذا وجدت و القيوم أصله قيوم على وزن فيعول إلا- أن الياء و الواو إذا اجتمعتا و أولاهما ساكنه قلبت الواو ياء و أدغمت الياء فى الياء قياسا مطردا و القيام أصله قيوام على وزن فيعال ففعل به ما ذكرناه قال أميه بن أبى الصلت:

لم يخلق السماء و النجوم

و الشمس معها قمر يعوم

قدرها المهيمن القيوم

و الحشر و الجنة و النعيم

إلا لأمر شأنه عظيم

و السنه النوم الخفيف و هو النعاس قال عدى بن الرقاع:

و سنان أقصده النعاس فرنقت

فى عينه سنه و ليس بنائم

و هو مصدر و سن يوسن و سنا و سنه قال المفضل السنه فى الرأس و النوم فى القلب

ص: ١٤٢

و النوم خلاف اليقظه يقال نام نوما و استنام إليه أى استأنس إليه و اطمأن إلى ناحيته و قال الليث يقال لكل من أحرز شيئا أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط به و يقال وسع فلان الشىء يسعه سعه إذا احتمله و أطاقه و أمكنه القيام به و يقال لا يسعك هذا أى لا تطيقه و لا تحتمله الكرسي كل أصل يعتمد عليه قال الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه و عصبه

كراسى بالأحداث حين تنوب

أى علماء بحوادث الأمور و قال آخر:

نحن الكراسى لا تعد هوازن

أفعالنا فى النائبات و لا أسد

و قال آخر:

ما لى بأمرك كرسي أكاومه

و هل بكرسي علم الغيب مخلوق

و كل شىء تراكب فقد تكارس و منه الكراسه لتراكب بعض ورقها على بعض و رجل كروس عظيم الرأس و يقال كرسي الملك من كذا و كذا أى ملكه مشبه بالكرسي المعروف و أصل الباب الكرسي تراكب الشىء بعضه على بعض و آده يؤوده أودا إذا أثقله و جهده و أدت العود أؤده أودا فأناد نحو عجته فانعاج و الآود و الأوداء على وزن الأوعوج و العوجاء و المعنى واحد و الجمع الأود كالعوج و العلى أصله من العلو و هو سبحانه على بالاقتدار و نفوذ السلطان و لا يقال رفيع بالاقتدار لأن الرفعه فى المكان و العلو منقول إلى معنى الاقتدار يقال فلان علا على قرنه يعلو علوا فهو عال و علا بمعنى اقتدر و لا يقال ارتفع عليه بمعناه و لذلك يقال استعلى عليه بالحجه و لا يقال ارتفع عليه بالحجه و العلو بضم العين و كسرهما خلاف السفلى و علا فى الأرض علوا تجبر و منه قوله إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ أى تجبر و الله تعالى العالى و المتعالى أى القادر القاهر لا يعجزه شىء و فلاذن من عليه الناس أى من أشرفهم و العظيم معناه العظيم الشأن و قيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا فى الخمر العتيق أى المعتقه و الأول أقوى.

## الإعراب

الله رفع بالابتداء و ما بعده خبره و الكلام مخرجه مخرج النفي أى لا يصح إله سوى الله و حقيقته الإثبات لإله واحد هو الله فكأنه قيل الله هو الإله دون غيره و ارتفع هو فى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» على أحد وجهين (أحدهما) بالابتداء كأنه قال ما إله إلا الله (و الثانى) أن يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتا أو موجودا إلا الله و يجوز فى العربية نصب

## المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأمم و اختلافهم على أنبيائهم في التوحيد و غيره عقبه بذكر التوحيد فقال «اللَّهُ» أى من يحق له العباده لقدرتة على أصول النعم و قد ذكرنا اختلاف الأقوال فى أصله و فى معناه فى مفتتح سورة الفاتحه «لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا أحد تحق له العباده و يستحق الإلهيه غيره «الْحَيُّ» قد ذكرنا معناه «الْقَيُّومُ» القائم بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداء و إيصال أرزاقهم إليهم كما قال «وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» عن قتاده و قيل القيوم هو العالم بالأمر من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب أى يعلم ما فيه و قيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير و الضحاك و قيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن و اللفظ لجميع هذه الوجوه محتمل «لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ» أى نعاس «وَ لَا نَوْمٌ» ثقل مزيل للقوه و قيل معناه لا يغفل عن الخلق و لا يسهو كما يقال للغافل أنت نائم و أنت و سنان «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» معناه له ملك ما فيهما و له التصرف فيهما «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» هو استفهام معناه الإنكار و النفى أى لا يشفع يوم القيامة أحد لأحد إلا بإذنه و أمره و ذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم فأخبر الله سبحانه أن أحدا ممن له الشفاعة لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له فى ذلك و يأمره به «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه يعلم ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا و ما خلفهم من الآخرة عن مجاهد و السدى (و الثانى) معناه يعلم الغيب الذى تقدمهم من قولك بين يديه أى قدامه و ما مضى فهو قدام الشىء فيحمل عليه على هذا التقدير لا إن هذا اللفظ حقيقه فى الماضى «وَ مَا خَلْفَهُمْ» يعنى الغيب الذى يأتى بعدهم عن ابن جريج (و الثالث) أن «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» عباره عما لم يأت كما يقال رمضان بين أيدينا «وَ مَا خَلْفَهُمْ» عباره عما مضى كما يقال فى شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك «وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» معناه من معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فىنا أى معلومك فىنا و يقال إذا ظهرت آيه هذه قدره الله أى مقدور الله و الإحاطه بالشىء علمه أن يعلمه كما هو على الحقيقه «إِلَّا بِمَا شَاءَ» يعنى ما شاء أن يعلمهم و يطلعهم عليه «وَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» اختلف فيه على أقوال (أحدها)

وسع علمه السماوات و الأرض عن ابن عباس و مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و يقال للعلماء كراسى كما يقال أوتاد الأرض لأن بهم قوام الدين و الدنيا (و ثانيها) أن الكرسى هاهنا هو العرش عن الحسن و إنما سمي كرسيا لتركيب بعضه على بعض

(و ثالثها) أن المراد بالكرسى هاهنا الملك و السلطان و القدره كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيا أى عمادا يعمد به حتى لا يقع و لا يميل فيكون معناه أحاط قدرته بالسموات و الأرض و ما فيهما (و رابعها) أن الكرسى سرير دون العرش

و قد روى عن أبى عبد الله و قريب منه ما روى عن عطاء أنه قال ما السموات و الأرض عند الكرسى إلا كحلقة خاتم فى فلاه و ما الكرسى عند العرش إلا كحلقة فى فلاه

و منهم من قال إن السموات و الأرض جميعا على الكرسى و الكرسى تحت العرش كالعرش فوق السماء و

روى الأصمغ بن نباته أن عليا قال إن السموات و الأرض و ما فيهما من مخلوق فى جوف الكرسى و له أربعة أملاك يحملونه بإذن الله ملك منهم فى صورته الآدميين و هى أكرم الصور على الله و هو يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق للآدميين و الملك الثانى فى صورته الثور و هو سيد البهائم يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق للبهائم و الملك الثالث فى صورته النسر و هو سيد الطيور و هو يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق لجميع الطيور و الملك الرابع فى صورته الأسد و هو سيد السباع و هو يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق لجميع السباع قال و لم يكن فى جميع الصور صورته أحسن من الثور و لا أشد انتصابا منه حتى اتخذ الملائم من بنى إسرائيل العجل و عبدوه فخفض الملك الذى فى صورته الثور رأسه استحياء من الله أن عبدوا من دون الله بشىء يشبهه و تخوف أن ينزل الله به العذاب

«وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا» أى لا يشق على الله و لا يتقله حفظ السموات و الأرض و قيل الهاء فى يؤوده يعود إلى الكرسى و هذا على قول من يقول أن السموات و الأرض على الكرسى «وَهُوَ الْعَلِيُّ» عن الأشباه و الأضداد و الأمثال و الأنداد و عن أمارات النقص و دلالات الحدث و قيل هو من العلو الذى هو بمعنى القدره و السلطان و الملك و علو الشأن و القهر و الاعتلاء و الجلال و الكبرياء «الْعَظِيمُ» أى العظيم الشأن القادر الذى لا يعجزه شىء و العالم الذى لا يخفى عليه شىء لا نهايه لمقدوراته و لا غايه لمعلوماته و

روى على بن إبراهيم عن أبيه عن الحسين بن خالد أنه قال قرأ أبو الحسن الرضا (عليه السلام) الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنه و لا نوم له ما فى السموات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى عالم الغيب و الشهاده الرحمن الرحيم من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه.

**سوره البقره (٢): آيه ٢٥٦**

**اشاره**

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)

ص: ١٤٥



الرشد نقيض الغى و هو الرشد و الرشذ و تقول غوى يغوى غيا و غوايه إذا سلك طريق الهلاك و غوى إذا خاب قال الشاعر:

و من يلق خيرا يحمد الناس أمره

و من يغو لا يعدم على الغى لائما

و غوى الفصيل يغوى غوى إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك و الطاغوت و زنها فى الأصل فعلوت و هو مصدر مثل الرغبوت و الرهبوت و الرحموت و يدل على أنها مصدر وقوعها على الواحد و الجماعه بلفظ واحد و أصلها طغيوت لأنها من الياء يدل على ذلك قوله فى طُغْيَانِهِمْ يَغْمَهُونَ ثم إن اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طيغوت ثم قلبت الياء ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها فصار طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فلغوت و جمع طاغوت طواغيت و طواغت و طواغ على حذف الزيادة و الطواغى على العوض من المحذوف و العروه عروه الدلو و نحوه لأنها متعلقه و عروت الرجل أعروه عروا إذا ألمت به متعلقا بسبب منه و اعتراه هم إذا تعلق به و عرته الحمى تعروه إذا علقت به فالأصل فى الباب التعلق قال الأزهرى العروه كل نبات له أصل ثابت كالشبح و القيصوم و غيره و به شبهت عرى الأشياء فى لزومها و الوثقى تأنيث الأوثق و الانفصام و الانقطاع و الانصداع نظائر قال الأعشى:

و مبسمها من شتيت النبات

غير أكس و لا منفصم

يقال فصمته فانفصم.

## النزول

قيل نزلت الآيه فى رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له صبيح و كان يكرهه على الإسلام عن مجاهد و

قيل نزلت فى رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين و كان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينه يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع من المدينه أتاهم ابنا أبى الحصين فدعوهما إلى النصرانيه فتنصرا و مضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله ص فأنزل الله تعالى «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» فقال رسول الله ص أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين فى نفسه على النبى حين لم يبعث فى طلبهما فأنزل الله «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» الآيه

قال و كان هذا قبل أن يؤمر النبى بقتال أهل الكتاب ثم نسخ و أمر بقتال أهل الكتاب فى سوره براءه عن السدى و هكذا قال ابن مسعود و ابن زيد أنها منسوخه

بآيه السيف و قال الباقون هي محكمه و

قيل كانت امرأه من الأنصار تكون مقلاتا فترضع أولاد اليهود فجاء الإسلام و فيهم جماعه منهم فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار فقالوا يا رسول الله أبنائنا و إخواننا فنزلت «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» فقال خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم و إن اختاروهم فأجلوهم

عن ابن عباس.

## المعنى

لما تقدم ذكر اختلاف الأمم و أنه لو شاء الله لأكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق و التوحيد عقبه بأن الحق قد ظهر و العبد قد خير إكراه بقوله «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» و فيه عده أقوال (أحدها) أنه في أهل الكتاب خاصه الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن و قتاده و الضحاك (و ثانيها) أنه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدى و غيره (و ثالثها) أن المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب أنه دخل مكرها لأنه إذا رضى بعد الحرب و صح إسلامه فليس بمكره عن الزجاج (و رابعها) أنها نزلت في قوم خاص من الأنصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس و غيره (و خامسها) أن المراد ليس في الدين إكراه من الله و لكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من أفعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين فليس بدين حقيقه كما أن من أكره على كلمه الكفر لم يكن كافرا و المراد الدين المعروف و هو الإسلام و دين الله الذي ارتضاه «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» قد ظهر الإيمان من الكفر و الحق من الباطل بكثرة الحجج و الآيات الداله عقلا و سمعا و المعجزات التي ظهرت على يد النبي «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ» فيه أقوال (أحدها)

أنه الشيطان عن مجاهد و قتاده و هو المروى عن أبي عبد الله

(و ثانيها) أنه الكاهن عن سعيد بن جبير (و ثالثها) أنه الساحر عن أبي العالیه (و رابعها) أنه مرده الجن و الإنس و كلما يطغى (و خامسها) أنه الأصنام و ما عبد من دون الله و على الجملة فالمراد من كفر بما خالف أمر الله «و يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى يصدق بالله و بما جاءت به رسله «فَقَدْ اسْتَيْمَسَكَ» أى تمسك و اعتصم «بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» أى بالعصمه الوثيقه و عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحله شبهه و عن مجاهد هو الإيمان بالله و رسوله و جرى هذه مجرى المثل لحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الإحساس إلى ما يقع به «لَمَّا انْقِصَامَ لَهَا» أى لا انقطاع لها يعنى كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروه كذلك لا ينقطع أمر من تمسك بالإيمان «و اللَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلِيمٌ» بضمائرکم.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٥٧

### اشاره

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)



الولى من الولى و هو القرب من غير فصل و هو الذى يكون أولى بالغير من غيره و أحق بتدبيره و منه الوالى لأنه يلى القوم بالتدبير و بالأمر و النهى و منه المولى من فوق لأنه يلى أمر العبد بسد الخله و ما به إليه الحاجه و منه المولى من أسفل لأنه يلى أمر المالك بالطاعة و منه المولى لابن العم لأنه يلى أمره بالنصره لتلك القرابه و منه ولى اليتيم لأنه يلى أمر ماله بالحفظ له و القيام عليه و الولى فى الدين و غيره لأنه يلى أمره بالنصره و المعونه كما توجه الحكمه و المعاقده فجميع هذه المواضع الأولى و الأحق ملحوظ فيها و ولى عن الشىء إذا أدبر عنه لأنه زال عن أن يليه بوجهه و استولى على الشىء إذا احتوى عليه لأنه ولىه بالقهر و الله تعالى ولى المؤمنين على ثلاثه أوجه أحدها أنه يتولاهم بالمعونه على إقامه الحجه و البرهان لهم فى هدايتهم كقوله «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» و ثانيها أنه وليهم فى نصرهم على عدوهم و إظهار دينهم على دين مخالفيهم و ثالثها أنه وليهم يتولاهم بالمشوبه على الطاعة و المجازاه على الأعمال الصالحه.

### المعنى

لما ذكر سبحانه المؤمن و الكافر بين ولى كل واحد منهما فقال «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى نصيرهم و معينهم فى كل ما بهم إليه الحاجه و ما فيه لهم الصلاح من أمور دينهم و دنياهم و آخرتهم «يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من ظلمات الضلاله و الكفر إلى نور الهدى و الإيمان لأن الضلال و الكفر فى المنع من إدراك الحق كالظلمه فى المنع من إدراك المبصرات و وجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر و الضلال إلى نور الإيمان و الطاعة هو أنه هداهم إليه و نصب الأدله لهم عليه و رغبتهم فيه و فعل بهم من الألفاف ما يقوى به دواعيهم إلى فعله لأننا قد علمنا أنه لو لا هذه الأمور لم يخرجوا من الكفر إلى الإيمان فصح إضافه الإخراج إليه تعالى لكون هذه الأمور التى عددناها من جهه الله تعالى كما يصح من أحدنا إذا أشار إلى غيره بدخول بلد من البلدان و رغبه فيه و عرفه ما له فيه من الصلاح أن يقول أنا أدخلت فلانا البلد الفلانى و أنا أخرجته من كذا و كذا «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ» أى متولى أمورهم و أنصارهم الطاغوت و الطاغوت هاهنا واحد أريد به الجميع و هذا جائز فى اللغة إذا كان فى الكلام دليل على الجماعه قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض و أما جلدها فضليب

فجلدها فى معنى جلودها و قال العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا و أنا أخوكم

فقد فرئت من الإحن الصدور

و المراد به الشيطان عن ابن عباس و قيل رؤساء الضلالة عن مقاتل «يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» أى من نور الإيمان و الطاعة و الهدى إلى ظلمات الكفر و المعصية و الضلالة و أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت على ما تقدم ذكره من أنهم يغوونهم و يدعونهم إلى ذلك و يزنون فعله لهم فصح إضافته إليهم و هذا يدل على بطلان برهان قول من قال إن الإضافة الأولى تقتضى أن الإيمان من فعل الله تعالى بالمؤمن لأنه لو كان كذلك لاقتضت الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشيطان و عندهم لا فرق بين الأمرين فى أنهما من فعله تعالى عن ذلك و أيضا فلو كان الأمر على ما ظنوا لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين و ناصر لهم على ما اقتضته الآيه و الإيمان من فعله لا- من فعلهم و لما كان خاذلا- للكفار و مضيفا لولا-يتهم إلى الطاغوت و الكفر من فعله فيهم و لم يفصل بين الكافر و المؤمن و هو المتولى لفعل الأمرين فيهما و مثل هذا لا يخفى على منصف فإن قيل كيف يخرجونهم من النور و هم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان (أحدهما) أن ذلك يجرى مجرى قول القائل أخرجنى والدى من ميراثه فمنعه من الدخول فيه إخراج و مثله قوله فى قصه يوسف إِنِّي تَرَكْتُ مَلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا قَطْ وَ قَوْلُهُ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ وَ قَالَ الشاعِر:

فإن تكن الأيام أحسن مره

إلى فقد عادت لهن ذنوب

و لم يكن لها ذنوب قبل ذلك و الوجه الآخر أنه فى قوم ارتدوا عن الإسلام عن مجاهد و الأول أقوى و قوله «أُولَئِكَ أَصِيحَابُ النَّارِ» إلى آخره قد مضى تفسيره.

## اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)

## القراءه

قرأ أهل المدينة أنا أحيى يثبت الألف في أنا والمد إذا كان بعدها همزه مضمومه أو مفتوحه نحو أنا أخوك فإن كان بعدها همزه مكسوره نحو إن أنا إلّا نذيرٌ حذفوا الألف إجماعاً.

## الحجه

الأصل في أنا الهمزه والنون وإنما يلحقها الألف في الوقف كما أن الهاء تلحق للوقف في مسلمونه و كما أن الهاء التي تلحق للوقف تسقط في الوصل كذلك هذه الألف تسقط في الوصل وقد جاءت ألف أنا مثبتة في الوصل في الشعر نحو قول الأعشى:

فكيف أنا وانتحال القوافي

بعد المشيب كفى ذاك عارا

وقول الآخر:

أنا شيخ العشيره فاعرفوني

حميدا قد تدرت السناما

قال أبو علي و ما روى في إثبات الألف في أنا إذا كان بعد الألف همزه فإنني لا أعلم بين الهمزه وغيرها من الحروف فصلا ولا شيئا يجب من أجله إثبات الألف التي حكمها أن تثبت في الوقف.

## اللغه

في بهت أربع لغات بهت على وزن ظرف و بهت على وزن حذر و بهت على وزن ذهب و بهت على وزن ما لم يسم فاعله و هذا هو الأفصح و عليه القراءه يقال بهت الرجل يبهت بهتا إذا انقطع و تحير و يقال بهت الرجل أبهته بهتانا إذا قابلته بكذب فالبهت الحيره عند استيلاء الحجه لأنها كالحيره للمواجه بالكذب لأن تحير المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه و منه قوله أ تأخذونه بهتانا كأنه قال أ تأخذونه ادعاء للكذب فيه.

## الإعراب

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي» إنما أدخلت إلى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون أ ما ترى إلى فلان كيف يصنع و منه معنى هل رأيت كفلان في

ص: ١٥٠

صنيعه كذا فإنما دخلت إلى من بين حروف الجر لهذا المعنى لأنها لما كانت بمعنى الغايه و النهايه صار الكلام بمنزله هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه لأن التعجب إنما يكون مما استبهم سببه و لم تجر العاده به و قد صارت إلى هاهنا بمنزله كاف التشبيه لما بينا من العله إذ كان ما ندر مثله كالذى يبعد وقوعه.

## المعنى

لما بين تعالى أنه ولى المؤمنين و أن الكفار لا ولى لهم سوى الطاغوت تسليه لنبيه ص قصص عليه بعده قصه إبراهيم و نمرود فقال «أَلَمْ تَرَ» يا محمد أى أ لم ينته علمك و رؤيتك «إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ» أى إلى من كان كالذى حاج فكأنه قال هل رأيت كالذى حاج أى خاصم و جادل إبراهيم و هو نمرود بن كنعان و هو أول من تجبر و ادعى الربوبيه عن مجاهد و غيره و إنما أطلق لفظ المحاجه و إن كانت مجادله بالباطل و لم تكن له فيه حجه لأن فى زعمه أن له فيه حجه و اختلف فى وقت هذه المحاجه

فقيل عند كسر الأصنام قبل إلقائه فى النار و جعلها عليه بردا و سلاما عن الصادق (عليه السلام)

«فِي رَبِّهِ» أى فى رب إبراهيم الذى يدعو إلى توحيده و عبادته «أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ» أى لأن آتاه الله الملك الهاء من آتاه تعود إلى المحاج لإبراهيم أى أعطاه الله الملك و هو نعيم الدنيا و سعه المال فبطل الملك حمله على محاجه إبراهيم عن الحسن و الجبائى و الملك على هذا الوجه جائز أن ينعم الله تعالى به على كل أحد فأما الملك بتملك الأمر و النهى و تدبير أمور الناس و إيجاب الطاعه على الخلق فلا يجوز أن يؤتبه الله إلا من يعلم أنه يدعو إلى الصلاح و السداد و الرشاد دون من يدعو إلى الكفر و الفساد و لا يصح منه لعلمه بالغيوب و السرائر تفويض الولاية إلى من هذا سبيله لما فى ذلك من الاستفساد و قيل إن الهاء تعود إلى إبراهيم عن أبى القاسم البلخى و يسأل على هذا فيقال كيف يكون الملك لإبراهيم و الحبس و الإطلاق إلى نمرود و جوابه أن الحبس و الإطلاق و الأمر و النهى كان من جهه الله لإبراهيم و إنما كان نمرود يفعل ذلك على وجه القهر و الغلبه لا من جهه ولايه شرعيه «إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ» فى الكلام حذف و هو إذ قال له نمرود من ربك فقال ربي الذى يحيى و يميت بدأ بذكر الحياه لأنها أول نعمه ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم و هذا أيضا لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأن الإمامته هى أن يخرج الروح من بدن الحى من غير جرح و لا نقص بنيه و لا إحداث فعل يتصل بالبدن من جهته و هذا خارج عن قدره البشر «قَالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ» أى فقال نمرود أنا أحيى بالتخليه من الحبس من وجب عليه القتل و أميت بالقتل من شئت ممن هو حى و هذا جهل من الكافر لأنه اعتمد فى المعارضه على العبارة فقط دون المعنى عادلا عن وجه الحجه بفعل الحياه للميت أو



الموت للحى على سبيل الاختراع الذى ينفرد به تعالى و لا يقدر عليه سواه «قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» قيل فى انتقاله من حجه إلى أخرى وجهان (أحدهما) أن ذلك لم يكن انتقالا و انقطاعا عن إبراهيم فإنه يجوز من كل حكيم إيراد حجه أخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج و علامه تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهه لها تأثير عند التأمل و التدبر لموقعها من الحجه المعتمد عليها (و الثانى) أن إبراهيم إنما قال ذلك ليبين أن من شأن من يقدر على إحياء الأموات و إمامته الأحياء أن يقدر على إتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب و إنما فعل ذلك لأنه لو تشاغل معه بأنى أريت اختراع الموت و الحيوه من غير سبب و لا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل إلى ما هو أوضح لأن الأنبياء إنما بعثوا للبيان و الإيضاح و ليست أمورهم مبنية على تحاج الخصمين و طلب كل واحد منهما غلبه خصمه و

قد روى عن الصادق (عليه السلام) أن إبراهيم (عليه السلام) قال له أحي من قتلته إن كنت صادقا

ثم استظهر عليه مما قاله ثانيا «فبُهِتَ» الذى كفر أى تحير عند الانقطاع بما بأن من ظهور الحجه فإن قيل فهلا قال له نمرود فليات بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان (أحدهما) أنه لما علم بما رأى من الآيات أنه لو اقترح ذلك لأتى به الله تصديقا لإبراهيم فكان يزداد بذلك فضيحه عدل عن ذلك (و الثانى) أن الله خذله و لطف لإبراهيم حتى أنه لم يأت بشبهه و لم يلبس «و الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» بالمعونه على بلوغ البغيه من الفساد و قيل معناه لا يهديهم إلى المحاجه كما يهدى أنبياءه و أوليائه و قيل معناه لا يهديهم بالطفافه و تأييده إذا علم أنه لا لطف لهم و قيل لهم لا يهديهم إلى الجنه و هذا لا يعارض قوله و أمّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ لِأَنَا قَدْ بَيْنَا مَعَانِيَ الْهُدَايَةِ وَ وَجُوهَهَا قَبْلَ عِنْدَ قَوْلِهِ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا فَبَعْضُهَا عَامٌ لَجَمِيعِ الْمَكْلُفِينَ وَ بَعْضُهَا خَاصٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَعَارِفَ غَيْرَ ضَرُورِيَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَا صَحَّتِ الْمَحَاجَةُ فِي إِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى فِسَادِ التَّقْلِيدِ وَ حَسَنِ الْحِجَاجِ وَ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَعْلَمُ بِأَفْعَالِهِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ وَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ سَلَطَ عَلَى نَمْرُودَ بَعُوضَهُ فَعَضَتْ شَفْتَيْهِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِيَدِهِ لِأَخَذِهَا فَطَارَتْ فِي مَنْخَرِهِ فَذَهَبَ لِيَسْتَخْرِجَهَا فَطَارَتْ فِي دِمَاغِهِ فَعَضَبَهُ اللَّهُ بِهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَهْلَكَهُ.

## إشارة

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)

## القراءة

قرأ أبو عمرو و ابن عامر و حمزه و الكسائي لبت بالإدغام و الباقون بالإظهار و قرأ أهل العراق غير أبي عمرو و عاصم لم يتسن و اقتد بحذف الهاء و صلا و الباقون بإثبات الهاء في الوصل و لم يختلفوا في إثباتها في الوقف و قرأ أهل الحجاز و البصرة ننشرها بضم النون الأولى و بالراء و قرأ أهل الكوفة و الشام ننشرها بالزاي و روى أبان عن عاصم ننشرها بفتح النون و ضم الشين و بالراء و قرأ حمزه و الكسائي قال اعلم موصوله الألف ساكنه الميم و الباقون «أَعْلَمُ» مقطوعه الألف مرفوعه الميم.

## الحج

قال أبو على من أدغم لبت أجرى التاء و التاء مجرى المثليين من حيث اتفق الحرفان في أنهما من طرف اللسان و أصول الثنايا و اتفقا في الهمس و من بين و لم يدغم فلتباين المخرجين لأن الطاء و الدال و التاء من حيز و الظاء و الذال و التاء من حيز و من قرأ «لَمْ يَتَسَنَّهْ» بالهاء في الوصل فيحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الهاء لاما من السنه فيمن قال شجره سنهاء فيكون سكون الهاء للجزم و الآخر أن يكون من السنه أيضا فيمن قال استوا و سنوات أو يكون من المسنون الذي يراد به المتغير كأنه لم يتسن ثم قلب على حد القلب في لم يتظن و حكى أن أبا عمرو الشيباني إلى هذا كان يذهب في هذا الحرف فالهاء في «يَتَسَنَّهْ» على هذين القولين يكون للوقف فينبغي أن يلحق في الوقف و يسقط في الدرج و أما قوله أَقْتِيدُهُ فيجوز أن يكون الهاء كناية عن المصدر و لا يكون التي للوقف و لكن لما ذكر الفعل دل على مصدره فأضمره كما أضمر في قوله «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ» و قال الشاعر:

غدا سراقه للقرآن يدرسه

و المرء عند الرشى إن يلقها ذئب

فالهاء فى ىدرسه للمصدر لا ىجوز أن ىكون للمفعول لأن الفعل قد تعدى إلى المفعول باللام فلا ىجوز أن ىتعدى إليه مره ثانیه و كذلك قوله فیهدهم اقتده ىكون اقتد الاقتداء فىضمرد لدلاله الفعل علیه و من قرأ كیف نشرها فمعناه كیف نحیها ىقال أنشر الله المیت فنشر و قد وصف العظام بالإحیاء قال تعالى من ىحى العظام و هى رمیم قل ىحییها الذی أنشأها أول مره و كذلك فى قوله نشرها و من قرأ «نشرها» بالراء فالنشر الارتفاع قال أبو الحسن نشزوا نشرته فتقدير نشرها نرفع بعضها إلى بعض للإحیاء و من هذا النشوز من المرأه و هو أن تنبو عن الزوج فى العشره فلا تلائمه و من قرأ «قال أعلم» على لفظ الخبر فلأنه لما شاهد من إحیاء الله و بعثه إیاه بعد وفاته ما شاهد أخبر عما تبینه و یقنه أى أعلم هذا الضرب من العلم الذی لم أكن علمته قیل و من قال أعلم على لفظ الأمر فالمعنى یؤول إلى الخبر و ذلك أنه لما تبین له ما تبین من الأمر الذی لا مجال للشبهه علیه نزل نفسه منزله غیره فخطبها كما ىخطب سواها كقول الأعشى:

أرمى بها البیداء إذا هجرت

و أنت بین القرو و العاصر

فقال أنت و هو یرید نفسه و مثله قوله:

ودع هریره إن الركب مرتحل

و هل تطیق وداعا أیها الرجل

فخطب نفسه كما ىخطب غیره قال أبو الحسن و هو أجود فى المعنى.

## اللغة

أصل الخواء الخلاء قال الراجز:

" ىبدو خواء الأرض من خوائه "

و الخواء الفرجه بین الشیئین لخلو ما بینهما و خوت الدار تخوى خواء فهى خاویه إذا باد أهلها لخلوها منهم و الخوى الجوع خوى ىخوى خوى لخلو البطن من الغذاء و التخویه التفریج بین العضدین و الجنین لخلو ما بینهما بتباعدهما. «على عروشه» أى على أبنتها قال أبو عبیده هى الخیام و هى بیوت الإعراب و قال غیره «خاویة على عروشه» أى بقیة حیطانها لا سقوف علیها و كل بناء عرش و عریش مکه أبنتها و عرش ىعرش عرشا إذا بنى و العریش البیت لارتفاع أبنته و العرش السریر لارتفاعه عن غیره و عرش الرجل قوام أمره و عرش البیت سقفه و التعریش جعل الخشب تحت الكرم لیمتد علیه ىقال عرشته و عرشته و أصل القریه الجمع من قریت الماء و سمیت قریه لاجتماع الناس فیها للإقامه بها و «أنى ىحى» من أين ىحى أو كیف ىحى و العام الحول و جمعه الأعوام و هو حول ىأتى بعد شتوه و صیفه لأن فیة سبحا طویلا ربما ىمكن من التصرف فیة و العوم السباحه و السفینه تعوم فى جریها



و الإبل تعوم فى سيرها و الاعتيام اصطفاء خيار مال الرجل لأنه يجرى فى أخذه شيئاً بعد شىء كالسباح فى الماء الجارى و اعتمام الموت النفوس أولاً فأولاً كذلك و أصل الباب السبح و اللبث المكث يقال لبث فهو لابت و تلبث تلبثا إذا تمكث و الحمار يقال للوحشى و الأهلى و أصله من الحمرة لأن الحمرة أغلب عليه و حمارة القيض شده حره و حمر فو الفرس يحمر حمرا إذا أنتن و موت أحمر شديد مشبه بحمرة النار و الأسود و الأحمر العرب و العجم لأن السواد أغلب على لون العرب كما أن الحمرة أغلب على لون العجم و منه قول الأشعث لعلى غلبت عليك هذه الحمراء يعنى العجم و النشر خلاف الطى و النشر إذاعه الحديث و حث العود بالمنشار و النشر الرائحة الطيبة و ربما قيل فى الخبيثه و النشره الرقيه و النشر بالزراى المرتفع من الأرض.

## الإعراب

أو حرف عطف و هو عطف على معنى الكلام الأول و تقديره أ رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه أو كالذى مر على قريه و موضع الكاف نصب بتر و معناه التعجب لأن كل ما خرج من بابه لعظمه عن حد نظائره فهو مما يتعجب منه تقول ما أجهله أى قد خرج بجهله عن حد نظائره و كذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لدلت على مثل الأول منه فى التعجب لما بينا أن ما أفعله صيغه وضعت للتعجب و ليس كذلك هل رأيت لأنها فى الأصل للاستفهام و قيل الكاف زائده للتوكيد كما زيدت فى قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و الأول أوجه لأنه لا- يحكم بالزياده إلا لضروره و قوله «أَنْتَى» استفهام فى موضع نصب على الحال من يحيى و تقديره أقادر أن يحيى و يجوز أن يكون مصدرا ليحيى و تقديره أى نوع يحيى أى أى إحياء يحيى و هذا أولى لأنه يكون سؤالاً- عن كيفية الإحياء لا إنكاراً لأصل الإحياء و موضع كم نصب بلبث كأنه قال أ مائه سنه لبث أم أقل أم أكثر و قوله «وَلَنَجْعَلَنَّكَ» دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال و لنجعلك آيه للناس فعلنا ذلك لأن الواو لو أسقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف فى محل النصب على الحال من نشر أو نشز و ذو الحال الضمير المستكن فيه أو على المصدر و نشزها جمله فى موضع الحال من أنظر و ذو الحال العظام.

## المعنى

«أَوْ كَالَّذِي مَرَّ» أى أو هل رأيت كالذى مر و معناه إن شئت فانظر فى قصه الذى حاج إبراهيم و إن شئت فانظر إلى قصه الذى مر «عَلَى قَرْيَةٍ» و

هو عزيز عن قتاده و عكرمه و السدى و هو المروى عن أبى عبد الله

و

قيل هو أرميا عن وهب و هو المروى عن أبى جعفر

و قيل هو الخضر عن ابن إسحاق و القرية التى مر عليها هى بيت المقدس لما

خربه بخت نصر عن وهب و قتاده و الربيع و عكرمه و قيل هي الأرض المقدسه عن الضحاك و قيل هي القرية التي خرج منها الألو ف حذر الموت عن ابن زيد «و هي خاوية على عروشها» أي خاليه و قيل خراب عن ابن عباس و الربيع و الضحاك و قيل ساقطه على أبنيتها و سقوفها كان السقوف سقطت و وقعت البنيان عليها قال «أنتي يحيى هذه الله بعد موتها» أي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها و قيل كيف يحيى الله أهلها بعد ما ماتوا و أطلق لفظ القرية و أراد به أهلها كقوله «و سئل القرية» و لم يقل ذلك إنكارا و لا تعجبا و لا ارتيابا و لكنه أحب أن يريه الله إحياءها مشاهده كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيامة و كيف يكون حال أهل الجنة في الجنة و كيف يكون حال أهل النار في النار و كقول إبراهيم رب أرني كيف تُحي الموتى أحب أن يريه الله إحياء الموتى مشاهده ليحصل له العلم به ضروره كما حصل العلم دلالة لأن العلم الاستدلالي ربما اعتورته الشبهه «فأما لله مائة عام» أي مائة سنة «ثم بعثه» أي أحياه كما كان «قال كم لبثت» في التفسير أنه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك و منامك و قيل إن القائل له نبي و قيل ملك و قيل بعض المعمرين ممن شاهده عند موته و إحيائه «قال لبثت يوماً أو بعض يوم» لأن الله أماته في أول النهار و أحياه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال يوماً ثم التفت فرأى بقيه من الشمس فقال أو بعض يوم فقال «بيل لبثت مائة عام» معناه بل مكثت في مكانك مائة سنة «فأنظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه» أي لم تغيره السنون و إنما قال «لم يتسنه» على الواحد لأنه أراد به جنس الطعام و الشراب أي أنظر إلى ما تركته أنه لم يتسنه و قيل أراد به الشراب لأنه أقرب المذكورين إليه و قيل كان زاده عصيرا و تينا و عنباً و هذه الثلاثة أسرع الأشياء تغيراً و فساداً فوجد العصير حلواً و التين و العنب كما جنياً لم يتغيرا «و أنظر إلى حمارك» معناه انظر إليه كيف تفرق أجزاءه و تبدد عظامه ثم انظر كيف يحييه الله و إنما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول مماته «و لنجعلك آية للناس» فعلنا ذلك و قيل معناه فعلنا ذلك إجابة لك إلى ما أردت و قوله «و لنجعلك آية للناس» أي حجه للناس في البعث «و انظر إلى العظام كيف ننشرها» كيف نحياها و بالزأى كيف نرفعها من الأرض فزادها إلى أماكنها من الجسد و تركب بعضها على بعض «ثم نكسوها» أي نلبسها «لحمًا» و اختلف فيه فقيل أراد عظام حماره عن السدى و غيره فعلى هذا يكون تقديره و انظر إلى عظام حمارك و قيل أراد عظامه عن الضحاك و قتاده و الربيع قالوا أول ما أحيانا الله منه عينه و هو مثل غرقى البيض فجعل ينظر إلى العظام

الباليه المتفرقه تجتمع إليه و إلى اللحم الذى قد أكلته السباع الذى يأتلف إلى العظام من هاهنا و من هاهنا و يلتزم و يلتزق بها حتى قام و قام حماره «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» أى ظهر و علم و إنما علم أنه مات مائه سنه بشيئين (أحدهما) بإخبار من أراه الآيه المعجزه فى نفسه و حماره و طعامه و شرابه و تقطع أوصاله ثم اتصال بعضها إلى بعض حتى رجع إلى حالته التى كان عليها فى أول أمره (و الآخر) أنه علم ذلك بالآثار الداله على ذلك لما رجع إلى وطنه فرأى ولد ولده شيوخا و قد كان خلف آباءهم شبابا إلى غير ذلك من الأمور التى تغيرت و الأحوال التى تقلبت و

روى عن على (عليه السلام) أن عزيرا خرج من أهله و امرأته حامل و له خمسون سنه فأماته الله مائه سنه ثم بعته فرجع إلى أهله ابن خمسين سنه و له ابن له مائه سنه فكان ابنه أكبر منه فذلك من آيات الله

و قيل أنه رجع و قد أحرق بخت نصر التوراه فأملأها من ظهر قلبه فقال رجل منهم حدثنى أبى عن جدى أنه دفن التوراه فى كرم فإن أريتمونى كرم جدى أخرجتها لكم فأروه فأخرجها فعارضوا ذلك بما أملى فما اختلفا فى حرف فقالوا ما جعل الله التوراه فى قلبه إلا و هو ابنه فقالوا عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ «قال» أى قال المار على القرية «أَعْلَمُ» أى أتيقن و من قرأ اعلم فمعناه على ما تقدم ذكره من أنه يخاطب نفسه و قيل أنه أمر من الله تعالى له «أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى لم أقل ما قلت عن شك و ارتياب و يحتمل أنه إنما قال ذلك لأنه ازداد بما شاهد و عاين يقينا و علما إذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علمه ضروره و معاينه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٦٠

### اشاره

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصِرْ بِهِنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)

### القراءه

قرأ أبو جعفر و حمزه و خلف و رويس عن يعقوب فصرهن بكسر الصاد و الباقون «فَصِرْ بِهِنَّ» بضم الصاد و روى فى الشواذ عن ابن عباس فصرهن بكسر الصاد و تشديد الراء و فتحها و عن عكرمه فصرهن بفتح الصاد و كسر الراء و تشديدها و قرأ عاصم فى روايه أبى بكر جزءا مثقلا مهموزا حيث وقع و قرأ أبو جعفر جزا مشددا و الباقون بالهمز

## الحج

يقال صرته أصوره أى أملته و منه قول الشاعر:

(يصور عنوقها أحوى زنيم)

أى يميل عنوق هذه الغنم تيس أحوى و صرته أصوره قطعته قال أبو عبيده فصرهن من الصور و قال هو القطع و قال أبو الحسن و قد قالوا بمعنى القطع صار يصير أيضا قال الشاعر:

و فرع يصير الجيد و حف كأنه

على الليت قنوان الكروم الدوالح

و معنى هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت أن الميل و القطع يقال فى كل واحد منهما أيضا صار يصير فمن جعل «فَصِيْرُهِنَّ» بِمَعْنَى «إِلَيْكَ» بِمَعْنَى أَمْلَهْنَ إِلَيْكَ حَذَفَ مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى أَمْلَهْنَ إِلَيْكَ فَقَطَعْنَهُنَّ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جِزَاءً فَحَذَفَ الْجُمْلَةَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا كَمَا حَذَفَ مِنْ قَوْلِهِ «اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَمَا نَفَلَقَ» أَيْ فَضْرِبْ فَاثْفَلَقَ وَ مِنْ قَدَرِ «فَصِيْرُهِنَّ» عَلَى مَعْنَى فَقَطَعْنَهُنَّ لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى إِضْمَارٍ وَ يَحْتَمِلُ كِلَا الْوَجْهَيْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقِرَاءَتَيْنِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَ قَوْلُهُ «إِلَيْكَ» إِنْ جَعَلْتَ صِرْهِنَّ بِمَعْنَى فَقَطَعْنَهُنَّ كَانَ إِلَيْكَ مُتَعَلِّقًا بِخِذِّ أَيْ خِذْ إِلَيْكَ أَرْبَعَةَ مِنَ الطَّيْرِ فَقَطَعْنَهُنَّ ثُمَّ اجْعَلْ وَ إِنْ جَعَلْتَهُ بِمَعْنَى أَمْلَهْنَ احْتَمَلَ إِلَيْكَ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِخِذِّ وَ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِصِرْهِنَّ وَ قِيَاسُ قَوْلِ سَيَبَوِيهِ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ «فَصِيْرُهِنَّ» لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَرَأَ فِصْرَهِنَّ بِكَسْرِ الصَّادِ وَ تَشْدِيدِ الرَّاءِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ صِرْهِنَّ أَيْ قَطَعَهُ وَ الْمُتَعَدَّى مِنْ هَذَا الْبَابِ قَلِيلٌ وَ قَدْ رَوَى عَنْ عِكْرَمَةَ أَيْضًا فِصْرَهِنَّ بِضَمِّ الصَّادِ فَيَكُونُ مِنْ صِرْهِنَّ يَصِرُهُ وَ هَذَا عَلَى الْقِيَاسِ وَ مِنْ قَرَأَ فِصْرَهِنَّ فَهُوَ فَعْلَهُنَّ مِنْ صَرَى يَصْرِى تَصْرِيهَ إِذَا حَبَسَ وَ قَطَعَ قَالَ:

رب غلام قد صرى فى فقرته

ماء الشباب عنفوان شرتة

أى حبسه و قطعه و منه الشاه المصراه أى المحبوسه اللبن المقطوعه فى ضرعها عن الخروج و أما الوجه فى قراءه من قرأ جزءا بالثقل فقد ذكرنا عند قوله تعالى «قَالُوا أَتَّخِذُنَا هُزُؤًا» و من قرأ جزا بالتشديد فأصله جزءا ثم خفف همزته ثم إنك إذا وقفت كان لك السكون و إن شئت الإشمام فتقول الجزو و إن شئت التشديد (فتقول) الجز ثم أنه وصل



على وقفه فقال جزا كما قال الشاعر:

ببازل وجناء أو عيهل

كان مهواها على الكلكل

فأجرى الوصل مجرى الوقف.

## اللغة

اطمأن يطمئن توطأ و المطمئن من الأرض ما انخفض و تطامن و اطمأن إليه إذا وثق به لسكون نفسه إليه و لتوطى حاله بالأمانه عنده و أصل الباب التوطئه و الطير معروف و طار يطير طيرانا و طيروره و الباب يدل على خفه الشىء فى الهواء ثم يستعار ذلك فى غيره و فى كل سرعه و تطير من الطيره و هو زجر الطير بما يكره و طائر الإنسان عمله الذى تقلده من خير أو شر لأنه بمنزله طائر الزجر فى البركه و التثؤم و فجر مستطير منتشر فى الأفق و غبار مستطار و فرس مطار حديد الفؤاد لأنه طيار فى جريه و الجبل وتد من أوتاد الأرض و جبل فلان على كذا أى طبع و رجل ذو جبله إذا كان غلظ الجسم و الجبله الأمه من الناس و أجبل الحافر إذا بلغ إلى صلابه لا يمكنه الحفر عندها و منه أجبل الشاعر إذا صعب عليه القول و الجزء بعض الشىء و جزأته بعضته و الفرق بين الجزء و السهم أن السهم من الجمله ما ينقسم عليه نحو الاثني عشر من العشره و قد يقال الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثه من العشره و لا تنقسم العشره عليها و إن كانت الثلاثه جزءا من العشره.

## الإعراب

العامل فى إذ فى المعنى اذكر أى و اذكر هذه القصه عن الزجاج و يجوز أن يكون عطفا على قوله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَيَّجَ إِبْرَاهِيمَ» أى و أَلَمْ تَرَ إذ قال و موضع كيف نصب بقوله «تُحْيِي الْمَوْتَى» و المعنى بأى حال تحيى الموتى و قوله «لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي» اللام يتعلق بمعنى أرني تقديره أرني ليطمئن قلبي من الطير صفه لأربعه فعلى هذا يكون من للتبعيض و للتبيين و يجوز أن يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون إلا للتبيين منهن أى جزء من كل واحد منهن فلما قدم على جزء وقع موضع النصب على الحال من جزء و قوله «سَعِيًّا» مصدر وقع موقع الحال و كأنه قال يسعين سعيا أو ساعيات سعيا.

## المعنى

ثم ذكر تعالى ما أراه إبراهيم عيانا من إحياء الموتى فقال «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى» اختلف فى سبب سؤال إبراهيم هذا على وجوه (أحدها) ما قاله الحسن و الضحاك و قتاده و هو

المروى عن أبى عبد الله أنه رأى جيفه

تمزقها السباع فيأكل منها سباع البر و سباع الهواء و دواب البحر فسأل الله إبراهيم فقال يا رب قد علمت أنك تجمعها من بطون السباع و الطير و دواب البحر فأرني كيف تحييها لأعين ذلك

(و ثانيها) ما روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و السدى أن الملك بشر إبراهيم (عليه السلام) بأن الله قد اتخذه خليلا و أنه يجيب دعوته و يحيى الموتى بدعائه فسأل الله تعالى أن يفعل ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد أجاب دعوته و اتخذه خليلا (و ثالثها) أن سبب السؤال منازعه نمرود إياه في الإحياء إذ قال أنا أحيى و أميت و أطلق محبوسا و قتل إنسانا فقال إبراهيم ليس هذا بإحياء و قال يا رب أرني كيف يحيى الموتى ليعلم نمرود ذلك و

روى أن نمرود توعد بالقتل إن لم يحيى الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال «لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي» أى بأن لا يقتلنى الجبار

عن محمد بن إسحاق بن يسار (و رابعها) أنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالما به من جهة الاستدلال و البرهان لتزول الخواطر و وساوس الشيطان و هذا أقوى الوجوه «قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ» هذه الألف استفهام و يراد به التقرير كقول الشاعر:

أ لستم خير من ركب المطايا

و أندى العالمين بطون راح

أى قد آمنت لا محاله فلم تسأل ذا و هذه الألف إذا دخلت على الإثبات فالمراد النفى كقوله «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ» أى لم تقل «قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي» أى بلى أنا مؤمن و لكن سألت ذاك لأزداد يقينا إلى يقينى عن الحسن و قتاده و مجاهد و ابن جبير و قيل لأعين ذلك و يسكن قلبى إلى علم العيان بعد علم الاستدلال و قيل ليطمئن قلبى بأنك قد أجبت مسألتى و اتخذتنى خليلا كما وعدتنى «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ» مختلفه الأجناس و إنما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران و قيل

إنها الطاووس و الديك و الحمام و الغراب أمر أن يقطعها و يخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد و ابن جريج و عطاء و ابن زيد و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«فَصَيَّرَهُنَّ إِلَيْكَ» أى قطعهن عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و قيل معناه اضممهن إليك عن عطاء و ابن زيد و قد تقدم بيانه فى وجه القراءه «ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا» و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن معناه فرقهن على كل جبل و كانت عشره أجبل ثم خذ بمناقيرهن و ادعهن باسمى الأكبر و حلفهن بالجبروت و العظمه يأتينك سعيا ففعل إبراهيم ذلك و فرقهن على عشره أجبل ثم دعاهن فقال أجبني بإذن الله فكانت تجتمع

و يأتلف لحم كل واحد و عظمه إلى رأسه و طارت إلى إبراهيم

و قيل أن الجبال كانت سبعة عن ابن جريج و السدى و قيل كانت أربعة عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل أراد كل جبل على العموم بحسب الإمكان كأنه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقه عليه عن مجاهد و الضحاك و يسأل فيقال كيف قال ثم ادعهن و دعاء الجماد قبيح و جوابه أنه أراد بذلك الإشارة إليها و الإيماء لتقبل عليه إذا أحيها الله و قيل معنى الدعاء هاهنا الإخبار عن تكوينها أحياء كقوله سبحانه «كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ» و قوله «أَتْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» عن الطبرى و قول من قال أنه جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها بعيد من الصواب و الفائدة لأنه إنما طلب بالعلم به كونه قادرا على إحياء الموتى عيانا و ليس فى إتيان طائر حتى إليه بالإيماء ما يدل على ذلك و فى الكلام حذف فكأنه قال فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا فإن الله يحييهن فإذا أحياهن فادعهن فيكون الإيماء إليها بعد أن صارت أحياء ففعل إبراهيم ذلك فنظر إلى الريش يسعى بعضها إلى بعض و كذلك العظام و اللحم ثم أتينه مشيا على أرجلهن فتلقى كل طائر رأسه و ذلك قوله «يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا» و ذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى «يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا» هى يقال للطائر إذا طار سعى فقال لا قلت فما معناه قال معناه يأتينك و أنت تسعى سعيا «وَ اعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» أى قوى لا يعجز عن شىء «حَكِيمٌ» فى أفعاله و أقواله و قيل عزيز يذل الأشياء له و لا- يمتنع عليه شىء حكيم أفعاله كلها حكمه و صواب و مما يسأل فى هذه الآية أن يقال كيف أجيب إبراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى فى قوله «أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ» و جوابه من وجهين (أحدهما) أنه سأل آيه لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التى لا يعترضها الشكوك بوجه و إبراهيم إنما سأل فى شىء خاص يصح معه التكليف (و الآخر) أن الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح فى بعض الأحوال الإجابة و فى بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه إذن.

## سورة البقرة (٢): آيه ٢٦١

### إشارة

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)

### اللغة

النبت الحشيش و كل ما ينبت من الأرض يقال نبت نبتا و نباتا و أنبته الله إنباتا

ص: ١٦١

و الينبوت شجر الخشخاش و أنبت الغلام إذا راهق و استبان شعر عانته و السنبله على وزن فعله كقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل و الأصل فيه الإسبال و هو إرسال الستر و نحوه فكما يسترسل الستر بالإسبال يسترسل الزرع بالسنبل و لأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالإسبال و المائه معروفه يقال أمات الغنم إذا بلغت مائه و أمأيتها أنا أى وفيتها مائه و المأى الفساد بين القوم.

## المعنى

«مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم كمثل حبه و

قيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبه و سبيل الله هو الجهاد و غيره من أبواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالآيه عامه فى النفقه فى جميع ذلك و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و اختاره أبو على الجبائى و قيل هى خاصه بالإنفاق فى الجهاد فأما غيره من الطاعات فإنما يعجزى بالواحد عشره أمثالها «كَمَثَلِ حَبِّهِ أَنْبَتَتْ» أى أخرجت «سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلِهِ مِائَةٌ حَبِّهِ» يعنى أن النفقه فى سبيل الله بسبعمائه ضعف و متى قيل هل رأى فى سنبله مائه حبه حتى يضرب المثل بها فجوابه أن ذلك متصور و إن لم ير كقول امرئ القيس:

(و مسنونه زرق كأنياب أغوال)

و قوله تعالى «طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» و أيضا فقد رأى ذلك فى الجاورس و نحوه «وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» أى يزيد على سبعمائه لمن يشاء و قيل معناه يضاعف هذه المضاعفه لمن يشاء و

روى عن ابن عمر أنه قال لما نزلت هذه الآيه قال رسول الله ص رب زد أمتى فنزل قوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً قال رب زد أمتى فنزل «إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»

و قوله «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» أى واسع القدره لا- يضيق عنه ما شاء من الزيادة و قيل واسع الرحمه لا- يضيق عن المضاعفه «عَلِيمٌ» بما يستحق الزيادة عن ابن زيد و قيل عليم بما كان من النفقه و بنيه المنفق و ما يقصده من الإنفاق.

## النظم

اتصلت هذه الآيه بقوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا و ما بين الآيتين اعتراض بالاستدعاء إلى الحق و بيان الحجج و العبر عن على بن عيسى و قيل لما قص تعالى ما فيه البرهان على التوحيد و ما أتى رسله من البيئات حث على الجهاد و اعلم أن من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من كفر بعد هذا البرهان و بين أن فى جهادهم و النفقه فيهم الثواب العظيم عن الزجاج.

اشاره

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)

اللغه

المن هو ذكر ما ينغص المعروف كقول القائل أحسنت إلى فلان و أنعشته و نحو ذلك و أصل المن القطع و منه قوله «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع و منه قولهم جبل منين أى ضعيف لأنه مقطوع و سمي ما يكدر المعروف بأنه منه لأنه يقطع الحق الذى يجب به و المنه النعمه العظيمه سميت بذلك لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمها و المنه القوه فى القلب و المن الذى يقع من السماء و المن الذى يوزن به لأنه يقطع على مقدار مخصوص و الأذى ضرر يتعجل وصوله إلى المضرور و الخوف توقع الضرر و هو يرجع إلى الاعتقاد و الحزن الغم الذى يغلظ على النفس.

المعنى

لما أمر الله تعالى بالإنفاق عقبه بيان كيفية الإنفاق فقال «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ» أى يخرجون «أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و قد تقدم بيانه «ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا» أى نفقاتهم «مَنًّا» أى منه على المعطى «وَلَا أَذَىٰ» له و المن هو أن يقول له ألم أعطك كذا ألم أحسن إليك ألم أغنك و نحوها و الأذى أن يقول أراحنى الله منك و من ابتلائى بك و يحتمل أن يكون معنى الأذى أن يعبس وجهه عليه أو يتعبه أو يؤذيه فيما يدفعه إليه أو يصرفه فى بعض أشغاله بسبب إنفاقه عليه فكل هذا من المن و الأذى الذى يكدر الصنيعه و ينغص النعمه و يبطل الأجر و المثوبه و قوله «لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» إلى آخره قد مر تفسيره و قيل معناه لهم جزاء أعمالهم عند ربهم و إنما قال «عِنْدَ رَبِّهِمْ» لتكون النفس أسكن إليه و أوثق به لأن ما عنده لا يخاف عليه فوت و لا نقص «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» من فوت الأجر و نقصانه يوم القيامة «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» لفوته و نقصانه و فى هذه الآيه دلالة على أنه يصح الوعد بشرط لأن مفهوم الكلام أن تقديره فى المعنى إن لم يتبعوا ما أنفقوا منا و لا أذى فلهم من الأجر كذا و الوعد إذا كان مشروطا فمتى لم يحصل الشرط لم يحصل استحقاق الثواب و

قد روى عن النبى ص أنه قال المنان بما يعطى لا يكلمه الله و لا ينظر إليه و لا يزكيه و له عذاب أليم.

اشاره

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)

اللغه

الغنى الواسع الملك و الله غنى بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا

ص: ١٦٣

يتعذر عليه شىء منها و الغنى ضد الحاجة يقال غنى يغنى غنا و استغنى و أغناه الله و الغناء الكفايه للغنى به عن غيره و الغنيه الاستغناء و قد غنى القوم إذا نزلوا فى مكان يغنيهم و المكان الذى ينزلون به مغنى و قد غنى فلان غناء إذا بالغ فى التطريب فى الإنشاد حتى يستغنى الشعر أن يزداد فى نغمه و قد غنيت المرأه غنيانا قال قيس بن الحطيم:

أجد بعمره غنيانها

فتهجر أم شأننا شأنها

غنيانها غناؤها و الغوانى النساء لأنهن غنين بجمالهن و قيل بأزواجهن و الحليم مر ذكره.

## المعنى

«قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» أى كلام حسن جميل لا- وجه فيه من وجوه القبح يرد به السائل و قيل معناه دعاء صالح نحو أن يقول صنع الله بك و أغناك الله عن المسأله و أوسع الله عليك الرزق و أشباه ذلك و قيل معناه عده حسنه و قيل قول فى إصلاح ذات البين عن الضحاك «و مَعْفِرَةٌ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه سلامه من المعصيه لأن حالها كحال المغفره فى الأمان من العقوبه عن الجبائى (و ثانيها) أن معناه ستر على السائل و سؤاله (و ثالثها) أن معناه عفو المسئول عن ظلم السائل عن الحسن و على هذا فيكون ظلم السائل أن يسأل فى غير وقته أو يلحف فى سؤاله أو يسىء الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير إذن فالعفو عن ظلمه «حَيْرٌ مِنْ صِدْقِهِ يَتَّبِعُهَا أَدَى» و إنما صار القول المعروف و العفو عن الظلم خيرا من الصدقه التى يتبعها أذى لأن صاحب هذه الصدقه لا- يحصل على خير لا على عين ماله فى دنياه و لا على ثوابه فى عقباه و القول بالمعروف و العفو طاعتان يستحق الثواب عليهما و

قد روى عن النبى ص أنه قال إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار و لين إما بئذ يسير أو رد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس و لا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى

«وَاللَّهُ غَنِيٌّ» عن صدقاتكم و عن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها و لا بشىء منها لحاجه منه إليها و إنما أمركم بها و دعاكم إليها لحاجتكم إلى ثوابها «حَلِيمٌ» لا- يعاجلكم بالعقوبه و قيل لا يعجل بالعقوبه على من يمن و يؤذى بصدقته و لو وقع هاهنا موقع حلیم حميد أو عليم لم يحسن.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٦٤

### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْمَأْذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)

الرتاء و المرآه أصله من الرؤيه كأنه يفعل ليرى غيره ذلك و جمع فى «رِثَاءِ النَّاسِ» بين همزتين و لا يجمع فى ذوائب و إن حال بينهما الألف فى كالا- الموضوعين لخفه الواحد و لأنهما مفتوحتان فى الواحد فهو أخف لها و الصفوان واحده صفوانه مثل سعدان و سعدانه و مرجان و مرجانه و هى الحجر الأملس و الصفا بمعنى الصفوان و ذكر الكسائى فى جمع صفوان صفى و أنكر ذلك المبرد و قال إنما هو جمع صفا مثل عصى و عصا و قفى و قفا و التراب و الترب واحد و ترب الرجل إذا لصق بالتراب من الفقر و منه قوله «مَشِيكِينًا ذَا مَتْرَبِهِ» لأنه قعد على التراب للفقر و أترب الرجل إذا صار ماله بعدد التراب و الترب اللده و قيل فيه أقوال منها أن الأ-تراب خرجوا إلى التراب فى وقت من الزمان و منها أنهم صبيان يلعبون فى التراب و منها أنهم فى الاشتباه كالتراب. و الترائب عظام الصدر لأنها متشابهه و الوايل المطر الشديد الوقع و بليت السماء تبل و بلا و الوايل الشديد و الوايل سوء العاقبه و أصل الباب الشده و الصلد الحجر الأملس قال الشاعر:

و لست بجلب جلب ريح و قره

و لا بصفا صلد عن الخير معزل

و الصلد من الأرض ما لا ينبت شيئاً لصلابته و الصلد البخيل و صلد الزند صلودا إذا لم يور ناراً و فرس صلود إذا أبطأ عرقه و قدر صلود إذا أبطأ عليها و أصل الباب ملاسه فى صلابه.

## الإعراب

الكاف فى قوله «كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ» فى موضع نصب على الحال من الواو فى تبطلوا. «رِثَاءِ النَّاسِ» مصدر وضع موضع الحال من الضمير فى ينفق تقديره ينفق ماله مرثياً و يجوز أن يكون مفعولاً- له. «عَلَيْهِ تُرَابٌ» جملة فى موضع جر بكونه صفة صفوان و صلدا حال من تركه و ذو الحال الهاء و «لَا يَقْدِرُونَ» جملة فعلية فى موضع الحال و الواو عائد



إلى معنى الذى لأنه جنس لا إلى لفظه.

## المعنى

ثم أكد تعالى ما قدمه بما ضرب من الأمثال فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله ورسوله «لَا تُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ» أى بالمنه على السائل وقيل بالمنه على الله «وَالَّذِي» بمعنى أذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلا لعمل المنان وعمل المنافق جميعا فإنهم إذا فعلا- الفعل على غير الوجه المأمور به فإنهما لا يستحقان عليه ثوبا وهذا هو معنى الإبطال وهو إيقاع العمل على غير الوجه الذى يستحق عليه الثواب فقال «كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ» هذا يدخل فيه المؤمن والكافر إذا أخرج المال للثواب «وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» هذا للكافر خاصة أى لا يصدق بوحدانية الله ولا بالبعث والجزاء وقيل أنه صفة للمنافق لأن الكافر معلن غير مرء وكل مرء كافر أو منافق «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَيْفٍ مُّوَدَّ» أى حجر أملس «عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ» أى مطر عظيم القطر شديد الوقع «فَتَرَكَهُ صَيِّدًا» حجرا صلبا أملس شبه سبحانه فعل المنافق والمنان بالصفة الذى أزال المطر ما عليه من التراب فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه كذلك إذا دفع المنان صدقه وقرن بها المن فقد أوقعها على وجهه لا- طريق له إلى استدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فإن وجوه الأفعال تابعه لحدوث الأفعال فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيتها وليس فى الآيه ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يبطل ويزول بالمن فيما بعد ولا بالرياء الذى يحصل فيما يستقبل من الأوقات على ما قاله أهل الوعيد «لَا يَفْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا» أى لا يقدر هؤلاء على نفقتهم ولا على ثوابها ولا- يعلمون أين النفقة وأين ثوابها ولا- يحصلون منها على شىء كما لا يحصل أحد على التراب أذهب المطر عن الحجر فقد تضمنت الآيه والآى التى قبلها الحث على الصدقة وإنفاق المال فى سبيل الخير وأبواب البر ابتغاء مرضاه الله والنهى عن المن والأذى والرياء والسمعه والنفاق والخبر عن بطلان العمل بها ومما جاء فى معناه من الحديث ما

رواه ابن عباس عن النبى ص قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع أهل الجمع أين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فإنى لا أقبل عملا خالطه شىء من الدنيا وأهلها

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله من أسدى إلى مؤمن معروفا ثم آذاه بالكلام أو من عليه فقد أبطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا فقال «كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ» إلى قوله «الْكَافِرِينَ»

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما من شىء أحب إلى من رجل سلفت منى إليه يد أتبعته أختها وأحسن ربها له لأنى رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل

«وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» أى لا يشب الكافرين

على أعمالهم إذ كان الكفر محبطاً لها و مانعاً من استحقاق الثواب عليها و إنما يثيب المؤمنين الذين يوقعون أعمالهم على الوجوه التي يستحق بها الثواب و قيل معناه لا يهديهم إلى الجنة بأعمالهم كما يهدى المؤمنين و قيل معناه لا يعطيهم ما يعطى المؤمنين من زياده الألفاظ و التوفيق.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٦٥

### اشاره

وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اِتِّغَاءً مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)

### القراءه

قرأ عاصم و ابن عامر «بِرَبْوَةٍ» بفتح الراء و الباقون بضمها و روى فى الشواذ عن ابن عباس بكسر الراء و قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمر و أكلها بالتخفيف و الباقون بالثقل.

### اللغه

الربوه و الربوه و الربوه بالحركات الثلاث فى الراء و الرباوه الرابيه قال أبو الحسن و الذى نختاره ربوه بضم الراء و يؤيد هذا الاختيار قولهم ربا فى الجمع و الأكل المأكول يدل على ذلك قوله تعالى «تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ» أى ما يؤكل منها قال الأعشى:

جندك التالد الطريف من السادات

أهل القباب و الآكال

فالآكال جمع أكل مثل عنق و أعناق و الأكل الفعل و الأكله الطعمه و الأكله الواحده قال الشاعر:

فما أكله إن نلتها بغنيمه

و لا جوعه إن جعلتها بغرام

ففتح الألف من الفعله بدلاله قوله و لا جوعه و إن شئت ضمنت و عنيت الطعام و قال أبو زيد أنه لذو أكل أى له حظ و رزق من الدنيا و ضعف الشىء مثله زائدا عليه و ضعفاه مثلاه زائدين عليه و قال قوم ضعف الشىء مثلاه و الطل المطر الصغار يقال أطلت السماء فهى مطله و روضه طله نديه و الطل إبطال الدم بأن لا يثار بصاحبه طل دمه فهو مطلول لأنه

بمنزله ما جاء عليه الطل فأذهبه فكأنه قيل غسله و الطلل ما شخص من الدار لأنه كموضع الندى بالطل لعماره الناس له خلاف المستوى القفر لأن الخصب حيث تكون الأبنية و صار الطلل اسما لكل شخص و الإطلال الإشراف على الشئ ء و ما بالناقه طل أى بها طرق و هو الشحم و طله الرجل امرأته و أصل الباب الطل المطر.

## الإعراب

«ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» مفعول له و تثبिता معطوف عليه بربوه الجار و المجرور فى موضع الصفه لجنه و «أَصَابَهَا وَاِبِلٌ» فى موضع جر لأنها صفه بعد صفه و ضعفين حال من أكل قال الزجاج ارتفع طل على معنى «فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ» فالذى يصيبها طل فعلى هذا يكون خبر مبتدئ محذوف و يجوز أن يكون فاعل فعل مقدر أى فيصيبها طل.

## المعنى

«وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ» أى يخرجون «أَمْوَالَهُمْ» فى أعمال البر «ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» أى طلبا لرضاء الله «وَوَثِّبَتَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» بقوه اليقين و البصيره فى الدين عن سعيد بن جبير و السدى و الشعبى و قيل معناه أنهم يثبتون أين يضعون صدقاتهم عن الحسن و مجاهد و قيل معناه و توطينا لنفوسهم على الثبوت على طاعه الله عن أبى على الجبائى و اعترض على الحسن و مجاهد بأنه لم يقل و تثبिता و ليس هذا بشئ ء لأنهم إذا ثبتوا أنفسهم فقد ثبتوا و قوله «كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ» معناه كمثل بستان لمرتفع من الأرض و إنما خص الربوه لأن نبتها يكون أحسن و ريعها أكثر من المستغل الذى يسيل الماء إليه و يجتمع فيه فلا يطيب ريعه أ لم تر إلى قول الأعشى:

ما روضه من رياض الحزن معشبه

خضراء جاد عليها مسبل هطل

فخص بها الحزن للمعنى الذى ذكرناه «أَصَابَهَا وَاِبِلٌ» أى أصاب هذه الجنه مطر شديد «فَأَتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ» أى فأعطت غلتها ضعفى ما تعطى إذا كانت بأرض مستغله و يحتمل أن يكون معناه مرتين فى كل سنه واحده كما قال سبحانه «تُؤْتِي أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» و

معناه كل سته أشهر فيما روى

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) معناه يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاه الله

«فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ» أى مطر شديد «فَطَلٌ» أى أصابها مطر لين أراد به أن خيرها لا يخلف على كل حال و لا يرى الغبار عليها على كل حال و إنما ارتفع فطل على تقدير فالذى يصيبها طل «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها و قيل عالم بالمرائى و المخلص و فيه ترغيب و ترهيب.



## اشاره

أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّتُهُ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)

## اللغة

الجنة البستان الكثير الشجر لأن الشجر يجنه بكثرته فيه و النخيل معروف و قيل أنه مأخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل و النخل جمع نخله و هي شجرة التمر و يذكر و يؤنث قال الله سبحانه كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ و أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ و الانتخال الاختيار و التنخل التخير و أصل الباب النخل للدقيق و العنب ثمر الكرم و رجل عانب و عنب و رجل عانب عظيم الأنف و تحت نقيض فوق و

في الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت

أى الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يشعر بهم ذلا و الأنهار جمع النهر و هو المجرى الواسع من مجارى الماء و الإصابه الوقوع على المقصد و الكبر حال زائده على مقدار آخر و الفرق بين الكبير و الكثير أن الكثير مضمن بعدد و ليس كذلك الكبير تقول دار واحده كبيره و لا يجوز كثيره و الضعيف يجمع على ضعفاء و ضعاف و الأعصار غبار يلتف بين السماء و الأرض كالتفاف الثوب فى العصر قال الشاعر:

(إن كنت ريحا فقد لاقت إعصارا)

و المعصرات السحب و الفكر جولان القلب بالخواطر يقال أفكر و فكر و تفكر بمعنى.

## الإعراب

قوله «أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ» عطف عليه بماض فقال «وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ» قال الفراء يجوز ذلك فى يود لأنها تتلقى مره و بلو و مره بأن فجاز أن تقدر إحداهما مكان الأخرى لاتفاق المعنى فكأنه قال أ يود أحدكم لو كانت له جنه قال على بن عيسى و عندى أنه قد دل بأن على الاستقبال و يتضمن الكلام معنى لو على التمنى كأنه قال قيل أ يحب أحدكم متمنيا له و التمنى يقع على الماضى و المستقبل ألا- ترى أنه يصح أن يتمنى أن كان له ولد و يصح أن يتمنى أن يكون له ولد و المحبه لا تقع إلا على المستقبل و الفرق بين الموده و المحبه أن الموده قد تكون بمعنى التمنى نحو قولك أود لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم و لا يجوز أحب لو قدم و من فى قوله «مِنْ نَخِيلٍ» للتبيين و هو فى موضع رفع صفة لجنه. «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» جملة فى موضع رفع بكونها صفة لجنه إذا عادت الهاء إلى الجنة أو فى محل جر لكونها صفة لنخيل إذا عادت الهاء إلى نخيل.

«أَيُّوْدُ أَخِيْدُكُمْ أَنْ تُكُوْنَ لَهُ جَنَّةٌ» أى بستان «مِنْ نَخِيْلِ وَ أَغْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى يشتمل على النخيل و الأعناب و الأنهار الجارية «لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ أَصَابَهُ الْكِبَرُ» أى و لحقه الشيخوخه و طعن فى السن «وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ» أى أولاد صغار ناقصو القوه «فَأَصَابَهَا» أى أصاب تلك الجنة «إِعْصَارٌ» أى ريح شديدته تهب من الأرض نحو السماء مثل العمود و تسميها الناس الزوبعه «فِيهِ نَارٌ» أى فى ذلك الأعصار نار «فَأَحْتَرَقَتْ» تلك الجنة و هذا مثل ضربه الله فى الحسره بسلب النعمه و اختلف فيه على وجوه (أحدها) أنه مثل المرائى فى النفقه لأنه ينتفع بها عاجلا- و ينقطع عنه آجلا أحوج ما يكون إليه عن السدى (و ثانيها) أنه مثل للمفرط فى طاعه الله تعالى بملاذ الدنيا يحصل فى الآخره على الحسره العظمى عن مجاهد و المراد به أن حاجته إلى الأعمال الصالحه كحاجه هذا الكبير الذى له ذريه ضعفاء إلى ثمار الجنة و قد احترقت فيكون أعظم حسره لأن الكبير الذى قد يئس من سعى الشباب فى كسبه فكان أضعف أملا و أشد حسره كذلك من لم يكن له فى الآخره عمل صالح يوصله إلى الجنة فحسرتة مثل ذلك (و ثالثها) أنه مثل للذى يختم عمله بفساد عن ابن عباس و كل هذه الوجوه تحتمله الآية «كَذَلِكَ» أى كهذا البيان الذى بين لكم فى أمر الصدقه و قصه إبراهيم و الذى مر على قريه و جميع ما سلف «يُيَسِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» أى الدلالات التى تحتاجون إليها فى أمور دينكم «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» أى تنظرون و تفهمون.

### سوره البقره (٢): آيه ٢٦٧

#### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسِيْتُمْ بِأَخِيْدِهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)

#### القراءه

قرأ ابن كثير غير القواس «وَ لَا- تَيْمَّمُوا» بتشديد التاء فيها و فى أخواتها و هى أحد و ثلاثون موضعا من القرآن و الباقر تيمموا بالتخفيف.

#### الحجه

كلاهما بمعنى واحد كان ابن كثير رد الحرف الساقط فى القراءه الأخرى و أدغم لأنه كان فى الأصل تاءان تاء المخاطب و تاء الفعل فحذفت تاء الخطاب فى

## اللغه

التيتم التعمد قال خفاف:

(فعمدا على عيني تيممت مالكا)

و قال الأعشى:

تيممت قيسا و كم دونه

من الأرض من مهمه ذى شزن

يقال أمت الشىء خفيفه و يمته و أمته و يمتته و تيممته بمعنى أى قصدته و منه الإمام لأنه المقصود المعتمد و الإمام أيضا خيط البناء لأنه يمدده و يعتمد بالبناء عليه و اليم لجه البحر لأنه يعتمد به البعيد من الأرض و اليمام الحمام لأنها تتعمد إلى أوكارها بحسن هدايتها و الخبيث الردىء من كل شىء و خبث الفضه و الحديد ما نفاه الكير لأنه ينفى الردىء و أصله الرداء و الإغماض فى البيع الحط من الثمن ليعب فيه و ذلك لإخفاء بعض الثمن بالحط له و الغموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض و التغميض للعين أطباق الجفن و الغمض النوم و الغمض المطمئن من الأرض و أصل الباب الخفاء و الإغماض غمض البصر و أطباق جفن على جفن قال رؤبه:

أرق عيني عن الإغماض

برق سرى فى عارض نهاض

ثم صار عباره عن التسامح و التساهل فى البيع.

## الإعراب

قال الفراء الأصل فى «أَنْ تُغْمِضُوا» أن مكسوره الهمزه لأن الكلام فى معنى الجزاء و هو إن أغمضتم بعض الإغماض أخذتموه و مثل إلاً أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ و أنكر ذلك المحققون قالوا أن هذه التى بمعنى المصدر نحو أن تأتيني خير لك و المعنى و لستم بأخذيه إلا لإغماضكم فيه.

## النزول

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنها نزلت فى أقوام لهم أموال من ربا الجاهليه و كانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك و أمر بالصدقه من الطيب الحلال

قيل إنها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقه عن علي (عليه السلام)

و البراء بن عازب و الحسن و قتاده.

ص: ١٧١



لما تقدم ذكر الإنفاق و بيان صفه المنفق و أنه يجب أن ينوى بالصدقه التقرب و أن يحفظها مما يبطلها من المن و الأذى بين تعالى صفه الصدقه و المتصدق عليه ليكون البيان جامعا فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» خاطب المؤمنين «أَنْفِقُوا» أى تصدقوا «مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ» أى من حلال ما كسبتم بالتجاره عن ابن مسعود و مجاهد و قيل من خياره و جياده و نظيره قوله «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و

روى عن عبيد بن رفاعه قال خرج علينا رسول الله ص فقال يا معشر التجار أنتم فجار إلا من اتقى و بر و صدق و قال بالمال هكذا و هكذا

و

قال (عليه السلام) تسعه أعشار الرزق فى التجاره و الجزء الباقي فى السابياء

و

روت عائشه عنه أنه قال أطيب ما أكل الرجل من كسبه و أن ولده من كسبه

و

قال سعيد بن عمير سئل النبى ص أى كسب الرجل أطيب قال عمل الرجل بيده و كل بيع مبرور

و

قال على (عليه السلام) من اتجر بغير علم ارتطم فى الربا ثم ارتطم

و اختلفوا فى ذلك على وجوه فقيل هذا أمر بالنفقه فى الزكاه عن عبيده السلماني و الحسن و قيل هو فى الصدقه المتطوع بها لأن المفروض من الصدقه له مقدار من القيمه إن قصر عنه كان دينا عليه إلى أن يؤديه بتمامه و إن كان مال المزكى كله رديا فجائز له أن يعطى منه عن الجبائى و قيل هو الأصح أنه يدخل فيه الفرائض و النوافل و المراد به الإنفاق فى سبيل الخير و أعمال البر على العموم و فيه دلالة على أن ثواب الصدقه من الحلال المكتسب أعظم منه من الحلال غير المكتسب و إنما كان ذلك لأنه يكون أشق عليه «وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أى و أنفقوا و أخرجوا من الغلات و الثمار مما يجب فيه الزكاه «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ» أى لا تقصدوا الردى ء من المال أو مما كسبتموه أو أخرج الله لكم من الأرض فتنفقون منه و قيل المراد بالخبيث هاهنا الحرام و يقوى القول الأول قوله «وَلَسِيْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» لأن الإغماض لا يكون إلا فى الشىء الردى ء دون ما هو حرام و فيه قولان (أحدهما) أن معناه لا تتصدقوا بما لا تأخذونه من غرائبكم إلا بالمسامحه و المساهله فالإغماض هاهنا المساهله عن البراء بن عازب (و الآخر) أن معناه بما لا تأخذونه إلا أن تحطوا من الثمن فيه عن الحسن و ابن عباس و قتاده و مثله قول الزجاج و لستم بأخذه إلا فى و كس فكيف تعطونه فى الصدقه «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ» عن صدقاتكم «حَمِيدٌ» أى

مستحق للحمد على نعمه و قيل مستحمد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم أى مستدع لهم إلى ما يوجب لهم الحمد و قيل أنه  
بمعنى الحامد أى أنه مع غناه

ص: ١٧٢

عنكم و عن صدقاتكم يقبلها منكم و يحمدكم عليها و حميد بهذا الموضع أليق من حليم كما أن حليما بالآيه المتقدمه أليق من حميد لأنه سبحانه لما أمر بالإنفاق من طيبات المكاسب بين أنه غنى عن ذلك و أنه يحمد فاعله إذا فعله على ما أمره به و معناه أنه يجازيه عليه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٦٨

### اشاره

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)

### اللغه

الفقر الحواجه و هو ضد الغنى و الفقر لغه فيه يقال أفقره الله إفقارا و افتقر افتقارا لأن الفقر بمنزله كسر الفقار في تعذر المراد و الفقار عظام منتظمه في النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقره و الإفقار إعاده الدابه لتركب ثم ترد و الفاقره الداهيه لأنها تكسر الفقار و يقال وعدته الخير و وعدته بالخير وعدا و عدده و موعده و موعدا و موعودا و موعوده و الفرق بين الوعد و الوعيد أن الوعيد في الشر خاصه و الوعد يصلح بالتقييد للخير و الشر معا غير أنه إذا أطلق اختص بالخير و كذلك إذ أبهم التقييد كما يقال وعدته بأشياء لأنه بمنزله المطلق و الفحشاء الفحش و الفاحش البخيل قال طرفه:

أرى الموت يعتام الكرام و يصطفى

عقيله مال الفاحش المتشدد

قال على بن عيسى الفحشاء المعاصي و إنما سمي البخيل فاحشا لأنه مسيء برده الأضياف و السؤال قال كعب:

أخي يا أخي لا فاحش عند بيته

و لا برم عند اللقاء هيبوب

. المعنى

ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقه فقال «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ» بالنفقه في وجوه البر و يأنفاق الجيد من المال و قيل بتأديه الزكاه عليكم في أموالكم «وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ» أي بالمعاصي و ترك الطاعات و قيل بالإنفاق من الردىء و سماه

ص: ١٧٣

فحشاء لأن فيه معصية الله تعالى فإن الغنى إذا ترك الإنفاق على وجه ذوى الحاجات من أقاربه و جيرانه أدى ذلك إلى التقاطع «وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ» أى يعدكم بالإنفاق من خيار المال أن يستر عليكم و يصفح عن عقوبتكم «وَفَضْلًا» أى و يعدكم أن يخلف عليكم خيرا من صدقتكم و يتفضل عليكم بالزيادة فى أرزاقكم و روى عن ابن عباس أنه قال اثنان من الله و اثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصى و الفضل فى الرزق و اللذان من الشيطان الوعد بالفقر و الأمر بالفحشاء و

روى عن ابن مسعود أنه قال للشيطان لمه و للملك لمه و روى مثله عن أبى عبد الله (عليه السلام)

ثم قال فلمه الشيطان وعده بالفقر و أمره بالفحشاء و لمه الملك أمره بالإنفاق و نهيته عن المعصية «وَاللَّهُ وَاسِعٌ» ذكرناه معناه فيما تقدم و قيل واسع معناه يعطى عن سعه بمعنى إن عطيته لا تضره و لا تنقص خزائنه «عَلِيمٌ» بمن يستحق العطيه و من لا يستحقها.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٦٩

### اشاره

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)

### القراءه

قرأ يعقوب من يؤت بكسر التاء و الباقون بفتحها.

### الحجه

من كسر التاء فإنه أراد من يؤته الله الحكمة ففاعل يؤت الضمير المستكن فيه العائد إلى الله كما هو فى قوله «يُؤْتِ الْحِكْمَةَ» و يؤيد هذه القراءه قراءه الأعمش و من يؤته الله و حذف ضمير المفعول الذى هو الهاء العائد إلى من الذى هو للجزاء و هو فى موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد إلى الموصول فى نحو قوله «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» و الأولى أن يكون من على هذه القراءه موصوله لتكون بمعنى الذى لا بمعنى الجزاء و أقول و بالله التوفيق يجوز أن يكون من للجزاء هاهنا و يكون فى موضع نصب بكونه مفعولا أولا ليؤتى و لزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن حرف الشرط الذى له صدر الكلام و مثله من فى قول زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته و من تخطئ يعمر فيهم

و من قرأ «وَمَنْ يُؤْتَ» بفتح التاء فاسم ما لا يسم فاعله هو الضمير المستكن العائد إلى من و يؤت مجزوم بمن و الجزاء «فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا».

## المعنى

ثم وصف تعالى نفسه فقال «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ» أى يؤتى الله الحكمة «مَنْ يَشَاءُ» و ذكر فى معنى الحكمة وجوه قيل أنه علم القرآن ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره و حلاله و حرامه و أمثاله عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل هو الإصابه فى القول و الفعل عن مجاهد و قيل أنه علم الدين عن ابن زيد و قيل هو النبوه عن السدى و قيل هو المعرفه بالله تعالى عن عطاء و قيل هو الفهم عن إبراهيم و قيل هو خشيه الله عن الربيع و

قيل هو القرآن و الفقه عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و روى أيضا عن مجاهد و قيل هو العلم الذى تعظم منفعتة و تجل فائدته و هذا جامع للأقوال و قيل هو ما آتاه الله أنبياءه و أممهم من كتابه و آياته و دلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به و بدينه و ذلك تفضل منه يؤتیه من يشاء عن أبى على الجبائى و إنما قيل للعلم حكمه لأنه يمتنع به عن القبيح لما فيه من الدعاء إلى الحسن و الزجر عن القبيح و

يروى عن النبى ص أنه قال إن الله آتانى القرآن و آتانى من الحكمة مثل القرآن و ما من بيت ليس فيه شىء من الحكمة إلا كان خرابا ألا فتفقهوا و تعلموا فلا تموتوا جهالا

«وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ» أى و من يؤت ما ذكرناه «فَقَدْ أُوتِيَ» أى أعطى «خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» أى و ما يتعظ بآيات الله إلا- ذوو العقول فإن قيل لم عقد بأولى الأبواب التذكر و كل مكلف ذو لب قيل لم تطلق على جميع المكلفين هذه الصفه لما فيها من المدحه فلذلك عقد التذكر بهم و هم الذين يستعملون ما توجه عقولهم من طاعه الله فى كل ما أمر به و دعا إليه و سمى العقل لبا لأنه أنفس ما فى الإنسان كما أن لب الثمره أنفس ما فيها.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٧٠

### اشاره

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠)

### اللغه

النذر هو عقد المرء على النفس فعل شىء من البر بشرط و لا ينعقد ذلك إلا بقوله الله على كذا و لا يثبت بغير هذا اللفظ و أصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير فى الأمر و منه نذر الدم و هو العقد على سفكه للخوف من مضره صاحبه قال عمرو بن معديكرب:

هم يندرون دمی و أنذر

إن لقيت بأن أشدا

يقال نذرت النذر أنذره و أنذره و منه الإنذار و هو الإعلام بموضع العدو و الخوف ليتقى و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشراف و النصير هو المعين على العدو.

## الإعراب

ما بمعنى الذى و ما بعدها صلتها و العائد إليها ضمير المفعول المحذوف من أنفقتم تقديره و ما أنفقتموه و هو فى موضع رفع بالابتداء و خبره «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» و العائد إلى المبتدأ من الخبر الهاء فى يعلمه و لا يجوز أن يعود إلى النفقه لأنها مؤنثه و لا إلى النفقه و النذر لأن ذلك يوجب التثنيه و أقول يجوز أن يكون ما للجزاء و يكون منصوبا بأنفقتم و لا- يحتاج فيه إلى حذف المفعول فىكون التقدير أى شىء أنفقتم أو نذرتم و الفاء فى موضع الجزاء من نفقه الجار و المجرور فى محل نصب على الحال من أنفقتم أو نذرتم و الفاء فى موضع الجزاء من نفقه الجار و المجرور فى محل نصب على الحال من أنفقتم و ذو الحال ما.

## المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الإنفاق و الترغيب فيه فقال «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَى ما تصدقتم به من صدقه مما فرض الله عليكم و قيل معناه ما أنفقتم فى وجوه الخير و سبل البر من نفقه واجبه أو مندوب إليها «أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ» أى ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلاه أو صوم أو صدقه و نحو ذلك «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» معناه يجازى عليه لأنه عالم فدل ذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازا للكلام «وَمَا لِلظَّالِمِينَ» أى ليس للواضعين النفقه و النذر فى غير موضعهما مثل أن ينفق رياء أو ضرارا أو شقاقا أو من مال مغصوب أو مأخوذ من غير حله أو بنذر فى معصيه أو يترك الوفاء به مع القدره عليه «مِنْ أَنْصَارٍ» من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٧١

### اشاره

إِنْ تَبَدَّلُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ  
(٢٧١)

### القراءه

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه غير عاصم فنعما هى بفتح النون و قرأ أهل المدينه غير ورش و أبو عمر و يحيى بكسر النون و سكون العين و قرأ الباقون «فَنِعِمَّا» بكسر



النون و العين و كذلك فى النساء نعماء يعظكم و قرأ أهل المدينه و الكوفه غير عاصم و نكفر بالنون و الجزم و قرأ ابن عامر و حفص بالياء و الرفع و الباقون بالنون و الرفع.

## الحجه

من قرأ فنعما هى فحجته أن أصل الكلمه نعم فجاء بالكلمه على أصلها كما قال:

(نعم الساعون فى الأمر المبر)

و من قرأ فنعما بسكون العين لم يكن قوله مستقيماً عند النحويين لأن فيه الجمع بين ساكنين و الأول منهما ليس بحرف مد و لين و التقاء الساكنين إنما يجوز عندهم هناك نحو دابه و أصيم و تأمرونى لأن ما فى الحرف من المد يصير عوضاً من الحركه و قد أنشد سيويه شعراً قد اجتمع فى الساكنان على حد ما اجتمعا فى نعماء و هو:

كأنه بعد كلال الزاجر

و مسحه مر عقاب كاسر

و أنكره أصحابه و لعل من قرأ به أخفى ذلك كأخذه بالإخفاء فى نحو بارئكم فظن السامع الإخفاء إسكاناً للطف ذلك فى السمع و خفائه و من قرأ «فنعماً» فإنه أتبع العين النون فرارا من الجمع بين ساكنين و اختار أبو عبيده قراءه أبى عمرو و

قال هى لغه النبى ص فى قوله لعمرو بن العاص نعماء المال الصالح للرجل الصالح

هكذا روى فى الحديث بسكون العين و قوله و نكفر من رفعه فعلى وجهين (أحدهما) أن يكون خبر المبتدأ المحذوف و تقديره و نحن نكفر عنكم (و الآخر) أن يكون كلاماً مستأنفاً مقطوعاً مما قبله و لا يكون الحرف العاطف للاشتراك و يكون لعطف جمله على جمله و أما من جزم فإنه يحمله على موضع «فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» و مثله قراءه من قرأ من يضل الله فلا هادى له و يذرهم لأن قوله «فَلا- هادى له» فى موضع جزم مثل قوله «فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» و أما الياء و النون فى قوله و نكفر فمن قال «وَ يُكْفَرُ» فلأن ما بعده على لفظ الأفراد و من قال و نكفر فإنه أتى بلفظ الجمع ثم أفرد كما أتى بلفظ الأفراد ثم جمع فى قوله تعالى «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ثم قال «بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا».

## اللغه

الفرق بين الصدقه و الزكاه أن الزكاه لا تكون إلا فرضاً و الصدقه قد تكون



فرضا و قد تكون نفلا و الإخفاء الستر و الخفى الإظهار خفا يخفيه خفيا أى أظهره قال امرئ القيس:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه

و إن تبعثوا الحرب لا نقعد

و الخوافى من الريش ما دون القوادم لأنها تخفى بها و الخفيه عرين الأسد لأنه يختفى فيها و أصل الباب الستر و الإبداء و الإظهار و الإعلان نظائر و الإخفاء و الإسرار و الإغماض نظائر.

## الإعراب

قوله «فَنِعْمًا هِيَ» تقديره أن تبدوا الصدقات فنعم شيئا إبدائها فما هاهنا نكره موصوفه و هى فى موضع نصب لأنه تفسير الفاعل المضمرة قبل الذكر فى نعم و الإبداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذى هو الإبداء و أقيم المضاف إليه الذى هو ضمير الصدقات مقامه لما فى الكلام من الدلالة عليه و لأن الفعل المتقدم يدل على مصدره و لأن قوله «وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوها الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أى الإخفاء خير لكم فكما أن هنا ضمير الإخفاء كذلك يجب أن يكون ضمير الإبداء مرادا هناك.

## المعنى

ثم ذكر تعالى صفة الإنفاق و رغب فيه بقوله «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ» معناه أن تظهروا الصدقات و تعلنوها «فَنِعْمًا هِيَ» أى فنعم الشىء و نعم الأمر إظهارها و إعلانها أى ليس فى إبدائها كراهه «وَ إِنْ تُخْفُوها» أى تسروها «وَ تُؤْتُوها الْفُقَرَاءَ» أى تعطوها الفقراء و تؤدوها إليهم فى السر «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أى فالإخفاء خير لكم و أبلغ فى الثواب و اختلفوا فى الصدقة التى يكون إخفاؤها أفضل من إبدائها فقيل أن صدقة التطوع إخفاؤها أفضل لأنه يكون أبعد من الرياء بإخفائها و أما المفروض فلا يدخله الرياء و يلحقه تهمة المنع بإخفائها فإظهارها أفضل عن ابن عباس و الثورى و كذا

رواه على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق قال الزكاه بإخفائها المفروضه تخرج علانيه و تدفع علانيه و غير الزكاه إن دفعه سرا فهو أفضل

و قيل الإخفاء فى كل صدقه من زكاه و غيرها أفضل عن الحسن و قتاده و هو الأشبه بعموم الآيه «وَ يُكْفِرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ» معناه و نمحو عنكم خطيئاتكم و نغفرها لكم و من قرأ بالرفع فمعناه و نحن نكفر عنكم أو يكفر الله عنكم من سيئاتكم و دخلت من للتبويض و احتج به من قال المراد بالسيئات الصغائر فأما على مذهبا فاسقاط العقاب تفضل من الله فله أن يتفضل بإسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لأفاد أنه يسقط جميع العقاب و قال بعضهم أن من زياده و قد يقال كل من طعامى و خذ من مالى مما شئت فيكون للتعميم و الأول أولى و مما جاء فى الحديث فى صدقه السر

قوله صدقه السر

تطفئ غضب الرب و تطفئ الخطيئه كما يطفئ الماء النار و تدفع سبعين بابا من البلاء

و

قوله سبعة يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العدل و الشاب الذى نشأ فى عباده الله تعالى و رجل قلبه يتعلق بالمساجد حتى يعود إليها و رجلاين تحاببا فى الله و اجتماعا عليه و تفرقا عليه و رجل دعتة امرأه ذات منصب و جمال فقال إنى أخاف الله تعالى و رجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لم تعلم يمينه ما تنفق شماله و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

و قوله تعالى: «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» معناه أنه تعالى عالم بما تعملونه فى صدقاتكم من إخفائها و إعلانها لا يخفى عليه شىء من ذلك فيجازيكم على جميعه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٧٢

### اشاره

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ (٢٧٢)

### الإعراب

«مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ» شرط و جزاء «وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ» قيل لفظه نفى و معناه النهى أى لا تنفقوا كقوله «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» و قيل هى جمله مفيدة بنفسها معطوفه على ما قبلها و هو خبر على ظاهره و ابتغاء نصب لأنه مفعول له «وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ» شرط كالأول و لذلك حذف النون فى الموضعين.

### النزول

كان المسلمون يمتنعون عن الصدقه على غير أهل دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآيه عن ابن عباس و ابن الحنفية و سعيد بن جبير و قيل كانت أسماء بنت أبى بكر مع رسول الله فى عمره القضاء فجاءتها أمها فتيله و جدتها تسألانها و هما مشركان فقالت لا أعطيكما شيئا حتى أستأذن رسول الله ص فإنكما لستما على ديني فاستأذنته فى ذلك فأنزل الله هذه الآيه عن الكلبي.

### المعنى

«لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ» قيل فى وجه اتصاله بما قبله وجوه (أحدها) أن معناه ليس عليك هداهم بمنع الصدقه عنهم لتحملهم به على الإيمان و هو نظير قوله «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» عن ابن عباس و سعيد بن جبير و على هذا

شئت فيكون للتعميم و الأول أولى و مما جاء في الحديث في صدقه السر قوله صدقه السر يكون معناه الإباحة للتصدق عليهم بصدقه التطوع (و ثانيها) أن معناه ليس عليك هداهم بالحمل على النفقه في وجوه البر و سبل الخير عن الحسن و أبي على الجبائي و تقديره ليس عليك أن تهدي الناس إلى نيل الثواب و الجنه و إنما عليك أن تهديهم إلى الإيمان بأن تدلهم عليه و هذا تسليه للنبي لأنه كان يغتم بترك قبولهم منه و امتناعهم عن الإيمان لعلمه بما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم فسلاه الله تعالى بهذا القول (و ثالثها) أن المراد ليس عليك أن تهدي الناس بعد أن دعوتهم و أذرتهم و بلغتهم ما أمرت بتبليغه و نظيره **إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** و ليس المعنى ليس عليك أن تهديهم إلى الإيمان و الطاعة لأنه ما بعث إلا لذلك **«و لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»** إنما علق الهدايه بالمشيئه لمن كان المعلوم منه أنه يصلح باللطف أى بلطف الله بزياده الهدى و التوفيق لمن يشاء عن الزجاج و أبى القاسم البلخي و أكثر أهل العلم و قيل معناه يهدي إلى طريق الجنه عن الجبائي **«و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ»** أى ما تنفقوا فى وجوه البر من مال فلأنفسكم ثوابه و الغرض فيه الترغيب فى الإنفاق لأن الإنسان إذا علم أن منفعه إنفاقه عائدته إليه مختصه به كان أسمح بالإنفاق و أرغب فيه و أحرص عليه و بذلك يفارق عطيه الله لأن المنفعه فى عطائه عائدته إلى المعطى و مختصه به دون الله و معظم المنفعه فى عطيه العبد ترجع إليه و تختص به دون المعطى **«و مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ»** أى إلا طلب رضوان الله و هذا إخبار من الله عن صفه إنفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله و لرسوله أنهم لا ينفقون ما ينفقونه إلا طلبا لرضاء الله تعالى و قيل أن معناه النهى و إن كان ظاهره الخبر أى و لا تنفقوا إلا ابتغاء مرضاه الله و فى ذكر الوجه هنا قولان (أحدهما) أن المراد به تحقيق الإضافه لأن ذكر الوجه يرفع الإبهام أنه له و لغيره و ذلك أنك لما ذكرت الوجه و معناه النفس دل على أنك تصرف الوهم عن الاشتراك إلى تحقيق الاختصاص و كنت بذلك محققا للإضافه و مزيلا لإيهام الشركه (و الثانى) أنك إذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف فى الذكر من فعلته له لأن وجه الشىء فى الأصل أشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه إلا- ترى أنك تقول وجه الرأى و وجه الأمر و وجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه و إنما تريد أشرف ما فيه من جهه شده ظهوره و حسن بيانه **«و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ»** أى يوفر عليكم جزاؤه و ثوابه و التوفيه إكمال الشىء و إنما حسن إليكم مع التوفيه لأنها تضمنت معنى التأديه و قيل معناه تعطون جزاءه و افرا و افيا فى الآخره عن ابن عباس **«و أَنْتُمْ لَا تُظَلَّمُونَ»** بمنع ثوابه و لا بنقصان جزائه كقوله **آتَتْ أُكُلَهَا وَ لَمْ تَظَلْمِ مِنْهُ شَيْئًا** أى لم تنقص.

## اشاره

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)

## القراءه

قرأ حمزه و عاصم و أبو جعفر و ابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القرآن و الباقون بكسرهما.

## اللغه

قال أبو زيد حسبت الشىء أحسبه و أحسبه حسابانا و حسبت الشىء أحسبه حسابا و حساباه و حسابانا و أحسبت الرجل إحسابا إذا أطعمته و سقيته حتى يشبع و يروى و تعطيه حتى يرضى و الإحصار المنع عن التصرف لمرض أو حاجه أو مخافه و الحصر هو منع الغير و ليس كالأول لأنه منع النفس و قد تقدم تفسيره عند قوله «فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ» و الضرب المشى فى الأرض و السيماء العلامة التى يعرف بها الشىء و أصله الارتفاع لأنه علامه رفعت للظهور و منه السوم فى البيع و هو الزيادة فى مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد و منه سوم الخسف للرفع فيه بتحميل ما يشق و منه سوم الماشيه إرسالها فى المرعى و التعفف ترك السؤال يقال عف عن الشىء و تعفف عنه إذا تركه و منه قول رؤبه:

(فعف عن أسرارها بعد العسق)

أى تركها و الإلحاف الإلحاح فى المسأله قال الزجاج معنى ألحف شمل بالمسأله و هو مستغن عنها و اللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الإنسان فى التغطية.

## الإعراب

العامل فى قوله «لِلْفُقَرَاءِ» محذوف و تقديره النفقه للفقراء و قد تقدم ما يدل عليه و قال بعضهم هو مردود على اللام الأولى من قوله «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلْأَنْفُسِكُمْ» قال على بن عيسى و هذا لا يجوز لأن بدل الشىء من غيره لا يكون إلا و المعنى يشتمل عليه و ليس كذلك ذكر النفس هاهنا لأن الإنفاق لها من حيث هو عائد إليها و للفقراء من حيث هو واصل إليهم و ليس من باب وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة و لا يجوز أن يكون العامل فيه تنفقوا لأنه لا

يفصل بين العامل و المعمول فيه بالأجنبي كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تأخذه «لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا» جملة في موضع الحال من أحصروا و ضربا مفعول يستطيع «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ» في موضع الحال أيضا و ذو الحال الفقراء و إلحافا مصدر وضع موضع الحال من يسألون أى لا يسألون ملحقين و يجوز أن يكون مصدرا لأن الإلحاف سؤال على صفة.

## النزول

قال أبو جعفر (عليه السلام) نزلت الآية في أصحاب الصفة

و كذلك رواه الكلبي عن ابن عباس و هم نحو من أربعمائه رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة و لا عشائر يأوون إليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد و قالوا نخرج في كل سريره يبعثها رسول الله فحث الله الناس عليهم و كان الرجل إذا أكل و عنده فضل أتاهم به إذا أمسى.

## المعنى

لما أمر سبحانه بالنفقة و رغب فيها بأبلغ وجوه الترغيب و بين ما يكمل ثوابها عقب ذلك بيان أفضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» معناه النفقة المذكورة في هذه الآية و ما قبلها للفقراء الذين حبسوا و منعوا في طاعة الله أى منعوا أنفسهم من التصرف في تجاره للمعاش إما لخوف العدو من الكفار و إما للمرض و الفقر و إما للإقبال على العبادة و قوله «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يدل على أنهم حبسوا أنفسهم عن التقلب لاشتغالهم بالعبادة و الطاعة «لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا» أى ذهابا و تصرفا «فِي الْأَرْضِ» لبعض ما ذكرناه من المعانى و قيل لمنع أنفسهم من التصرف في تجاره أى ألزموا أنفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يقع منهم التصرف لغيره و ليس معناه أنهم لا يقدرون عليه كما يقال أمرنى الأمير بالمقام في هذا الموضع فلا أستطيع أن أبرح منه أى لا- أبرح منه لإلزامى نفسى طاعة الأمير «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ» أى يظنهم الجاهل بحالهم و باطن أمورهم «أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» أى الامتناع من السؤال و التجميل فى اللباس و الستر لما هم فيه من الفقر و سوء الحال طلبا لرضوان الله و طمعا فى جزيل ثوابه «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» أى تعرف حالهم بالنظر إلى وجوههم لما يرى من علامه الفقر عن السدى و الربيع و قيل لما يرى من التخشع و الخضوع الذى هو شعار الصالحين عن مجاهد «لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا» قيل معناه أنهم لا يسألون الناس أصلا و ليس معناه أنهم يسألون من غير إلحاف عن ابن عباس و هو قول الفراء و الزجاج و أكثر أرباب المعانى و فى الآية ما يدل عليه و هو قوله «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» فى المسألة و لو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل أغنياء لأن السؤال فى الظاهر يدل على الفقر و قوله أيضا «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» و لو سألوا لعرفوا بالسؤال قالوا و إنما هو كقولك ما رأيت مثله و أنت لم ترد أن له

مثلا ما رأيته و إنما تريد أنه ليس له مثل فيرى فمعناه لم يكن سؤال فيكون إلحاح كقول الأعشى:

لا يغمز الساق من أين و من نصب

و لا يعرض على شرسوفه الصفر

و معناه ليس بساقها أين و لا نصب فيغمزها ليس أن هناك أين و لا يغمز

و فى الحديث أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده و يكره البؤس و التباؤس و يحب الحليم المتعفف من عباده و يبغض الفاحش البذى ء السائل الملحف

و عنه (عليه السلام) قال إن الله كره لكم ثلاثا قيل و قال، و كثره السؤال، و إضاعه المال، و نهى عن عقوق الأمهات و وأد البنات و عن منع و هات

و قال (عليه السلام) الأيدي ثلاث فيد الله العليا و يد المعطى التى تليه و يد السائل السفلى إلى يوم القيامة و من سأل و له ما يغنيه جاءت مسأله يوم القيامة كدوحا أو خموشا أو خدوشا فى وجهه قيل و ما غناه قال خمسون درهما أو عدلها من الذهب

«و ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ» من مال و قيل معناه فى وجوه الخير «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» أى يجازيكم عليه.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٧٤

### اشاره

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)

### الإعراب

«سِرًّا وَعَلَانِيَةً» حالان من ينفقون و تقديره مسرين و معلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ظرف مكان و العامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم.

### النزول

قال ابن عباس

نزلت الآيه فى على (عليه السلام) كانت معه أربعة دراهم فتصدق بواحد نهارا و بواحد ليلا و بواحد سرا و بواحد علانيه و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى جعفر (عليه السلام)

و روى عن أبى ذر و الأوزاعى أنها نزلت فى النفقه على الخيل فى سبيل الله و قيل هى عامه فى كل من أنفق ماله فى طاعه الله على هذه الصفه و على هذا فإننا نقول الآيه نزلت فى على (عليه السلام) و حكمها سائر فى كل من فعل مثل فعله و له فضل السبق

إلى ذلك.

### المعنى

ثم بين سبحانه كيفية الإنفاق و ثوابه فقال «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» فى هذه الحالات أى ينفقون على الدوام لأن هذه الأوقات معينه

ص: ١٨٣

للصدقات و لا وقت لها سواها «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أتى بالفاء ليدل على أن الجزاء إنما هو من أجل الإنفاق في طاعة الله و لا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء «و لا - خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» من أهوال يوم القيامة و أفزاعها «و لا هُمْ يَحْزَنُونَ» فيها و قيل لا خوف من فوت الأجر و نقصانه عليهم و لا هم يحزنون على ذلك.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٧٥

### اشاره

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)

### اللغه

أصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء ء يربو إذا زاد و الربا هو الزيادة على رأس المال و أربى الرجل إذا عامل في الربا و منه

الحديث من أجبى فقد أربى

و أصل التخبط الخبط و هو الضرب على غير استواء خبطته أخبطه خبطا و الخبط ضرب البعير الأرض بيده و التخبط أيضا بمعناه يقال تخبط البعير الأرض إذا ضربها بقوائمها و يقال للذى يتصرف فى أمر و لا يهتدى فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته و من تخطئ يعمر فيهم

و التخبط المس بالجنون و التخبل لأنه كالضرب على غير استواء فى الإدهاش و الخباط داء كالجنون لأنه اضطراب فى العقل يقال به خبطه من جنون و يقال بفلان مس و ألس و أولق أى جنون و السلوف التقدم يقال سلف يسلف سلوفا و منه الأمم السالفه أى الماضيه و السالفه أعلى العنق و الإسلاف الإعطاء قبل الاستحقاق يقال أسلفته إسلافا، و سلافه الخمر صفوها لأنه أول ما يخرج من عصيرها و العود الرجوع و عياده المريض



المصير إليه ليعرف خبره و العود من العيدان لأنه يعود إذا قطع و منه العود الذى يتبخر به و المعاد كل شىء إليه المصير و الآخرة معاد الناس و العاده تكرر الشىء مره بعد مره و العيد كل يوم مجمع عظيم لأنه يعود فى السنه أو الأسبوع و العائده الصله لأنها تعود بالنفع على صاحبها.

## الإعراب

«كَمَا يَقُومُ» الكاف فى محل النصب على المصدر و الموصول حرف تقديره «لَا يَقُومُونَ» إلا مثل قيام «الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ» و «مِنَ الْمَسِّ» يتعلق بـيتخبط و من للتبيين.

## المعنى

لما حث الله تعالى على الإنفاق و بين ما يحصل للمنفق من الأجر العاجل و الآجل عقبه بذكر الربا الذى ظنه الجاهل زياده فى المال و هو فى الحقيقة محق فى المال فقال «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا» فى الدنيا «لَا يَقُومُونَ» يوم القيامة «إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» معناه إلا- مثل ما يقوم الذى يصرعه الشيطان من الجنون فىكون ذلك أماره لأهل الموقف على أنهم أكله الربا عن ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قتاده و مجاهد و قيل إن هذا على وجه التشبيه لأن الشيطان لا يصرع الإنسان على الحقيقة و لكن من غلب عليه المره السود أو ضعف عقله ربما يخيل للشيطان إليه أموراً هائله و يوسوس إليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله و نسب ذلك إلى الشيطان مجازاً لما كان ذلك عند وسوسته عن أبى على الجبائى و قيل يجوز أن يكون الصرع من فعل الشيطان فى بعض الناس دون بعض عن أبى الهذيل و ابن الإخشيد قالاً لأن الظاهر من القرآن يشهد به و ليس فى العقل ما يمنع منه و لا يمنع الله تعالى الشيطان عنه امتحاناً لبعض الناس و عقوبه لبعضهم على ذنب ألم به و لم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه و يأخذ ماله و لا يمنعه الله تعالى منه و يكون هذا علامه لآكلى الربا يعرفون بها يوم القيامة كما أن على كل عاص من معصيته علامه تليق به فيعرف بها صاحبها و على كل مطيع من طاعته أماره تليق به فيعرف بها صاحبها و ذلك معنى قوله تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» و

قال النبى فى شهداء أحد زملوهم بدمائهم و ثيابهم

و

قال (عليه السلام) يبعث أمتى يوم القيامة من قبورهم غراً محجلين من آثار الوضوء

و

روى عنه (عليه السلام) أنه لما قال أسرى بى إلى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء أكله الربا

و

رواه أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما أسرى بي إلى السماء رأيت أقواما يريد  
أحدهم أن

ص: ١٨٥

يقوم ولا- يقدر عليه من عظم بطنه فقلت من هؤلاء- يا جبرائيل قال هؤلاء «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا و عشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة

و الوعيد فى الآيه متوجه إلى كل من أربى و إن لم يأكله و لكنه تعالى نبه بذكر الأكل على سائر وجوه الانتفاع بمال الربا و إنما خص الأكل لأنه معظم المقاصد من المال و نظيره قوله «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» و قوله «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا» الآيه و المراد بالأكل فى الموضوعين سائر وجوه الانتفاع دون حقيقه الأكل «ذَلِكَ» أى ذلك العقاب لهم «بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» معناه بسبب قولهم إنما البيع الذى لا ربا فيه مثل البيع الذى فيه الربا قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدى فى الأجل و أزيدك فى المال فيتراضيان عليه و يعملان به فإذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك أن الزيادة فى الثمن حال البيع و الزيادة فيه بسبب الأجل عند محل الدين سواء فذمهم الله به و ألحق الوعيد بهم و خطأهم فى ذلك بقوله «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا» أى أحل الله البيع الذى لا ربا فيه و حرم البيع الذى فيه الربا و الفرق بينهما أن الزيادة فى أحدهما لتأخير الدين و فى الآخر لأجل البيع و أيضا فإن البيع بدل البدل لأن الثمن فيه بدل المثل و الربا زيادة من غير بدل للتأخير فى الأجل أو زيادة فى الجنس و المنصوص

عن النبى (صلى الله عليه و آله) تحريم التفاضل فى ستة أشياء الذهب و الفضة و الحنطة و الشعير و التمر و الملح

و قيل الزبيب

قال (عليه السلام) إلا مثلا بمثل يدا بيد من زاد و استزاد فقد أربى

لا- خلاف فى حصول الربا فى هذه الأشياء الستة و فى غيرها خلاف بين الفقهاء و هو مقيس عليها عندهم و عندنا أن الربا لا يكون إلا فيما يكال أو يوزن و أما عله تحريم الربا فقد قيل هى أن فيه تعطيل المعاش و الإجلاب و المتاجر إذا وجد المربى من يعطيه دراهم و فضلا بدراهم

و قال الصادق (عليه السلام) إنما شدد فى تحريم الربا لثلاث يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا أو رفدا

«فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» معناه فمن جاءه زجر و نهى و تذكير من ربه «فَأَنْتَهَى» أى فانزجر و تذكر و اعتبر «فَلَهُ مَا سَلَفَ» معناه فله ما أخذ و أكل من الربا قبل النهى لا يلزمه رده

قال الباقر (عليه السلام) من أدرك الإسلام و تاب مما كان عمله فى الجاهلية وضع الله عنه ما سلف

و قال السدى معناه له ما أكل و ليس عليه رد ما سلف فأما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له أخذه و له رأس المال و قوله «جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ» و قال فى موضع آخر «فَمَنْ جَاءَهُ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ» لأن تأنيته غير حقيقى فإن الموعظة و الوعظ بمعنى واحد «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه و أمره بعد مجىء الموعظة و التحريم و الانتهاء إلى الله إن شاء

عصمه عن أكله و ثبته في انتهاءه عنه و إن شاء خذله و قيل معناه و أمره في حكم الآخرة إلى الله تعالى إن لم يتب و هو غير مستحل له إن شاء عذبه بعدله و إن شاء عفا عنه بفضله و قيل معناه أمره إلى الله فلا يؤاخذ به بما سلف من الربا «وَمَنْ عَادَ» إلى أكل الربا بعد التحريم و قال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظه من أن البيع مثل الربا «فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِتُونَ» لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحل للربا فلماذا توعد بعذاب الأبد و لا خلاف بين الفقهاء إن الربا محرم في النقد و النسيئة و قال بعض من تقدم لا ربا إلا في النسيئة و أما أهل الجاهلية فإنهم كانوا يربون بتأخير الدين عن محله إلى محل آخر بزياده فيه و لا خلاف في تحريمه و مما جاء في الحديث في الربا ما

روى عن علي (عليه السلام) أنه قال لعن رسول الله (صلى الله عليه و آله) في الربا خمسه أكله و موكله و شاهديه و كاتبه

و عنه (عليه السلام) قال إذا أراد الله بقرية هلاكاً ظهر فيهم الربا

و عنه (عليه السلام) قال الربا سبعون باباً أهونها عند الله كالذي ينكح أمه

و روى جميل بن دراج عن أبي عبد الله قال درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنيه كلها بذات محرم في بيت الله الحرام.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٧٦

### اشاره

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)

### اللغه

المحق نقصان الشيء حالاً- بعد حال يقال محقه الله يحقه محققاً فانمحق و امحق أى هلك و تلف بذهابه حالاً بعد حال و المحاق آخر الشهر لانمحاق الهلال فيه و الأثيم المتماذى فى الإثم و الأثم الفاعل للإثم.

### المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقول «يَمْحَقُ اللَّهُ» أى ينقص الله «الرِّبَا» حالاً- بعد حال إلى أن يتلف المال كله و قال ابن عباس معناه يهلكه و يذهب ببركته و

قيل للصادق (عليه السلام) و قد يرى الرجل يربى فيكثر ماله فقال يححق الله دينه و إن كثر ماله

و قال أبو القاسم البلخى يححقه الله فى الدنيا بسقوط عدالته و الحكم بفسقه و التسميه بالفسق «و يُزِيهِ الصَّدَقَاتِ» أى و ينمى الصدقات و يزيدها بأن يثمر المال فى نفسه فى العاجل و بالأجر عليه و الثواب فى الأجل و ذلك بحسب الانتفاع بها و حسن النية فيها

و قد روى عن النبى (عليه السلام) أنه قال أن الله تعالى يقبل الصدقات و لا- يقبل منها إلا الطيب و يربيهما لصاحبها كما يربى

أحدكم مهره أو فضيله حتى أن اللقمه لتصير مثل أحد

و النكته فى الآيه أن المربى إنما يطلب بالربرى زياده المال و مانع الصدقه إنما يمنعها لطلب زياده المال فبين الله سبحانه أن الربا سبب النقصان دون النماء و إن الصدقه سبب النماء دون النقصان «وَاللَّهُ لَا

ص: ١٨٧

يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» الكفار فعال من الكفر و هو المقيم عليه المستمسك به المعتاد له و معناه و الله يبغض كل كفار لنعمته باستجلال الربا منهمك في غوايته متماد في إثمه بأكله و إنما لم يقل كل كافر لأنه إذا استحل الربا صار كافرا لأنه إذا كفر أكثر أكله للربا مع الاستحلال فقد ضم كفرا إلى كفر و إذا استحل الربا و لم يعقد عقد الربا لم يلحقه من المندمه ما يلحق من جمع بين الأمرين فالجامع بين الأمرين يستدعى من غضب الله ما لا يستدعيه أحد الأمرين

و روى عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٧٧

### اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)

### المعنى

هذه الآيه ظاهره المعنى و قد مر تفسيرها فيما مضى و إنما جمع بين هذه الخصال لا لأن الثواب لا يستحق على كل واحده منها إذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير من كل واحده منها و لكن جمع بينها للترغيب فى الأعمال الصالحه و التفخيم لأمرها و التعظيم لشأنها أو لبيان أن الجمع بين هذه الخصال أعظم أجرا من الأفراد بواحد منها و نظيره قوله سبحانه وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ الْآيَهُ فجمع بين هذه الخصال فى الوعيد ليبين أن الوعيد يستحق بكل واحده منها و للتحذير عن كل خصله منها لأن من المعلوم أن من دعا مع الله إلها آخر لا يحتاج إلى شرط عمل آخر فى استحقاق الوعيد إذ لو كان الوعيد إنما يستحق بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها و قد ذكرنا أن أمثال هذه الآيه تدل على أن الإيمان ليس من أفعال الجوارح و لا مشتملا عليها إذ لو كان كذلك لما صار لعطفها عليه معنى لأن الشىء لا يعطف على نفسه فإن قالوا إن ذلك يجرى مجرى قوله «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» \* «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» \* فنقول إن الخلاف هاهنا كالخلاف هناك لأن التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه و إنما هو دلالة على الكفر و كذلك الصد عن سبيل الله و استدل بهذه الآيه و أمثالها فى بطلان التحابط لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس هذه الخصال و لم يشترط أن لا يؤتى بما يحبطها فإن قالوا لا- بد من هذا الشرط كما أن الوعيد على الكفر لا بد أن يكون مشروطا بارتفاع التوبه فالجواب أن التوبه إنما صارت شرطا هناك لمكان إجماع المسلمين

لا لأن التوبه مسقطه للعقاب و إنما وعد الله تعالى بإسقاط العقاب عندها تفضلا منه سبحانه و لا إجماع على ما ادعوه من الشرط فى آيات الوعد فبان الفرق بين الأمرين.

## سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٨ الى ٢٧٩

### اشاره

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)

### القراءه

قرأ عاصم بروايه أبى بكر غير ابن غالب و البرجمى و حمزه فأذنوا بالمد و كسر الذال و الباقون «فأذنوا». و قرئ فى الشواذ لا تظلمون و لا تظلمون.

### الحجه

قال سيبويه آذنت أعلمت و آذنت و التأذين النداء و التصويت بالإعلام قال و بعض العرب يجرى آذنت مجرى آذنت الذى معناه التصويت و النداء قال أبو عبيده آذنتك بحرب فأذنت به تأذن إذنا أى علمت فمن قرأ «فأذنوا بحرب من الله» فقصر فالمعنى اعلموا بحرب من الله و المعنى أنكم فى امتناعكم من وضع ذلك حرب من الله و رسوله و من قرأ فأذنوا فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف على قوله و إذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم أيضا لا- محاله ففى أمرهم بإعلام ما يعلمون هم أيضا أنهم حرب إن لم يمتنعوا عما نهوا عنه و ليس فى علمهم دلالة على إعلام غيرهم فهو فى الإبلاغ أكد.

### الإعراب

«إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» جواب الشرط محذوف تقديره إن كنتم مؤمنين فذروا ما بقى من الربا و موضع «لَا تَظْلِمُونَ» نصب على الحال من لكم و التقدير فلکم رءوس أموالكم غير ظالمين و لا مظلومين.

### النزول

روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أن الوليد بن المغيرة كان يربى فى الجاهليه و قد بقى له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبه بها بعد أن أسلم فنزلت الآيه

و قال السدى و عكرمه نزلت فى بقيه من الربا كانت للعباس و خالد بن الوليد و كانا

شريكين في الجاهليه يسلفان في الربا إلى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام و لهما أموال عظيمه في الربا فأنزل الله هذه الآيه

فقال النبى (صلى الله عليه و آله) على أن كل ربا من ربا الجاهليه موضوع و أول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب و كل دم من دم الجاهليه موضوع و أول دم أضعه دم ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب

كان مرضعا في بنى ليث فقتله هذيل و قال مقاتل نزلت في أربعة إخوه من ثقيف مسعود و عبد ياليل و حبيب و ربيعه و هم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفى و كانوا يداينون بنى المغيره و كانوا يربون فلما ظهر النبى (صلى الله عليه و آله) على الطائف و صالح ثقيفا أسلم هؤلاء الإخوه الأربعة فطلبوا رباهم من بنى المغيره و اختصموا إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله على مكه فكتب عتاب إلى النبى بالقصه فأنزل الله الآيه.

### المعنى

ثم بين سبحانه حكم ما بقى من الربا فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» فى أمر الربا و فى جميع ما نهاكم عنه «وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا» أى و اتركوا ما بقى من الربا فلا تأخذوه و اقتصروا على رءوس أموالكم و قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فأما من ليس بمؤمن فإنه يكون حربا و قيل معناه إن كنتم مؤمنين بتحريم الربا مصدقين به و بما فيه من المفسده التى يعلمها الله «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» أى فإن لم تقبلوا أمر الله و لم تنقادوا له و لم تتركوا بقيه الربا بعد نزول الآيه بتركه «فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى فأيقنوا و اعلموا بقتال من الله و رسوله و المعنى أيقنوا أنكم تستحقون القتل فى الدنيا و النار فى الآخرة لمخالفة أمر الله و رسوله و من قرأ فأذنوا فمعناه فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب و معنى الحرب عداوه الله و عداوه رسوله و هذا إخبار بعظم المعصيه و روى عن ابن عباس و قتاده و الربيع أن من عامل بالربا استتابه الإمام فإن تاب و إلا قتله

و قال الصادق آكل الربا يؤدب بعد البينه فإن عاد أدب و إن عاد قتل

«وَ إِنْ تَبْتُمْ» من استحلال الربا و أقررتم بتحريمه «فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ» دون الزيادة «لَا تَظْلِمُونَ» بأخذ الزيادة على رأس المال «وَ لَا تَظْلِمُونَ» بالنقصان من رأس المال.

### سوره البقره (٢): آيه ٢٨٠

### اشاره

وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ فَنُظِرْهُ إِلَىٰ مَيْسَرِهِ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)

### القراءه

قرأ أبو جعفر عسره بضم السين و الباقون «عُسْرِهِ» بإسكانها و هما لغتان و قرأ



زيد عن يعقوب ميسره بضم السين مضافا إلى الهاء و روى ذلك عن مجاهد و قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد و الباقون بتشديدها و قد تقدم الكلام فى مثله فإن الأصل فى القراءتين تتصدقوا فخفض فى إحداهما بحذف إحدى التاءين و فى الأخرى بالإدغام.

## اللغة

النظرة التأخير و هو اسم قام مقام الإنظار مثل أخره يقال بعته بأخره و بنظره أى بنسيئه و رأيت فلانا بأخره الناس أى فى آخرهم و الميسره و الميسور بمعنى اليسار و الغنى و السعه و ما روى من قراءه من قرأ إلى ميسره فلم يجزه البصريون لأن مفعلا لا يجىء فى الأحاد إلا بالتاء و قد جاء فى الجمع قال جميل:

بشين الزمى لا إن لا إن لمتمه

على كثره الواشين أى معون

و روى:

أبلغ النعمان عنى مالكا

أنه قد طال حبسى و انتظارى

و الأول جمع معونه و مآلك جمع مآلكه و هى الرساله و مثل هذا الذى نقل لا يتعد به سيبويه فربما أطلق القول و قال ليس فى الكلام كذا و إن كان قد جاء عليه حرف أو حرفان.

## الإعراب

كان هذه هى التامه و هى التى تتم بفاعلها و يكتفى به و تقديره و إن وقع ذو عسره و قيل هى ناقصه محذوفه الخبر و تقديره و إن كان ذو عسره غريما لكم و كان يجوز لو قرئ و إن كان ذا عسره أى و إن كان الذى عليه الدين ذا عسره و روى ذلك فى الشواذ عن أبى فنظره مرفوعه لأنها خبر مبتدأ محذوف و الفاء فيه للجزاء و تقديره فالذى تعاملونه به نظره «وَأَنْ تَصِيدُوا» فى موضع رفع بأنه مبتدأ و خبره «خَيْرٌ لَكُمْ».

## المعنى

لما أمر سبحانه بأخذ رأس المال من الموسر بين بعده حال المعسر فقال «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ» معناه و إن وقع فى غرمائكم ذو عسره و يجوز أن يكون تقديره و إن كان غريما لكم ذو عسره «فَنَظَرَهُ» أى فالذى تعاملونه به نظره «إِلَى مَيْسَرِهِ» أى إلى وقت اليسار أى فالواجب نظره صيغه الخبر و المراد به الأمر أى فانظروه إلى وقت يساره و اختلف فى حد الإعسار

فروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو إذا لم يقدر على ما يفضل من قوته و قوت عياله على الاقتصاد

وقال أبو علي الجبائي هو التعذر بالإعدام أو بكساد المتاع

ص: ١٩١

أو نحوه و اختلف فى وجوب إنظار المعسر على ثلاثة أقوال (أحدها)

أنه واجب فى كل دين عن ابن عباس و الضحاك و الحسن و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله

(و ثانيها) أنه واجب فى دين الربا خاصة عن شريح و إبراهيم النخعى (و ثالثها) أنه واجب فى دين الربا بالآيه و فى كل دين بالقياس عليه

و قال الباقر (عليه السلام) «إلى ميسره» معناه إلى أن يبلغ خبره الإمام فيقضى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه فى المعروف

«وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ» معناه و أن تتصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» الخير من الشر و تميزون ما لكم عما عليكم و مما جاء فى معنى الآيه من الحديث

قوله (عليه السلام) من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله

و روى بريده عنه أنه قال من أنظر معسرا كان له بكل يوم صدقه

و فى هذه الآيه دلالة على أن الإنسان إن علم أن غريمه معسر حرم عليه حبسه و ملازمته و مطالبته بما له عليه و إنما يجب عليه إنظاره انتظارا ليساره و إن الصدقه برأس المال على المعسر خير و أفضل من انتظار يسره و روى عن ابن عباس و ابن عمر آخر ما نزلت من القرآن آى الربا.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٨١

### اشاره

وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

### القراءه

قرأ أبو عمرو و يعقوب بفتح التاء و الباقون بضمها.

### الحجه

حجه أبى عمرو قوله إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ فَأُضَافُ الْمَصْدَرُ إِلَى الْفَاعِلِ فَهَذَا بِمَنْزِلِهِ تَرْجَعُونَ وَ آبٌ مِثْلُ رَجَعَ وَ مِنْ حِجَّتِهِ قَوْلُهُ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ.

### الإعراب

يوما منصوب لأنه مفعول به و لا ينتصب على الظرف لأنه ليس المعنى اتقوا فى هذا اليوم و قوله «تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» جمله فى موضع نصب بكونه صفه لقوله «يَوْمًا» و «تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» فى موضع نصب بأنه عطف على صفه يوم إلا أنه حذف منه

فيه لدلاله الأول عليه.

## النزول

هذا آخر آيه نزلت من القرآن و قال جبرائيل ضعها في رأس الثمانين و المائتين من البقره عن ابن عباس و السدى

قال المفسرون لما نزلت هذه الآية إِنَّكَ مَيِّتٌ

ص: ١٩٢

وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِيَتَنَى أَعْلَمَ مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ النَّصْرِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ فَيَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَاتُّوبُ إِلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَقُولُهُ قَبْلَ هَذَا فَقَالَ أَمَا إِنْ نَفْسِي نَعِيَتْ إِلَيَّ ثُمَّ بَكَى بِكَاءٍ شَدِيدًا فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ تَبْكِي مِنَ الْمَوْتِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ قَالَ فَأَيْنَ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ وَأَيْنَ ضَيْقَ الْقَبْرِ وَظَلَمَةَ اللَّحْدِ وَأَيْنَ الْقِيَامَةَ وَالْأَهْوَالَ

فَعَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ عَامًا تَامًا ثُمَّ نَزَلَتْ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَهَذِهِ السُّورَةُ آخِرُ سُورَةِ كَامِلَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ فَعَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى حِجَّةِ الْوَدَاعِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقِ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ إِلَى آخِرِهَا فَسَمِيَتْ آيَةُ الصَّيْفِ ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ وَقِفٌ بَعْرُهُ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ الْآيَةَ فَعَاشَ بَعْدَهَا إِحْدَى وَثَمَانِينَ يَوْمًا ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ الرِّبَا ثُمَّ نَزَلَتْ بَعْدَهَا «وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» وَهِيَ آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَعَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَهَا إِحْدَى وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ تَسَعُ لَيْلًا وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَمَقَاتِلُ سَبْعَ لَيْلٍ ثُمَّ مَاتَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلَّيْلَتَيْنِ خَلْتَا مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ حِينَ بَزَغَتِ الشَّمْسُ وَرَوَى أَصْحَابُنَا لِلَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَلسنه واحده من ملك أردشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بنفسى هو ص حيا و ميتا.

## المعنى

ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من ذكر آى الحدود و الأحكام فقال «وَ اتَّقُوا يَوْمًا» معناه و احذروا يوما و اخشوا يوما «تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» تردون جميعا إلى جزاء الله و يقال إلى ملك الله لنفعمكم و ضرکم دون غيره ممن ملكه إياه فى دار الدنيا و هو المراد بكل ما فى القرآن من هذا اللفظ لأن الله سبحانه لا يغيب عن أحد و لا يغيب أحد عن علمه و ملكه و سلطانه و يدل عليه قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ إِنَّمَا خَصَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا حَشَرُوا انْقَطَعَ أَمْرُهُمْ وَ بَطَلَ مَلِكُهُمْ وَ لَا يَبْقَى لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمْرٌ وَ لَا نَهْيٌ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ «ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» قيل فيه وجهان أحدهما توفى جزاء ما كسبت من الأعمال و الثانى توفى ما كسبت من الثواب و العقاب لِأَنَّ الْكَسْبَ عَلَى وَجْهِينِ كَسَبَ الْعَبْدُ لِفَعْلِهِ وَ كَسَبَهُ لِمَا لَيْسَ مِنْ فَعْلِهِ كَمَا يَكْسِبُ الْمَالُ «وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب و لا يزداد عليهم ما يستحقونه من العقاب.

## اشاره

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجْلِ مُسِيٍّ فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْعَدْلُ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَظُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَزْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)

## القرءاء

قرأ حمزه وحده إن تضل بكسر الهمزة و الباقون بفتحها وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و قتيبه فتذكر بالتخفيف و النصب وقرأ حمزه فتذكر بالتشديد و الرفع وقرأ الباقون «فَتَذَكَّرَ» بالتشديد و النصب وقرأ عاصم وحده «تِجَارَةً حَاضِرَةً» بالنصب وقرأ الباقون بالرفع وقرأ أبو جعفر

الوجه فى قراءه حمزه إن تضل إحداهما بكسر الهمزه و هو أنه جعل أن للجزاء و الفاء فى قوله «فَتَذَكَّرُ» جواب الجزاء و موضع الشرط و جزائه رفع بكونهما وصفا للمتكورين و هما المرأتان فى قوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» فقوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» خبر مبتدأ محذوف و تقديره فمن يشهد رجل و امرأتان و يجوز أن يكون رجل مرتفعا بالابتداء و امرأتان معطوفتان عليه و خبر الابتداء محذوف و تقديره فرجل و امرأتان يشهدون و قوله «مِمَّنْ تَرَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم رجل و امرأتان و لا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدى المتقدم ذكرهما لاختلاف إعراب الموصوفين أ لا ترى أن شهيدى منصوبان و رجل و امرأتان إعرابها الرفع فإذا كان كذلك علمت أن الوصف الذى هو ظرف إنما هو وصف لقوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» دون من تقدم ذكرهما من الشهيدى و الشرط و جزاؤه و وصف لقوله «وَ امْرَأَتَانِ» لأن الشرط جملة يوصف بها كما يوصل بها فى نحو قوله الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْمَأْرُضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ اللام التى هى فى قوله «أَنْ تَضِلَّ» فىمن جعل أن جزاء فى موضع جزم و إنما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين و لو كسرت للكسره قبلها لكان جائزا فى القياس و أما قوله «فَتَذَكَّرُ» فقياس قول سيبويه فى قوله تعالى وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ الْآى التى تلاها معها أن يكون بعد الفاء فى «فَتَذَكَّرُ» مبتدأ محذوف و لو أظهرته لكان فهما تذكر إحداهما الأخرى فالذكر العائد إلى المبتدأ المحذوف الضمير فى قوله «إِحْدَاهُمَا» و أما الأصل فى تذكر فهو من الذكر الذى هو ضد النسيان و ذكرت فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمز أو ضعفت العين منه تعدى إلى مفعول آخر و ذلك نحو فرحته و أفرحته فمن قرأ «فَتَذَكَّرُ» كان ممن جعل بالتضعيف و من قرأ فتذكر كان ممن نقل بالهمزه و كلاهما سائغ و المفعول الثانى فى قوله «فَتَذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى» محذوف و المعنى فتذكر إحداهما الأخرى الشهاده التى تحملتها و أما قراءه الأكثرين و هو «أَنْ تَضِلَّ» بفتح الألف فإن يتعلق فيها بفعل مضمرة دل عليه هذا الكلام و ذلك أحد ثلاثة أشياء الأول هو أن قوله «فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» يدل على قولك و استشهدوا رجلا و امرأتين و على هذا فتقديره فليشهد رجل و امرأتان فتعلق أن إنما هو بهذا الفعل و الثانى ما قاله أبو الحسن و هو أن تقديره فليكن رجل و امرأتان و على هذا فيكون معناه فليحدث شهاده رجل و امرأتين حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و الثالث أن يضم خبر المبتدأ الذى هو فرجل و امرأتان أى فرجل و امرأتان يشهدون فيكون يشهدون العامل فى أن و موضع إضماره فىمن فتح الهمزه من أن تضل قبل أن و فىمن كسر أن بعد انقضاء الشرط بجزائه و أما موضع أن هذه فنصب و تقديره لأن تضل

إحداهما فتذكر فإن قيل فإن الشهاده إنما وقعت للذكر و الحفظ لا للضلال الذى هو النسيان فجوابه أن سيبويه قد قال أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداهما الأخرى و إنما ذكر أن تضل لأنه سبب الإذكار كما يقال القائل أعدده أن يميل الحائط فأدعمه و هو لا- يطلب بذلك ميلان الحائط و لكنه أخبر بعلة الدعم و سببه و قوله فتذكر أو «فَتَذَكَّرَ» بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بأن و أما قراءه من قرأ إلا أن تكون تجاره حاضره بالرفع فالوجه فيها أن يكون كان بمعنى وقع و حدث فكأنه قال أ أن تقع تجاره حاضره مثل قوله وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ و أما من نصب «تِجَارَةً حَاضِرَةً» فيكون على خبر كان و لم يخل اسم كان من أحد شيئين أحدهما أن يكون ما يقتضيه الكلام من الإشهاد و الارتهان قد علم من فحواه التبايع فأضمر التبايع لدلاله الحال عليه كما يقال إذا كان غدا فأتنى و الآخر أن يكون أضمر التجاره فكأنه قال إلا أن تكون التجاره تجاره حاضره و مثل ذلك قول الشاعر:

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى

إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أى إذا كان اليوم يوما و أما قوله «لا- يُضَارَّ» ففيه قولان (أحدهما) أن أصله لا- يضارر فأدغمت الراء فى الراء و فتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا- يكتب الكاتب إلا بالحق و لا يشهد الشاهد إلا بالحق (الثانى) أن أصله لا يضارر بفتح الراء الأولى فأدغمت فيكون المعنى لا يدع الكاتب على وجه يضر به و كذلك الشاهد و الأول أبين و أما قراءه أبى جعفر بتسكين الراء مع التشديد ففيه نظر و وجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقت كقولهم (ببازل و جنا أو عيهل) و قد تقدم أمثاله.

## اللغة

تقول داينت الرجل مداينه إذا عاملته بدين أخذت منه أو أعطيته و تداين القوم أو الرجلان بمعناه قال الشاعر:

داينت أروى و الديون تقضى

فمطلت بعضا و أدت بعضا

و يقال دنت و أدنت إذا اقترضت و أدنت إذا أقرضت قال:

أدان و أنبأه الأولون

بأن المدان ملئ و وفى

و الإملاء و الإملاء يقال أمل عليه و أملى عليه بمعنى و البخس النقص ظلما يقال



بخسه حقه يبخره بخسا و «ثمن بخس» ناقص عن حقه و البخر فقوء العين لأنه إدخال نقص على صاحبها و السفية الجاهل و أصل السفه الخفه قال الشاعر:

تخاف أن تسفه أحلامنا

فتخمل الدهر مع الخامل

و إنما سمي الجاهل بالسفيه لخفه عقله و تقول من الإباء أبى يأبى و لم يأت مثله فى اللغة لأن فعل يفعل لا يأتى إلا أن يكون فى موضع العين من الفعل أو اللام حرف من حروف الحلق و القول فيه أن الألف من أبى أشبهت الهمزه فجاء يفعل منه مفتوحا لهذه العله و الضلال أصله الهلاك تقول العرب ضل الماء فى اللبن و منه قوله إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ و قيل أصله الذهاب بحيث لا يوجد و قيل و منه إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ و السأم الملل يقال سئم يسأم ساما إذا مل من الشىء و ضجر منه قال زهير:

سئمت تكاليف الحياه و من يعش

ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم

و أقسط أى أعدل و القسط العدل يقال أقسط إذا عدل و قسط يقسط قسوطاً إذا جار و القسط الحصه.

## المعنى

لما أمر سبحانه بإنظار المعسر و تأجيل دينه عقبه ببيان أحكام الحقوق المؤجله و عقود المدائنه فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «إِذَا تَدَايَيْتُمْ» أى تعاملتم و دابن بعضكم بعضاً «بِعَدَيْنِ» قيل فيه قولان (أحدهما) أنه على وجه التأكيد و تمكين المعنى فى النفس كقوله تعالى وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ (و الآخر) أنه إنما قال بدين لأن تداييتكم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذى هو الجزاء و قد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك «إِلَى أَجَلٍ مُّسَيَّمٍ» أى وقت مذکور معلوم بالتسميه قال ابن عباس إن الآيه وردت فى السلم خاصه و كان يقول أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم و أنزل فيه أطول آيه من كتابه و تلا- هذه الآيه و ظاهر الآيه يقع على كل دين مؤجل سلماً كان أو غيره و عليه المفسرون و الفقهاء «فَأَكْتَبُوهُ» معناه فاكتبوا الدين فى صكك لثلا يقع فيه نسيان أو جحود و ليكون ذلك توثقه للحق و نظراً للذى له الحق و للذى عليه الحق و للشهود فوجه النظر للذى له الحق أن يكون حقه موثقاً بالصك و الشهود فلا يضيع حقه و وجه النظر للذى عليه الحق أن يكون أبعد به من الجحود فلا- يستوجب النقمه و العقوبه وجه النظر للشهود أنه إذا كتب بخطه كان ذلك أقوم للشهادة و أبعد من

السهو و أقرب إلى الذكر و اختلف فى هذا الأمر فقل هو مندوب إليه عن أبى سعيد الخدرى و الحسن و الشعبى و هو الأصح و عليه الأكثر و قيل هو فرض عن الربيع و كعب و يدل على صحه القول الأول قوله فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ و المفهوم من هذا الظاهر فإن ائتمنه على ماله أن يأتينه عليه ثم بين كيفية الكتابه فقال «وَلْيُكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ» يعنى و ليكتب كتاب المداينه أو البيع بين المتعاقدين كاتب بالقسط و الإنصاف و الحق لا يزيد فيه و لا ينقص منه فى صفه و لا مقدار و لا- يستبدل و لا- يكتب شيئاً يضر بأحدهما إلا بعلمه «وَلَا يَأْتِبْ كَاتِبٌ» أى و لا يمتنع كاتب من «أَنْ يَكْتُبَ» الصك على الوجه المأمور به «كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ» من الكتابه بالعدل و قيل كما فضله الله تعالى بتعليمه إياه فلا يبخل على غيره بالكتابه و اختلف فى الكتابه هل هى فرض أم لا فقل هى فرض على الكفايه كالجهاد و نحوه عن الشعبى و جماعه من المفسرين و اختاره الرمانى و الجبائى و جوز الجبائى أن يأخذ الكاتب و الشاهد الأجره على ذلك قال الشيخ أبو جعفر الطوسى و عندنا لا يجوز ذلك و الورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين و يكون الكتاب فى يده لأنه له و قيل واجب على الكاتب أن يكتب فى حال فراغه عن السدى و قيل واجب عليه أن يكتب إذا أمر عن مجاهد و عطا و قيل إن ذلك فى الموضع الذى لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين إن امتنع فإذا كان كذلك فهو فريضه و إن قدر على كاتب غيره فهو فى سعه إذا قام به غيره عن الحسن و قيل كان واجبا ثم نسخ بقوله «وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» عن الضحاك «فَلْيُكْتُبْ» أمر للكاتب أى فليكتب الصك على الوجه المأمور به و كانت الكتبه على عهد رسول الله ص فيهم قله فلذلك أكد بقوله «فَلْيُكْتُبْ» إذ الجمع بين الأمر بالشىء و النهى عن تركه أدهى إلى فعله من الاقتصار على أحدهما ثم بين سبحانه كيفية الإملاء على الكاتب فقال سبحانه «وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ» يعنى المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فليكتب «وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» أى الذى عليه الحق فى الإملاء «وَلَا يَبْخَسْ» أى و لا ينقص «مِنْهُ» أى من الحق «شَيْئًا» لا من قدره و لا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الإملاء فقال «فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَافِهًا» أى جاهلا بالإملاء عن مجاهد و قيل صغيرا طفلا عن السدى و الضحاك و قيل عاجزا أحقق عن ابن زيد «أَوْ ضَعِيفًا» أى ضعيف العقل من عته أو جنون و قيل شيخا خرفا «أَوْ لَا يَسْتِطِيعُ أَنْ يُمْلَأَ هُوَ» أى مجنوناً و قيل عيباً أخرس عن ابن عباس و قيل الأقرب أن يحمل على ثلاث صفات لكيلا يؤدي إلى التكرار ثم اختلف فى ذلك فقل السفيه المجنون و الضعيف الصغير و من لا يستطيع أن يمل الأخرس و نحوه ثم يدخل

فى كل واحد من هو فى معناه وقيل السفية المبذر و الضعيف الصبى المراهق و من لا يستطيع أن يمل المجنون عن القاضى «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعِدْلِ» قيل معناه فليملل ولى الذى عليه الحق إذا عجز عن الإملاء بنفسه عن الضحاك و ابن زيد و قيل معناه ولى الحق و هو الذى له الحق عن ابن عباس لأنه أعلم بدينه فيملى بالحق و العدل ثم أمر سبحانه بالإشهاد فقال «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ» يعنى اطلبوا الشهود و أشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم أى من أهل دينكم و قال مجاهد معناه من الأحرار العالمين البالغين المسلمين دون العبيد و الكفار و الحرية ليست بشرط عندنا فى قبول الشهاده و إنما اشترط الإسلام مع العدالة و به قال شريح و الليثى و أبو ثور و قيل هذا أمر للقضاء بأن يلتمسوا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعى عند إنكار المدعى عليه فيكون السين فى الحالتين سين السؤال و الطلب «فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ» يعنى فإن لم يكن الشهيدين رجلين «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» أى فليكن رجل و امرأتان أو فليشهد رجل و امرأتان «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» عدالته و هذا يدل على أن العدالة شرط فى الشهود و يدل أيضا على أنا لم نتعبد بإشهاد مرضيين على الإطلاق لقوله «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ» و لم يقل من المرضيين لأنه لا طريق لنا إلى معرفه من هو مرضى عند الله تعالى و إنما تعبدنا بإشهاد من هو مرضى عندنا فى الظاهر و هو من نرضى دينه و أمانته و نعرفه بالستر و الصلاح «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا» أى تنسى إحدى المرأتين «فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى» قيل هو من الذكر الذى هو ضد النسيان عن الربيع و السدى و الضحاك و أكثر المفسرين و التقدير فتذكر إحداها الأخرى الشهاده التى تحملتها و من قرأ فتذكر بالتخفيف من الإذكار فهو بهذا المعنى أيضا أى يقول لها هل تذكرين يوم شهدنا فى موضع كذا و بحضرتنا فلان أو فلانه حتى تذكر الشهاده و هذا لأن النسيان يغلب على النساء أكثر مما يغلب على الرجال و قيل هو من الذكر أى يجعلها كذكر من الرجال عن سفيان بن عيينه و الأول أقوى فإن قيل لم كرر لفظه إحداها و هلا قال فتذكرها الأخرى فجوابه على وجهين (أحدهما) أنه إنما كرر ليكون الفاعل مقدما على المفعول و لو قال فتذكرها الأخرى لكان قد فصل بين الفعل و الفاعل بالمفعول و ذلك مكروه (و الثانى) ما قاله حسين بن على المغربى إن معناه إن تضل إحدى الشهادتين أى تضع النسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى لئلا يتكرر لفظ إحداها بلا معنى و يؤيد ذلك أنه لا يسمى ناسى الشهاده ضالا و يقال ضلت الشهاده إذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا أى ضاعوا منا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال «وَ لَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا» و فى معناه ثلاثه أقوال (أحدها) أن معناه و لا يمتنع الشهداء إذا دعوا لإقامه الشهاده عن مجاهد و عطا و سعيد بن جبير

و هذا إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه و لم يخافوا من أدائها ضررا (و الثانى) أن معناه إذا دعوا لإثبات الشهادة و تحملها عن قتاده و الربيع (و الثالث) أن معناه إذا دعوا إلى إثبات الشهادة و إلى إقامتها عن ابن عباس و الحسن و عن أبى عبد الله (عليه السلام) و هو أولى لأنه أعم فائده «وَلَا تَشْتَمُوا» أى و لا تضجروا و لا تملوا «أَنْ تَكْتُبُوهُ» أى تكتبوا الحق «صَغِيرًا» كان الحق «أَوْ كَبِيرًا» و قيل إن هذا خطاب للشاهد و معناه لا تملوا أن تكتبوا الشهادة على الحق «إِلَى أَجَلِهِ» أى إلى أجل الدين و قيل معناه إلى أجل الشاهد أى إلى الوقت الذى تجوز فيه الشهادة و الأول أقوى «ذَلِكُمْ» الكتاب أو كتابه الشهادة و الصك «أَقْسَطُ» أى أعدل «عِنْدَ اللَّهِ» لأنه سبحانه أمر به و اتباع أمره أعدل من تركه «وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ» أى أصوب للشهادة و أبعد من الزيادة و النقصان و السهو و الغلط و النسيان و قيل معناه أحفظ للشهادة مأخوذ من القيام على الشىء بمعنى الحفظ «وَأَذْنَى أَلَّا تَزْتَابُوا» أى أقرب إلى أن لا تشكوا فى مبلغ الحق و الأجل «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً» معناه إلا أن تقع تجاره أى مداينه و مبايعه حاضره حاله يدا بيد و من قرأ بالنصب فمعناه إلا أن تكون التجاره تجاره «حَاضِرَةً تَدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ» أى تتناقلونها من يد إلى يد نقدا لا نسيئه «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أى حرج و ضيق «أَلَّا تَكْتُبُوهَا» و معناه فليس عليكم إثم فى ترك كتابتها لأن الكتابه للوثيقه و لا يحتاج إلى الوثيقه إلا فى النسيئه دون النقد «وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» أى و أشهدوا الشهود على بيعكم إذا تبايعتم و هذا أمر على الاستحباب و الندب عن الحسن و جميع الفقهاء. و قال أصحاب الظاهر الإشهاد فرض فى التبايع «وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» أصله يضارر بكسر الراء الأولى عن الحسن و قتاده و عطا و ابن زيد فىكون النهى للكاتب و الشاهد عن المضاره فعلى هذا فمعنى المضاره أن يكتب الكاتب ما لم يمل عليه و يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه أو بأن يمتنع من إقامه الشهاده و قيل الأصل فيه لا يضارر بفتح الراء الأولى عن ابن مسعود و مجاهد فىكون معناه لا يكلف الكاتب الكتابه فى حال عذر و لا يتفرغ إليها و لا يضيق الأمر على الشاهد بأن يدعى إلى إثبات الشهاده و إقامتها فى حال عذر و لا يعنف عليهما قال الزجاج و الأول أبين لقوله «وَأِنْ تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» فالفاسق أشبه بغير العدل و بمن حرف الكتاب منه بالذى دعا شاهدا ليشهد أو دعا كاتباً ليكتب و هو مشغول و قال غيره معناه و إن تفعلوا مضاره الكاتب و الشهيد فإن المضاره فى الكتابه و الشهاده فسوق بكم أى خروج عما أمر الله سبحانه به «وَأَتَّقُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و نهاكم عنه «وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ» ما تحتاجون إليه من أمور دينكم «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أى عليم بذلك و بكل ما سواه من المعلومات و ذكر على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره أن فى البقره خمس مائه حكم و فى

هذه الآية خاصة خمسة عشر حكماً.

## سورة البقره (٢): آيه ٢٨٣

### اشاره

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَليَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)

### القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو فرهن على وزن فعل و الباقون «فَرِهَانٌ» على وزن فعال.

### الحجه

قال أبو على الرهن مصدر و لما نقل فسمى به كسر كما تكسر الأسماء و جمع على بناءين من أبنيه الجموع و هو فعل و فعال و كلاهما من أبنيه الكثير و قد يخفف العين من رهن كما خفف في رسل و كتب و مثل رهن و رهن سقف و سقف و قال الأعشى:

آليت لا أعطيه من أبنائنا

رهننا فيفسدهم كمن قد أفسدا.

### اللغه

يقال رهنت عند الرجل رهنا و رهنته رهنا و أنا أرهنه إذا وضعته عنده و رهنته ضيعه و قالوا أرهنته أيضا و فعلت فيه أكثر قال:

يراهننى فيرهننى بنيه

و أرهنه بنى بما أقول

قال الأصمعى من روى بيت ابن همام:

فلما خشيت أظافيرهم

نجوت و أرهنتهم مالكا

فقد أخطأ إنما الروايه و أرهنهم مالكا كما تقول و ثبت إليه و أصك عينه و نهضت إليه و أخذ بشعره و تقول أرهنت لهم الطعام أى أدمته لهم و أرهيته بمعناه و الطعام راهن و رآه و قد أرهنت فى ثمن السلعه إذا أسلفت فيه قال (عيديه أرهنت فيها الدنانير) و

أما

قول النبي ص لا يعلق الرهن

فمعناه أن يقول الراهن أن جئتكم بفكاهة إلى شهر و إلا فهو لك

ص: ٢٠١

بالدين فهذا باطل بلا خلاف.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه حكم الوثيقه بالرهن عند عدم الوثيقه بالإشهاد فقال «وَإِنْ كُنْتُمْ» أيها المتدائنون المتبايعون «عَلَى سَيْرٍ» أي مسافرين «وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا» للصك ولا شهودا تشهدونهم «فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ» تقديره فالوثيقه رهن فيكون رهن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون التقدير فرهان مقبوضه يقوم مقام الوثيقه بالصك والشهود والقبض شرط في صحة الرهن فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن بالإجماع «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا» أي فإن أمن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق به وائتمنه على حقه ولم يستوثق منه بصك ولا رهن «فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ» أي الذي عليه الحق «أَمَانَتَهُ» بأن لا يجحد حقه ولا يخس منه شيئاً و يؤديه إليه وافيًا وقت محله من غير مطل ولا تسويق و أراد بقوله «أَمَانَتَهُ» أي ما اوتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول «وَلْيُتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» معناه وليتق الذي عليه الحق عقوبه الله ربه فيما اوتمن عليه ببحوده أو النقصان منه «وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ» يعنى بعد تحملها وهو خطاب للشهود ونهى لهم عن كتمان الشهاده إذا دعوا إليها «وَمَنْ يَكْتُمْهَا» أي ومن يكتم الشهاده مع علمه بالمشهود به و عدم ارتيابه فيه و تمكنه من أدائها من غير ضرر بعد ما دعى إلى إقامتها «فَأِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ» أضاف الإثم إلى القلب و إن كان الآثم هو الجمله لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهاده يقع بالقلب لأن العزم على الكتمان إنما يقع بالقلب و لأن إضافة الإثم إلى القلب أبلغ في الذم كما أن إضافة الإيمان إلى القلب أبلغ في المدح قال تعالى أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أي ما تسرونه و تكتمونونه «عَلِيمٌ»

و روى عن النبي ص أنه قال لا ينقضى كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار و كذلك من كتم الشهاده

و فى قوله تعالى «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا» دلالة على أن الإشهاد و الكتابه فى المداينه ليسا بواجبين و إنما هو على سبيل الاحتياط و تضمنت هذه الآيه و ما قبلها من بدائع لطف الله تعالى و نظره لعباده فى أمر معاشهم و معادهم و تعليمهم ما لا يسعهم جهله ما فيه بصيره لمن تبصر و كفايه لمن تفكر.

**سوره البقره (٢): آيه ٢٨٤**

## اشاره

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)

ص: ٢٠٢

قرأ ابن عامر و عاصم و أبو جعفر و يعقوب «فَيَغْفِرُ» «وَيُعَذِّبُ» بالرفع و قرأ الباقون بالجزم فيهما.

### الحجه

قال أبو علي وجه قول من جزم أنه اتبعه ما قبله و لم يقطعه منه و هذا أشبه بما عليه كلامهم ألا ترى أنهم يطلبون المشاكله و يلزمونها فمن ذلك إن ما كان معطوفا على جمله من فعل و فاعل و اشتغل عن الاسم الذى من الجملة التى يعطف عليها الفعل يختار فيه النصب و لو لم يكن قبله الفعل و الفاعل لا اختاروا الرفع و على هذا ما جاء فى التنزيل نحو قوله وَ كَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأُمْتَالَ و قوله فَرِيقًا هَدَى وَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ فكذلك ينبغى أن يكون الجزم أحسن ليكون مشاكلا لما قبله فى اللفظ و هذا النحو من طلبهم المشاكله كثير و من لم يجزم قطعه من الأول و قطعه منه على أحد وجهين إما أن يجعل الفعل خيرا لمبتداء محذوف و إما أن يعطف جمله من فعل و فاعل على ما تقدمها.

### المعنى

«لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» اللام لام الملك أى له تصريف السموات و الأرض و ما فيهما و تدبيرهما لقدرته على ذلك و لأنه الذى أبدعهما و أنشأهما فجميع ذلك ملكه و ما ملكه يصرفه كما يشاء «وَ إِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ» و تعلنوه أى تظهروا ما فى أنفسكم من الطاعة و المعصية «أَوْ تُخْفُوهُ» أى تكتموه «يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» أى يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه و قيل معناه إن تظهروا الشهاده أو تكتموها فإن الله يعلم ذلك و يجازيكم به عن ابن عباس و جماعه و قيل إنها عامه فى الأحكام التى تقدم ذكرها فى السوره خوفهم الله سبحانه من العمل بخلافها و قال قوم إن هذه الآيه منسوخه بقوله لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا و روى فى ذلك خبرا ضعيفا و هذا لا يصح لأن تكليف ما ليس فى الوسع غير جائز فكيف ينسخ و إنما المراد بالآيه ما يتناوله الأمر و النهى من الاعتقادات و الإرادات و غير ذلك مما هو مستور عنا فأما ما لا يدخل فى التكليف من الوسوس و الهواجس و ما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلاله العقل و

لقوله ص تجوز لهذه الأمه عن نسيانها و ما حدثت به أنفسها

فعلى هذا يجوز أن تكون الآيه الثانيه بينت للأولى و أزالته توهم من صرف ذلك إلى غير وجهه و ظن أن ما يخطر بالبال أو تتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فإن الله يؤاخذ به و الأمر بخلاف ذلك و قوله «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» أى يغفر لمن يشاء منهم رحمه و فضلا «وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» منهم ممن يستحق العقاب عدلا «وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من المغفره و العذاب عن ابن عباس و لفظ الآيه



عام فى جميع الأشياء و القول فىما يخطر بالبال من المعاصى أن الله تعالى لا يؤاخذ به و إنما يؤاخذ بما يعزم الإنسان و يعقد قلبه عليه مع إمكان التحفظ عنه فىصير من أفعال القلب فىجازيه به كما فىجازيه بأفعال الجوارح و إنما فىجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصيه لأنه لم يباشرها و هذا بخلاف العزم على الطاعه فإن العازم على فعل الطاعه فىجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعه كما

جاء فى الأخبار أن المنتظر للصلاه فى الصلاه ما دام ينتظرها

و هذا من لطائف نعم الله تعالى على عباده.

## النظم

ذكر فى كيفية اتصال هذه الآيه بما قبلها وجوه (أحدها) أنه لما فرغ من بيان الشرائع ختم السوره بالتوحيد و الموعظه و الإقرار بالجزاء (و الثانى) أنه لما قال و الله بكل شىء عليم اتبعه بأنه لا يخفى عليه شىء لأن له ملك السموات و الأرض عن أبى مسلم (و الثالث) أنه لما أمر بهذه الوثائق بين أنه إنما يعتد بها لأمر يرجع إلى المكلفين لا لأمر يرجع إليه فإن له ما فى السموات و ما فى الأرض.

## سوره البقره (٢): آيه ٢٨٥

### اشاره

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)

### القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و كتابه و الباقون «وَ كُتُبِهِ» على الجمع وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء و الباقون بالنون.

### الحجه

من قرأ كتابه على الواحد فىفيه وجهان (أحدهما) أنه بمعنى القرآن (و الثانى) أنه بمعنى الجنس فىوافق القراءه الأخرى على الجمع و قد جاء المضاف من الأسماء بمعنى الكثره نحو قوله وَ إِنَّ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا\*

و فى الحديث منعت العراق درهمها و قفيزها

فهذا يراد به الكثره كما يراد بما فى لام التعريف و الاختيار فىه الجمع ليشاكل ما قبله و ما بعده و لأن أكثر القراء عليه و من قرأ لا يفرق فعلى تقدير لا- يفرق الرسول أو كل لا- يفرق و النون على تقدير و قالوا لا- نفرق كقوله وَ لَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَ سَمِعْنَا أَى و يقولون ربنا أبصرنا.



«عُفِّرَانِكَ» نصب على أنه بدل من الفعل المأخوذ منه فكأنه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك واستغنى بالمصدر عن الفعل فى الدعاء فصار بدلا عنه معاقبا له.

### المعنى

لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة وأحكام الشرع وأخبار الأنبياء ختم السوره بذكر تعظيمه وتصديق نبيه ص بجميع ذلك فقال «آمَنَ الرَّسُولُ» أى صدق محمد ص «بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» من الأحكام المذكوره فى السوره وغيرها «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ» أى كل واحد منهم «آمَنَ بِاللَّهِ» أى صدق بإثباته وصفاته ونفى التشبيه عنه وتنزيهه عما لا يليق به «وَمَلَائِكَتِهِ» أى وملائكته وبأنهم معصومون مطهرون «وَكُتُبِهِ» أى وبأن القرآن وجميع ما أنزل من الكتب حق وصدق «وَرُسُلِهِ» وبجميع أنبيائه «لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» أى ويقولون لا نفرق بين أحد من رسل الله فى الإيمان بأن تؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله أهل الكتاب من اليهود والنصارى «وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» معناه سمعنا قولك وأطعنا أمرك إذا جعلته راجعا إلى الله أو سمعنا قوله وأطعنا أمره إذا جعلته راجعا إلى النبى ص وقيل معناه سمعنا قول الله وقول الرسول سماع القائلين المطيعين وذلك خلاف ما أخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا أى يقولون يا ربنا اغفر لنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» معناه إلى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى جزائه مصيرا إليه كقول إبراهيم إني ذاهب إلى ربى سيهدين ومعناه إلى ثواب ربى أو إلى ما أمرنى به ربى وهذا هو إقرار بالبعث والنشور.

### سوره البقره (٢): آيه ٢٨٦

#### اشاره

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)

الوسع ما دون الطاقه و يسمى ذلك وسعا بمعنى أنه يسع الإنسان و لا يضيق عنه و أخطأنا أى كسبنا خطيئته و قال أبو عبيده أخطأ و خطئ لغتان و الفرق بين أخطأ و خطئ أن أخطأ قد يكون على وجه الإثم و غير الإثم فأما خطئ فالإثم لا غير قال الشاعر:

و الناس يلحون الأمير إذا هم

خطئوا الصواب و لا يلام المرشد

و الإصر فى اللغة الثقل قال النابغه:

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم

و الحامل الأصر عنهم بعد ما غرقوا

و كل ما عطفك على شىء من عهد أو رحم فهو أصر و جمعه آصار و يقال أصره يأصره إصرا و الاسم الأصر قال النابغه:

يا ابن الحواضن و الحاضنات

أ تنقض إصرك حالا فحالا

أى عهدك و الأصره صله الرحم للعطف لها قال الكميت:

نضحت أديم الود بينى و بينهم

بآصره الأرحام لو تبطل

. المعنى .

ثم بين سبحانه أنه فيما أمر و نهى لا يكلف إلا دون الطاقه فقال «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» أى لا يأمر و لا ينهى أحدا إلا ما هو له مستطیع و قيل إن معنى قوله «إِلَّا وُسْعَهَا» إلا يسرها دون عسرها و لم يكلفها طاقتها و لو كلفها طاقتها لبلغ المجهود منها عن سفيان بن عيينه و هذا قول حسن و فى هذا دلالة على بطلان قول المجبره فى تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه لأن الوسع هو ما يتسع له قدره الإنسان و هو فوق المجهود و استفراغ قدره و قال بعضهم إن معناه إلا ما يسعها و يحل لها و هذا خطأ لأن من قال لعبده لا- أمرك إلا بما أطلق لك أن تفعله لكان ذلك غيا منه و خطأ لأن نفس أمره إطلاق فكأنه قال لا أطلق لك و لا أمرك إلا- بما أمرك و قوله «لَهَا مَا كَسَبَتْ» معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات «وَعَلَيْهَا» جزاء «مَا اكْتَسَبَتْ» من السيئات و يجوز أيضا أن يسمى الثواب و العقاب كسبا من حيث حصلا بكسبه «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا» قيل تقديره قولوا ربنا على جهه التعليم للدعاء عن الحسن و قيل تقديره يقولون ربنا على جهه الحكايه و الشناء «إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المراد بنسينا تركنا

كقوله تعالى «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» أى

ص: ٢٠٦

تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله «وَتَسُونَ أَنْفُسَكُمْ» ومنه قول الشاعر:

و لم أك عند الجود للجود قاليا

و لا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

أى تاركا و المراد بأخطانا أذنبنا لأن المعاصى توصف بالخطأ من حيث أنها ضد الصواب و إن كان فاعلها متعمدا فكأنه تعالى أمرهم أن يستغفروا مما تركوه من الواجبات و مما فعلوه من المقبحات (و الثانى) معنى قوله «إِنْ نَسِينَا» إن تعرضنا لأسباب يقع عندها النسيان عن الأمر و الغفله عن الواجب أو أخطأنا أى تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ و يحسن الدعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه (و الثالث) أن معناه لا تؤاخذنا أن نسينا أى إن لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو و الغفله أو أخطأنا أى فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد و يحسن هذا فى الدعاء على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى و إظهار الفقر إلى مسألته و الاستعانه به و إن كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله و يجرى ذلك مجرى قوله فيما بعد «و لا تُحْمَلْنَا ما لا طاقةَ لنا به» على أحد الأجوبه و قوله رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ و قد تقدم ذكر أمثاله (و الرابع) ما روى عن ابن عباس و عطاء أن معناه لا- تعاقبنا إن عصينا جاهلين أو متعمدين و قوله «رَبَّنَا وَ لا- تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن معناه لا تحمل علينا عملا نعجز عن القيام به و لا تعذبنا بتركه و نقضه عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و الربيع و السدى (و الثانى) أن معناه لا تحمل علينا ثقلا عن الربيع و مالك و عطاء يعنى لا تشدد الأمر علينا «كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» أى على الأمم الماضيه و القرون الخاليه لأنهم كانوا إذا ارتكبوا خطيئه عجلت عليهم عقوبتها و حرم عليهم بسببها ما أحل لهم من الطعام كما قال تعالى فَيُظْلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ و أخذ عليهم من العهود و المواثيق و كلفوا من أنواع التكليف ما لم يكلف هذه الأمة تخفيفا عنها «رَبَّنَا وَ لا تُحْمَلْنَا ما لا طاقةَ لنا به» قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه ما يثقل علينا تحمله من أنواع التكليف و الامتحان مثل قتل النفس عند التوبه و قد يقول الرجل لأمر يصعب عليه إنى لا أطيقه (و الثانى) أن معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا و آجلا (و الثالث) أنه على سبيل التعبد و إن كان تعالى لا- يكلف و لا- يحمل أحدا ما لا يطيقه كما ذكرنا قبل «وَ اغْفُ عَنَّا» ذنوبنا «وَ اغْفِرْ لَنَا» خطايانا أى استرها «وَ ارْحَمْنَا» بإنعامك علينا فى الدنيا و العفو

فى الآخرة و إدخال الجنة «أَنْتَ مَوْلَانَا» أى ولينا و أولى بالتصرف فينا و ناصرنا «فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» أى أعنا عليهم بالقهر لهم و الغلبه بالحجه عليهم

و قد روى عن النبى ص أن الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء فعلت و استجبت و لهذا استحب الإكثار من هذا الدعاء

ففى الحديث المشهور عن النبى ص أنه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقره فى ليله كفتاه

أى كفتا قيام ليلته و عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله ص انتهى به إلى صدره المنتهى و أعطى ثلثا الصلوات الخمس و خواتيم سورة البقره و غفر لمن لا يشرك بالله من أمته إلا المقححات

و عن ابن المنكدر رفعه إلى النبى ص قال فى آخر سورة البقره آيات إنهن قرآن و إنهن دعاء و إنهن يرضين الرحمن

و فى تفسير الكلبي بإسناده ذكره عن ابن عباس قال بينا رسول الله إذ سمع نقيضا يعنى صوتا فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك و قال إن الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحه الكتاب و خواتيم سورة البقره لا يقرأهما أحد إلا أعطيته حاجته

و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال كان الرجل إذا تعلم سورة البقره جد فينا أى عظم.

### (٣) سورة آل عمران مدنيه و آياتها مائتان (٢٠٠)

#### توضيح

هي كلها مدنيه عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و جميع المفسرين عدد آياتها مائتان إلا آيه شامى و مائتان فى الباقيين خلافها فى سبع آيات عد الكوفى الم آيه و الإنجيل الثانيه آيه و ترك و أنزل الفرقان و عد البصرى و رسولاً إلى بنى إسرائيل آيه و ترك الشامى التوراه و الإنجيل الأول و عد مقام إبراهيم هو و أبو جعفر و ترك أبو جعفر ممّا تُحِبُّونَ و عد أهل الحجاز حتّى تُنفقوا ممّا تُحِبُّونَ.

#### فضلها

روى أبى بن كعب عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آيه منها أماناً على جسر جهنم ، ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه و ملائكته حتى تجب الشمس ، بريده قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) تعلموا سورة البقره و سورة آل عمران فإنهما الزهراوان و أنهما تظلان صاحبهما يوم القيامه كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف.

ص: ٢٠٩



## إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

## توضيح

خمس آيات بلا خلاف إلا أن الكوفي عد «الم» آية و ترك «وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ» وغيرهم بالعكس من ذلك.

## القراءة

قرأ أبو جعفر والأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم الم الله بسكون الميم و قطع همزه الله و قرأ الباقون موصولاً- و بفتح الميم و روى في الشواذ عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و إبراهيم النخعي و الأعمش و عن زيد بن علي بن الحسين و عن جعفر بن محمد الصادق و عن النبي (صلى الله عليه و آله) الحى القيام و روى عن الحسن الإنجيل بفتح الهمزة.

## الحجة

قال أبو علي اتفاق الجميع على إسقاط الألف الموصولة في اسم الله تعالى دل على أن الميم ساكنه كما أن سائر حروف التهجي مبنيه على الوقف فلما التقت الميم الساكنه و لام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذى هو لام التعريف و الدليل على أن التحريك للساكن الثالث و هو مذهب سيبويه أن حروف التهجي يجتمع فيها الساكنان نحو حاء ميم عين سين قاف و ذلك أنها مبنيه على الوقف كما أن أسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون فى قوله مِنَ اللَّهِ بِالْفَتْحِ لِالتقاء الساكنين و أما من قطع الألف فكأنه قدر الوقف على الميم و استأنف فقطع الهمزة لابتدائه بها و أما القيام فقد قال ابن جنى أنه صفة على فيعال من قام يقوم و مثله من الصفة الغيداق و أصله من القيوم التقت الواو و الياء و سبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء و أدغم فيها الياء و قرأه الجماعة «الْقَيُّومُ» فيقول من هذا أيضا و أما الإنجيل بفتح الهمزة فمثال غير معروف النظير فى كلامهم لأنه ليس فى كلامهم أفعال بفتح الهمزة و لو كان أعجميا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عندهم عربى و هو أفعال من نجل ينجل إذا أثار و استخراج و منه نجل الرجل لولده لأنه استخراجهم من صلبه و من بطن امرأته قال الأعشى:

أنجب أزمان والداه به

إذ نجلاه فنعم ما نجلا

أى أنجب والداه أزمان إذ نجلاه ففصل بين المضاف الذى هو أزمان و بين المضاف

ص: ٢١٠

إليه الذى هو إذ كقولهم حينئذ و يومئذ بالفاعل و قيل له إنجيل لأن به يستخرج علم الحلال و الحرام كما قيل توراه و هى فوعله من روى الزند إذا قدح و أصله ووراه فأبدلت الواو التى هى الفاء تاء كما قالوا التجاه و التخمه و التكلان و التراث من الوجه و الوخامه و الوكل و الوراثه فهى من ورى الزند إذا ظهرت ناره و ذاك من نجل ينجل إذا استخرج لما فى الكتابين من معرفه الحلال و الحرام و كما قيل لكتاب نبينا (صلى الله عليه و آله) الفرقان لأنه فرق بين الحق و الباطل فالمعاني كما ترى معتنقه و كلها الإظهار و الإبراز و الفرق بين الأشياء و قال على بن عيسى النجل الأصل فكان الإنجيل أصل من أصول العلم و قال غيره النجل الفرع و منه قيل للولد نجل فكان الإنجيل فرع على التوراه يستخرج منها و قال ابن فضال هو من النجل و هو من السعه يقال عين نجلاء و طعنه نجلاء و كأنه قد وسع عليهم فى الإنجيل ما ضيق على أهل التوراه و كل محتمل.

## الإعراب

مصدقا نصب على الحال و قوله «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل إنزال الكتاب فلما قطعه عن الإضافه بناه على الضم و موضع هدى نصب على الحال من التوراه و الإنجيل أى هاديين و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هما هدى.

## النزول

قال الكلبي و محمد بن إسحاق و الربيع بن أنس نزلت أوائل السوره إلى نيف و ثمانين آيه فى وفد نجران و كانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم و فى الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم العاقب أمير القوم و صاحب مشورتهم الذى لا يصدرن إلا عن رأيه و اسمه عبد المسيح و السيد ثمالهم و صاحب رحلهم و اسمه الأيهم و أبو حارثه بن علقمه أسقفهم و جبرهم و إمامهم و صاحب مدارسهم و كان قد شرف فيهم و درس كتبهم و كانت ملوك الروم قد شرفوه و مولوه و بنوا له الكنائس لعلمه و اجتهاده فقدموا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) المدينة و دخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جيب و أردية فى جمال رجال بلحرت بن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما رأينا وفدا مثلهم و قد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس و قاموا فصلوا فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقالت الصحابه يا رسول الله هذا فى مسجدك فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) دعوهم فصلوا إلى المشرق فتكلم السيد و العاقب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال لهما رسول الله (صلى الله عليه و آله) أسلما قالوا قد أسلما قبلك قال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعوا كما لله ولدا و عبادتكما الصليب و أكلكما الخنزير قالوا إن لم يكن

ولد الله فمن أبوه و خاصموه جميعا فى عيسى فقال لهما النبى (صلى الله عليه و آله) أ لستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا و يشبه أباه قالوا بلى قال أ لستم تعلمون إن ربنا حى لا يموت و إن عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال أ لستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شىء و يحفظه و يرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال أ لستم تعلمون إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء و ربنا لا يأكل و لا يشرب و لا يحدث قالوا بلى قال أ لستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم و يشرب و يحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع و ثمانين آية.

## المعنى

إن الله تعالى لما ختم سورة البقره بذكر التوحيد و الإيمان افتتح هذه السوره بالتوحيد و الإيمان أيضا فقال «الم» و قد ذكرنا الاختلاف فيه و فى معناه و فى محله فى أول سورة البقره «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» و قد ذكرنا ما فيه فى تفسير آيه الكرسي و روى عن ابن عباس أنه قال «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» اسم الله الأعظم و هو الذى دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان (عليه السلام) فى حمل عرش بلقيس من سبأ إلى سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه «نَزَّلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد «الْكِتَابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ» فيه قولان (أحدهما) بالصدق فى إخباره (و الثانى) بالحق أى بما توجه الحكمة من الإرسال و هو حق من الوجهين «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أى لما قبله من كتاب و رسول عن مجاهد و قتاده و الربيع و جمع المفسرين و إنما قيل لما بين يديه لما قبله لأنه ظاهر له كظهور الذى بين يديه و قيل فى معنى مصدقا هاهنا قولان (أحدهما) أن معناه مصدقا لما بين يديه و ذلك لموافقته لما تقدم الخبر به و فيه دلالة على صحه نبوته (صلى الله عليه و آله) من حيث لا يكون ذلك كذلك إلا و هو من عند الله علام الغيوب (و الثانى) أن معناه أن يخبر بصدق الأنبياء و بما أتوا به من الكتب و لا يكون مصدقا للبعض و مكذبا للبعض «وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ» على موسى «وَ الْإِنْجِيلَ» على عيسى «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل إنزال القرآن «هُدًى لِلنَّاسِ» مفعول له أى دلالة و بيانا و قيل يعنى به الكتب الثلاثة أى ليهدى أهل كل كتاب بكتابه و أهل كل زمان بما أنزل فى زمانه و قيل إن «هُدًى لِلنَّاسِ» حال من الكتاب أى هاديا للناس «وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ» يعنى به القرآن و إنما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته و إن كانت لموصوف واحد لأن كل صفة فيها فائده غير فائده الأخرى فإن الفرقان هو الذى يفرق بين الحق

و الباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين في الحج وغيره من الأحكام و ذلك كله في القرآن و وصفه بالكتاب يفيد أن من شأنه أن يكتب

و روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال الفرقان هو كل آيه محكمه في الكتاب و هو الذي يصدق فيه من كان قبله من الأنبياء

و قيل المراد بالفرقان الهادله الفاصله بين الحق و الباطل عن أبي مسلم و قيل المراد به الحجه القاطعه لمحمد (صلى الله عليه و آله) على من حاجه في أمر عيسى و قيل المراد به النصر «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بحججه و دلالاته «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» لما بين حججه الداله على توحيده و صدق أنبيائه عقب ذلك بوعيد من خالف فيه و جرده ليتكامل به التكليف «وَاللَّهُ عَزِيزٌ» أى قادر لا يتمكن أحد أن يمنعه من عذاب من يريد عذابه و أصل العزه الامتناع و منه أرض عزاز أى منيعه السلوك لصعوبتها و منه يقال من عز بز أى من غلب سلب لأن الغالب ممتنع عن الضيم فالله تعالى عزيز أى ممتنع من حيث أنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء «ذُو انْتِقَامٍ» أى ذو قدره على الانتقام من الكفار لا يتهمياً لأحد منعه و الانتقام مجازاه المسمى ء على إساءته «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ» لما ذكر سبحانه الوعيد على الإخلال بمعرفته مع نصب الأدله على توحيده و صدق أنبيائه اقتضى أن يذكر أنه لا يخفى عليه شىء ء فيكون في ذلك تحذير من الاعتراض بالاستسرار بمعصيته لأن المجازى لا تخفى عليه خافيه فإن قيل لم قال «لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ» و لم يقل لا يخفى عليه شىء ء على وجه من الوجوه فيكون أشد مبالغه قلنا لأن الغرض أن يعلمنا أنه يعلم ما يستسر به في الأرض أو في السماء و الإفصاح بذكر ذلك أعظم في النفس و أهول في الصدر مع الدلاله على أنه عالم بكل شىء ء فإن قيل لم لم يقل أنه عالم بكل شىء ء في الأرض و السماء قلنا لأن الوصف بأنه لا يخفى عليه شىء ء يدل على أنه يعلمه من كل وجه يصح أن يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة وإنما لا يخفى عليه شىء ء لأنه عالم لنفسه فيجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً و ما يصح أن يكون معلوماً لا نهايه له فلا يجوز أن يخفى عليه شىء ء بوجه من الوجوه.

### سوره آل عمران (٣): آيه ٦

#### اشاره

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)

#### اللغه

التصوير جعل الشىء ء على صورته لم يكن عليها و الصوره هيئه يكون عليها الشىء ء في التأليف و أصلها من صاره يصوره إذا أماله لأنها مائله إلى هيئه بالشبه لها و الفرق

بين الصورة و الصيغه أن الصيغه عباره عما وضع فى اللغه ليدل على أمر من الأمور و ليس كذلك الصورة لأن دلالتها على جعل جاعل شيئا على بنيه و الأرحام جمع رحم و أصله الرحمه و ذلك لأنها مما يتراحم به و يتعاطف يقولون وصلتكم رحم و المشيئه هى الإراده.

## الإعراب

كيف فى موضع نصب على المصدر تقديره أى نوع يشاء و جملة يشاء فى موضع الحال من يصور أى «يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ» أى يخلق صوركم فى الأرحام شائيا مريدا أى نوع أراد.

## المعنى

«هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ» أى يخلق صوركم «فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ» على أى صورته شاء و على أى صفه شاء من ذكر أو أنثى أو صبيح أو دميم أو طويل أو قصير «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ» فى سلطانه «الْحَكِيمُ» فى أفعاله

و دلت الآيه على وحدانيه الله و كمال قدرته و تمام حكمته حيث صور الولد فى رحم الأم على هذه الصفه و ركب فيه من أنواع البدائع من غير آله و لا- كلفه و قد تقرر فى عقل كل عاقل إن العالم لو اجتمعوا على أن يخلقوا من الماء بعوضه و يصوروا منه صورته فى حال ما يشاهدونه و يصرفونه لم يقدروا على ذلك و لا وجدوا إليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق فى الأرحام فتبارك الله أحسن الخالقين و هذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد (عليه السلام).

## سوره آل عمران (٣): آيه ٧

### إشاره

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

### اللغه

المحكم مأخوذ من قولك أحكمت الشىء إذا ثقفته و أتقنته و أم الكتاب أصله و مكه أم القرى و يقال لعلم الجيش أم و أصله أمهه و لذلك يجمع على أمهات و قد يقال أمات أيضا و المتشابه الذى يشبه بعضه بعضا فيغمض أخذ من الشبه لأنه يشته به المراد و الزيف الميل و إزاغه إماله و الترايع التمايل فى الأسنان و الابتغاء الطلب و الفتنة أصلها

الاختبار من قولهم فتنن الذهب بالنار أى اختبرته و قيل معناه خلصته و التأويل و التفسير و أصله المرجع و المصير من قولهم آل أمره إلى كذا يؤول أولاً إذا صار إليه و أولته تأويلاً إذا صيرته إليه قال الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها

تأول ربعى السقاب فأصحابا

أى كان حبها صغيراً فآل إلى العظم كما آل السقب و هو الصغير من أولاد النوق إلى الكبر و الراسخون الثابتون يقال رسخ رسوخاً إذا ثبت فى موضعه و أرسخه غيره.

## الإعراب

منه آياتٌ جملة من مبتدأٍ و خبر فى موضع النصب على الحال من أنزل و تقديره أنزل الكتاب محكماً و متشابهاً «هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ» جملة فى موضع الرفع لكونها صفة لآيات و آخر عطف على آيات و هو صفة مبتدأٍ محذوف و تقديره و منه آياتٌ آخر و متشابهات صفة بعد صفة و آخر غير منصرف قال سيبويه أن آخر فارقت أخواتها و الأصل الذى عليه بناء أخواتها لأن آخر أصلها أن يكون صفة بالألف و اللام كما يقال الصغرى و الصغر فلما عدل عن مجرى الألف و اللام و أصل أفعل منك و هى مما لا تكون إلا- صفة منعت الصرف و قال الكسائى إنما لم تصرف لأنه صفة و هذا غلط لأن قولهم مال لبد و حطم منصرفان مع كونهما صفة و ابتغاء نصب لأنه مفعول له فى الموضعين و «كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا» مبتدأٌ و خبر و هو اسم دال على المضاف إليه كثير فى الكلام حذف المضاف إليه منه عند البصريين و لا يجيزون إنا كلا فيها على الصفة و أجازه الكوفيون لأنه إنما حذف عندهم لدلالته عليه اسماً كان أو صفة و إنما بنى قبل على الغاية و لم بين كل و إن حذف من كل واحد منهما المضاف إليه لأن قبل ظرف يعرف و ينكر ففرق بين ذلك بالبناء الذى يدل على تعريفه بالمضاف إليه و الإعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال و ليس كذلك كل لأنه معرفه فى الأفراد دون نكره فأما ليس غير فمشبه بحسب لما فيه من معنى الأمر.

## المعنى

لما تقدم بيان إنزال القرآن عقبه بيان كيفية إنزاله فقال «هُيَؤُا الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابِ» أى القرآن «مِنْهُ» أى من الكتاب «آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ» أى أصل الكتاب «وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» قيل فى المحكم و المتشابه أقوال (أحدها) أن المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينه تقترن إليه و لا- دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا» و «لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»

و نحو ذلك مما لا يحتاج في معرفه المراد به إلى دليل و المتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه نحو قوله «وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ» فإنه يفارق قوله وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ لأن إضلال السامري قبيح و إضلال الله تعالى حسن و هذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم تشتهه معانيه و المتشابه ما اشتبهت معانيه و إنما يقع الاشتباه في أمور الدين كالتوحيد و نفى التشبيه و الجور ألا- ترى أن قوله «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على سريره و أن يكون بمعنى القهر و الاستيلاء و الوجه الأول لا- يجوز عليه سبحانه (و ثانيها) أن المحكم الناسخ و المتشابه المنسوخ عن ابن عباس (و ثالثها) إن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحدا و المتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا عن محمد بن جعفر بن الزبير و أبي علي الجبائي (و رابعها) إن المحكم ما لم تتكرر ألفاظه و المتشابه ما تكرر ألفاظه كقصة موسى و غير ذلك عن ابن زيد (و خامسها) إن المحكم ما يعلم تعيين تأويله و المتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعه عن جابر بن عبد الله و إنما وحد أم الكتاب و لم يقل هن أمهات الكتاب لوجهين (أحدهما) أنه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال هن أم الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره (و الثاني) إن الآيات بمجموعها أصل الكتاب و ليست كل آيه محكمه أم الكتاب و أصله لأنها جرت مجرى شىء واحد في البيان و الحكمه و مثله قوله «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ» آيه و لم يقل آيتين لأن شأنهما واحد في أنها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الآيه لها إلا- به و لا- له إلا- بها و لو أراد أن كل واحد منهما آيه على التفصيل لقال آيتين «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» أى ميل عن الحق و إنما يحصل الزيغ بشك أو جهل «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» أى يحتجون به على باطلهم «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ» أى لطلب الضلال و الإضلال و إفساد الدين على الناس و قيل لطلب التلبس على ضعفاء الخلق عن مجاهد و قيل لطلب الشرف و المال كما سمي الله المال فتنه في مواضع من كتابه و قيل

المراد بالفتنه هاهنا الكفر و هو المروى عن أبي عبد الله

و قول الربيع و السدى «وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» و لطلب تأويله على خلاف الحق و قيل لطلب مده أكل محمد على حساب الجمل و ابتغاء معاقبه و يدل على ذلك قوله ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا أى عاقبه و قول العرب تأول الشىء إذا انتهى و قال الزجاج معنى ابتغائهم تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم و إحيائهم فأعلم الله أن ذلك لا يعلمه إلا الله و يدل على ذلك قوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ و اختلف في



الذين عنوا بهذا فقيل عنى به وفد نجران لما حاجوه فى أمر عيسى و سألوه فقالوا أ ليس هو كلمه الله و روحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» يعنى أنهم قالوا أن الروح ما فيه بقاء البدن فأجروه على ظاهره و المسلمون يحملونه على أن بقاء البدن كان فى وقته به كما أن بقاء البدن بالروح و قد قامت الدلاله على أن القديم تعالى ليس بذى أجزاء و أعضاء و إنما يضاف الروح إليه تشريفا للروح كما يضاف البيت إليه ثم أنزل إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ عن الربيع و قيل هم اليهود طلبوا علم أكل هذه الأمه و استخرجه بحساب الجمل عن الكلبي و قيل هم المنافقون عن ابن جريح و قيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله فالآيه فيه عامه كالحروريه و السبائيه عن قتاده «وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» أى الثابتون فى العلم الضابطون له المتقنون فيه و اختلف فى نظمه و حكمه على قولين (أحدهما) أن الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله و إلا الراسخون فى العلم فإنهم يعلمونه «يَقُولُونَ» على هذا فى موضع النصب على الحال و تقديره قائلين «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» كقول ابن المفرغ الحميرى:

الريح تبكى شجوه

و البرق يلمع فى غمامه

أى و البرق يبكى أيضا لامعا فى غمامه و هذا قول ابن عباس و الربيع و محمد بن جعفر بن الزبير و اختيار أبى مسلم و هو

المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) فإنه قال كان رسول الله أفضل الراسخين فى العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل و التنزيل و ما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله و هو و أوصياؤه من بعده يعلمونه كله

و مما يؤيده هذا القول أن الصحابه و التابعين أجمعوا على تفسير جميع آى القرآن و لم نرهم توقفوا على شىء منه و لم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله و كان ابن عباس يقول فى هذه الآيه أنا من الراسخين فى العلم و القول الآخر أن الواو فى قوله «وَ الرَّاسِخُونَ» او الاستئناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى و الوقف عند قوله «وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» و يتدى «وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» فيكون مبتدأ و خبرا و هذا قول عائشه و عروه بن الزبير و الحسن و مالك و اختيار الكسائي و الفراء و الجبائي و قالوا إن الراسخين لا يعلمون تأويله و لكنهم يؤمنون به فالآيه راجعه على هذا التأويل إلى العلم بمداه أكل هذه الأمه و وقت قيام الساعه و فناء الدنيا و وقت طلوع الشمس من مغربها و نزول

عيسى و خروج الدجال و نحو ذلك مما استأثر الله بعلمه و يكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يعنى الموعود به و قوله «كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا» معناه المحكم و المتشابه جميعا من عند ربنا «وَمَا يَدَّبَّرُوا شَيْئًا إِلَّا لِيُحْكَمَ فِيهَا» ما يتفكر فى آيات الله و لا- يرد المتشابه إلى المحكم «إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» أى ذوو العقول فإن قيل لم أنزل الله تعالى فى القرآن المتشابه و هلا جعله كله محكما فالجواب أنه لو جعل جميعه محكما لا تكل الناس كلهم على الخير و استغنوا عن النظر و لكان لا- يتبين فضل العلماء على غيرهم و لكان لا- يحصل لهم ثواب النظر و إتعاب الخواطر فى استنباط المعانى و قال القاضى الماوردى قد وصف الله تعالى جميع القرآن بأنه محكم بقوله «الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» و وصف جميعه أيضا بأنه متشابه بقوله الله «نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا» فمعنى الأحكام الإتقان و المنع أى هو ممنوع بإتقانه و إحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه و قوله متشابه أى يشبه بعضه بعضا فى الحسن و الصدق و الثواب و البعد عن الخلل و التناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٨ الى ٩

#### إشارة

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)

#### اللغة

الهبه تملك الشىء من غير مئامنه و الهبه و النحله و الصله نظائر و فى لدن خمس لغات لدن و لدن بضم اللام و الدال و لدن بفتح اللام و الدال و لدن بفتح اللام و سكون الدال و كسر النون و لدن بحذف النون و الميعاد بمعنى الوعد كما إن الميقات بمعنى الوقت.

#### الإعراب

اللام فى قوله «لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ» معناه فى يوم و إنما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فإن تقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا- ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنت عن فى لأن حروف الإضافه متواخيه لما يجمعها من معنى الإضافه و قد كان يجوز فتح أن فى قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ» على تقدير «جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه» لأن الله لا يخلف الميعاد و لم يقرأ به.

«رَبَّنَا لَا تَرْغُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» هذه حكاية عن قول الراسخين فى العلم الذين ذكرهم الله فى الآيه الأولى و ذكر فى تأويله وجوه (أحدها) إن معناه لا تمنعنا لطفك الذى معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ وفقتنا بألطفك حتى هديتنا إليك و هذا دعاء بالثبوت على الهدايه و الأمداد بالألطف و التوفيقات و يجرى مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا و المعنى لا تخل بيننا و بين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكأنهم قالوا لا تخل بيننا و بين نفوسنا بمنعك التوفيق و الألفاظ عنا فتزيغ و نضل و إنما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصيه و يفرض فيه من التوبه كما قال فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (و ثانيها) إن معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله و تركه فتزيغ قلوبنا بعد الهدايه و نظيره فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا فَأَضَافُوا مَا يَقَعُ مِنْ زِيغِ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ لِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ تَشْدِيدِهِ تَعَالَى الْمَحْنَةَ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (و ثالثها) ما قاله أبو على الجبائى إن المراد لا ترغ قلوبنا عن ثوابك و رحمتك و هو ما ذكره الله من الشرح و السعه بقوله يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ ذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق و الحرج اللذان يفعلان بالكفر عقوبه و من ذلك التطهير الذى يفعله فى قلوب المؤمنين و يمنع الكافرين كما قال تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ وَ من ذلك كتابته الإيمان فى قلوب المؤمنين كما قال أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ ضد هذه الكتابه هى سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكأنهم سألو الله أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب (و رابعها) أن الآيه محموله على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين و الإيمان و لا يقتضى ذلك أنه تعالى سئل عما لو لا المسأله لجاز أن يفعله لأنه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع إليه و الافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أن يفعله و بأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحه كما قال سبحانه «قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ» و قال «رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ» و قال حاكيا عن إبراهيم وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَإِنْ قِيلَ هَلَا جَازَ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُولَ (رَبَّنَا لَا تَظْلِمْنَا وَ لَا تَجْرَ عَلَيْنَا) فَالجواب إنما لم يجر ذلك لأن فيه تسخطا من السائل و إنما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور و الظلم و ليس كذلك ما نحن فيه «وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً» أى من عندك لطفًا نتوصل به إلى الثبات على الإيمان إذ لا نتوصل إلى الثبات على الإيمان إلا بلطفك كما لا يتوصل إلى ابتدائه إلا بذلك و قيل نعمه «إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» المعطى للنعمه الذى شأنه الهبه و العطيه «رَبَّنَا» أى و يقولون يا سيدنا و خالقنا «إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ»

للجزاء «لِيَوْمٍ» أى فى يوم «لا- رَبِّ فِيهِ» أى ليس فيه موضع ريب و شك لوضوحه و هذا يتضمن إقرارهم بالبعث «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ» أى لا- يخلف الوعد و قيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين فى العلم و إن خالف آخر الكلام أوله فى الخطاب و الغيبه فيكون مثل قوله حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ وَ تَقْدِيرَهُ فَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ مَا وَعَدْتَهُ وَ قيل أنه على الاستيناف و هو اختيار الجبائى فيكون إخبارا عن الله تعالى.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٠

#### اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)

#### اللغه

الوقود الحطب و الوقود إيقاد النار.

#### المعنى

ثم بين تعالى حال الذين فى قلوبهم زيغ فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بآيات الله و رسله «لَنْ تُغْنِيَ» أى لن تدفع «عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» قال أبو عبيده من هنا بمعنى عند و قال المبرد و هى على أصلها لابتداء الغايه و تقديره لن تغنى عنهم غنا ابتداء و انتهاء و قيل معناه من عذاب الله شيئا «وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ» أى حطب النار تتقد النار بأجسامهم كما قال فى موضع آخر حَصَبُ جَهَنَّمَ.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١١

#### اشاره

كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١)

#### اللغه

الذئاب العاده يقال ذأب ذأبا و ذأبا إذا اعتاد الشىء و تمرن عليه و الذأب الاجتهاد يقال ذأب فى كذا ذأبا و ذئوبا إذا اجتهد فيه و بالغ و نقل من هذا إلى العاده لأنه بالغ فيه حتى صار عاده له قال زهير:

لأرتحلن بالفجر ثم لأدئين

إلى الليل إلا أن يعرجنى طفل

و الذنب و الجرم واحد يقال أذنب فهو مذنب و الذنب تلو الشئ ء يقال ذنبه يذنبه إذا تلاه و الذنوب الدلو لأنها تاليه للحبل فى الجذب و الذنوب النصيب لأنه كالدلو فى الأنعام و الذنوب الفرس الوافر شعر الذنب و أصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما أن العقاب سمي بذلك لأنه يستحق عقيب الذنب.

## الإعراب

الكاف فى قوله «كَذَّابٌ» متعلق بمحذوف و تقديره عادتهم كعاده آل فرعون فىكون الكاف فى موضع رفع بأنها خبر مبتدأ و لا يجوز أن يعمل فيها كفروا لأن صله الذين قد انقطعت بالخبر و لكن جاز أن يكون فى موضع نصب بوقود النار لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسامهم كما تتقد بأجسام آل فرعون كذبوا جملة فى موضع الحال و العامل فيه المعنى فى دأب آل فرعون و قد مقدره معه.

## المعنى

عاده هؤلاء الكفار فى التكذيب بك و بما أنزل إليك «كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ» أى كعاده آل فرعون فى التكذيب برسولهم و ما أنزل إليه عن ابن عباس و عكرمه و مجاهد و الضحاك و السدى و قيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار فى قهرك و إبطال أمرك كاجتهاد آل فرعون فى قهر موسى عن الأصم و الزجاج و قيل كعاده الله فى آل فرعون فى إنزال العذاب بهم بما سلف من إجرامهم و قيل كسنه آل فرعون عن الربيع و الكسائى و أبى عبيده و قيل كأمر آل فرعون و شأنهم عن الأحفش و قيل كحال آل فرعون عن قطرب «وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى كفار الأمم الماضيه «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِعَذُوبِهِمْ» أى عاقبهم الله بذنوبهم و سمي المعاقبه مؤاخذه لأنها أخذ بالذنب فالأخذ بالذنب عقوبه «وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن يعاقبه.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٢

## إشارة

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ (١٢)

## القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيغلبون و يخشرون بالياء فيهما و الباقون بالتاء.

## الحج

من اختار التاء فلقوله قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فَأَجْرَى الْجَمِيعِ عَلَى الْخَطَابِ وَ مِنْ اخْتَارَ الْيَاءَ فَلِلتَّصْرِيفِ فِي الْكَلَامِ وَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ خَطَابِ الْمَوَاجِهَةِ إِلَى الْخَبْرِ بِلَفْظِ الْغَائِبِ وَ يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ» «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا» وَ قِيلَ إِنْ الْخَطَابَ لِلْيَهُودِ وَ الضَّمِيرِ فِي «سَتُغْلَبُونَ» لِلْمَشْرُكِينَ لِأَنَّ الْيَهُودَ أَظْهَرُوا

السرور بما كان من المشركين يوم أحد فعلى هذا لا يكون إلا بالياء لأن المشركين غيب.

## اللغة

الحشر الجمع مع سوق و منه يقال للنبي الحاشر لأنه يحشر الناس على قدميه كأنه يقدمهم و هم خلفه لأنه آخر الأنبياء فيحشر الناس في زمانه و ملته و جهنم اسم من أسماء النار و قيل أخذ من الجهنام و هي البئر البعيده القعر و المهاد القرار و هي الموضع الذى يتمهد فيه أى ينام فيه مثل الفراش.

## النزول

روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله قال لما أصاب رسول الله قريشا ببدر و قدم المدينة جمع اليهود فى سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر و أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم و قد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرناك أنك لقيت قوما أعمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصه أنا و الله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله هذه الآيه

و روى أيضا عن عكرمه و سعيد بن جبير عن ابن عباس و رواه أصحابنا أيضا و قيل نزلت فى مشركى مكه ستغلبون يوم بدر عن مقاتل و قيل بل نزلت فى اليهود لما قتل الكفار ببدر و هزموا قالت اليهود أنه النبى الأسمى الذى بشرنا به موسى و نجده فى كتابنا بنعته و صفته و أنه لا- ترد له رايه ثم قال بعضهم لبعض لا- تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعه أخرى فلما كان يوم أحد و نكب أصحاب رسول الله شكوا و قالوا لا و الله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا و قد كان بينهم و بين رسول الله عهد إلى مده لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل أجله و انطلق كعب بن الأشرف إلى مكه فى ستين راكبا فوافقوهم و أجمعوا أمرهم على رسول الله لتكونن كلمتنا واحده ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآيه عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس.

## المعنى

لما تقدم ذكر ما أصاب القرون الخاليه بالتكذيب للرسول من العذاب حذر هؤلاء من أن يحل بهم ما حل بأولئك فقال تعالى «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» إما مشركى مكه أو اليهود على ما تقدم ذكره «سَيُتَّغَلَّبُونَ» أى ستهزمون و تصيرون مغلوبين فى الدنيا «و تُحْشَرُونَ» أى تجمعون «إلى جَهَنَّمَ» فى الآخرة و قد فعل الله ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزيه عليهم و المشركون غلبوا بالسيف و إذا قرئ سيغلبون بالياء فقد يمكن أن يكون المغلوبون و المحشورون من غير المخاطبين و أنهم قوم آخرون و يمكن أن يكونوا

إياهم قال الفراء يقال قل لعبد الله أنه قائم و أنك قائم و إذا قرئ بالتاء فلا يجوز أن يظن هذا فلا يكونون غير المخاطبين «وَبُسَّ الْمِهَادُ» أى بئس ما مهد لكم و بئس ما مهدتم لأنفسكم عن ابن عباس و قيل معناه بئس القرار عن الحسن و قيل بئس الفراش الممهد لهم و فى الآيه دلالة على صحه نبوه نبينا (صلى الله عليه و آله) لأن مخبره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه و لا- يكون ذلك على وجه الاتفاق لأنه بين أخبارا كثيره من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكما أن كل واحد منها كان معجزا إذ الله لا- يطلع على غيبه إلا- من ارتضى من رسول كذلك هذه الآيه و إذا ثبت صدقه على أحد الخبرين و هو أنهم سيغلبون ثبت صدقه فى الخبر الآخر و هو أنهم يحشرون إلى جهنم.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٣

### إشاره

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِ الْتَقَاتِ فِتْنَةً تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصِيرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)

### الفراء

قرأ أهل المدينة و البصره عن أبى عمرو ترونهم بالتاء و الباقون بالياء و روى فى الشواذ عن ابن عباس يرونهم بضم الياء.

### الحجه

قال أبو على (ره) من قرأ «يَرَوْنَهُمْ» بالياء فلا بد بعد الخطاب غيبه و هو قوله «فِتْنَةً تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ» أى ترى الفتنه المقاتله فى سبيل الله الفتنه الكافره مثلهم و مما يؤكد الياء قوله «مِثْلِهِمْ» و لو كان على التاء لكان مثلكم و إن كان قد جاء و ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ وَ رأيت هنا هى المتعديه إلى مفعول واحد و يدل على ذلك تقييده برأى العين و إذا كان كذلك كان انتصاب مثلهم على الحال لا على أنه مفعول ثان و أما مثل فقد يفرد فى موضع التشبيه و الجمع فمن الأفراد فى التشبيه قوله:

(و ساقين مثل زبل و جعل)

و من إفراده على الجمع قوله إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ و من جمعه قوله ثُمَّ لَا- يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ و من قرأ ترونهم فللخطاب الذى قبله و هو قوله «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ» ترونهم مثلهم فالضمير فى ترونهم للمسلمين و الضمير المنسوب للمشركين أى ترون أيها المسلمون المشركين مثلى المسلمين فأما قراءة ابن عباس يرونهم فوجهه ما قاله

ابن جنى أن أريت و أرى أقوى فى اليقين من رأيت تقول أرى أن سيكون كذا أى هذا غالب ظنى و أرى أن سيكون كذا أى أعلمه و أتحققه.

## اللغة

قد ذكرنا معنى الفئه عند قوله كَمِ مِنْ فَتْهِ قَلِيلَهُ غَلَبْتُ فَتْهُ كَثِيرَةً و الالتقاء و التلاقى و الاجتماع واحد و الأيد القوه و منه قوله تعالى «داوُدَ ذَا الْأَيْدِ» يقال أدته أيده أي قوته و أيده أيده أيده تأييدا بمعناه و العبره الآيه يقال اعتبرت بالشىء اعتبارا و عبره و العبور النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر و سميت الآيه عبره لأنه يعبر عنها من منزل العلم إلى منزل الجهل و المعتبر بالشىء تارك جهله و واصل إلى علمه بما رأى و العبارة الكلام يعبر بالمعنى إلى المخاطب و العبارة تفسير الرؤيا و التعبير وزن الدراهم و غيرها و العبره الدمعه و أصل الباب النفوذ.

## الإعراب

قوله «فَتْهُ» تحتل ثلاثة أوجه من الإعراب الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فته كذا و أخرى كذا و الجر على البدل و النصب على الحال كقول كثير:

و كنت كذى رجلين رجل صحيحه

و رجل رمى فيها الزمان فشلت

أنشد بالرفع و الجر و قال ابن مفرغ:

و كنت كذى رجلين رجل صحيحه

و رجل رماها صائب الحدثان

فأما التى صحت فأزد شنوءه

و أما التى شلت فأزد عمان

و قال آخر:

إذا مت كان الناس صنفين شامت

و آخر مئن بالذى كنت أصنع

و لا يجوز أن يقول مررت بثلاثة صريح و جريح بالجر لأنه لم يستوف العده و يجوز بالرفع على تقدير منهم صريح و منهم جريح فإن قلت مررت بثلاثة صريح و جريح و سليم جاز الرفع و الجر فإن زدت فيه اقتتلوا جاز الأوجه الثلاثة و القراءه بالرفع لا غير و



قوله «رَأَى الْعَيْنِ» يجوز أن يكون مصدرا ليرى و العين في موضع الرفع بأنه الفاعل و يجوز أن يكون ظرفا للمكان كما يقول ترونيهم أمامكم.

## النزول

نزلت الآية في قصه بدر و كان المسلمون ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا على

ص: ٢٢٤

عده أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر سبعة و سبعون رجلا من المهاجرين و مائتان و ستة و ثلاثون رجلا من الأنصار و كان صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) و المهاجرين على بن أبي طالب (عليه السلام) و صاحب رايه الأنصار سعد بن عباده و كانت الإبل فى جيش رسول الله (صلى الله عليه و آله) سبعين بعيرا و الخيل فرسين فرس للمقداد بن أسود و فرس لمرثد بن أبي مرثد و كان معهم من السلاح ستة أدرع و ثمانية سيوف و جميع من استشهد يومئذ أربعة عشر رجلا من المهاجرين و ثمانية من الأنصار و اختلف فى عده المشركين

فروى عن على (عليه السلام) و ابن مسعود أنهم كانوا ألفا

و عن قتاده و عروه بن الزبير و الربيع كانوا بين تسعمائه إلى ألف و كانت خيلهم مائة فرس و رأسهم عتبه بن ربيعة بن عبد شمس و كان حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كان سبب ذلك غير أبي سفيان.

### المعنى

لما وعد سبحانه الظفر لأهل الإيمان بين ما فعله يوم بدر بأهل الكفر و الطغيان فقال «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ» قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد أى كان لكم أيها اليهود دلاله ظاهره و قيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الوقعه و قيل للمشركين و اليهود آيه أى حجه و علامه و معجزه داله على صدق محمد (صلى الله عليه و آله) «فِي فِتْنَتَيْنِ التَّقَاتَا» أى فرقتين اجتمعتا بيدر من المسلمين و الكافرين «فِيهِ» فرقه «تُقَاتِلُ» تحارب «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فى دينه و طاعته و هم الرسول و أصحابه «وَ أُخْرَى» أى فرقه أخرى «كافِرَةٌ» و هم المشركون من أهل مكة «يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ» أى ضعفهم «رَأَى الْعَيْنِ» أى فى ظاهر العين و اختلف فى معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلى عدد أنفسهم قللهم الله فى أعينهم حتى رأوهم ستمائه و ستة و عشرين رجلا تقويه لقلوبهم و ذلك أن المسلمين قد قيل لهم فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ فَأَرَاهُمْ اللَّهُ عَدَدَهُمْ حسب ما حد لهم من العدد الذى يلزمهم أن يقدموا عليهم و لا يحجموا عنهم و قد كانوا ثلاثه أمثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود و جماعه من العلماء و قيل أن الرؤيه للمشركين يعنى يرى المشركون المسلمين ضعفى ما هم عليه فإن الله تعالى قبل القتال قلل المسلمين فى أعينهم ليجترئوا عليهم و لا ينصرفوا فلما أخذوا فى القتال كثرهم فى أعينهم ليجبنوا و قلل المشركين فى أعين المسلمين ليجترئوا عليهم و تصديق ذلك قوله تعالى «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ» الآية و ذلك أحسن أسباب النصر للمؤمنين و الخذلان للكافرين و هذا قول السدى و إنما يتأتى هذا القول على قراءه من قرأ بالياء فأما قول من قرأ بالتاء فلا يحتمله إلا قول الأول على أن يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا و هم المعنيون بقوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ

وَتُحْشَرُونَ» و هم يهود بنى قينقاع فكأنه قال (ترون أيها اليهود المشركين مثلى المسلمين مع أن الله أظهرهم عليهم فلا تغتروا بكثر تكم) و اختار البلخي هذا الوجه أو يكون الخطاب للمسلمين الذى حضروا الوقعه أى ترون أيها المسلمون المشركين مثلى المسلمين و قال الفراء يحتمل قوله «يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ» يعنى ثلاثه أمثالهم لأنك إذا قلت عندى ألف و أحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ألفين لأنك تريد أحتاج إلى مثلها مضافا إليها لا بمعنى بدلا منها فكأنك قلت أحتاج إلى مثلها و إذا قلت أحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ثلاثه آلاف فكذلك فى الآيه المعنى يرونهم مثليهم مضافا إليهم فذلك ثلاثه أمثالهم قال و المعجز فيه إنما كان من جهة غلبه القليل الكثير و أنكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام و ما جاء فى آيه الأنفال من تقليل الأعداد فإن قيل كيف يصح تقليل الأعداد مع حصول الرؤيه و ارتفاع الموانع و هل هذا إلا قول من جوز أن يكون عنده أجسام لا يدركها أو يدرك بعضها دون بعض قلنا يحتمل أن يكون التقليل فى أعين المؤمنين بأن يظنوهم قليلى العدد لا أنهم أدركوا بعضا دون بعض لأن العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا و لأننا قد ندرك جمعا عظيما بأسرهم و نشك فى أعدادهم حتى يقع الخلاف فى حرز عددهم فعلى هذا يكون الوجه تأويل تقليل الأعداد و قوله «وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ» النصر منه سبحانه على الأعداء يكون على ضربين نصر بالغلبه و نصر بالحجه فالنصر بالغلبه إنما كان بغلبه العدد القليل للعدد الكثير على خلاف مجرى العاده و بما أمدهم الله به من الملائكه و قوى به نفوسهم من تقليل العده و النصر بالحجه و هو وعده المتقدم بالغلبه لإحدى الطائفتين لا- محاله و هذا ما لا- يعلمه إلا- علام الغيوب «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى ظهور المسلمين مع قتلهم على المشركين مع كثرتهم و تقليل المشركين فى أعين المسلمين و تكثير المسلمين فى أعين المشركين «لَعِبْرَةٌ لِّأُولَى الْأَبْصَارِ» أى لذوى العقول كما يقال لفلان بصير بالأمر و لا يراد به الأبصار بالحواس الذى يشترك فيه سائر الحيوان.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٤

#### إشارة

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَيْنِ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)

الشهوات جمع شهوه و هي توقان النفس إلى المشتهى يقال اشتهى يشتهى شهوه و اشتهاه و الشهوه من فعل الله و لا يقدر عليها أحد من البشر و هي ضروريه فينا فإنه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا و القناطير جمع قنطار و هو المال الكثير العظيم و أصله من الأحكام يقال قنطرت الشىء أحكمته و القنطر الداهيه و قيل أصله من القنطره و هو البناء المعقود للعبور و المقنطره المحصله من قناطير كقولهم دراهم مدرهمه أى مجعوله كذلك و دنانير مدنره و قيل إنما ذكر المقنطره للتأكيد و قد يؤتى بالمفعول و الفاعل تأكيداً فالمفعول مثل قوله جَجْرًا مَحْجُورًا و نَسِيًا مَنَسِيًا و الفاعل كقولهم شعر شاعر و موت مائت و المراد بالجميع المبالغه و التأكيد و سميت الخيل خيلاً لا ختيالها فى مشيها و الاختيار من التخيل لأنه يتخيل به صاحبه فى صورته من هو أعظم منه كبرا و المسومه من قولهم أسمت الماشيه و سومتها إذا رعيتها و السيماء الحسن و السيمياء بمعناه قال الشاعر:

غلام رماه الله بالحسن يافعا

له سيمياء لا تشق على البصر

و السيمياء العلامه و هو أصل الباب و المآب المرجع من الأوب و هو الرجوع.

### المعنى

ثم أنزل الله تعالى ما أخبر به عن السبب الذى دعا الناس إلى العدول عن الحق و الهدى و الركون إلى الدنيا فقال «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ» أى حب المشتهيات و لم يرد بها نفس الشهوه و لهذا فسرها بالنساء و البنين و غيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل الشيطان عن الحسن قال فو الله ما أجد أذم للدنيا ممن خلقها و قيل زينها الله تعالى لهم بما جعل فى الطباع من الميل إليها و بما خلق فيها من الزينه محنه و تشديدا للتكليف كما قال سبحانه إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا و قيل زين الله تعالى ما يحسن منه و زين الشيطان ما يقبح عن أبى على الجبائى ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال «مِنَ النِّسَاءِ» لأن الفتنة بهن أعظم و

قال النبى ص ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء و قال النساء جبائل الشيطان

و قال أمير المؤمنين (عليه السلام) المرأه شر كلها و شر ما فيها أنه لا بد منها و هي عقرب حلوه اللسهه

ثم قال «وَ النِّبِينَ» لأن جبههم يدعو إلى جمع الحرام

و قال النبى ص للأشعث بن قيس هل لك من ابنه حمزه من ولد قال نعم لى منها غلام و لوددت أن لى من جفنه من طعام أطعمها من معى من بنى جبله فقال لئن قلت ذاك إنهم لثمره القلوب و قره الأعين و إنهم مع ذلك لمجبنه مبخله محزنه

«وَ الْقَنَاطِيرِ» جمع قنطار و اختلف فى مقداره فقيل ألف و مائتا أوقيه عن معاذ بن جبل و أبى بن كعب و عبد الله بن عمر و قيل ألف و مائتا مثقال عن ابن عباس و الحسن و الضحاك و قيل ألف



دينار أو اثنا عشر ألف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائه رطل عن قتاده وقيل سبعون ألف دينار عن مجاهد و عطاء وقيل

هو ملء مسك ثور ذهباً عن أبي نضرة و به قال الفراء و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله

و «الْمُقَنْطَرَةُ» المضاعفة عن قتاده وقيل هي تسعة قناطير عن الفراء وقيل هي الأموال المنضد بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعه وقيل هي من الذهب و الفضة عن الزجاج و لا يصح قول من قال من الذهب خاصة لأن الله ذكر القنطار فيهما جميعاً و جميع الأقوال يرجع إلى الكثرة «وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ» قيل معناه الأفراس الراعيه عن سعيد بن جبير و ابن عباس و الحسن و الربيع وقيل هي الحسنه من السيمياء و هو الحسن عن مجاهد و عكرمه و السدى وقيل هي المعلمه عن قتاده و في روايه عن ابن عباس المعده للجهاد عن ابن زيد «وَالْأَنْعَامِ» و هي جمع النعم و هي الإبل و البقر و الغنم من الضأن و المعز و لا يقال لجنس منها على الانفراد نعم إلا للإبل خاصة لأنها يغلب عليه جملة و تفصيلاً «وَالْحَرْثِ» معناه الزرع هذه كلها محبيه إلى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين أن ذلك كله مما يتمتع به في الحياه ثم يزول عن صاحبه و المرجع إلى الله فأجدر بالإنسان أن يزهد فيه و يرغب فيما عند ربه فقال «ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعنى كل ما سبق ذكره مما يستمتع به في الحياه الدنيا ثم يفنى «وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» يعنى حسن المرجع فالمآب مصدر سمي به موضع الإياب.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٥

#### اشاره

قُلْ أَأَتَّبِعُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُم لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)

#### القراءه

قرأ أبو بكر عن عاصم و رضوان بضم الراء كل القرآن و الباقون بكسر الراء.

#### الحجه

الرضوان مصدر فمن كسره جعله كالرثمان و الحرمان و من ضمه جعله كالرجحان و الشكران و الكفران.

منتهى الاستفهام فى «أَأُتْبِئُكُمْ» عند قوله «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم استأنف «جَنَّاتٌ تَجْرِي» على تقدير الجواب كأنه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات وقيل منتهى الاستفهام عند قوله «بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ» ثم ابتداء فقال «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ» ويجوز فى العرييه فى بإعراب جنات الرفع و الجر فالجر على أن يكون آخر الكلام «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ولا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام كما لا يجوز أمرت لك بألفين ولأخيك مائتين حتى يقول بمائتين ولو قدمت فقلت و مائتين لأخيك لجاز و خالد بن نصب على الحال.

### المعنى

لما صغر تعالى الدنيا و زهد فيها فى الآيه الأولى عظم الآخره و شرفها و رغب فيها فى هذه الآيه فقال «قُلْ» يا محمد لأمتك «أَأُتْبِئُكُمْ» أخبركم «بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ» بأنفع لكم مما سبق ذكره فى الآيه المتقدمه من شهوات الدنيا و لذاتها و زهراتها «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» ما حرم الله عليهم «عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها الأنهار و على القول الآخر أخبركم بخير مما سبق «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم ابتداء فقال «جَنَّاتٌ» أى ذلك الخير جنات تجرى من تحت أبنيتها الأنهار و بين الله بهذا أن أنهار الجنة جاريه أبدا ليست كأنهار الدنيا التى يجرى ماؤها تاره و ينقطع أخرى «خَالِدِينَ فِيهَا» أى مقيمين فى تلك الجنات «وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ» من الحيض و النفاس و جميع الأقدار و الأدناس و الطبائع الذميمة و الأخلاق اللئيمة «وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ» و وراء هذه الجنات رضوان من الله «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» أى خبير بأفعالهم و أحوالهم.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦ الى ١٧

#### إشاره

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسِيئِينَ  
بِالْأَشْحَارِ (١٧)

#### اللغه

المغفره هى الستر للذنوب برفع التبعه و الذنب و الجرم بمعنى واحد و الفرق بينهما أن أصل الذنب الاتباع فهو مما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعه و الجرم أصله القطع فهو القبيح الذى ينقطع به عن الواجب و الفرق بين القول و الكلام أن القول فيه معنى الحكايه و ليس كذلك الكلام و الصابر الحابس نفسه عن جميع معاصى الله و المقيم على ما أوجب عليه من العبادات و الصادق المخبر بالشىء على ما هو به و القانت المطيع

و الأسحار جمع سحر و هو الوقت الذى قبل طلوع الفجر أصله الخفاء لخفاء الشخص فى ذلك الوقت و السحر منه أيضا لخفاء سبيه و السحر الرئى لخفاء موضعها.

## الإعراب

يجوز فى موضع الذين الرفع و النصب و الجر للإتباع لِلَّذِينَ اتَّقَوْا و الرفع و النصب على المدح و كذلك باقى الصفات و يجوز أن يكون جرا على الصفة لِلَّذِينَ اتَّقَوْا.

## المعنى

ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم فى قوله لِلَّذِينَ اتَّقَوْا فقال «الَّذِينَ يَقُولُونَ» أى المتقين القائلين «رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا» أى صدقنا الله و رسوله «فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» أى استرها علينا و تجاوزها عنا «وَقِنَا» أى و ادفع عنا «عَذَابَ النَّارِ» ثم وصفهم بصفات أخر و مدحهم و أثنى عليهم فقال «الصَّابِرِينَ» أى على فعل ما أمرهم الله به و ترك ما نهاهم عنه و إن شئت قلت الصابرين على الطاعة و عن المعصية «وَالصَّادِقِينَ» فى إيمانهم و أقوالهم «وَالْقَانِتِينَ» قيل المطيعين عن قتاده و قيل الدائمين على الطاعة و العبادة عن الزجاج و قيل القائمين بالواجبات عن القاضى «وَالْمُنْفِقِينَ» أموالهم فى سبيل الخير و يدخل فيه الزكاه المفروضه و التطوع بالإنفاق «وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ»

المصلين وقت السحر عن قتاده و رواه الرضا عن أبيه (عليه السلام) عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل السائلين المغفره فى وقت السحر عن أنس و قيل المصلين صلاه الصبح فى جماعه عن زيد بن أسلم و قيل الذين ينتهى صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرونه و يدعون عن الحسن

و روى عن أبي عبد الله أن من استغفر الله سبعين مره فى وقت السحر فهو من أهل هذه الآيه

و روى أنس بن مالك عن النبى ص أنه قال إن الله عز و جل يقول إنى لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتى و إلى المتهجدين و إلى المتحابين فى و إلى المستغفرين بالأسحار صرفته عنهم.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨ الى ١٩

### إشاره

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)



قرأ الكسائي أن الدين بفتح الألف و الباقون بالكسر قال الزجاج و روى عن ابن عباس قال إنه لا إله إلا هو بكسر الألف و القراءه «أَنَّهُ» بالفتح.

### الحجه

قال أبو على الوجه الكسر فى إن لأن الكلام الذى قبله قد تم و من فتح أن جعله بدلا و البدل و إن كان فى تقدير جملتين فإن العامل لما لم يظهر أشبه الصفه فإذا جعلته بدلا جاز أن تبدله من شيئين (أحدهما) من قوله «أَنَّهُ لا إله إلا هُوَ» فكان التقدير شهد الله أن الدين عند الله الإسلام فيكون البدل من الضرب الذى الشىء فيه هو هو و إن شئت جعلته من بدل الاشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد و العدل و إن شئت جعلته من القسط لأن الدين الذى هو الإسلام قسط و عدل فيكون من البدل الذى الشىء فيه هو هو و قال غيره إن الأولى و الثانية يجوز فى العرييه فتحهما جميعا و كسرهما جميعا و فتح الأولى و كسر الثانية و كسر الأولى و فتح الثانية فمن فتحهما أوقع الشهاده على أن الثانية و حذف الإضافه من الأولى و تقديره شهد الله أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام و من كسرهما اعترض بالأولى على التعظيم لله تعالى به كما قيل ليبيك إن الحمد و النعمه لك و كسر الثانية على الحكايه لأن معنى شهد معنى قال قال المؤرج شهد بمعنى قال فى لغه قيس عيلان و من فتح الأولى و كسر الثانية و هو الأجود و عليه أكثر القراء أوقع الشهاده على الأولى و استأنف الثانية و من كسر الأولى أو فتح الثانية اعترض بالأولى و أوقع الشهاده على الثانية.

### اللغه

حقيقه الشهاده الإخبار بالشىء عن مشاهده أو ما يقوم مقام المشاهده و معنى الدين هاهنا الطاعه و أصله الجزاء و سميت الطاعه دينا لأنها للجزاء و منه الدين لأنه كالجزاء فى وجوب القضاء و الإسلام أصله السلم معناه دخل فى السلم و أصل السلم السلامه لأنها انقياد على السلامه و يصلح أن يكون أصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله و التسليم من السلامه لأنه تأديه الشىء على السلامه من الفساد فالإسلام هو تأديه الطاعات على السلامه من الإدغال و الإسلام و الإيمان بمعنى واحد عندنا و عند المعتزله غير أن عندهم الواجبات من أفعال الجوارح من الإيمان و عندنا الإيمان من أفعال القلوب الواجبه و ليس من أفعال الجوارح و قد شرحناه فى أول البقره و الإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبى ص من العبادات الشرعيه و الاستسلام به و ترك النكير عليه فإذا قلنا دين المؤمن هو الإيمان و هو الإسلام فالإسلام هو الإيمان و نظير ذلك قولنا الإنسان بشر و الإنسان حيوان على الصوره الإنسانيه فالحيوان على الصوره الإنسانيه بشر و الاختلاف ذهاب أحد النفسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف فى الأديان فأما الاختلاف فى الأجناس فهو امتناع

أحد الشئيين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته و البغى طلب الاستعلاء بالظلم و أصله من بغيت الحاجه إذا طلبتها.

## الإعراب

قيل فى نصب قائما قولان (أحدهما) أنه حال من اسم الله تعالى مؤكده لأن الحال المؤكده يقع مع الأسماء فى غير الإشاره تقول أنه زيد معروفا و هو الحق مصدقا و شهد الله قائما بالقسط أى قائما بالعدل (و الثانى) أنه حال من هو من قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و بغيا نصب على وجهين (أحدهما) على أنه مفعول له و المعنى «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» للبغى بينهم مثل حذر الشر و نحو ذلك و قيل أنه منصوب بما دل عليه و ما اختلف كأنه لما قيل «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» دل على (و ما بغى الذين أوتوا الكتاب) فحمل بغيا عليه.

## المعنى

لما قدم تعالى ذكر أرباب الدين أتبعه بذكر أوصاف الدين فقال «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى أخبر الله بما يقوم مقام الشهاده على وحدانيته من عجيب صنعته و بديع حكمته و قيل معنى شهد الله قضى الله عن أبى عبيده قال الزجاج و حقيقته علم الله و بين ذلك فإن الشاهد هو العالم الذى يبين ما علمه و منه شهد فلان عند القاضى أى بين ما علمه فالله تعالى قد دل على توحيدده بجميع ما خلق و بين أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئا واحدا مما أنشأه «وَالْمَلَائِكَةُ» أى و شهدت الملائكه بما عاينت من عظيم قدرته «وَأُولُوا الْعِلْمِ» أى و شهد أولوا العلم بما ثبت عندهم و تبين من صنعه الذى لا يقدر عليه غيره و روى عن الحسن أن فى الآيه تقديم و تأخيرا و التقدير شهد الله أنه لا إله إلا هو «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» و شهدت الملائكه أنه لا إله إلا هو قائما بالقسط و شهد أولوا العلم أنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» قائما بالقسط و القسط العدل الذى قامت به السماوات و الأرض و رواه أصحابنا أيضا فى التفسير و أولوا العلم هم علماء المؤمنين عن السدى و الكلبي و قيل معنى قوله «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» أنه يقوم بإجراء الأمور و تدابير الخلق و جزاء الأعمال بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير أى يجرى أفعاله على الاستقامه و إنما كرر قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لأنه بين بالأول أنه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه و بالثانى أنه القائم برزق الخلق و تدبيرهم بالعدل لا ظلم فى فعله «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» من تفسيره و تضمنت الآيه الإبانة عن فضل العلم و العلماء لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكه و شهادتهم بشهاده الملائكه و خصهم بالذكر كأنه لم يعتد بغيرهم و المراد بهذا العلم التوحيد و ما يتعلق به من علوم الدين لأن الشهاده وقعت عليه

و مما جاء في فضل العلم و العلماء من الحديث

ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي ص أنه قال ساعه من عالم يتكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عباده العابد سبعين عاما.

و روى أنس بن مالك عنه ص قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنه و مدارسته تسبيح و البحث عنه جهاد و تعليمه من لا يعلمه صدقه و تذكره لأهله لأنه معالم الحلال و الحرام و منار سبيل الجنه و النار و الأنيس في الوحشه و الصاحب في الغربه و المحدث في الخلوه و الدليل على السراء و الضراء و السلاح على الأعداء و القرب عند الغرباء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قاده يقتدى بهم و يقتفى آثارهم و ينتهى إلى رأيهم و ترغب الملائكه في خلتهم و بأجنتها تمسحهم و في صلاتهم تستغفر لهم و كل رطب و يابس يستغفر لهم حتى حيطان البحار و هوامها و سباع الأرض و أنعامها و السماء و نجومها ألا و إن العلم حياه القلوب و نور الأبصار و قوه الأبدان يبلغ بالعبد منازل الأحرار و مجلس الملوك و الفكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام و به يعرف الحلال و الحرام و به توصل الأرحام و العلم إمام العمل و العمل تابعه يلهم السعداء و يحرم الأشقياء

و مما جاء في فضل هذه الآيه

ما رواه أنس عن النبي ص قال من قرأ «شَهِدَ اللَّهُ» الآيه عند منامه خلق الله منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة

، الزبير بن العوام قال قلت لأدنون هذه العشييه من رسول الله ص و هي عشييه عرفه حتى أسمع ما يقوله فحبست ناقتي بين ناقه رسول الله و ناقه رجل كان إلى جنبه فسمعتة يقول «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآيه فما زال يرددتها حتى رفع.

غالب القطان قال أتيت الكوفه في تجاره فنزلت قريبا من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليله أردت أن انحدر إلى البصره قام من الليل يتهجّد فمر بهذه الآيه «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآيه ثم قال الأعمش و أنا أشهد بما شهد الله به و استودع الله هذه الشهاده و هي لى عند الله وديعه «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه و ودعته ثم قلت آيه سمعتك ترددها فما بلغك فيها؟ قال لا أحدثك بها إلى سنه فكتبت على بابه ذلك اليوم أقيمت سنه فلما مضت السنه قلت يا أبا محمد قد مضت السنه فقال

حدثني أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله ص يجاء بصاحبها يوم القيامة فتقول الله إن لعبدى هذا عهدا عندى و أنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى هذا الجنه

و قال سعيد بن جبیر كان حول الكعبه ثلاثمائة و ستون صنما فلما نزلت «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآيه خررن سجدا و قوله «إِنَّ الدِّينَ» أى الطاعه «عِنْدَ اللَّهِ» هو «الإسلام» و قيل المراد بالإسلام التسليم لله و لأوليائه و هو التصديق

و روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى خطبه له أنه قال لأنسبن الإسلام نسبه لم ينسبها أحد قبلى الإسلام هو التسليم و التسليم هو اليقين

و اليقين هو التصديق و التصديق هو الإقرار و الإقرار هو الأداء و الأداء هو العمل رواه على بن إبراهيم فى تفسيره قال ثم قال إن المؤمن أخذ دينه عن ربه و لم يأخذه عن رأيه إن المؤمن يعرف إيمانه فى عمله و إن الكافر يعرف كفرانه بإنكاره أيها الناس دينكم دينكم فإن السيئه فيه خير من الحسنه فى غيره إن السيئه فيه تغفر و إن الحسنه فى غيره لا تقبل

«وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» معناه و ما اختلف اليهود و النصارى فى صدق نبوه محمد ص لما كانوا يجدونه فى كتبهم بنعته و صفته و وقت خروجه «إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» بعد ما جاءهم للعلم ثم أخبر عن عله اختلافهم فقال «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» أى حسدا و تقديره و ما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم و العلم المذكور يجوز أن يراد به البينات التى هى طرق العلم فيدخل فيه المبطلون من أهل الكتاب علموا أو لم يعلموا و يحتمل أن يراد به نفس العلم فلا يدخل فيه إلا من علم بصفه محمد ص و كتبه عنادا و قيل المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود و الكتاب التوراه لما عهد موسى (عليه السلام) إليهم و أقام فيهم يوشع بن نون و مضى ثلاثه قرون و اختلفوا عن الربيع و قيل المراد ب «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» النصارى و الكتاب الإنجيل و اختلفوا فى أمر عيسى (عليه السلام) عن محمد بن جعفر بن الزبير و قيل خرج مخرج الجنس و معناه كتب الله المتقدمه و اختلفوا بعدها فى الدين عن الجبائى «وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بحججه و قيل بالتوراه و الإنجيل و ما فيهما من صفه محمد ص و قيل بالقرآن و ما دل عليه «فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أى لا يفوته شىء من أعمالهم و قيل معناه سريع الجزاء و حقيقه الحساب أن تأخذ ما لك و تعطى ما عليك.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٢٠

### اشاره

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

### القراءه

حذف عاصم و حمزه و الكسائى الياء من اتبعنى اجتزاء بالكسره و اتباعا للمصحف و أثبتها الباقون على الأصل.

### الحجه

حذف الياء فى أواخر الآى أحسن لأنها تشبه القوافى و يجوز فى وسط الآى أيضا و أحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله «وَمَنِ اتَّبَعَنِ» فإن لم يكن نون جاز أيضا نحو

قولك هذا غلام و ما أشبه ذلك و الأجد إثبات الباء و إن شئت أسكنت الباء و إن شئت فتحتها.

## الإعراب

«وَمَنْ أَتَّبَعِنِ» فى محل الرفع عطفًا على التاء فى قوله «أَسْلِمْتُ» و لم يؤكد الضمير فلم يقل أسلمت أنا و من اتبعن و لو قلت أسلمت و زيد لم يحسن إلا أن تقول أسلمت أنا و زيد و إنما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله عوضًا من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل.

## المعنى

لما قدم الله سبحانه ذكر الإيمان و الإسلام خاطب نبيه فقال «فَإِنْ حَاجُّوكَ» المعنى فإن حاجك و خاصك النصرارى و هم وفد نجران «فَقُلْ» يا محمد «أَسْلِمْتُ وَجَهِي لِلَّهِ» و فيه وجهان (أحدهما) أن معناه انقذت لأمر الله فى إخلاص التوحيد له و الحجة فيه أنه ألزمهم على ما أقروا من أن الله خالقهم اتباع أمره فى أن لا يعبدوا إلا إياه (و الثانى) أن معناه عرضت عن كل معبود دون الله و أخلصت قصدى بالعبادة إليه و ذكر الأصل الذى يلزم جميع المكلفين الإقرار به لأنه لا يتبعض فيما يحتاج إلى العمل عليه فى الدين الذى هو طريق النجاه من العذاب إلى النعيم و معنى وجهى هنا نفسى و أضاف الإسلام إلى الوجه لأن وجه الشىء أشرف ما فيه لأنه يجمع الحواس و عليه يظهر آية الحزن و السرور فمن أسلم وجهه فقد أسلم كله و منه قوله «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «وَمَنْ أَتَّبَعِنِ» أى و من اهتدى بى فى الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضا كما أسلمت «وَقُلْ» يا محمد «لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» يعنى اليهود و النصرارى «وَالْمُؤْمِنِينَ» أى الذين لا- كتاب لهم عن ابن عباس و غيره و هم مشركو العرب و قد مر تفسير الأُمى و اشتقاقه عند قوله «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ» أى أخلصتم كما أخلصت لفظه لفظ الاستفهام و هو بمعنى التوقيف و التهديد فىكون متضمنًا للأمر فىكون معناه أسلموا فإن الله تعالى أزاح العلل و أوضح السبل و نظيره فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ أى انتهوا و هذا كما يقول الإنسان لغيره و قد وعظه بمواعظ أقبلت و عطى يدعوه إلى قبول الوعظ «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا» إلى طريق الحق «وَإِنْ تَوَلَّوْا» أى كفروا و لم يقبلوا و أعرضوا عنه «فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ» معناه وإنما عليك أن تبلغ و تقيم الحجة و ليس عليك أن لا يتولوا «وَ اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ» معناه ها هنا أنه لا يفوته شىء من أعمالهم التى يجازيهم بها لأنه بصير بهم أى عالم بهم و بسرائرهم لا يخفى عليه خافية و قيل معناه عالم بما يكون منك فى التبليغ و منهم فى الإيمان و الكفر.

## سورة آل عمران (٣): الآيات ٢١ الى ٢٢

### إشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)  
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)

قرأ حمزه يقاتلون بالألف و قيل إنما قرأها اتباعا لمصحف عبد الله بن مسعود لأن فيه و قاتلوا الذين يأمرون و الباقون «يَقْتُلُونَ» و هى القراءه الظاهره.

## الإعراب

إنما دخلت الفاء فى قوله «فَبَشَّرَهُمْ» لشبهه الجزاء و إنما لم يجر ليت الذى يقوم فيكرمك و جاز أن الذى يقوم فيكرمك لأن الذى إنما دخلت الفاء فى خبرها لما فى الكلام من معنى الجزاء و ليت تبطل معنى الجزاء و ليس كذلك أن لأنها بمنزله الابتداء.

## المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الاحتجاج على أهل الكتاب و حسن الوعد لهم أن أسلموا و شدة الوعيد إن أبوا فصل فى هذه الآيه كفرهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» أى يجحدون حجج الله تعالى و بيناته «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ» قيل هم اليهود

فقد روى عن أبى عبيده بن الجراح قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة فقال رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر ثم قرأ «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ» ثم قال (عليه السلام) يا أبا عبيده قتلت بنو إسرائيل ثلاثه و أربعين نبياً من أول النهار فى ساعه واحده فقام مائه رجل و اثنا عشر رجلاً من عباد بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف و نهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم و هو الذى ذكره الله تعالى

«فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى أخبرهم بأن لهم العذاب الأليم و إنما قال «فَبَشَّرَهُمْ» على طريق الاتباع و الاستعاره و البشاره تكون فى الخير دون الشر لأن ذلك لهم مكان البشاره للمؤمنين و لأنها مأخوذه من البشره و بشره الوجه تتغير بالسرور فى الخير و بالغم فى الشر و يقال كيف قال «فَبَشَّرَهُمْ» و إنما قتل الأنبياء أسلافهم بالجواب لأنهم رضوا بأفعالهم و اقتدوا بهم فأجملوا معهم و قيل معناه بشر هؤلاء بالعذاب الأليم لأسلافهم و قوله

«بِغَيْرِ حَقٍّ» لا يدل على أن في قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق كقوله وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ وَ الْمَرَادُ بِذَلِكَ تَأْكِيدَ النَّفْيِ وَ الْمَبَالِغَةَ فِيهِ كَمَا يُقَالُ فَلَانَ لَا يَرْجَى خَيْرَهُ وَ الْغَرَضُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ عِنْدَهُ عَلَى وَجْهِ مِنَ الْوَجْهِ وَ كَمَا قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

متفلق أنساؤها عن قاني

كالقرط صاو غيره لا يرضع

أى ليس له بقيه لبن فيرضع و على هذا فقد وصف القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفه و هو وقوعه على خلاف الحق و كذلك الدعاء فى قوله تعالى «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» وصفه بأنه لا يكون إلا من غير برهان و قد استدل على بن عيسى بهذه الآيه على جواز إنكار المنكر مع خوف القتل و بالخبر الذى

رواه الحسن عن النبي ص أنه قال أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر يقتل عليه

و هذا فيه نظر لأن من شرط حسن إنكار المنكر أن لا يكون فيه مفسده و متى أدى إلى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا و الوجه فى الآيه و الأخبار التى جاءت فى معناها أن يغلب على الظن أن إنكار المنكر لا يؤدي إلى مفسده فيحسن ذلك بل يجب و إن تعقبه القتل لأنه ليس من شرطه أن يعلم ذلك بل يكفى فيه غلبه الظن «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ» «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» يريد بأعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراه و إقامه شريعه موسى (عليه السلام) و أراد ببطانها فى الدنيا أنها لم تحقن دماءهم و أموالهم و لم ينالوا بها الثناء و المدح و فى الآخره أنهم لم يستحقوا بها مثوبه فصارت كأنها لم تكن لأن حبوط العمل عبارته عن وقوعه على خلاف الوجه الذى يستحق عليه الثواب و الأجر و المدح و حسن الذكر و إنما تحبط الطاعه حتى تصير كأنها لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به «وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» يدفعون عنهم العذاب.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٣ الى ٢٤

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)

ص: ٢٣٧

النصيب الحظ من الشىء و هو القسم المجعول لمن أضيف إليه و الدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغه الأمر و بالخبر و بالدلالة و الحكم و الخبر الذى يفصل الحق من الباطل مأخوذ من الحكمة و هى المنع و الغرور الأطماع فيما لا يصح غره يغره غرورا فهو مغرور و الغرور الشيطان لأنه يغر الناس و الغار الغافل لأنه كالمغتر و الغراره الدنيا تغر أهلها و الغر الغمر الذى لم يجرب الأمور و مصدره الغراره لأنه من شأنه أن يقبل الغرور و الغرر الخطر أخذ منه و الغر آثار طى الثوب اطوه على غره أى على آثار طيه و الغرزق الطائر فرخه و الافتراء الكذب و فرى فلان كذبا يفريه فريه و الفرى الشق و فريه مفريه أى مشقوقه و قد تفرى خرزها أى تشقق و فريت الأرض سرتها و قطعتها.

### الإعراب

يدعون جملة فى موضع الحال من أوتوا «يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ» جملة معطوفة على يدعون «وَهُمْ مُعْرِضُونَ» فى موضع نصب أيضا على الحال من يتولى أياما نصب على الظرف لأن مس النار يكون فى تلك الأيام و معدودات صفه الأيام.

### المعنى

لما قدم تعالى ذكر الحجاج بين أنهم إذا عضتهم الحجة فروا إلى الضجة و أعرضوا عن المحجة فقال «أَلَمْ تَرَ» معناها ينته علمك «إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيْبًا» أى أعطوا نصيبا أى حظا «مِنَ الْكِتَابِ» يدعون إلى كتاب الله اختلف فيه فليل معناه التوراه عن ابن عباس دعا إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحجة لهم لما فيه من الدلالات على نبوه محمد ص و صدقه و إنما قال أعطوا نصيبا من الكتاب لأنهم كانوا يعلمون بعض ما فيه و قيل معناه القرآن عن الحسن و قتاده دعوا إلى القرآن لأن ما فيه موافق لما فى التوراه من أصول الديانه و أركان الشريعة و فى الصفه التى تقدمت البشاره بها «لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ» يحتمل ثلاثه أشياء (أحدها) أن معناه ليحكم بينهم فى نبوه محمد ص عن أبى مسلم و جماعه (و الثانى) أن معناه ليحكم بينهم فى أمر إبراهيم و أن دينه الإسلام (و الثالث) معناه ليحكم بينهم فى أمر الرجم

فقد روى عن ابن عباس أن رجلا و امرأه من أهل خير زنيا و كانا ذوى شرف فيهم و كان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما و رجوا أن يكون عند رسول الله



رخصه فى أمرهما فرفعوا أمرهما إلى رسول الله فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى و بحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله بينى و بينكم التوراه قالوا قد أنصفتنا قال فمن أعلمكم بالتوراه قالوا رجل أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فأرسلوا إليه فقدم المدينة و كان جبرائيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشىء من التوراه فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما أتى على آيه الرجم وضع كفه عليها و قرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها و قام إلى ابن صوريا و رفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله ص و على اليهود بأن المحصن و المحصنه إذا زنيا و قامت عليهما البيه رجما و إن كانت المرأه حبلى أنتظر بها حتى تضع ما فى بطنها فأمر رسول الله ص باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فأنزل الله تعالى هذه الآيه

«ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ مِنْهُمْ» أى طائفه منهم عن الداعى «وَهُمْ مُعْرِضُونَ» عن اتباع الحق «ذَلِكَ» معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف فالله تعالى بين العله فى إعراضهم عنه مع معرفتهم به و السبب الذى جرأهم على الجحد و الإنكار «بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ» أى لن تصيبنا النار «إِلَّا أَيَّاماً مَّعِيْدَاتٍ» و فيه قولان (أحدهما) أنها الأيام التى عبدوا فيها العجل و هى أربعون يوما عن الربيع و قتاده و الحسن إلا- أن الحسن قال سبعة أيام (و الثانى) أنهم أرادوا أياما منقطعه عن الجبائى «وَعَزَّوْهُمْ فِي دِينِهِمْ» أى أطعمهم فى غير مطمع «ما كانوا يفترون» أى افتراءهم و كذبهم و اختلفوا فى الافتراء الذى غرهم على قولين (أحدهما) قولهم نَحْنُ أُنْبَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ عَنْ قَتَادَةَ (و الآخر) قولهم «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعِيْدَاتٍ» عن مجاهد و هذا لا يدل على خلاف ما نذهب إليه من جواز العفو و إخراج المعاقبين من أهل الصلاه من النار لأننا نقول أن عقاب من ثبت دوام ثوابه بإيمانه لا يكون إلا منقطعا و إن لم يحط علما بقدر عقابه و لا نقول أيام عقابه بعدد أيام عصيانه كما قالوا و بين القولين بون ظاهر.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٢٥

### اشاره

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)

### اللغه

كيف موضوعه للسؤال عن الحال و معناه هاهنا التنبيه بصيغه السؤال على حال من يساق إلى النار و فيه بلاغه و اختصار شديد لأن تقديره أى حال يكون حال من اغتر

بالدعاوى الباطله حتى أده ذلك إلى الخلود فى النار و نظيره قول القائل (أنا أكرمك و إن لم تجىء فكيف إذا جئتنى) معناه فكيف إكرامى لك إذا جئتنى يريد عظم الإكرام و التقدير فكيف حالهم إذا جمعناهم أى فى وقت جمعهم لأنه خبر مبتدأ محذوف.

## المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم فقال «فكيف» حالهم «إذا جمعناهم» أى وقت جمعهم و حشرهم «ليوم» أى لجزاء يوم «لا ريب فيه» لا شك فيه لمن نظر فى الأدله إذ ليس فيه موضع ريبه و شك و لو قال جمعناهم فى يوم لم يدل على الجزاء و اللام يدل على ذلك كما يقال جئته ليوم الخميس أى لما يكون فى يوم الخميس و لا يعطى جئته فى يوم الخميس هذا المعنى «ووفيت كل نفس ما كسبت» فيه قولان (أحدهما) أن معناه و وفرت على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب أو عقاب (و الثانى) أعطيت ما كسبت أى اجتلبت بعملها من الثواب و العقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجاره و الزراعه «وهم لا يظلمون» أى لا ينقصون عما استحقوه من الثواب و لا يزدون على ما استحقوه من العقاب.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧

### اشاره

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدْلِمُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَوَزُّقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)

### فضل الآيه

روى جعفر بن محمد (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه عن النبي ص أنه قال لما أراد الله أن ينزل فاتحه الكتاب و آيه الكرسي و شهيد الله و «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ» إلى قوله «بِغَيْرِ حِسَابٍ» تعلقن بالعرش و ليس بينهن و بين الله حجاب و قلن يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب و إلى من يعصيك و نحن معلقات بالطهور و بالعرش فقال و عزتى و جلالى ما من عبد قرأكن فى دبر كل صلاه مكتوبه إلا أسكنته حظيره القدس على ما كان فيه و إلا نظرت إليه بعينى المكنونه فى كل يوم سبعين نظره و إلا قضيت له فى كل يوم سبعين حاجه أدناها

المغفرة و إلا أعدته من كل عدو و نصرته عليه و لا يمنعه دخول الجنة إلا أن يموت

و قال معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله يوما لم أصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك عن صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودى على أوقيه من تبر و كان على أبى يرصدنى فأشفقت أن يحبسنى دونك قال أ تحب يا معاذ أن يقضى الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال «قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ» إلى قوله «بِغَيْرِ حِسَابٍ» يا رحمان الدنيا و رحيمها تعطى منهما ما تشاء و تمنع منهما ما تشاء اقض عنى دينى فإن كان عليك ملء الأرض ذهابا لأداه الله عنك.

## القراءة

قرأ نافع و حمزه و الكسائى و حفص و يعقوب «الْمَيْتِ» بالتشديد و الباقون بالتخفيف.

## الحج

قال المبرد لا خلاف بين علماء البصرة أنهما سواء و أنشد لابن رعاء الغساني:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا

كاسفا باله قليل الرجاء

فجمع بين اللغتين و ما مات و ما لم يميت فى هذا الباب يستويان فى الاستعمال و قال بعضهم الميت بالتشديد الذى لم يميت بعد و بالتخفيف الذى قد مات و الصحيح الأول ألا ترى أنه قل ما جاء:

و منهل فيه الغراب ميت

سقيت منه القوم و استقيت

فهذا قد مات.

## اللغة

النزع قلع الشىء عن الشىء يقال نزع فلان إلى أخواله أى نزع إليهم بالشبه فصار واحدا منهم بشبهه لهم و النزاع الحنين إلى الشىء و النزوع عن الشىء الترك له الإيلاج الإدخال يقال أولجه فولج ولوجا و ولجا ولجه و الوليجه بطانه الرجل لأنه يطلعه على دخله أمره و التولج كناس الظبى لأنه يدخله و الولج و الولجه شىء يكون بين يدي فناء القوم.

## الإعراب

اللهم بمعنى يا الله و الميم المشدده عند سيبويه و الخليل عوض عن يا لأن يا لا يوجد مع الميم فى كلامهم فعلم أن الميم فى  
آخر الكلمه بمنزله يا فى أولها

ص: ٢٤١

و الضمه التى فى أولها ضمه الاسم المنادى المفرد و الميم مفتوحه لسكونها و سكون الميم التى قبلها و قال الفراء أصله يا الله أم بخير فألقت الهمزه و طرحت حركتها على ما قبلها و مثله هلم إنما أصله هل أم و اعترض على قول الخليل بأن الميم إنما تزد مخففة فى مثل فم و ابنم و بأنها اجتمعت مع يا فى قول الشاعر:

و ما عليك أن تقولى كلما

سبحت أو صليت يا اللهم

اردد علينا شيخنا مسلما

و قال على بن عيسى هذا ليس بشىء لأن الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن و ضربتن لما كانت النون عوضا من حرفين فى قمتن أو ضربتموا فأما قمن و ذهبن فالنون هناك عوض عن حرف واحد و أما البيت فإنما جاز ذلك فيه لضروره الشعر و أما هلم فإن الأصل فيه أن حرف التنبيه و هى ها دخلت على لم عند الخليل و قوله «مَالِكُ الْمُلْكِ» أكثر النحويين على أنه منصوب بأنه منادى مضاف قال الزجاج و يحتمل أن يكون صفه من اللهم لأن اللهم بمنزله يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذا الجمه «تُوتَى الْمُلْكَ» فعل و فاعل و مفعول فى موضع النصب على الحال و العامل فيه حرف النداء و ذو الحال اللهم أو مالك و «مَنْ تَشَاءُ» مفعول ثان و التقدير توتى الملك من تشاء أن توتيه و تنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه و كذا الباء فى «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» مبتدأ و خبر فى موضع الحال أيضا و العامل فيه توتى و تنزع و تعز و تذو و ذو الحال الضمير المستكن فيها.

## النزول

قيل لما فتح رسول الله ص مكة و وعد أمته ملك فارس و الروم قال المنافقون و اليهود هيهات من أين لمحمد ص ملك فارس و الروم ألم يكفه المدينة و مكة حتى طمع فى الروم و فارس و نزلت هذه الآية عن ابن عباس و أنس بن مالك و قيل أن النبى ص خط الخندق عام الأحزاب و قطع لكل عشره أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون و الأنصار فى سلمان الفارسى و كان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا و قال الأنصار سلمان منا

فقال النبى ص سلمان منا أهل البيت

قال عمرو بن عوف كنت أنا و سلمان و حذيفه و نعمان بن مقرن المزنى و سته من الأنصار فى أربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذى ناب أخرج الله من بطن الخندق صخره مروه كسرت حديدنا و شقت علينا فقلنا يا سلمان أرق إلى رسول الله ص و أخبره خبر هذه الصخره فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب و أما أن يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نجب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله و هو ضارب عليه قبه تركيه فقال يا رسول الله خرجت صخره بيضاء مروه من بطن الخندق

فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يحتك فيها قليل و لا كثير فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نحب أن نجاوز خطك قال فهبط رسول الله ص مع سلمان الخندق و التسعه على شفه الخندق فأخذ رسول الله ص المعول من يد سلمان فضربها به ضربه صدعها و برق منها برق أضواء ما بين لابتيها حتى كان لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره فتح و كبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانيه فكسرها و برق منها برق أضواء ما بين لابتيها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره فتح و كبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثه فكسرها فبرق منها برق أضواء بها ما بين لابتيها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره فتح و كبر المسلمون و أخذ بيد سلمان و رقى فقال سلمان بأبي أنت و أمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله ص إلى القوم و قال رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضواءت لي منها قصور الحيره و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهره عليها ثم ضربت ضربتي الثانيه فبرق الذي رأيتم أضواءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب و أخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهره عليها ثم ضربت ضربتي الثالثه فبرق الذي رأيتم أضواءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب و أخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهره عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون و قالوا الحمد لله موعدهم صدق وعدنا النصر بعد الحصر

فقال المنافقون ألا تعجبون يمينكم و بعدكم الباطل و يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيره و مدائن كسرى و أنها تفتح لكم و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق و لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن و إِذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا و أنزل الله في هذه القصة «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ» الآية رواه الثعلبي بإسناده عن عمرو بن عوف.

## المعنى

لما ذكر سبحانه مكائد أهل الكتاب علم رسوله محاجتهم و كيف يجيهم إذا سألوا و أجابوا فقال «قُلِ» يا محمد «اللَّهُمَّ» يا الله «مَالِكُ الْمُلْكِ» مالك كل ملك و ملك فكل مالك دونك هالك و كل ملك دونك يهلك و قيل مالك العباد و ما ملكوا عن الزجاج و قيل مالك أمر الدنيا و الآخرة و قيل مالك النبوه عن مجاهد و سعيد بن جبیر «تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ» تعطي الملك من تشاء و فيه محذوف أى من تشاء أن تؤتیه «وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ» أن تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت و دع ما شئت و معناه و تقطع الملك عن تشاء أن تقطعه عنه على ما توجه الحكمة و تقتضيه المصلحه و اختلف في معناه فقيل

تؤتى الملك و أسباب الدنيا محمدا و أصحابه و أمته و تنزعه عن صنديد قريش و من الروم و فارس فلا- تقوم الساعه حتى يفتحها أهل الإسلام عن الكلبي و قيل تؤتى النبوه و الإمامه من تشاء من عبادك و توليه التصرف فى خلقك و بلادك و تنزع الملك على هذا الوجه من الجبارين بقهرهم و إزاله أيديهم فإن الكافر و الفاسق و إن غلب أو ملك فليس ذلك بملك يؤتیه الله لقوله تعالى «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» و كيف يكون ذلك من إيتاء الله و قد أمر بقصر يده عنه و إزاله ملكه «و تُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ» بالإيمان و الطاعه «و تَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ» بالكفر و المعاصى و قيل تعز المؤمن بتعظيمه و الثناء عليه و تذلل الكافر بالجزيه و السبى و قيل تعز محمدا و أصحابه و تذلل أبا جهل و إضرابه من المقتولين يوم بدر فى القلب و قيل تعز من تشاء من أوليائك بأنواع العزه فى الدنيا و الدين و تذلل من تشاء من أعدائك فى الدنيا و الآخره لأن الله تعالى لا يذل أوليائه و إن أفقرهم و ابتلاهم فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال بل ليكرمهم بذلك فى الآخره يعزهم و يجعلهم غايه الإعزاز و الإجلال «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» اللام للجنس أى الخير كله فى الدنيا و الآخره من قبلك و إنما قال «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» و إن كان بيده كل شىء من الخير و الشر لأن الآيه تضمنت إيجاب الرغبه إليه فلا يحسن فى هذه الحاله إلا ذكر الخير لأن الترغيب لا يكون إلا فى الخير و هذا كما يقال أمر فلان بيد فلان «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى قادر على جميع الأشياء لا يعجزك شىء تقدر على إيجاد المعدوم و إفناء الموجود و إعادته ما كان موجودا «تُورِثُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَ تُورِثُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زياده فى النهار و ينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زياده فى الليل على قدر طول النهار و قصره عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و عامه المفسرين (و الآخر) معناه يدخل أحدهما فى الآخره يأتيناه بدلا منه فى مكانه عن أبى على الجبائى «و تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» أى من النطفه و هى ميته بدليل قوله «و كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ» «و تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» أى النطفه من الحى و كذلك الدجاجه من البيضه و البيضه من الدجاجه عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و قتاده و السدى و قيل

أن معناه تخرج المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن عن الحسن و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

«و تَزُوقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» معناه بغير تقدير كما يقال فلان ينفق بغير حساب لأن من عادته المقتر أن لا ينفق إلا بحساب ذكره الزجاج و قيل معناه بغير مخافه نقصان لما عنده فإنه لا نهايه لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها و لا هو على حساب جزء من كذا كما يعطى الواحد منا العشره من المائه و المائه من الألف و قيل أن المراد بمن يشاء أن يرزقه،

أهل الجنة لأنه يرزقهم رزقا لا يتناوله الحساب و لا العد و لا الإحصاء من حيث أنه لا نهايه له و يطابقه قوله فَأَوْلِيكَ يَدْخُلُونَ  
الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٢٨

### اشاره

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ وَيُحَذِّرُكُمْ  
اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)

### القراءه

قرأ يعقوب و سهل تقيه و هو قراءه الحسن و مجاهد و الباقون «تُقَاهُ» و أمال الكسائي تقاه و قرأ نافع و حمزه بين التفخيم و الإماله  
و الباقون بالتفخيم.

### الحجه

الأجود فى تقاه التفخيم من أجل الحرف المستعلى و هو القاف و إنما جازت الإماله لتؤذن أن الألف منقلبه من الياء و تقاه وزنها  
فعله نحو تؤده و تخمه فهما جميعا مصدرا اتقى تقيه و تقاه و اتقاء و تقوى و أصله وقاء إلا أن الواو المضمومه أبدلت تاء استثقلا  
لها فإنهم يفرون من ضمها الواو إلى الهمزه و إلى التاء فأما التاء فلقربها من الواو مع أنها من حروف الزيادات و أما الهمزه فلأنها  
نظيرتها فى الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولا- و التقيه الإظهار باللسان خلاف ما ينطوى عليه القلب  
للخوف على النفس.

### الإعراب

معنى من ابتداء الغايه من قوله «مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» على تقدير لا- تجعلوا ابتداء الولايه مكانا دون المؤمنين لأن مكان المؤمن  
الأعلى و مكان الكافر الأدنى كما تقول زيد دونك و لست تريد أن زيدا فى موضع مستقل أو أنه فى موضع مرتفع لكن جعلت  
الشرف بمنزله الارتفاع و الخسه كالاستفال و قوله «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» من فى «مِنَ اللَّهِ» يتعلق بمحذوف و هو حال و  
العامل فيه ما يتعلق به فى و تقديره فليس فى شىء من الله فمن الله فى موضع الصفه لشىء فلما تقدمه انتصب على الحال و قوله  
«أَنْ تَتَّقُوا» فى محل الجر بياء محذوف أو فى محل نصب بحذف الباء على ما مر أمثاله.

### المعنى

لما بين سبحانه أنه مالك الدنيا و الآخره و القادر على الإعزاز و الإذلال نهى المؤمنين عن موالاته من لا إعزاز عندهم و لا إذلال  
من أعدائه ليكون الرغبه فيما عنده



و عند أوليائه المؤمنين دون أعدائه الكافرين فقال «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ» أى لا ينبغي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء لنفوسهم و أن يستعينوا بهم و يلتجئوا إليهم و يظهروا المحبة لهم كما قال فى عده مواضع من القرآن نحو قوله «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» الآية و قوله «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ وَ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ» و قوله «مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» معناه يجب أن يكون الموالاته مع المؤمنين و هذا نهى عن موالاته الكفار و معاونتهم على المؤمنين و قيل نهى عن ملاطفه الكفار عن ابن عباس و الأولياء جمع الولي و هو الذى يلى أمر من ارتضى فعله بالمعونه و النصره و يجرى على وجهين (أحدهما) المعين بالنصره (و الآخر) المعان فقوله تعالى «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه معينهم بنصرته و يقال المؤمن ولي الله أى معان بنصرته و قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» معناه من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» أى ليس هو من أولياء الله و الله برىء منه و قيل ليس هو من ولايه الله تعالى فى شىء و قيل ليس من دين الله فى شىء ثم استثنى فقال «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً» و المعنى إلا- أن يكون الكفار غالبين و المؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم و لم يحسن العشره معهم فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه و مداراتهم تقيه منه و دفعا عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك و فى هذه الآية دلالة على أن التقيه جائزه فى الدين عند الخوف على النفس و قال أصحابنا إنها جائزه فى الأحوال كلها عند الضروره و ربما وجبت فيها لضرب من اللطف و الاستصلاح و ليس تجوز من الأفعال فى قتل المؤمن و لأن يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد فى الدين قال المفيد أنها قد تجب أحيانا و تكون فرضا و يجوز أحيانا من غير وجوب و تكون فى وقت أفضل من تركها و قد يكون تركها أفضل و إن كان فاعلها معذورا و معفوا عنه متفضلا عليه بترك اللوم عليها و قال الشيخ أبو جعفر الطوسى (قده) ظاهر الروايات تدل على أنها واجبه عند الخوف على النفس و قد روى رخصه فى جواز الإفصاح بالحق عنده

و روى الحسن أن مسيلمه الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ص فقال لأحدهما أ تشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أ فتشهد أنى رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال أ تشهد أن محمدا رسول الله قال نعم ثم قال أ فتشهد أنى رسول الله فقال إنى أصم قالها ثلاثا كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال أما ذلك المقتول فمضى على صدقه و يقينه و أخذ بفضله فهيننا له و أما الآخر فقبل رخصه الله فلا تبعه عليه

فعلى هذا تكون التقيه رخصه و الإفصاح بالحق فضيله و قوله «وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» يعنى إياه فوضع نفسه مكان إياه و معناه و يحذركم

الله عقابه على اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين و على سائر المعاصى و ذكر "نَفْسَهُ" لتحقيق الإضافة كما يقال احذر الأسد أى صولته و افتراسه دون عينه «وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» معناه و إلى جزاء الله المرجع و قيل إلى حكمه.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٢٩

### اشاره

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)

### اللغه

الصدر معروف و هو أعلى مقدم كل شىء و الصدر الانصراف عن الماء بعد الرى و التصدير حسام الرجل لميله إلى الصدر و الصدار شبيهه بالبقيهه تلبسها المرأه لأنه قصير يغطى الصدر و ما حاذاه.

### الإعراب

«يُعَلِّمُهُ اللَّهُ» جزم لأنه جواب الشرط و إن كان الله يعلمه كان أو لم يكن و معناه يعلمه كائنا و لا يصح وصفه بذلك قبل أن يكون و رفع «وَ يُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» على الاستئناف.

### المعنى

لما تقدم النهى عن اتخاذ الكفار أولياء خوفها من الإبطان بخلاف الإظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه «قُلْ» يا محمد «إِنْ تُخْفُوا» أى إن تستروا «مَا فِي صُدُورِكُمْ» يعنى ما فى قلوبكم و إنما ذكر الصدر لأنه محل القلب «أَوْ تُبْدُوهُ» أى تظهروه «يُعَلِّمُهُ اللَّهُ» فلا ينفعمكم إخفاؤه و هو مع ذلك «يُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» و إنما قال ذلك ليذكر بمعلوماته على التفصيل فيتم التحذير إذ كان من يعلم ما فى السماوات و ما فى الأرض على التفصيل يعلم الضمير «وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على أخذكم و مجازاتكم.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٣٠

### اشاره

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)

الأمد الغايه التى ينتهى إليها قال النابغه:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الأمد

. الإعراب

فى انتصاب يوم وجوه (أحدها) أنه منصوب بيحذر كم أى يحذر كم الله نفسه يوم تجد (و الثانى) بالمصير تقديره إلى الله المصير يوم تجد (و الثالث) اذكر يوم تجد و قوله «ما عَمِلْتُ» ما هاهنا بمعنى الذى لأنه عمل فيه تجد فهى فى موضع نصب و يحتمل أن يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر و تقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد إذا جعلته من الوجدان فإن جعلته من العلم فهو مفعول ثان و قوله «و ما عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ» يصلح فيها معنى الذى و يقويه قوله «تَوَدُّ» بالرفع و لو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا أو مكسورا و الرفع جائز على ضعف و أقول أن جواب لو هنا محذوف و تقدير الكلام تود أن بينها و بينه أمدًا بعيدا لو ثبت ذلك لأن لو يقتضى الفعل و لا يدخل على الاسم و أن مع اسمه و خبره بمنزله مصدر فيكون تقديره لو ثبت أن بينها و بينه أمدًا بعيدا فيكون فى ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف و فى لفظ تود دلالة على جواب لو هذا مما سنح لى الآن و هو واضح بحمد الله تعالى و منه.

### المعنى

لما حذر العقاب فى الآيه المتقدمه بين وقت العقاب فقال «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ» فى الدنيا «مِنْ» طاعه و «خَيْرٍ مُّحْضَرًا» و نظيره قوله «و وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا» و «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ» ثم اختلف فى كيفية وجود العمل محضرا فقول تجد صحائف الحسنات و السيئات عن أبى مسلم و غيره و هو اختيار القاضى و قيل ترى جزاء عملها من الثواب و العقاب فأما أعمالهم فهى أعراض قد بطلت و لا يجوز عليها الإعادة فيستحيل أن ترى محضره «و ما عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ» معناه تجد كل نفس الذى عملته من معصيه محضرا «تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ» أى بين معصيتها «أَمَدًا بَعِيدًا» أى غايه بعيده أى تود أنها لم تكن فعلتها و قيل معناه مكانا بعيدا عن السدى و قيل ما بين المشرق و المغرب عن مقاتل «و يُحِذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» قد مر ذكره «و اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ» أى رحيم بهم قال الحسن و من تمام رأفته بهم أن حظرهم عقابه على معاصيه.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٣٢

### اشاره

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)

المحبه هي الإرادة إلا- أنها تضاف إلى المراد تاره و إلى متعلق المراد أخرى تقول أحب زيادا و أحب إكرام زياد و لا تقول في الإرادة ذلك لأنك تقول أريد إكرام زياد و لا تقول أريد زيادا و إنما كان كذلك لقوه تصرف المحبه في موضع ميل الطباع الذى يجرى مجرى الشهوه فعملت تلك المعامله فى الإضافه و محبه الله تعالى للعبد هي إرادته ثوابه و محبه العبد لله هي إرادته لطاعته و قالوا أحببت فلانا فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا بأحبت عن حبيت و قال عنتره:

و لقد نزلت فلا تظنى غيره

منى بمنزله المحب المكرم

فجاء به على الأصل و حكى الزجاج عن الكسائي حبيت من الثلاثى و قوله «وَيَغْفِرُ لَكُمْ» لا- يجوز فى القياس إدغام الراء فى اللام كما جاز إدغام اللام فى الراء فى هل رأيت لأن الراء مكرره و لا يدغم الزائد فى الناقص للإخلال به و الطاعه اتباع الداعى فيما دعاه إليه بأمره أو إرادته و لذلك قد يكون الإنسان مطيعا للشيطان فيما يدعوه إليه و إن لم يقصد أن يطيعه لأنه إذا مال مع ما يجده فى نفسه من الدعاء إلى المعصيه فقد أطاع الداعى إليها.

## النزول

قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الآيات فى وفد نجران من النصارى لما قالوا إنا نعظم المسيح حبا لله.

## المعنى

ثم بين سبحانه أن الإيمان به لا يجدى إلا إذا قارنه الإيمان برسوله ص فقال «قُلْ» يا محمد «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ» كما ترعمون «فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبِكُمُ اللَّهُ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» و قيل معناه إن كنتم تحبون دين الله فاتبعوا دينى يزدد لكم حبا عن ابن عباس و قيل إن كنتم صادقين فى دعوه محبه الله تعالى فاتبعوني فإنكم إن فعلتم ذلك أحبكم الله و يغفر لكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى كثير المغفره و الرحمه «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ» أى قل يا محمد إن كنتم تحبون الله كما تدعون فأظهروا دلاله صدقكم بطاعه الله و طاعه رسوله فذلك أماره صدق الدعوه «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى فإن أعرضوا عن طاعه الله و طاعه رسوله «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» معناه أنه يبغضهم و لا يريد ثوابهم فدل بالنفى

على الإثبات و ذلك أبلغ لأنه لو قال يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضهم من وجه و يحبهم من وجه آخر كما يجوز أن يعلم الشىء من وجه و يجهل من وجه و فى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبره لأنه إذا لم يحب الكافرين من أجل كفرهم و لم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد إذا كفرهم لأنه لو أراد لم يكن نفى محبته لهم لكفرهم.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٣ الى ٣٤

#### إشارة

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)

#### اللغة

الاصطفاء الاختيار و الاجتباء نظائر و هو افتعل من الصفوه و هذا من أحسن البيان الذى يمثل به المعلوم بالمرئى و ذلك أن الصافى هو النقى من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافى من شائب الأدناس و قد بينا معنى الآل فيما مضى عند قوله «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ» الآية و معنى الذرية و أصله عند قوله «مِنْ ذُرِّيَّتِي»\*.

#### الإعراب

يحتمل نصب ذرية على وجهين (أحدهما) أن يكون حالا- و العامل فيها اصطفي (و الثانى) أن يكون على البديل من مفعول اصطفي.

#### المعنى

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ» أى اختار و اجتبى «آدَمَ وَنُوحًا» لنبوته «وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» أى على عالمى زمانهم بأن جعل الأنبياء منهم و قيل اختار دينهم كقوله «وَ سَيِّئِلِ الْقُرَيْبَةِ» عن الفراء و قيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوه و غيرها من الأمور الجليله التى رتبها الله لهم فى ذلك من مصالح الخلق و قيل اختار آدم بأن خلقه من غير واسطه و أسكنه جنته و أسجد له ملائكته و أرسله إلى الملائكه و الإنس و اختار نوحا بالنبوه و طول العمر و إجابته دعائه و غرق قومه و نجاته فى السفينه و اختار إبراهيم بالخله و تبريد النار و إهلاك نمرود و قوله «وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ» قيل أراد به نفس إبراهيم و نفس عمران كقوله «وَ بَقِيَّتَهُ مِمَّا تَرَكَّ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ» يعنى موسى و هارون و قيل آل إبراهيم أولاده إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و فيهم داود و سليمان

و يونس و زكريا و يحيى و عيسى و فيهم نبينا لأنه من ولد إسماعيل و قيل آل إبراهيم هم المؤمنون المتمسكون بدينه و هو دين الإسلام عن ابن عباس و الحسن و أما آل عمران فليل هم من آل إبراهيم أيضا كما قال «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» فهم موسى و هارون ابنا عمران و هو عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب و قيل يعنى بآل عمران مريم و عيسى و هو عمران بن الهشم بن أمون من ولد سليمان بن داود و هو أبو مريم لأن آل الرجل أهل البيت الذى ينتسب إليه عن الحسن و وهب و فى قراءه أهل البيت و آل محمد (عليه السلام) على العالمين و قالوا أيضا أن آل إبراهيم هم آل محمد ص الذين هم أهله و يجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار و لا يصطفى إلا من كان كذلك و يكون ظاهره مثل باطنه فى الطهاره و العصمه فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل إبراهيم و آل عمران سواء كان نبيا أو إماما و يقال الاصطفاء على وجهين (أحدهما) أنه اصطفاه لنفسه أى جعله خالصا له يختص به (و الثانى) أنه اصطفاه على غيره أى اختصه بالتفضيل على غيره و على هذا الوجه معنى الآية فإن قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب أنه إذا كان المعلوم أن صلاح المكلفين لا يتم إلا بهم فلا بد من تقديم البشاره بهم و الإخبار بما يكون من حسن شمائلهم و أفعالهم و التشويق إليهم كما يكون من جلاله أقدارهم و زكاء خلالهم ليكون ذلك داعيا للناس إلى القبول منهم و الانقياد لهم و فى هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاه و السلام لأن العالمين يعم الملائكة و غيرهم من المخلوقين و قد فضلهم سبحانه و اختارهم على الكل و قوله «ذُرِّيَّةٌ» أى أولادا و أعقابا بعضها من بعض قيل معناه فى التناسل فى الدين و هو الإسلام أى دين بعضها من دين بعض كما قال المُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أى فى التناسل و التعاضد على الضلال و هو قول الحسن و قتاده و قيل

بعضها من بعض فى التناسل و التوالد فإنهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية إبراهيم و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض و اختاره أبو على الجبائى «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه سميع لما تقوله الذرية عليم بما يضمرونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما فى معلومه من استقامتهم فى أقوالهم و أفعالهم (و الثانى) أن معناه سميع لما تقوله امرأه عمران من النذر عليم بما تضرره و نبه بذلك على استحسان ذلك منها.

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما وقعت المنازعه فى إبراهيم و عيسى و اختلف أقوال النصارى و اليهود فيهما بين تعالى أن من أطاع الرسول قال فيهما ما يقوله هو

وقيل أنه لما أمر بطاعه نبيه ص و أبي ذلك المشركون بين تعالى أنه كما اصطفاه لرسالته اصطفى من قبله من الأنبياء فلا وجه لإنكارهم رسالته.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٥ الى ٣٦

#### إشاره

إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْمُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)

#### القرءاء

قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم و يعقوب

بما وضعت بضم التاء و روى عن على (عليه السلام)

و قرأ الباقون «وَضَعْتُ» على الحكايه.

#### الحججه

من قرأ بضم التاء جعله من كلام أم مريم و من قرأ بإسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى و يقوى قول من أسكن التاء قوله «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ» و لو كان من قول أم مريم لقات (و أنت أعلم بما وضعت) لأنها تخاطب الله تعالى.

#### اللغه

معنى المحرر فى اللغه يحتمل أمرين (أحدهما) المعتق من الحريه يقال حررته أى جعلته حرا (و الآخر) من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريرا أى أخلصته من الفساد و أصلحته و التقبل أخذ الشىء على الرضا به كتقبل الهديه و أصل التقبل المقابله و أصل الوضع الحط وضعت المرأه الولد بمعنى ولدت و الموضع مكان الوضع و الضعه الخساسه لأنها تضع من قدر صاحبها و الإيضاع فى السير الرفق فيه لأنه حط عن شدة الإسراع و الشيطان الرجيم مر تفسيرهما فى أول الكتاب.

#### الإعراب

فى موضع «إِذْ قَالَتْ» أقوال (أحدها) أنه نصب باذكر عن الأخفش و المبرد (و الثانى) أنه متعلق باصطفى آل عمران عن الزجاج (و الثالث) أنه متعلق بسميع عليم فيعمل فيه معنى الصفتين تقديره و الله مدرك لقولها و نيتها إذ قالت عن على بن عيسى (و الرابع) أن إذ زائده فلا موضع لها من الإعراب عن أبى عبيده و هذا خطأ عند البصريين

و محررا نصب على الحال من ما و تقديره نذرت لك الذى فى بطنى محررا و العامل فيه نذرت و قوله «أنتى» نصب على الحال.

## المعنى

لما ذكر سبحانه اصطفى آل عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ» و قد مضى القول فيه و اسمها حنه جده عيسى و كانتا أختين إحداهما عند عمران بن الهشم من ولد سليمان بن داود و قيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس و مقاتل و ليس بعمران أبى موسى و بينهما ألف و ثمانمائة سنه و كان بنو ماثان رءوس بنى إسرائيل و الأخرى كانت عند زكريا و اسمها أشياح و اسم أبيها قاقود بن قبيل فيحى و مريم ابنا خاله «رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي» أى أوجبت لك بأن أجعل ما فى بطنى «مُحَرَّرًا» أى خادما للبيعه يخدم فى متعبداتنا عن مجاهد و قيل محررا للعباده مخلصا لها عن الشعبي و قيل عتيقا خالصا لطاعتك لا- أستعمله فى منافعى و لا- أصرفه فى الحوائج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا و كان المحرر إذا حرر جعل فى الكنيسة يقوم عليها و يكنسها و يخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخير فإن أحب أن يقيم فيه أقام و إن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء قالوا و كانت حنه قد أمسك عنها الولد فدعت حتى آيست فينا هى تحت شجره إذ رأت طائرا يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولدا فحملت بمريم

و روى عن أبى عبد الله قال أوحى الله تعالى إلى عمران إنى واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الأ-كمه و الأبرص و يحيى الموتى بإذن الله و جاعله رسولا إلى بنى إسرائيل فحدث امرأته حنه بذلك و هى أم مريم فلما حملت بها قالت «رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا»

«فَتَقَبَّلَ مِنِّي» أى نذرى قبول رضا «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ» لما أقوله «الْعَلِيمُ» بما أنوى فلهذا صحت الثقة لى «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا» قيل أن عمران هلكت و هى حامل فوضعت بعد ذلك يعنى ولدت مريم و كانت ترجو أن يكون غلاما فلما وضعتها خجلت و استحييت و «قَالَتْ» منكسه رأسها «رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى» و قيل فيه قولان (أحدهما) إن المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنها أنثى (و الآخر) إن المراد تقديم الذكر فى السؤال لها بأنها أنثى لأن سعيها أضعف و عقلها أنقص فقدم ذكرها ليصح القصد لها فى السؤال بقولها «وَ إِنِّي أُعِيدُهَا بِنَحْوِ» «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ» إخبار منه تعالى بأنه أعلم بوضعها لأنه هو الذى خلقها و صورها و على القراءه الأخرى و أنت يا رب أعلم منى بما وضعت «وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى» لأنها لا تصلح لما يصلح الذكر له و إنما كان يجوز لهم التحرير فى الذكور دون الإناث لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمه بيت المقدس لما يلحقها من الحيض و النفاس و الصيانه عن التبرج للناس و قال قتاده لم



يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العاده و قيل أرادت أن الذكر أفضل من الأنثى على العموم و أصلح للأشياء و الهاء في قوله «وَصَّعَتْهَا» كناية عن ما في قوله «ما في بطنى» و جاز ذلك لوقوع ما على مؤنث و يحتمل أن يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام «وَإِنِّي سَيِّمْتُهَا» أى جعلت اسمها «مَرْيَمَ» و هى بلغتهم العابده و الخادمه فيما قيل و كانت مريم أفضل النساء فى وقتها و أجلهن

و روى الثعلبى بإسناده عن أبى هريره أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران و آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون و خديجه بنت خويلد و فاطمه بنت محمد

«وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك و قيل إنما استعادتھا من طعنه الشيطان فى جنبها التى لها يستهل الصبى صارخا فوقها الله تعالى و ولدها عيسى منه بحجاب

فقد روى أبو هريره أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال ما من مولود إلا- و الشيطان يمسه حين يولد فيستدل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم و ابنها و قيل إنها استعادت من إغواء الشيطان الرجيم إياها

عن الحسن.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٣٧

### اشاره

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّئُهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)

### القراءه

قرأ أهل الكوفه «كفَّلَهَا» بالثشديد و الباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفه إلا أبو بكر «زَكَرِيَّا» مقصورا و الباقون بالمد و نصب زكرياء مع المد أبو بكر وحده و الباقون بالرفع.

### الحجه

قال أبو على حجه من خفف كفَّلَهَا قوله تعالى أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ و «زَكَرِيَّا» مرتفع لأن الكفاله مسنده إليه و من شدد «كفَّلَهَا» ففاعله الضمير العائد إلى ربها من قوله «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا» و صار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين و المد و القصر فى زكريا لغتان.

### اللغه

إنما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لأن فيه معنى قبلها كما يقال

تكرم كرما لأن فيه معنى كرم و مثله «وَ أُنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا» لأن فيه معنى فنبت و قال أبو عمرو و لا نظير لقبول فى المصادر بفتح فاء الفعل و الباب كله مضموم الفاء كالدخول و الخروج و قال سيويه جاءت خمس مصادر على فعول بالفتح قبول و وضوء و طهور و ولوغ و وقود إلا أن الأكثر فى وقود الضم إذا أريد المصدر و أجاز الزجاج فى قبول الضم و القبيل الكفيل و هو الضامن يقال كفلته أكفله كفلا و كفولا و كفالاً فأنا كافل إذا تكفلت مؤنثه و منه

الحديث و أنت خير المكفولين

أى أحق من كفل فى صغره و أروض حتى نشأ و المكفول عنه فى الفقه هو الذى عليه الدين و المكفول له هو الذى له الدين و المكفول به هو الدين و الكفيل هو الذى ثبت عليه الدين و المحراب مقام الإمام من المسجد و أصله أكرم موضع فى المجلس و أشرفه و قال الزجاج هو المكان العالى الشريف قال:

ربه محراب إذا جئتها

لم ألقها أو أرتقى سلما

و يقال للمسجد أيضا محراب و منه ما يشاء من محارِبِ أى مساجد و قيل أنه أخذ من الحرب لأنه يحارب فيها الشيطان.

## المعنى

«فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا» مع أنوثتها و رضى بها فى النذر الذى نذرتة حنه للعباده فى بيت المقدس و لم يقبل قبلها أنثى فى ذلك المعنى و قيل معناه تكفل بها فى تربيتها و القيام بشأنها عن الحسن و قبوله إياها أنه ما عرتها عله ساعه من ليل أو نهار «بِقَبُولِ حَسَنٍ» أصله بتقبل حسن و لكنه محمول على قوله فتقبلها قبولاً حسناً و قيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس «وَ أُنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا» أى جعل نشوءها نشوءاً حسناً و قيل سوى خلقها فكانت تنبت فى يوم ما ينبت غيرها فى عام عن ابن عباس و قيل أنبتها فى رزقها و غذائها حتى تمت امرأه بالغه تامه عن ابن جريج و قال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار و قامت الليل و تبتلت حتى غلبت الأحبار «وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» بالتشديد معناه ضمها الله إلى زكريا و جعله كفيلها فيقوم بها و بالتخفيف معناه ضمها زكريا إلى نفسه و ضمن القيام بأمرها و قالوا إن أم مريم أتت بها ملفوفه فى خرقة إلى المسجد و قالت دونكم النذيره فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم و صاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالت له الأحبار إنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التى ولدتها و لكننا نقترح عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا و هم تسعه و عشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا أقلامهم فى الماء فارتزقوا زكريا و ارتفع فوق الماء و رسبت أقلامهم عن ابن إسحاق و جماعه و قيل بل ثبت قلم زكريا و قام فوق الماء كأنه فى طين

و جرت أقلامهم مع جريه الماء فذهب بها الماء عن السدى فسهمهم زكريا و قرعهم و كان رأس الأحبار و نبهم فذلك قوله «وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» و زكريا كان من ولد سليمان بن داود و فيه ثلاث لغات المد و القصر و زكري مشدد قالوا فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا و استرضع لها فقال محمد بن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت و بلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد و جعل بابه فى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبه و لا يصعد إليها غيره و كان يأتيها بطعامها و شرابها و دهنها كل يوم «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَحَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا» يعنى وجد زكريا عندها فأكفه فى غير حينها فأكفه الصيف فى الشتاء و فأكفه الشتاء فى الصيف غضا طريا عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و السدى و قيل أنها لم ترضع قط و إنما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن «قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا» يعنى قال لها زكريا كيف لك و من أين لك هذا كالمتعجب منه «قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أى من الجنة و هذه تكرمه من الله تعالى لها و إن كان ذلك خارقا للعاده فإن عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعاده على غير الأنبياء من الأولياء و الأصفياء و من منع ذلك من المعتزله قالوا فيه قولين (أحدهما) أن ذلك كان تأسيسا لنبوه عيسى عن البلخى (و الآخر) أنه كان بدعاء زكريا لها بالرزق فى الجملة و كانت معجزه له عن الجبائى «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» تقدم تفسيره.

## النظم

و وجه اتصالها بما تقدم أن يكون حكاية لقول مريم و على هذا يكون معنى قوله «بِغَيْرِ حِسَابٍ» الاستحقاق على العمل لأنه تفضل يتبدئ به من يشاء من خلقه و يحتمل أن يكون إخبارا من الله تعالى على الاستئناف.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٨ الى ٣٩

### إشارة

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)

### القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فناده الملائكة على التذكير و الإمالة و الباقون «فَنَادَتْهُ» على التأنيث و قرأ ابن عامر و حمزه إن الله بكسر الهمزة و الباقون بفتحها و قرأ حمزه

و الكسائي يبشرك بفتح الياء و التخفيف و الباكون بضم الياء و التشديد.

## الحج

من قرأ «فَنَادَتْهُ» بالتاء فلموضع الجماعه كما تقول هي الرجال و من قرأ فناداه فعلى المعنى و من فتح إن كان المعنى فنادته بأن الله فحذف الجار و أوصل الفعل فى موضع نصب على قياس قول الخليل فى موضع الجر و من كسر أضمم القول كأنه نادته فقالت إن الله فحذف القول كما حذف فى قول من كسر فى قوله فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ و إضمار القول كثير و أما يبشرك فقال أبو عبيده يبشرك و «يُبَشِّرُكَ» واحد و قال الزجاج هذا من بشر يبشر إذا فرح و أصل هذه كله إن بشره الإنسان تنبسط عند السرور.

## اللغة

الهبه تمليك الشىء من غير ثمن و السيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الأعظم و هو الشخص الذى يجب طاعته لمالكة هذا إذا استعمل مضافا أو مقيدا فأما إذا أطلق فلا ينبغى إلا لله و الحصور الممتنع عن الجماع و منه قيل للذى يمتنع أن يخرج مع ندمائه شيئا للنفقه حصور قال الأخطل:

و شارب مريح بالكأس نادمنى

لا بالحصور و لا فيها بسوار

و يقال للذى يكتنم سره حصور.

## الإعراب

هنالك الأصل فيه الظرف من المكان نحو رأيتُه هنا و هناك و هنالك و الفرق أن هنا للتقريب و هنالك للتبعيد و هناك لما بينهما قال الزجاج و يستعمل فى الحال كقولك من هاهنا قلت كذا أى من هذا الوجه و فيه معنى الإشارة كقولك ذا و ذاك و زيدت اللام لتأكيد التعريف و كسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت فى ذلك و إنما بنى لدن و لم بين عند و إن كان بمعناه لأنه استبهم استبهم الحروف لأنه لا يقع فى جواب أين كما يقع عند فى نحو قولهم أين زيد فيقال عندك و لا يقال لدنك و هو قائم جملة فى موضع الحال من الهاء فى نادته و قوله «يُصَيِّمُنِي فِي الْمِحْرَابِ» جملة فى موضع الحال من الضمير فى قائم و قوله «مُصَيِّدًا» نصب على الحال من يحيى و قوله «مِنَ الصَّالِحِينَ» من هاهنا لتبيين الصفه و ليس المراد التبويض لأن النبى لا يكون إلا صالحا.

## المعنى

«هُنَالِكَ» أى عند ذلك الذى رأى من فاكهه الصيف فى الشتاء و فاكهه الشتاء فى الصيف على خلاف ما جرت به العاده «دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ» قال «رَبِّ هَبْ لِي



مِنْ لَمَدُنْكَ ذُرِّيَّةَ طَيِّبَةٍ» أى طمع فى رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العاده فسأل ذلك و قوله «طَيِّبَةٍ» أى مباركه عن السدى و قيل صالحه تقيه نقيه العمل و إنما أنت طيبه و إنما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذريه كما قال الشاعر:

أبو ك خليفه ولدته أخرى

و أنت خليفه ذاك الكمال

«إِنَّكَ سَيِّمِيعُ الدُّعَاءِ» بمعنى قابل الدعاء و مجيب له و منه قول القائل سمع الله لمن حمده أى قبل الله دعاءه و إنما قيل السامع للقابل المجيب لأن من كان أهلا- أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه و من لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزله ما لا يسمع «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ» قيل ناداه جبرائيل عن السدى فعلى هذا يكون المعنى أن النداء أتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان السفن و إنما ركب سفينه واحده و المراد جاءه النداء من جهه الملائكه و قيل نادته جماعه من الملائكه «وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ» أى فى المسجد و قيل فى محراب المسجد «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى» سماه الله بهذا الاسم قبل مولده و اختلف فيه لم سمي يحيى فقيل لأن الله أحيا به عمر أمه عن ابن عباس و قيل أنه تعالى أحياه بالإيمان عن قتاده و قيل لأنه تعالى أحيا قلبه بالنبوه و لم يسم قبله أحد يحيى «مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» أى مصدقا بعبسى و عليه جميع المفسرين و أهل التأويل إلا ما حكى عن أبى عبيده أنه قال بكتاب الله كما يقولون أنشدت كلمه فلان أى قصيده و إن طالت و إنما سمي المسيح كلمه الله لأنه حصل بكلام الله من غير أب و قيل إنما سمي به لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله كما سمي روح الله لأن الناس كانوا يحيون به فى أديانهم كما يحيون بأرواحهم و كان يحيى أكبر سنا من عيسى بسته أشهر و كلف التصديق به فكان أول من صدقه و شهد أنه كلمه الله و روحه و كان ذلك إحدى معجزات عيسى (عليه السلام) و أقوى الأسباب لإظهار أمره فإن الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفةهم بصدقه و زهده «وَسَيِّدًا» فى العلم و العباده عن قتاده و قيل فى الحلم و التقى و حسن الخلق عن الضحاك و قيل كريما على ربه عن ابن عباس و قيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب و قيل مطيعا لربه عن سعيد بن جبير و قيل مطاعا عن الخليل و قيل سيدا للمؤمنين بالرئاسه عليهم عن الجبائى و الجميع يرجع إلى أصل واحد و هو أنه أهل لتمليكه تدبير من يجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الأحوال «وَحَصُورًا»

و هو الذى لا يأتى النساء عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله

و معناه أنه يحصر

ص: ٢٥٨

نفسه عن الشهوات أى يمنعها وقيل الحصور الذى لا يدخل فى اللعب و الأباطيل عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب و الضحاك و هذا لا- يجوز على الأنبياء لأنه عيب و ذم و لأن الكلام خرج مخرج المدح «و نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ» أى رسولا شريفا رفيع المنزله من جمله الأنبياء لأن الأنبياء كلهم كانوا صالحين و فى هذه الآية دلالة على أن زكريا إنما طمع فى الولد لما رأى تلك المعجزات و هو إن كان عالما بأنه تعالى يقدر على أن يخلق الولد من العاقر فقد كان يجوز أن لا يفعل ذلك لبعض التدبير فلما رأى خرق العاده بخلق الفاكهه فى غير وقتها قوى ظنه فى أنه يفعل ذلك إذا اقتضته المصلحه كما أن إبراهيم و إن كان عالما بأنه تعالى يقدر على إحياء الموتى سأل ذلك مشاهده ليتأكد معرفته و فيها دلالة على أن الولد الصالح نعمه من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٤٠

### إشاره

قَالَ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرَ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)

### اللغه

العاقر من الرجال الذى لا يولد له و من النساء التى لا تلد يقال عقرت تعقر عقرا فهى عاقر قال عبيد:

أ عاقر مثل ذات رحم

أم غانم مثل من يخيب

و العقر ديه فرج المرأه إذا غصبت نفسها و بيضه العقر آخر بيضه و العقر محله القوم و العقر أصل كل شىء و يقال غلام بين الغلوميه و الغلومه و هو الشاب من الناس و الغلمه و الاغتلام شده طلب النكاح و سمي الغلام غلاما لأنه فى حال يطلب فى مثلها النكاح و الغيلم منبع الماء من الآبار لأنه يطلب الظهور.

### المعنى

«قال» زكريا «رَبِّ» لله عز و جل لا- لجبرائيل «أُنَّى يَكُونُ» أى من أين يكون و قيل كيف يكون «لِي غُلَامٌ» أى ولد «وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرَ» أى أصابنى الشيب و نالنى الهرم و إنما جاز أن تقول بلغنى الكبر لأن الكبر بمنزله الطالب له فهو يأتيه بحدوثه فيه و الإنسان أيضا يأتي الكبر بمرور السنين عليه و لو قلت بلغنى البلد بمعنى بلغت البلد لم يجز لأن البلد لا يأتيك أصلا و قال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن

عشرين و مائه سنه و كانت امرأته بنت ثمان و تسعين سنه «وَ امْرَأَتِي عَاقِرٌ» أى عقيم لا تلد فإن قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة و قد بشره الله بأن يهب له ذريه طيبه بعد أن سأل ذلك قيل إنما قال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد أ يعطيها الله إياه و هما على ما كانا عليه من الشيب أم يصرفهما إلى حال الشباب ثم يرزقهما الولد عن الحسن و يحتمل أن يكون اشتبه الأمر عليه أ يعطيه الولد من امرأته العجوز أم من امرأه أخرى شابه فقال الله «كَذَلِكَ» و تقديره كذلك الأمر الذى أنتما عليه و على تلك الحال «اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» معناه يرزقك الله الولد منها فإنه هين عليه كما أنشأكما و لم تكونا شيئا فإنه تعالى قادر يفعل ما يشاء و قيل فيه وجه آخر و هو أنه إنما قال ذلك على سبيل الاستعظام لمقدور الله و التعجب الذى يحصل للإنسان عند ظهور آيه عظيمه كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك بإخراج ذلك المال النفيس من يدك تعجبا من جوده و قيل أنه قال ذلك على وجه التعجب من أنه كيف أجابه الله إلى مراده فيما دعا و كيف استحق ذلك و من زعم أنه إنما قال ذلك للوسوسه التى خالطت قلبه من قبل الشيطان أو خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكه فقد أخطأ لأن الأنبياء لا بد أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك و وسوسه الشيطان و لا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الأفهام.

### سوره آل عمران (٣): آيه ٤١

#### إشارة

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَ الْبُكْرِ (٤١)

#### الإعراب

فى وزن آيه فيه ثلاثة أقوال (أحدها) فعله إلا أنه شذ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف عله و إنما القياس فى مثله إعلال اللام نحو حياه و نواه و نظيرها رايه و غايه و طايه (و الثانى) فعله و تقديره آييه إلا أنها قلبت كراهه التضعيف نحو طائى من طى (و الثالث) فاعله منقوصه قال على بن عيسى و هذا ضعيف لأن تصغيرها آييه و لو كانت فاعله لقالوا أوييه إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمه و الرمز للإيماء بالشفقتين و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجب و العين و اليد و الأول أغلب و قال جوبه بن عابد:

كان تكلم الأبطال رمزا

و غمغمه لهم مثل الهرير

ص: ٢٦٠



و العشى من حين زوال الشمس إلى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه

و لا الفىء من برد العشى يذوق

و العشاء من لادن غروب الشمس إلى أن يولى صدر الليل و العشاء طعام العشى و العشاء مقصورا ضعف العين و أصل الباب الظلمه و الإبكار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى و أصله التعجيل بالشىء يقال أبكر و بكر بكورا و منه الباكوره.

### المعنى

ثم سأل الله تعالى زكريا علامه يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العباده شكرا و قيل ليتعجل السرور به عن الحسن ف «قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» أى علامه لوقت الحمل و الولد فجعل الله تعالى تلك العلامه فى إمساك لسانه عن الكلام إلا إيماء من غير آفه حدثت فيه بقوله «قالَ آيَتُكَ» أى قال الله و يحتمل أن يكون المراد قال جبرائيل آيتك أى علامتك «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا» أى إيماء عن قتاده و قيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد و قيل أراد به صوم ثلاثه أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا- رمزا عن عطا «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا» أى فى هذه الأيام الثلاثه و معناه أنه لما منع من الكلام عرف أنه لم يمنع من الذكر لله تعالى و التسبيح له و ذلك أبلغ فى الإعجاز «وَ سَبِّحْ» أى نزه الله و أراد التسبيح المعروف و قيل معناه صل كما يقال فرغت من سبحتى أى صلاتى «بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ» فى آخر النهار و أوله.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٢ الى ٤٣

#### اشاره

وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْمِعِي وَاذْكُرِي مَا كُنْتِ تَعْمَلِينَ (٤٣)

### المعنى

قدم تعالى ذكر امرأه عمران و فضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال «وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ» إذ هذه معطوفه على إذ فى قوله إذ قالت امرأت عمران أو يكون معناه اذكر إذ قالت الملائكه و قيل يعنى جبريل وحده «يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ» أى اختارك و أطف لك حتى تفرغت لعبادته و اتباع مرضاته و قيل معناه اصطفيك لولاده المسيح عن الزجاج «وَ طَهَّرَكِ» بالإيمان عن الكفر و بالطاعة عن المعصيه عن الحسن و سعيد بن جبير و قيل طهرتك من الأذناس و الأقدار التى تعرض للنساء

من الحيض و النفاس حتى صرت صالحه لخدمه المسجد عن الزجاج و قيل طهر ك من الأخلاق الذميمة و الطباع الرديه «وَ اضْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»

أى على نساء عالمى زمانك لأن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليها و على أبيها و بعلمها و بنيتها سيده نساء العالمين و هو قول أبى جعفر (عليه السلام)

و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال فضلت خديجه على نساء أمتى كما فضلت مريم على نساء العالمين و قال أبو جعفر معنى الآيه اصطفاك من ذريه الأنبياء و طهر ك من السفاح اصطفاك لولاده عيسى (عليه السلام) من غير فحل

و خرج بهذا من أن يكون تكريرا إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين «يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ» أى اعبديه و أخلصى له العباده عن سعيد بن جبير و قيل معناه أديمى الطاعه له عن قتاده و قيل أطبلى القيام فى الصلاه عن مجاهد «وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ» أى كما يعمل الساجدون و الراكعون لا أن يكون ذلك أمرا لها بأن تعمل السجود و الركوع معهم فى الجماعه و قدم السجود على الركوع لأن الواو لا- توجب الترتيب فإنها فى الأشياء المتغايره نظيره التثنيه فى المتماثله و إنما توجب الجمع و الاشتراك و قيل معناه و اسجدى لله شكرا و اركعى أى و صلى مع المصلين و قيل معناه صلى فى الجماعه عن الجبائى.

### سوره آل عمران (٣): آيه ٤٤

#### اشاره

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)

#### اللغه

الأنباء الأخبار الواحد نبأ و الإيحاء هو إلقاء المعنى إلى الغير على وجه يخفى و الإيحاء الإرسال إلى الأنبياء تقول أوحى الله إليه أى أرسل إليه ملكا و الإيحاء الإلهام و منه قوله تعالى وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخِيلِ وَ قَوْلَهُ بِإِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا معناه ألقى إليها معنى ما أراد منها قال العجاج:

أوحى لها القرار فاستقرت

و شدها بالراسيات الثبت

و الإيحاء الإيماء قال:

فأوحت إلينا و الأنامل رسلها

و منه قوله تعالى فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا أى أشار إليهم و الوحي الكتابه قال رؤبه:

لقدر كان و حاه الواحى

وقال:

(فى سور من ربنا موحىه)

. و القلم الذى يكتب به و القلم الذى يجال بين القوم كل إنسان و قلمه و هو القدح و القلم قص الظفر و مقالم الرمح كعوبه و أصله قطع طرف الشىء.

ص: ٢٦٢

قال أبو علي إذ في قوله «إِذْ يُلْقُونَ» متعلق بكنت و إذ في قوله إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ بعد يختصمون متعلق بيختصمون و يجوز أيضا أن يكون متعلقا بكنت كأنه قال و ما كنت لديهم إذ قالت الملائكة و هذا إنما يجوز عندي إذا قدرت إذ الثانيه بدلا من الأولى فإن لم تقدره هذا التقدير لم يجز و إنما يجوز البديل في هذا إذا كان وقت اختصامهم وقت قول الملائكة ليكون البديل المبدل منه في المعنى.

## المعنى

«ذَلِكَ» إشاره إلى ما تقدم ذكره من حديث مريم و زكريا و يحيى «مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» أى من أخبار ما غاب عنك و عن قومك «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» أى نلقيه عليك معجزه و تذكيرا و تبصره و موعظه و عبره و وجه الإعجاز فيه أن ما غاب عن الإنسان يمكن أن يحصل علمه بدراسه الكتب أو التعلم أو الوحي و النبى ص لم يشاهد هذه القصص و لا قرأها من الكتب و لا تعلمها إذ كان نشوءه بين أهل مكه و لم يكونوا أهل كتاب فوضح الله أن أوحى إليه بها و فى ذلك صحه نبوته «وَمَا كُنْتَ» يا محمد «لَدَيْهِمْ» عندهم «إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ» التى كانوا يكتبون بها التوراه فى الماء على ما تقدم ذكره قبل و قيل أقلامهم أقداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهه القرعه «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» و فيه حذف أى لينظروا أيهم تظهر قرعته ليكفل مريم و هذا تعجيب من الله نبيه ص من شده حرصهم على كفاله مريم و القيام بأمرها عن قتاده و قيل هو تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشده الأزمه التى لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء لها زكريا «وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» فيه دلالة على أنهم قد بلغوا فى التشاح عليها إلى حد الخصومه و فى وقت التشاح قولان (أحدهما) حين ولادتها و حمل أمها إياها إلى الكنيسه تشاحوا فى الذى يحضنها و يكفل تربيتها و هذا قول الأكثر و قال بعضهم كان ذلك وقت كبرها و عجز زكريا عن تربيتها و فى هذه الآيه دلالة على أن للقرعه مدخلا فى تميز الحقوق

و قد قال الصادق (عليه السلام) ما تقارع قوم ففوضوا أمورهم إلى الله تعالى إلا خرج سهم المحق و قال أى قضيه أعدل من القرعه إذا فوض الأمر إلى الله تعالى يقول فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ

و قال الباقر أول من سوهم عليه مريم ابنه عمران ثم تلا «وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ» الآيه و السهام سته ثم استهموا فى يونس ثم كان عبد المطلب ولد له تسعه بنين فنذر فى العاشر إن يرزقه الله غلاما أن يذبحه فلما ولد له عبد الله لم يقدر أن يذبحه و رسول الله فى صلبه فجاء بعشره من الإبل فساهم عليها و على عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرا فلم

تزل السهام تخرج على عبد الله و يزيد عشرا فلما أن أخرجت مائه خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثا فخرجت على الإبل فقال الآن علمت أن ربي قد رضى بها فنجرتها.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٥ الى ٤٦

### اشاره

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)  
وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)

### القراءة

ذكرنا القراءة في «يُبَشِّرُكِ» و القول فيه.

### اللغة

المسيح فعيل بمعنى مفعول و أصله أنه مسح من الأقدار و طهر و المسيح أيضا الذى أحد شقى وجهه ممسوح لا عين له و لا حاجب و لذلك سمي الدجال به و قيل المسيح عيسى بفتح الميم و التخفيف و هو الصديق و المسيح بكسر الميم و تشديد السين نحو الشرير الدجال عن إبراهيم النخعي و أنكره غيره قال الشاعر:

" إذ المسيح يقتل المسيحا "

و الوجيه الكريم على من يسأله فلا يرده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد يقال وجه الرجل يوجه وجاهه و له وجاهه عند الناس و جاه أى منزله رفيعه و الكهل ما بين الشاب و الشيخ و منه اكتهل النبات إذا طال و قوى و المرأه كهله قال الشاعر:

و لا أعود بعدها كريا

أمارس الكهله و الصبيا

و منه الكاهل ما فوق الظهر إلى ما يلى العنق و قيل الكهوله بلوغ أربع و ثلاثين سنه.

### الإعراب

وجيها منصوب على الحال المعنى يبشرك الله بهذا الولد و جيهها و يكلم فى موضع النصب أيضا على الحال عطفًا على و جيهها و جائز أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعه يفعل فاعلا قال الشاعر:

بات يغشيها بعضب باتر

يقصد في أسوقها و جائر

أى قاصد أسوقها و جائر و كهلا حال من يكلم.

### المعنى

«إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ» قال ابن عباس يريد جبرائيل «يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ

ص: ٢٦٤

يُشْرِكُ» يخبرك بما يسرك «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» فيه قولان أحدهما أنه المسيح سماه كلمه عن ابن عباس و قتاده و جماعه من المفسرين و إنما سمي بذلك لأنه كان بكلمه من الله من غير والد و هو قوله كُنْ فَيَكُونُ يدل عليه قوله إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ الْآيَةَ و قيل سمي بذلك لأن الله بشر به في الكتب السالفه كما يقال الذي يخبرنا بالأمر إذا خرج موافقا لأمره قد جاء كلامي فمما جاء من البشاره به في التوراه أتانا الله من سيناء و أشرق من ساعير و استعلن من جبال فاران و ساعير هو الموضوع الذي بعث منه المسيح و قيل لأن الله يهدى به كما يهدى بكلمته و القول الثاني أن الكلمه بمعنى البشاره كأنه قال بشاره منه ولد «اسْمُهُ الْمَسِيحُ» فالأول أقوى و يؤيده قوله إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ و إنما ذكر الضمير في اسمه و هو عائد إلى الكلمه لأنه واقع على مذكر فذهب إلى المعنى و اختلف في أنه لم سمي بالمسيح فقيل لأنه مسح بالبركه و اليمن عن الحسن و قتاده و سعيد و قيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب و قيل لأنه مسح بدهن زيت بورك فيه و كانت الأنبياء تمسح به عن الجبائي و قيل لأنه مسحه جبرائيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوده من الشيطان و قيل لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله و قيل لأنه كان يمسح عين الأعمى فيبصر عن الكلبي و قيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهه بيده إلا برا عن ابن عباس في روايه عطا و الضحاك و قال أبو عبيده هو بالسريانيه مشيحا فعربته العرب «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» نسبة إلى أمه ردا على النصراري قولهم إنه ابن الله «وَجِبَاهًا» ذا جاه و قدر و شرف «فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» إلى ثواب الله و كرامته «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ» أى صغيرا و المهد الموضوع الذي يمهد لنوم الصبى و يعنى بكلامه فى المهد قوله إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ الْآيَةَ و وجه كلامه فى المهد أنه تبرئه لأمه مما قذفت به و جلاله له بالمعجزه التى ظهرت فيه «وَ كَهَلًا» أى و يكلمهم كهلا- بالوحى الذى يأتية من الله أعلمها الله تعالى أنه يبقى إلى حال الكهوله و فى ذلك إعجاز لكون المخبر على وفق الخبر و قيل إن المراد به الرد على النصراري بما كان فيه من التقلب فى الأحوال لأن ذلك مناف لصفه الإله «وَ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى و من النبيين مثل إبراهيم و موسى و قيل إن المراد بالآيه و يكلمهم فى المهد دعاء إلى الله و كهلا بعد نزوله من السماء ليقتل الدجال و ذلك لأنه رفع إلى السماء و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنه و ذلك قبل الكهوله عن زيد بن أسلم و فى ظهور المعجزه فى المهد قولان (أحدهما) أنها كانت مقرونه بنوه المسيح لأنه تعالى أكمل عقله فى تلك الحال و جعله نبيا و أوحى إليه بما تكلم به عن الجبائي و قيل كان ذلك على التأسيس و الإرهاص

لنبوته عن ابن الإخشيد و يجوز عندنا الوجهان و يجوز أيضا أن يكون معجزه لمريم تدل على طهارتها و براءه ساحتها إذ لا مانع من ذلك و قد دلت الأدله الواضحه على جوازه و إنما جحدت النصارى كلام المسيح فى المهد مع كونه آيه و معجزه لأن فى ذلك إبطالا لمذهبهم لأنه قال إني عبُد الله و هذا ينافى قولهم أنه ابن الله فاستمروا على تكذيب من أخبر أنه شاهده كذلك.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٤٧

### اشاره

قَالَتْ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)

### الإعراب

فيكون هاهنا لا يجوز فيه غير الرفع لأنه لا يصلح أن يكون جوابا للأمر الذى هو كن لأن الجواب يجب بوجود الأول نحو ائتني فأكرمك و قم فأقوم معك و لا يجوز قم فيقوم لأنه يكون على تقدير قم فإنك إن تقم يقم و هذا لا معنى له و لكن الوجه الرفع على الإخبار بأنه سيقوم و يجوز فى قوله «يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» النصب عطفا على يقول.

### المعنى

«قَالَتْ» مريم يا «رَبِّ أُنَّى يَكُونُ» أى كيف يكون «لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ» لم تقل ذلك استبعادا و استنكارا بل إنما قلت استفهاما و استعظاما لقدرة الله لأن فى طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد و قيل إنما قلت ذلك لتعلم أن الله تعالى يرزقها الولد و هى على حالتها لم يمسه بشر أو يقر لها زوجها ثم يرزقها الولد على مجرى العاده «قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» أى يخلق ما يشاء مثل ذلك و هو حكاية ما قال لها الملك أى يرزقك الولد و أنت على هذه الحاله لم يمسه بشر «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا» أى خلق أمرا و قيل إذا قدر أمرا «فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنه إخبار بسرعه حصول مراد الله فى كل شىء أراد حصوله من غير مهله و لا معاناه و لا تكلف سبب و لا أداء و إنما كنى بهذا اللفظ لأنه لا يدخل فى وهم العباد شىء أسرع من كن فيكون (و الآخر) أن هذه الكلمه كلمه جعلها الله علامه للملائكه فيما يريد إحداثه و إيجاده لما فيه من المصلحه و الاعتبار و إنما استعمل لفظه الأمر فيما ليس بأمر هنا ليدل بذلك على أن فعله بمنزله فعل المأمور فى أنه لا كلفه فيه على الأمر.



## إشارة

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْمَأْكُمَةَ وَالْمَأْبْرَصَ وَ أَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنبئكم بما تأكلون وَ ما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لکم إن كنتم مؤمنين (٤٩)

## توضيح

عد أهل الكوفة «التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ» آيه و لم يعدوا «بَنِي إِسْرَائِيلَ» لتنكر الاستئناف بأن المفتوحه و عد غيرهم «بَنِي إِسْرَائِيلَ» و لم يعدوا «الْإِنْجِيلَ» طلبوا تمام صفة المسيح لأن تقديره و معلما و رسولا.

## القراءة

قرأ أهل المدينة و عاصم و يعقوب و سهل «وَيُعَلِّمُهُ» بالياء و الباقون بالنون و قرأ نافع إنى أخلق بكسر الألف و الباقون «أَنِّي» بالفتح و قرأ أهل المدينة و يعقوب طائرا و مثله فى المائده و أبو جعفر كهينه الطائر فيهما و الباقون «طَيْرًا» بغير ألف.

## الحج

من قرأ «وَيُعَلِّمُهُ» عطفه على قوله إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُمْ و من قرأ و نعلمه جعله على نحو نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَيُوتَ و من فتح «أَنِّي أَخْلُقُ» جعلها بدلا من آيه كأنه قال و جئتكم بأنى أخلق لكم و من كسر احتمل وجهين (أحدهما) الاستئناف و قطع الكلام مما قبله (و الآخر) أنه فسر الآية بقوله «أَنِّي أَخْلُقُ» كما فسر الوعد فى قوله وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِقَوْلِهِ لَهُمْ مَغْفِرَةً و فسر المثل فى قوله كَمَثَلِ آدَمَ بِقَوْلِهِ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ و هذا الوجه أحسن لأنه فى المعنى كمن فتح و أبدل من آيه و من قرأ طائرا أراد فيكون ما أنفخ فيه أو ما أخلقه طائرا فأفرد لذلك فسر أو أراد يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً أَى اجلدوا كل واحد منهم.

## اللغة

الحكمه و الحكم بمعنى و نظيره الذله و الذل و الطين معروف و طنت الكتاب جعلت عليه طينا لأختمه به و طينت البيت تطيينا و الهياة الحال الظاهره هاء فلان يهاء هيئه و النفخ معروف نفخ ينفخ نفخا و النفاخه للماء و الكمه العمى قال سويد بن أبى كاهل:

كمهت عيناه حتى ابضتا

فهو يلحى نفسه لما نزع

و الادخار الافتعال من الدخر و جوز النحويون تذخرون بالذال.

## الإعراب

موضع يعلمه يحتمل أن يكون نصبا بالعطف على وجهها و يحتمل أن يكون لا موضع له من الإعراب لأنه عطف على جملة لا موضع لها من الإعراب و هى قوله كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ و قيل هو عطف على نُوحِيهِ إِلَيْكَ و هذا لا يجوز لأنها تخرج من معنى البشارة لمريم و رسولا- نصب على تقدير و نجعله رسولا- فحذف لدلاله البشارة عليه و يجوز أن يكون نصبا على الحال عطفًا على وجهها لا- أنه فى ذلك الوقت يكون رسولا بل بمعنى أنه يرسل رسولا و قال الزجاج المعنى يكلمهم رسولا بأنى قد جئتكم و لو قرأت بالكسر إنى قد جئتكم لكان صوابا و المعنى يقول إنى قد جئتكم و موضع «أَنْنى أَخْلُقُ لَكُمْ» يحتمل أن يكون خفضا و رفعا فالخفض على البدل من آيه و الرفع على ما ذكرناه قبل و «بِمَا تَأْكُلُونَ» جائز أن يكون ما هنا بمعنى الذى أى بما تأكلونه و تذخرونه و يجوز أن يكون بمعنى المصدر أى أنبئكم بأكلكم و ادخاركم و الأول أجود.

## المعنى

«وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ» أراد الكتابه عن ابن جريج قال أعطى الله عيسى تسعة أجزاء من الخط و سائر الناس جزءا و قيل أراد به بعض الكتب التى أنزلها الله تعالى على أنبيائه سوى التوراه و الإنجيل مثل الزبور و غيره عن أبى على الجبائى و هو أليق بالظاهر «وَالْحِكْمَةَ» أى الفقه و علم الحلال و الحرام عن ابن عباس

كما روى عن النبى ص أنه قال أوتيت القرآن و مثليه قالوا أراد به السنن

و قيل أراد بذلك جميع ما علمه من أصول الدين «وَالْتَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ» إن قيل لم أفردهما بالذكر مع دخولهما فى الحكمة قيل تنبيها عن جلاله موقعهما كقوله وَ مَلَايِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيْلَ وَ مِيكَالَ و قطع هاهنا قصه مريم و ولادتها و يأتى تمام قصتها فى سورة مريم و ابتدأ بقصه عيسى فقال «وَ رَسُوْلًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ» و قد ذكرنا تقديره و معناه يدور عليه «أَنْنى قَدْ جِئْتُكُمْ» أى قال لهم و كلمهم لما بعث إليهم بأنى قد جئتكم «بِآيَةٍ» أى بدلاله و حجه «مِنْ رَبِّكُمْ» داله على نبوتى ثم حذف الباء فوصل الفعل «أَنْنى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» معناه و هذه الآية أنى أقدر لكم و أصور لكم من الطين مثل صوره الطير «فَأَنْفُخُ فِيهِ» أى فى الطير المقدر من الطين و قال فى موضع آخر فيها أى فى الهياه المقدره «فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ» و قدرته و قيل بأمر الله تعالى و إنما وصل قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» بقوله «فَيَكُونُ طَيْرًا» دون ما قبله لأن تصور الطين على هيئه الطير و النفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فأما جعل الطين طيرا حتى يكون لحما و دما و خلق الحياه فيه فيما لا يقدر عليه غير الله فقال «بِإِذْنِ اللَّهِ» ليعلم أنه من فعله تعالى و ليس

بفعل عيسى و فى التفسير أنه صنع من الطين كهيئه الخفاش و نفخ فيه فصار طائرا «وَ أَبْرِيءُ الْأَكْمَهَ» أى الذى ولد أعمى عن ابن عباس و قتاده و قيل هو الأعمى عن الحسن و السدى «وَ الْمَأْبُورِصَ» الذى به وضح و قال وهب و ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى اليوم خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه و من لم يطق أتاه عيسى يمشى إليه و إنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان «وَ أَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» إنما أضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز و التوسع و لأن الله تعالى كان يحيى الموتى عند دعائه و قيل أنه أحيا أربعة أنفس عازر و كان صديقا له و كان قد مات منذ ثلاثه أيام فقال لأخته انطلقى بنا إلى قبره ثم قال اللهم رب السماوات السبع و رب الأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بنى إسرائيل أدعوهم إلى دينك و أخبرهم بأنى أحى الموتى فأحى عازر فخرج من قبره و بقى و ولد له و ابن العجوز مر به مييتا على سريره فدعا الله عيسى (عليه السلام) فجلس على سريره و نزل عن أعناق الرجال و لبس ثيابه و رجع إلى أهله و بقى و ولد له و ابنه العاشر قيل له أ تحييها و قد ماتت أمس فدعا الله فعاشت و بقيت و ولدت و سام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم فخرج من قبره و قد شاب نصف رأسه فقال قد قامت القيامة قال لا و لكنى دعوتك باسم الله الأعظم قال و لم يكونوا يشيرون فى ذلك الزمان لأن سام بن نوح قد عاش خمس مائه سنه و هو شاب ثم قال له مت قال بشرط أن يعيدنى الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل و قال الكلبى كان يحيى الأموات بيا حى يا قيوم و إنما خص عيسى (عليه السلام) بهذه المعجزات لأن الغالب كان فى زمانه الطب فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزه أظهر كما أن الغالب لما كان فى زمن موسى السحر أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله و كان الغالب فى زمان نبينا ص البيان و البلاغه و الفصاحه فأراهم الله تعالى المعجزه بالقرآن الذى بهرهم ما فيه من عجائب النظم و غرائب البيان ليكون أبلغ فى باب الإعجاز بأن يأتى كلا من أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه و يعجزون عن الإتيان بمثله إذ لو أتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز أن يخطر ببالهم أن ذلك مقدور للبشر غير أنهم لا يهتدون إليه «وَ أُتْبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» أى أخبركم بالذى تأكلونه و تدخرونه كان يقول للرجل تغديت بكذا و كذا و رفعت إلى الليل كذا و كذا «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما ذكرت لكم «لآيَةً» أى حجه و معجزه و دلاله «لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بالله إذ كان

لا يصح العلم بمدلول المعجزه إلا لمن آمن بالله لأن العلم بالمرسل لا بد أن يكون قبل العلم بالرسول و في الآيه دلالة على أن عيسى (عليه السلام) كان مبعوثا إلى جميع بنى إسرائيل و قوله «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ» يدل على أن العبد يحدث و يفعل و يخلق خلافا لقول المجبره لكن الخالق على الإطلاق هو الله تعالى.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥١

### اشاره

وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)

### اللغه

الفرق بين التصديق و التقليد أن التصديق لا يكون إلا فيما تبرهن عند صاحبه و التقليد قد يكون فيما لا يتبرهن و لهذا لا نكون مقلدين للنبي ص و إن كنا مصدقين له و الإحلال هو الإطلاق للفعل بتحسينه و التحريم هو حظر الفعل بتقييحه و الاستقامه خلاف الاعوجاج.

### الإعراب

مصدقا نصب على الحال و تقديره و جئتكم مصدقا لأن أول الكلام يدل عليه و نظيره جئته بما يجب و معرفا له و لا يكون عطفًا لا- على وجيها و لا رسولا لقوله «لِما بَيْنَ يَدَيْ» و لم يقل لما بين يديه و قال أبو عبيده أراد بقوله «بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ» كل الذي حرم و يستشهد بقول لبيد:

تراك أمكنه إذا لم أرضها

أو يعتلق بعض النفوس حمامها

قال معناه أو تعتلق كل النفوس و أنكر الزجاج ذلك و قال معناه أو تعتلق نفسى حمامها و خطأ أبا عبيده من وجهين (أحدهما) أن البعض لا يكون بمعنى الكل (و الثانى) أنه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لأنه يدخل الكذب و الظلم و القتل فى ذلك.

### المعنى

«وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ» أى لما أنزل قبلى من التوراه و ما فيه البشاره بى و من أرسل قبلى من الأنبياء «وَ لِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» هذا معطوف على معنى قوله «مُصَدِّقًا» و تقديره و لأصدق ما بين يدي من التوراه و لأحل لكم كما تقول جئته

معتذرا و لأجل عطفه و قيل إن الذى أحل لهم لحوم الإبل و الشروب و بعض الطيور و الحيتان مما كان قد حرم على بنى إسرائيل عن قتاده و الربيع و ابن جريج و وهب و قيل أحل لكم السبت عن الكلبي «وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» أى بحجه تشهد بصدقى «فَاتَّقُوا اللَّهَ» فى مخالفتى و تكذيبى «وَأَطِيعُوا» كما أمركم الله به «إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ» أى مالكى و مالكمم و إنما قال ذلك ليكون حجه على النصارى فى قولهم الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ و المعنى لا تنسبونى إليه فأنا عبده كما أنكم عبيد له «فَاعْبُدُوهُ» وحده «هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» أى دين الله أى عبادته دين مستقيم و قد استوفينا الكلام فى الرب و فى الصراط المستقيم فى سورة الحمد.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٢ الى ٥٤

### إشاره

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)

### اللغه

الإحساس الإدراك بالحاسه و الحس القتل لأنه يحس بألمه و الحس العطف لإحساس الرقه على صاحبه و الأنصار جمع نصير كالأشراف جمع شريف و أصل الحواري الحور و هو شده البياض و منه الحواري من الطعام لشده بياضه قال الحرث بن حلز:

فقل للحواريات يبيكين غيرنا

و لا تبكنا إلا الكلاب النوايح

يعنى النساء لبياضهن و الشاهد هو المخبر بالشىء عن مشاهده هذا حقيقه و قد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق أى هو بمنزله المخبر به عن مشاهده و يقال هذا شاهد أى معد للشهاده و المكر الالتفاف و منه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه و الممكنوره من النساء الملتفه الخلق و حد المكر حب يختدع به العبد لإيقاعه فى الضرر و الفرق بين المكر و الحيله أن الحيله قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالعبد و المكر حيله على العبد توقعه فى مثل الوهق.

### الإعراب

قيل إن إلى بمعنى مع كقولهم الذود إلى الذود إبل أى مع الذود قال

الزجاج لا يجوز أن يقال أن بعض الحروف من حروف المعاني بمعنى الآخر و إنما معنى هذا أن اللفظ لو عبر عنه بمع أفاد هذا المعنى لا- أن إلى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز أن يقول ذهب زيد مع عمرو لأن إلى غاية و مع يضم الشىء إلى الشىء و الحروف قد تتقارب فى الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغه أن معناهما واحد من ذلك قوله تعالى وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ و لو كانت على هاهنا لأدت هذه الفائدة و أصل فى إنما هو للوعاء و أصل على لما علا الشىء فقولك التمر فى الجراب لو قلت على الجراب لم يصح ذلك و لكن جاز فى جُذُوعِ النَّخْلِ لأن الجذع مشتمل على المصلوب لأنه قد أخذه من أقطاره و لو قلت زيد على الجبل أو فى الجبل يصلح لأن الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف.

## المعنى

«فَلَمَّا أَحَسَّ» أى وجد و قيل أبصر و رأى و قيل علم «عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ» و أنهم لا يزدادون إلا إصرارا على الكفر بعد ظهور الآيات و المعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال و التعريف عما فى اعتقادهم من نصرته ف «قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» و قيل أنه لما عرف منهم العزم على قتله قال «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» و فيه أقوال (أحدها) أن معناه من أعوانى على هؤلاء الكفار مع معونه الله عن السدى و ابن جريج (و الثانى) أن معناه من أنصارى فى السبيل إلى الله عن الحسن لأنه دعاهم إلى سبيل الله (و الثالث) أن معناه من أعوانى على إقامة الدين المؤدى إلى الله أى إلى نيل ثوابه كقوله إِنْى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ و مما يسأل على هذا أن عيسى إنما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للجماعه من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوه عن الحسن و مجاهد و قيل أيضا يجوز أن يكون طلب النصره للتمكين من إقامة الحجه و لتمييز الموافق من المخالف «قَالَ الْحَوَارِيُّونَ» و اختلف فى سبب تسميتهم بذلك على أقوال (أولها) أنهم سموا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن جبیر (و ثانيها) أنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن أبى نجیح عن أبى أرطاه (و ثالثها) أنهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس و السدى (و رابعها) أنهم كانوا خاصه الأنبياء عن قتاده و الضحاك و هذا أوجه لأنهم مدحوا بهذا الاسم كأنه ذهب إلى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الأبيض بالتحوير

و يروى عن النبى ص

و قال الحسن الحوارى الناصر و الحواريون الأنصار و قال الكلبى و أبو روق الحواريون أصفياء عيسى و كانوا اثنى عشر رجلا و قال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العباده و نورها و حسنها كما قال تعالى سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» معناه نحن أعوان الله على الكافرين من قومك أى أعوان رسول الله ص و أعوان دين الله «آمَنَّا بِاللَّهِ» أى صدقنا بالله أنه واحد لا شريك له «وَ أَشْهَدُ» يا عيسى «بِأَنَّ مُسَيِّمُونَ» أى لنا كن شهيدا عند الله أشهدوه على إسلامهم لأن الأنبياء شهداء على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا\* «رَبَّنَا» أى يا ربنا «آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ» على عيسى «وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ» أى اتبعناه «فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» أى فى جملة الشاهدين بجميع ما أنزلت لنفوز بما فازوا به و ننال ما نالوا من كرامتك و قيل معناه و اجعلنا مع محمد ص و أمته عن ابن عباس و قد سماهم الله شهداء بقوله لِيَتَكُونُوا شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ أى من الشاهدين بالحق من عندك هذا كله حكاية قول الحواريين و روى أنهم اتبعوا عيسى و كانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين يأكلهما و إذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا و إذا شئنا سقيتنا و قد آمننا بك و اتبعنا قال أفضل منكم من يعمل بيده و يأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء و قوله «وَ مَكْرُوا» يعنى كفار بنى إسرائيل الذين عناهم الله بقوله فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ الْآيَةَ و معناه دبروا لقتل عيسى (عليه السلام) «وَ مَكَرَ اللَّهُ» أى جازاهم على مكرهم و سمي المجازاه على المكر مكر كما قال الله تعالى اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و جاء فى التفسير أن عيسى بعد إخراج قومه إياه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين و صاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله و تواطئوا على الفتك به فذلك مكرهم به و مكر الله بهم إلقاء الشبه على صاحبهم الذى أراد قتل عيسى حتى قتل و صلب و رفع عيسى إلى السماء و قال ابن عباس لما أراد ملك بنى إسرائيل قتل عيسى (عليه السلام) دخل خوخته و فيها كوه فرفعه جبرائيل من الكوه إلى السماء و قال الملك لرجل منهم خبيث أدخل عليه فاقتله فدخل الخوخه فألقى الله عليه شبه عيسى فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس فى البيت فقتلوه و صلبوه و ظنوا أنه عيسى و قال وهب أسروه و نصبوا له خشبه ليصلبوه فأظلمت الأرض و أرسل الله الملائكة فحالوا بينه و بينهم فأخذوا رجلا- يقال له يهوذا و هو الذى دلهم على المسيح و ذلك أن عيسى جمع الحواريين تلك الليلة و أوصاهم ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك و يبيعنى بدراهم

يسيره فخرجوا و تفرقوا و كانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إليهم فقال ما تجعلوا لى أن أدلكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها و دلهم عليه فألقى الله عليه شبه عيسى (عليه السلام) لما دخل البيت و رفع عيسى فأخذ فقال أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله و صلبوه و هم يظنون أنه عيسى فلما صلب شبه عيسى (عليه السلام) و أتى على ذلك سبعة أيام قال الله عز و جل لعيسى اهبط على مريم لتجمع لك الحواريين و تبثهم فى الأرض دعاه فهبط و اشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الأرض دعاه ثم رفعه الله سبحانه و تلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغه من أرسله عيسى (عليه السلام) إليهم فذلك قوله تعالى «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» أى أفضل المعاونين و قيل أنصف الماكرين و أعدلهم لأن مكرهم ظلم و مكره عدل و إنصاف و إنما أضاف الله المكر إلى نفسه على مزاجه الكلام كما قال فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ و الثانى ليس باعتداء و إنما هو جزاء و هذا أحد وجوه البلاغ كالمجانسه و المطابقه و المقابله فالمجانسه كقوله تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ وَ المطابقه كقوله «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» بالنصب على مطابقه السؤال و المقابله نحو قوله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ».

## سوره آل عمران (٣): آيه ٥٥

### اشاره

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِلٌ لِمَ أَفْعَلُ بِكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)

### الإعراب

العامل فى «إِذْ» قوله «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» إذ قال و يحتمل أن يكون تقديره ذاك إذ قال الله و تمثله ذاك واقع إذ قال الله ثم حذف واقع و هو العامل فى إذ و أقيمت إذ مقامه و «عيسى» فى موضع الضم لأنه منادى مفرد لكن لا يتبين فيه الإعراب لأنه منقوص و هو لا ينصرف لاجتماع العجمه و التعريف.

### المعنى

لما بين سبحانه ما هم به قوم عيسى من المكر به و قتله عقبه بما أنعم عليه من لطف التدبير و حسن التقدير فقال «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِلٌ لِمَ أَفْعَلُ بِكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» و قيل فى



معناه أقوال (أحدها) أن المراد به إنى قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاه بموت عن الحسن و كعب و ابن جريج و ابن زيد و الكلبي و غيرهم و على هذا القول يكون للمتوفى تأويلان (أحدهما) إنى رافعك إلى وافي لم ينالوا منك شيئاً من قولهم توفيت كذا و استوفيته أى أخذته تاماً (و الآخر) إنى متسلمك من قولهم توفيت منه كذا أى تسلمته (و ثانيها) إنى متوفيك وفاه نوم و رافعك إلى فى النوم عن الربيع قال رفعه نائماً و يدل عليه قوله «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ» أى يميتمكم لأن النوم أخو الموت و قال اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَأْنُفَسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا الْآيَةَ (و ثالثها) إنى متوفيك وفاه نوم عن ابن عباس و وهب قالاً أماته الله ثلاث ساعات فأما النحويون فيقولون هو على التقديم و التأخير أى إنى رافعك و متوفيك لأن الواو لا توجب الترتيب بدلاله قوله فَكَيْفَ كَانَ عِذَابِي وَ نُذْرِي\* و النذر قبل العذاب بدلاله قوله «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» و هذا مروى عن الضحاك و يدل عليه ما

روى عن النبى ص أنه قال إن عيسى بن مريم لم يموت و أنه راجع إليكم قبل يوم القيامة

و

قد صح عنه ص أنه قال كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم رواه البخارى و مسلم فى الصحيح

فعلى هذا يكون تقديره إنى قابضك بالموت بعد نزولك من السماء و قوله «وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ» فيه قولان (أحدهما) إنى رافعك إلى سمائى و سمي رفعه إلى السماء رفعا إليه تفخيماً لأمر السماء يعنى رافعك لموضع لا يكون عليك إلا أمرى (و الآخر) أن معناه رافعك إلى كرامتى كما قال حكاية عن إبراهيم (عليه السلام) إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ أَى إِلَى حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي سَمَى ذَهَابَهُ إِلَى الشَّامِ ذَهَاباً إِلَى رَبِّهِ وَ قَوْلُهُ «وَ مُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و فيه قولان (أحدهما) مطهرك بإخراجك من بينهم و إنجائك منهم فإنهم أرجاس جعل مقامه فيما بينهم كملاقاه النجاسة من حيث كان يحتاج إلى مجاورتهم و مجاراتهم (و الآخر) أن تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذى كانوا هموا به لأن ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائى و قوله «وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» معناه و جعل الذين آمنوا بك فوق الذين كذبوا عليك و كذبوك فى العز و الغلبة و الظفر و النصره و قيل فى البرهان و الحجج و المعنى به النصرارى قال ابن زيد و لهذا لا ترى اليهود حيث كانوا إلا- أذل من النصرارى و لهذا أزال الملك عنهم و إن كان ثابتاً فى النصرارى على بلاد الروم و غيرها فهم أعز منهم و فوقهم إلى يوم القيامة و قال الجبائى فيه دلالة على أنه لا يكون لليهود مملكه إلى يوم القيامة كما للروم و قيل المعنى به أمه محمد ص و إنما سماهم تبعاً و إن كانت لهم شريعته على حده لأنه وجد فيهم التبعيه صورته و معنى أما صورته فإنه يقال فلان يتبع فلانا إذا جاء بعده و أما معنى فلان نبينا ص كان

مصدقاً بعيسى و بكتابه و يقال لمن يصدق غيره أنه يتبعه على أن شريعته نبينا و سائر الأنبياء متحده فى أبواب التوحيد فعلى هذا هو متبع له إذ كان معتقدا اعتقاده و قائلًا- بقوله و هذا القول أوجه لأن فيه ترغيبا فى الإسلام و دلاله على أن أمه محمد ص يكونون ظاهرين إلى يوم القيامة و لأن من دعاه إليها لا يكون فى الحقيقه تابعا له «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» أى مصيركم «فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ» فأقضى بينكم «فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من أمر عيسى.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٦ الى ٥٨

### اشاره

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)

### القراءه

قرأ حفص و رويس عن يعقوب فيوفيههم بالياء و الباقون بالنون.

### الحجه

من قرأ بالنون فهو مثل «فَأَعَذُّهُمْ» و يحسنه قوله «ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ» و من قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم فى قوله إذ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ فَاذْعَبْ أَوْ صَارَ مِنْ لَفْظِ الْخَطَابِ إِلَى الْغَيْبِ كَقَوْلِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ بعد قوله و مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ.

### الإعراب

«نَتْلُوهُ عَلَيْكَ» فى موضع رفع بأنه خبر «ذَلِكَ» و يجوز أن يكون صله لذلك و يكون ذلك بمعنى الذى فعلى هذا لا موضع لقوله «نَتْلُوهُ» و تقديره الذى نتلوه و قوله «مِنَ الْآيَاتِ» فى موضع رفع بأنه خبره و أنشدوا فى مثله:

عدس ما لعباد عليك إماره

نجوت و هذا تحمليين طليق

تقديره و الذى تحمليين طليق.

### المعنى

«فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» عذابهم فى الدنيا إذلالهم بالقتل و الأسر و السبى و الخسف و الجزية و كل ما فعل على وجه



الاستخفاف والإهانة وفي الآخرة عذاب الأبد في النار «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» أى أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى «وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ» أى يوفر عليهم ويتمم «أُجُورَهُمْ» أى جزاء أعمالهم «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» أى لا يريد تعظيمهم وإثابتهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الآية حجه على من قال بالإحباط لأنه سبحانه وعد بتوفيه الأجر وهو الثواب والتوفيه منافيه للإحباط «ذَلِكَ» إشاره إلى الإخبار عن عيسى و زكريا ويحيى وغيرهم «نَتْلُوهُ عَلَيْكَ» نقرأه عليك و نكلمك به وقيل نأمر جبرائيل أن يتلوه عليك عن الجبائي «مِنَ الآيَاتِ» أى من جملة الآيات والحجج الداله على صدق نبوتك إذا علمتهم بما لا- يعلمه إلا- قارئ كتاب أو معلم و لست بواحد منها فلم يبق إلا- أنك قد عرفته من طريق الوحي «وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ» القرآن المحكم وإنما وصفه بأنه حكيم لأنه بما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلاله دليلا لأنها بما فيها من البيان كأنها تنطق بالبيان والبرهان وإن كان الدليل فى الحقيقة هو الدال.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٩ الى ٦١

#### إشارة

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)

#### اللغة

المثل ذكر سائر يدل على أن سبيل الثانى سبيل الأول و تعالوا أصله من العلو يقال تعاليت أتعالي أى جئت و أصله المجىء إلى ارتفاع إلا- أنه كثر فى الاستعمال حتى صار بمعنى هلم و قيل فى الابتغال قولان (أحدهما) أنه بمعنى الالتعان و افتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا مهله الله أى لعنه الله و عليه مهله الله أى لعنه الله (و الآخر) أنه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد:

نظر الدهر إليهم فابتهل

أى دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن و هو المباعده عن رحمه الله عقابا على معصيته و لذلك لا

يجوز أن يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيم أو نحوهما.

## الإعراب

قوله «خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» لا موضع له من الإعراب لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكره و لا يكون حالا له لأنه ماض فهو متصل فى المعنى غير متصل فى اللفظ بعلامه من علامات الاتصال فيكون الرفع على تقدير فهو يكون و «الْحَقُّ» رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره ذلك الإخبار فى أمر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلاله شاهد الحال عليه كما يقال الهلال و الله أى هذا الهلال و قيل الحق مبتدأ و خبره قوله «مِنْ رَبِّكَ».

## النزول

قيل نزلت الآيات فى وفد نجران العاقب و السيد و من معهما قالوا لرسول الله هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزل «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» الآيات فقرأها عليهم عن ابن عباس و قتاده و الحسن فلما دعاهم رسول الله إلى المباهله استنظروه إلى صبيحه عد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف انظروا محمدا فى غد فإن غدا بولده و أهله فاحذروا مباهلتهم و إن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شىء فلما كان الغد جاء النبى ص آخذا بيد على بن أبى طالب (عليه السلام) و الحسن (عليه السلام) و الحسين (عليه السلام) بين يديه يمشيان و فاطمه (عليه السلام) تمشى خلفه و خرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبى ص قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه و زوج ابنته و أحب الخلق إليه و هذان ابنا بنته من على (عليه السلام) و هذه الجارية بنته فاطمه أعز الناس عليه و أقربهم إلى قلبه و تقدم رسول الله ص فجشا على ركبته قال أبو حارثه الأسقف جثا و الله كما جثا الأنبياء للمباهله فكع و لم يقدم على المباهله فقال السيد ادن يا أبا حارثه للمباهله فقال لا إنى لأرى رجلا- جريئا على المباهله و أنا أخاف أن يكون صادقا و لئن كان صادقا لم يحل و الله علينا الحول و فى الدنيا نصرانى يطعم الماء فقال الأسقف يا أبا القاسم إنا لا نباهلك و لكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول الله ص على ألفى حله من حلال الأوقى قيمه كل حله أربعون درهما فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك و على عاريه ثلاثين درعا و ثلاثين رمحا و ثلاثين فرسا إن كان باليمن كيد و رسول الله ص ضامن حتى يؤديها و كتب لهم بذلك كتابا و روى أن الأسقف قال لهم إنى لأرى وجوها لو سألوها الله أن يزيل جبلا- من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة و

قال النبى و الذى نفسى بيده لو لا عنونى لمسخوا قرده و خنازير و لاضطرم الوادى عليهم نارا و لما حال الحول

قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد و العاقب إلا يسيرا حتى رجعا إلى النبي و أهدى العاقب له حله و عصا و قدحا و نعلين و أسلما.

## المعنى

ثم رد الله تعالى على النصارى قولهم فى المسيح أنه ابن الله فقال «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» أى مثل عيسى فى خلق الله إياه من غير أب كمثل آدم فى خلق الله إياه من غير أب و لا أم فليس هو بأبدع و لا أعجب من ذلك فكيف أنكروا هذا و أقروا بذلك ثم بين سبحانه كيف خلقه فقال «خَلَقَهُ» أى أنشأه «مِنْ تُرَابٍ» و هذا إخبار عن آدم و معناه خلق عيسى من الريح و لم يخلق قبل أحدا من الريح كما خلق آدم من التراب و لم يخلق قبله أحدا من التراب «ثُمَّ قَالَ لَهُ» أى لآدم و قيل لعيسى «كُنْ» أى كن حيا بشرا سويا «فَيَكُونُ» أى فكان فى الحال على ما أراد و قد مر تفسير هذه الكلمه فيما قبل فى سوره البقره مشروحا و فى هذه الآيه دلالة على صحه النظر و الاستدلال لأن الله احتج على النصارى و دل على جواز خلق عيسى من غير أب كخلقه آدم من غير أب و لا- أم «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» أى هذا هو الحق من ربك أضاف إلى نفسه تأكيدا و تعليلا- أى هو الحق لأنه من ربك «فَلَا تَكُنْ» أيها السامع «مِنَ الْمُضْتَرِّينَ» و قد مر تفسيره فى سوره البقره «فَمَنْ حَاجَّكَ» معناه فمن خاصمك و جادلك يا محمد «فِيهِ» أى فى قصه عيسى «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» أى من البرهان الواضح على أنه عبدى و رسولى عن قتاده فى معناه و قيل فمن حاجك فى الحق و الهاء فى فيه عائده إلى قوله «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» «فَقُلْ» يا محمد لهؤلاء النصارى «تَعَالَوْا» إلى كلمه أى هلموا إلى حجه أخرى ماضيه فاصله تميز الصادق من الكاذب «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن و الحسين قال أبو بكر الرازى هذا يدل على أن الحسن و الحسين ابنا رسول الله و أن ولد الابنه ابن فى الحقيقه و قال ابن أبى علان و هو أحد أئمه المعتزله هذا يدل على أن الحسن و الحسين كانا مكلفين فى تلك الحال لأن المباهله لا تجوز إلا مع البالغين و قال أصحابنا إن صغر السن و نقصانها عن حد بلوغ الحلم لا- ينافى كمال العقل و إنما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الأحكام الشرعيه و قد كان سنهما فى تلك الحال سنا لا يمتنع معها أن يكونا كاملى العقل على أن عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمه و يخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد فى تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لهم عن سواهم و دلالة على مكانهم من الله تعالى و اختصاصهم و مما يؤيده

من الأخبار قول النبي ص ابنائى هذان إمامان قاما أو قعدا

«وَوَسَاءَنَا» اتفقوا على أن المراد به فاطمه (عليه السلام) لأنه لم يحضر المباهله غيرها من النساء و هذا يدل على تفضيل الزهراء

على جميع

ما جاء فى الخبر أن النبى ص قال فاطمه بضعه منى يرببنى ما رابها و قال إن الله يغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضائها

و

قد صح عن حذيفه أنه قال سمعت النبى ص يقول أتانى ملك فبشرنى أن فاطمه سيده نساء أهل الجنة أو نساء أمتى

و

عن الشعبى عن مسروق عن عائشه قالت أسر النبى إلى فاطمه شيئا فضحكت فسألتها فقالت قال لى أ لا ترضين أن تكونى سيده نساء هذه الأمه أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك

«وَنِسَاءكُمْ» أى من شئتم من نسائكم «وَأَنْفُسِنَا» يعنى عليا خاصه و لا يجوز أن يكون المعنى به النبى ص لأنه هو الداعى و لا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه و إنما يصح أن يدعو غيره و إذا كان قوله «وَأَنْفُسِنَا» لا بد أن يكون إشاره إلى غير الرسول و جب أن يكون إشاره إلى على لأنه لا أحد يدعى دخول غير أمير المؤمنين على و زوجته و ولديه فى المباهله و هذا يدل على غايه الفضل و علو الدرجه و البلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله نفس الرسول و هذا ما لا يدانيه فيه أحد و لا يقاربه و مما يعضده من الروايات

ما صح عن النبى إنه سأل عن بعض أصحابه فقال له قائل فعلى فقال ما سألتنى عن الناس و لم تسألنى عن نفسى

و

قوله لبريده الأسمى يا بريده لا تبغض عليا فإنه منى و أنا منه إن الناس خلقوا من شجر شتى و خلقت أنا و على من شجره واحده

و

قوله (عليه السلام) بأحد و قد ظهرت نكايته فى المشركين و وقايته إياه بنفسه حتى قال جبرائيل إن هذا لهي المواساه فقال يا جبرائيل أنه منى و أنا منه فقال جبرائيل و أنا منكما

«وَأَنْفُسِيَكُمْ» يعنى من شئتم من رجالكم «ثُمَّ نَبَّهْلُ» أى نتضرع فى الدعاء عن ابن عباس و قيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذب «فَنَجْعِلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» منا و فى هذه الآيه دلالة على أنهم علموا أن الحق مع النبى لأنهم امتنعوا عن المباهله و أقروا بالذل و الخزى لقبول الجزية فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه فكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله فى الحال و لو لم يكن النبى ص متيقنا بنزول العقوبه بعدوه دونه لما أدخل أولاده و خواص أهله فى ذلك مع شدة إشفاقه عليهم.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣)

## اللغة

القصص القصة و فعل بمعنى مفعول كالتقص و القبض و القصص جمع القصة و يقال اقتصصت الحديث و قصصته قضا و قصصا رويته على جهته و هو من اقتصصت

ص: ٢٨٠



الأثر أى اتبعته و منه اشتق القصاص و القصص الخبر الذى تتابع فيه المعانى و التولى عن الحق اعتقاد خلافه لأنه كالإدبار عنه بعد الإقبال عليه و أصل التولى كون الشىء يلى غيره من غير فصل بينه و بينه و الإفساد إيقاع الشىء على خلاف ما توجه الحكمة و الإصلاح إيقاعه على ما توجه الحكمة و الفرق بين الفساد و القبيح أن الفساد تغيير عن المقدار الذى تدعو إليه الحكمة و ليس كذلك القبيح لأنه ليس فيه معنى المقدار و إنما هو ما تزجر عنه الحكمة كما أن الحسن ما تدعو إليه الحكمة.

## الإعراب

«ما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ» دخول من فيه لعموم النفى لكل إله غير الله و إنما أفادت من هذا المعنى لأن أصلها لا ابتداء الغايه فدللت على استغراق النفى لا ابتداء الغايه إلى انتهائها و قوله «لَهُوَ» يجوز أن يكون هو فصلا و يسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له موضع من الإعراب و يكون «الْقَصَصُ» خبر إن و يجوز أن يكون مبتدأ و القصص خبره و الجملة خبر إن.

## المعنى

«إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ» معناه أن هذا الذى أوحينا إليك فى أمر عيسى (عليه السلام) و غيره لهو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الأمر فهو معاند «وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ» أى و ما لكم أحد يستحق إطلاق اسم الإلهيه إلا الله و أن عيسى ليس بآله كما زعموا و إنما هو عبد الله و رسوله و لو قالوا ما إله إلا الله بغير «مِنْ» لم يفسد هذا المعنى «وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ» أى القادر على الكمال «الْحَكِيمُ» فى الأقوال و الأفعال و التقدير و التدبير «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى فإن أعرضوا عن اتباعك و تصديقك و عما أتيت به من الدلالات و البيئات «فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ» أى بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على إفسادهم و إنما ذكر ذلك على جهه الوعيد و إلا فإنه تعالى عليم بالمفسد و المصلح جميعا و نظيره قول القائل لغيره أنا عالم بشرك و فسادك و قيل معناه أنه عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق و بأنهم لا يقدمون على مباحلتك لمعرفةهم بنبوتك.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٦٤

### اشاره

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)

قال الزجاج معنى كلمه كلام فيه شرح قصه و إن طال و لذلك تقول العرب للقصيده كلمه، يروى أن حسان بن ثابت كان إذا قيل له أنشدنا قال هل أنشد كلمه الحويدره يعنى قصيدهته التى أولها:

بكرت سميّه غدوه فتمنع

و معنى سواء أى عدل و سوى بمعناه قال زهير:

أرونى خطه لا ضيم فيها

يسوى بيننا فيها السواء

فإن ترك السواء فليس بينى

و بينكم بنى حصن بقاء

وقيل سواء مستو هو مصدر وضع موضع اسم الفاعل و معناه إلى كلمه مستويه و هو عند الزجاج اسم ليس بصفه و إنما جر بتقدير ذات سواء و جوز نصبه على المصدر.

## الإعراب

موضع «أَلَّا نَعْبُدَ» فيه وجهان (أحدهما) أن يكون فى موضع جر على البدل من «كَلِمَةٍ» فكأنه قال تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله (و الآخر) أن يكون فى موضع رفع على تقدير هى أن لا- نعبد إلا- الله و لو قرئ أن لا نعبد بالرفع كان أن هى المخففه من المثقله فكأنه قال أنه لا نعبد إلا الله كقوله «أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» و على هذا يثبت النون فى الخط و يكون أن من العوامل فى الأسماء و على الأول يكون من العوامل فى الأفعال و لا يثبت فى الخط النون و لو قرئ أن لا نعبد إلا الله بالإسكان فأن مفسره كالتى فى قوله «أَنْ أَمْشُوا» و لا نعبد نهى.

## النزول

قيل فى سبب نزول الآيه أقوال (أحدها) أنها نزلت فى نصارى نجران عن الحسن و السدى و ابن زيد و محمد بن جعفر بن الزبير (و ثانيها) أنها نزلت فى يهود المدينه عن قتاده و الربيع و ابن جريج و قد رواه أصحابنا أيضا (و ثالثها) أنها نزلت فى الفريقيين من أهل الكتاب على الظاهر عن أبى على الجبائى و هذا أولى لعمومه.

## المعنى

لما تم الحجاج على القوم دعاهم تعالى إلى التوحيد و إلى الاقتداء بمن اتفقوا أنه كان على الحق فقال «قُلْ» يا محمد «يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا» أى هلموا «إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ» أى عدل «بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ» أى عادله لا ميل لها كما يقال رجل عدل أى عادل لا ميل فيه

وقيل معناه كلمه مستويه بيننا و بينكم فيها ترك العباده لغير الله و هي «أَلَّا نَعْبُدَ

ص: ٢٨٢

إِلَّا اللَّهَ» لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَحِقُّ إِلَّا لَهُ «وَلَا تُشْرِكُ بِهِ» فِي الْعِبَادَةِ «شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» اختلف في معناه فقيل معناه و لا يتخذ بعضنا عيسى ربا فإنه كان بعض الناس و قيل معناه أن لا نتخذ الأخبار أربابا بأن نطيعهم طاعه الأرباب لقوله «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»

و روى عن أبي عبد الله أنه قال ما عبدوهم من دون الله و لكن حرموا لهم حلالا و أحلوا لهم حراما فكان ذلك اتخاذهم أربابا من دون الله

و قد روى أيضا أنه لما نزلت هذه الآية قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال ص أ ما كانوا يحلون لكم و يحرمون فتأخذون بقولهم فقال نعم فقال النبي ص هو ذاك

«فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى أعرضوا عن الإقرار بالعبودية و إن أحدا لا يستحق العبادة غيره «فَقُولُوا» أنتم أيها المسلمون مقابله لإعراضهم عن الحق و تجديدا للإقرار و مخالفتهم «اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» أى مخلصون مقرون بالتوحيد و قيل مستسلمون منقادون لما أتى به النبى و الأنبياء من الله و قيل مقيمون على الإسلام و هذا تأديب من الله لعبده المؤمن و تعليم له كيف يفعل عند إعراض المخالف بعد ظهور الحجة ليعلم المبطل أن مخالفته لا- يؤثر فى حقه و ليدل على أن الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقله و الكثره.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٥ الى ٦٦

### اشاره

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦)

### القراءه

قرأ أهل الكوفه «ها أنتم» بالمد و الهمز وقرأ أهل المدينة و أبو عمرو بغير مد و لا همز إلا بقدر خروج الألف الساكنه وقرأ ابن كثير و يعقوب بالهمزه و القصر من غير مد على و زنها عنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز.

### الحجه

الكلام فى المد و الهمز كثير و الوجه أن من حقق فعلى الأصل لأنهما حرفان ها و أنتم و من لم يمد و لم يهمز فالتخفيف من غير إخلال.

### اللغه

الفرق بين الحجاج و الجدال أن الحجاج يتضمن إما حجه أو شبهه فى



صوره الحججه و الجدل هو قتل الخصم إلى المذهب بحجه أو شبهه أو إيهام فى الحقيقه لأن أصله من الجدل و هو شده القتل و الحججه هى البيان الذى شهد بصحه المقال و هو و الدلاله بمعنى واحد.

## الإعراب

«ها أنتم» للتنبيه و قد كثر التنبيه فى هذا و لم يكتر فى ها أنت لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر و المعنى فيه واحد بعينه مما يصلح له فقوى بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه و ليس كذلك أنت لأنه لا يصلح لكل حاضر فى الجملة و إنما هو للمخاطب و خبر هؤلاء على أن أولاء بمعنى الذين و ما بعده صلته له.

## النزول

قال ابن عباس و الحسن و قتاده إن أحبار اليهود و نصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا فى إبراهيم فقالت اليهود ما كان إلا يهوديا و قالت النصارى ما كان إلا نصرانيا فأنزل الله هذه الآيه.

## المعنى

«يا أهيل الكتاب لم تُحاجون فى إبراهيم» أى لم تنازعون و تجادلون فيه و تدعون أنه على دينكم «و ما أنزلت التوراه و الإنجيل إلا من بغيره» أى من بعد إبراهيم «أ فلا تعقلون» إن الإقامه على الدعوى من غير برهان غير جائزه فى العقل فكيف يجوز الإقامه على الدعوى بعد ما ظهر فسادها فإن قيل لو دل نزول التوراه و الإنجيل بعد إبراهيم على أنه لم يكن على اليهوديه و النصرانيه لوجب أن يدل نزول القرآن بعده على أنه لم يكن على الإسلام فالجواب أن الكل متفقون على أنه متمم باسم الإسلام غير أن اليهود ادعوا أن الإسلام هو اليهوديه و النصارى ادعوا أنه هو النصرانيه و التوراه و الإنجيل أنزلتا من بعد إبراهيم و اسمه فيهما اسم الإسلام و ليس فى واحد منهما أنه كان على دين اليهوديه و النصرانيه و أما القرآن و إن كان منزلا بعده ففيه وصف إبراهيم بدين الإسلام و نفى اليهوديه و النصرانيه عنه ففى هذا أوضح حججه على أنه كان مسلما و أن محمدا ص و أمته الذين لهم اسم الإسلام أولى به منهم و قد قيل إن اليهود اعتقدوا أن اليهودى اسم لمن تمسك بالتوراه و اعتقد شريعته و النصارى اعتقدوا أن النصرانى اسم لمن تمسك بالإنجيل و اعتقد شريعته فرد الله تعالى دعوى الفريقين و أخبر أن التوراه و الإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم فكيف يكون متمسكا بحكهما و أما نحن فلم ندع أن المسلم هو المتمسك بحكم القرآن إذ

الإسلام عبارته عن الدين دون أحكام الشريعة فوصفناه بالإسلام كما وصفه الله به فإن قيل فهل كان إبراهيم متمسكا بشرائع الإسلام كلها التي نحن عليها قلنا أنه كان متمسكا بدين الإسلام و ببعض أحكام شريعة نبينا ص لا بجميعها لأن من حكم الشريعة قراءة القرآن في الصلاة و لم يكن ذلك في شريعته و إنما قلنا أنه مسلم و إن كان متمسكا ببعض أحكام الشريعة لأن أصحاب النبي ص في بدو الإسلام كانوا مسلمون قبل استكمال الشرع و قبل نزول تمام القرآن و الواحد منا مسلم على الحقيقة و إن لم يعمل بجميع أحكام الشريعة «ها أنتُمْ» يا معشر اليهود و النصارى و هو في الظاهر تنبيه على أنفسهم و المراد به التنبيه على حالهم إذ التنبيه إنما يكون فيما قد يغفل عنه الإنسان دون ما يعلمه «حاججْتُمْ» جادلتم و خاصتم «فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» معناه حاججتم و لكم به علم لوجود اسمه في التوراه و الإنجيل «فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» أى فلم تحاجون فى دينه و شرعه و ليس لكم به علم لم ينكر الله تعالى عليهم حاججتهم فيما علموه و إنما أنكروا عليهم حاججتهم فيما لم يعلموا «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» شأن إبراهيم و دينه و كل ما ليس عليه دليل لأنه العالم لجميع المعلومات «وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك فلا تتكلموا فيه و لا تضيفوا إليه ما لا تعلمونه و اطلبوا علم ذلك ممن يعلمه.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٧ الى ٦٨

#### إشارة

ما كَانَ إِبراهيمَ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْرَانِيًّا وَ لَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَ ما كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبراهيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)

#### اللغة

قد ذكرنا الأصل فى اليهود و النصارى و الحنيف فى سورة البقره و أولى الذى هو بمعنى أفعل من غيره لا يثنى و لا يجمع لأنه يتضمن معنى الفعل و المصدر على تقدير يزيد فضله على فضله فى أفضل منه و معنى قولنا هذا الفعل أولى من غيره أى بأن يفعل و قولنا زيد أولى من غيره معناه أنه على حال هو أحق بها من غيره و الاتباع جريان الثانى على طريقه الأول من حيث هو عليه كالمدلول الذى يتبع الدليل فى سلوك الطريق أو فى التصحيح لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه بصحته و كذلك المأموم الذى يتبع طريقه الإمام.

ثم كذب الله اليهود و النصارى فقال «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً» نزه إبراهيم و برأه عن اليهوديه و النصرانيه لأنهما صفتا ذم قد دل القرآن و الإجماع على ذلك و هذا يدل على أن موسى أيضا لم يكن يهوديا و لم يكن عيسى نصرانيا فإن الدين عند الله الإسلام و اليهوديه مله محرفه عن شرع موسى و النصرانيه مله محرفه عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جرتا على فرقتين ضاليتين «وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا» أى مائلا عن الأديان كلها إلى دين الإسلام و قيل معناه مستقيما فى دينه «مُسْلِمًا» أى كائنا على دين الإسلام «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» قيل إن هذا يتضمن كون اليهوديه و النصرانيه شركا و قيل إن معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركو العرب «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ» يعنى أن أحق الناس بنصره إبراهيم بالحجه أو بالمعونه «لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فى وقته و زمانه و تولوه بالنصره على عدوه حتى ظهر أمره و علت كلمته «وَهَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» يتولون نصرته بالحجه لما كان عليه من الحق و تبرئه كل عيب عنه أى هم الذين ينبغى لهم أن يقولوا إنا على دين إبراهيم و لهم ولايته «وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» لأنه يتولى نصرتهم و المؤمن ولى الله لهذا المعنى بعينه و قيل لأنه يتولى نصره ما أمر الله به من الدين و إنما أفرد الله النبى ص بالذكر تعظيما لأمره و إجلالا لقدره كما أفرد جبرائيل و ميكائيل و قيل ليدخل فى الولايه و تعود إليه الكتابه فإن التقدير و الذين آمنوا به و فى هذه الآيه دلالة على أن الولايه تثبت بالدين لا بالنسب و يعضد ذلك

قول أمير المؤمنين إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ثم تلا هذه الآيه و قال إن ولى محمد من أطاع الله و إن بعدت لحمته و إن عدو محمد من عصى الله و إن قربت قرابته

و روى عمر بن يزيد قال قال أبو عبد الله أ هم و الله من آل محمد قلت من أنفسهم جعلت فداك نعم و الله من أنفسهم قالها ثلاثا ثم نظر إلى و نظرت إليه فقال يا عمر إن الله يقول فى كتابه إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ الْآيَهُ رواه على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن منصور بن يونس عنه.

### سورة آل عمران (٣): آيه ٦٩

#### إشارة

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)

#### اللغة

ودت أى تمت فلما كان بمعنى تمنى صلح للماضى و الحال و الاستقبال فلذلك جاز بلو و ليس كذلك المحبه و الإراده لأنهما لا يتعلقان إلا بالمستقبل فلا يجوز أن



يقال أرادوا لو يضلونكم لأن الإرادته يجرى مجرى الاستدعاء إلى الفعل أو مجرى العله فى ترتيب الفعل فأما التمنى فهو تقرير شىء فى النفس يستمتع بتقريره و الفرق بين ود لو تضله و بين ود إن تضله أن للاستقبال و ليس كذلك لو.

## المعنى

ثم بين سبحانه أن هؤلاء كما ضلوا دعوا إلى الضلال فقال «وَدَّتْ» أى تمنى و قيل أرادت «طَائِفَةٌ» أى جماعه «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أى من اليهود و النصارى و قيل من اليهود خاصه «لَوْ يُضِلُّوكُمْ» أى يهلكونكم بإدخالكم فى الضلال و دعائكم إليه و يستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» و معناه هلكنا و بطلت صورنا «وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» معناه لا يرجع وبال إضلالهم إلا على أنفسهم و لا يلحق ضرره إلا بهم فإن المسلمين لا يجيئونهم إلى ما يدعونهم إليه من ترك الإسلام إلى غيره من الأديان فيبقى عليهم إثم الكفر و وبال الدعاء إلى الكفر و قيل معناه و ما يهلكون إلا أنفسهم أى لا يعتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك فى جنب ما يحصل لهم «وَ مَا يَشْعُرُونَ» أى و ما يعلمون أن وبال ذلك يعود إليهم و قيل و ما يشعرون أن الله تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم و إضلالهم و قيل و ما يشعرون أنهم ضلال لجهلهم عن أبى على الجبائى.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٠ الى ٧١

### اشاره

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)

### الإعراب

لم أصله لما حذف الألف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها ظرفا و لدلاله الفتحه عليها و كذلك بم و عم.

## المعنى

ثم خاطب الله الفريقين فقال «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ» بما يتلى عليكم من «آيات الله» يعنى القرآن «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» أى تعلمون و تشاهدون ما يدل على صحتها و وجوب الإقرار بها من التوراه و الإنجيل إذ فيهما ذكر النبى و الإخبار بصدق نبوته و بيان صفته و قيل يعنى بآيات الله ما فى كتبهم من البشاره بنبوته و أنهم تشهدون الحجاج

الداله على نبوته وقيل يعنى بالآيات ما فى كتبهم أن إبراهيم كان حنيفا مسلما و إن الدين هو الإسلام و أنتم تشهدون ذلك و قيل يعنى بها ما يتلى عليهم من غرائب أخبارهم التى علموا أنها فى كتبهم عن أبى مسلم و قيل يعنى بالآيات الحجج الداله على نبوه محمد (صلى الله عليه و آله) و أنتم تشهدون أن الأول لمعجزه يدل على صدق رساله و ثبوت النبوه و قيل و أنتم تشهدون إذا خلوتم بصحه دين الإسلام «يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» معناه لم تخلطون الحق بالباطل و فيه أقوال (أحدها) أن المراد به تحريفهم التوراه و الإنجيل عن الحسن و ابن زيد (و ثانيها) إن المراد به إظهارهم الإسلام و إبطانهم النفاق فى قلوبهم من اليهوديه و النصرانيه لأنهم تداعوا إلى إظهار الإسلام فى صدر النهار و الرجوع عنه فى آخره تشكيكا للناس عن ابن عباس و قتاده (و ثالثها) أن المراد به الإيمان بموسى و عيسى و الكفر بمحمد (و رابعها) أن المراد ما يعلمونه فى قلوبهم من أن محمدا أحق بما يظهرونه من تكذيبه عن الجبائى و أبى مسلم «و تَكْتُمُونَ الْحَقَّ» أى نبوه محمد (صلى الله عليه و آله) و ما وجدتموه فى كتبكم من نعته و البشاره به «و أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أنه حق و إنما نزلت هذه فى طائفه من علمائهم لأن الكتمان إنما يجوز على الطائفه القليله دون الكثيره و قيل معناه و أنتم تعلمون الأمور التى تصح بها التكليف و الأول أصح لما فى الآيه من الذم على الكتمان.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٢ الى ٧٤

#### إشاره

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَ أَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)

#### القراءه

قرأ ابن كثير أن يؤتى أحد ممدودا و الباقون «أَنْ يُؤْتَى» بغير مد و استفهام.

قال أبو علي من قرأ «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ» فتقديره لا- تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وقوله «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» اعتراض بين المفعول وفعله و إذا حذف الجار من أن كان على الخلاف يكون في قول الخليل جراً و في قول سيبويه نصباً فأما اللام في قوله «لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» فلا يسهل أن تعلقه بتؤمنوا و أنت قد أوصلته بحرف آخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم أن تعديه إلى مفعولين إذا كان يتعدى إلى مفعول واحد أ لا ترى أن تعديه الفعل بالجار كتعديته بالهمز و تضعيف العين فكما لا- يتكرر هذان كذلك لا- يتكرر الجار فإذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى و المعنى لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم كما تقول أقررت لزريد بألف فيكون اللام متعلقاً بالمعنى و لا تكون زائده على حد إن كُنْتُمْ لِلرُّيَا تَعْبُرُونَ و لكن يتعلق بالإقرار و إن شئت عملت الكلام على معنى الجحود فكأنه قال اجحدوا الناس إلا لمن تبع دينكم فيكون اللام على هذا زائده و قد تعدى آمن باللام في غير هذا قال الله تعالى «فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ» و قال «آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» و قال «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» فتعدى مره بالباء و مره باللام و وجه قراءه ابن كثير أن في موضع رفع بالابتداء لأنه لا يجوز أن يحمل على ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بينهما و خبره تصدقون به و تعترفون به و نحو ذلك مما دل عليه قوله «وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» هذا على قول من قال أزيد ضربته و من قال أزيداً ضربته كان أن عنده في موضع نصب و يجوز أن يكون موضع أن نصباً على معنى تذكرون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو تشيعون و يدل على ذلك قوله تعالى «أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» فحديثهم بذلك إشاعه منهم و إفشاء و بسخ بعضهم بعضاً بالحديث لما علموه من أمر النبي (صلى الله عليه و آله) و عرفوه من وصفه فهذه الآيه في معنى قراءه ابن كثير و لعله اعتبرها في قراءته.

## اللغة

الطائفة الجماعه و في أصلها قولان (أحدهما) أنه كالرفقه التي من شأنها أن تطوف البلاد في السفر الذي يقع عليه الاجتماع (و الآخر) أنها جماعه يستوى بها حلقه يطاف حولها و «وَجَهَ النَّهَارِ» أوله و سمي وجهاً لأنه أول ما يواجهك منه كما يقال لأول الثوب وجه الثوب و قيل لأنه كالوجه في أنه أعلاه و أشرف ما فيه قال الربيع بن زياد:

من كان مسروراً بمقتل مالك

فليات نسوتنا بوجه نهار

. النزول

قال الحسن و السدى توطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر و قرى

عريته و قال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد و أكفروا به آخر النهار و قولوا أنا نظرنا فى كتبنا و شاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك و ظهر لنا كذبه و بطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه فى دينه و قالوا أنهم أهل الكتاب و هم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم و قال مجاهد و مقاتل و الكلبي كان هذا فى شأن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالله و بما أنزل على محمد (صلى الله عليه و آله) من أمر الكعبة و صلوا إليها أول النهار و ارجعوا إلى قبلتكم آخره لعلهم يشكون.

## المعنى

لما ذكر تعالى صدرا من كيد القوم عقبه بذكر هذه المكيده الشديده فقال «وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ» أى جماعه «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أى بعضهم لبعض «آمَنُوا بِمَا لَدَى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا» يعنون النبى و أصحابه «وَجَهَّ النَّهَارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ» و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أظهروا الإيمان لهم أول النهار و ارجعوا عنه فى آخره فإنه أحرى أن ينقلبوا عن دينهم عن الحسن و جماعه (و ثانيها) آمنوا بصلاتهم إلى الكعبة أول النهار و أكفروا آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد (و ثالثها) أظهروا الإيمان فى صدر النهار بما سلف لكم من الإقرار بصفه محمد (صلى الله عليه و آله) ثم ارجعوا فى آخره لتوهموهم أنه كان قد وقع غلط فى صفته «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» عن دينهم الإسلام عن ابن عباس و جماعه «وَ لَا تُؤْمِنُوا» أى و لا تصدقوا «إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» اليهوديه و قام بشرائعكم و هو عطف على ما مضى و اختلف فى معنى الآيه على أقوال (أحدها) أن معناه و لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم و الحكمه و البيان و الحججه إلا- لمن تبع دينكم من أهل الكتاب و قيل إنما قال ذلك يهود خيبر ليهود المدينه لثلا- يعترفوا به فيلومونهم به لإقرارهم بصحته و قيل معناه لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم و قوله «أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنكم أصح دينا منهم فلا تكون لهم الحججه عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود و قوله «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» و «قُلْ إِنَّ الْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» كلام الله جوابا لليهود و ردا عليهم أى «قُلْ» يا محمد «إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» و «قُلْ إِنَّ الْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» فلا ينبغي لهم أن ينكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا و هذا معنى الحسن و أبى على الفارسى (و ثانيها) أن يكون قوله «وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» كلام اليهود و ما بعده من الله و يكون المعنى

«قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ» أيها المسلمون كقوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا» أي أن لا تضلوا و إن لا يحاجوكم عند ربكم لأنه لا- حجه لهم و يكون هدى الله بدلا من الهدى و الخبر أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم و هذا قول السدى و ابن جريج و قال أبو العباس المبرد أن لا ليست مما تحذف هاهنا و لكن الإضافة هنا معلومه فحذفت الأول و أقيمت الثانيه مقامه و المعنى «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» كراهه «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ» أي مما خالف دين الله لأن الله لا يهدى من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين و كذلك تقدير قوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ كَرَاهَهُ أَنْ تَضَلُّوا» و قال قوم أن تقديره قل يا محمد أن الهدى إلى الخير هدى الله فلا تجحدوا أيها اليهود أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من النبوه «أَوْ» أن «يُحَاجُّوكُمْ» بذلك «عِنْدَ رَبِّكُمْ» إن لم تقبلوا ذلك منهم عن قتاده و الربيع و الجبائي و قيل «إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» معناه أن الحق ما أمر الله به ثم فسر الهدى فقال «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ» فالمؤتى هو الشرع و ما يحاج به هو العقل و تقدير الكلام أن هدى الله ما شرع أو ما عهد به فى العقل فهذه أربعة أقوال (و ثالثها) أن يكون الكلام من أول الآيه إلى آخرها لله تعالى و تقديره و لا تؤمنوا أيها المؤمنون إلا لمن تبع دينكم و هو دين الإسلام و لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين فلا نبى بعد نبيكم و لا- شريعته بعد شريعتكم إلى يوم القيامة و لا تصدقوا بأن يكون لأحد حجه عليكم عند ربكم لأن دينكم خير الأديان و «إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» و «إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» فتكون الآيه كلها خطابا للمؤمنين من الله تعالى عند تلييس اليهود عليهم لثلا يزلوا و يدل عليه ما قاله الضحاک أن اليهود قالوا إنا نحاج عند ربنا من خالفنا فى ديننا فبين الله تعالى أنهم هم المدحضون المغلوبون و أن المؤمنين هم الغالبون و قوله «قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» قيل يريد به النبوه و قيل الحجج التى أوتيتها محمد (صلى الله عليه و آله) و من معه و قيل نعم الدين و الدنيا و قوله «بِيَدِ اللَّهِ» أى فى ملكه و هو القادر عليه العالم بمحلله «يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» و فى هذه دلالة على أن النبوه ليست بمستحقه و كذلك الإمامه لأن الله سبحانه علقه بالمشيئه «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» الرحمه جواد و قيل واسع المقدر و يفعل ما يشاء «عَلِيمٌ» بمصالح الخلق و قيل يعلم حيث يجعل رسالته «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» مر تفسيره فى سورة البقره فى العشر التى بعد المائه و فى هذه الآيات معجزه باهره لنبينا إذ فيها إخبار عن سرائر القوم التى لا يعلمها إلا علام الغيوب و فيها دفع لمكائدهم و لطف للمؤمنين فى الثبات على عقائدهم.

## إشارة

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بلى مَنْ أَوْفَى بَعْهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)

## القراءة

قرأ حمزه و أبو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء و روى نحوه عن أبي عمرو وقرأ أبو جعفر و يعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس و هو الصحيح من مذهب أبي عمرو و الباقون بالكسر و الإشباع.

## الحجة

أما سكون الهاء فإن أكثر النحويين على أنه لا يجوز و غلط الزجاج الراوى فيه عن أبي عمرو قال و حكى سيبويه عنه و هو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسرا خفيفا و قال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم أنتم و قمتم و أما الاختلاس فإنه للاكتفاء بالكسرة عن الياء و أما الإشباع فعلى الأصل.

## اللغة

القنطار قد ذكرنا الخلاف فى مقداره فى أول السورة و الدينار أصله دينار بنونين فقلبت إحدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة و جمعه دنائير و دمت و دمت لغتان مثل مت و مت و لكن من كسر الدال و الميم قال فى المضارع تمت و تدام و هى لغه أزد السراه و وفى و أوفى لغتان و أهل الحجاز يقولون أوفيت و أهل نجد يقولون وفيت.

## الإعراب

الفرق بين أن تقول تأمنه بقنطار و بين أن تقول على قنطار أن معنى الباء إصاق الأمانة و معنى على استعلاء الأمانة و هما يتعاقبان فى هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به و مررت عليه و بلى يحتمل معنيين (أحدهما) الإضراب عن الأول على جهة الإنكار للأول و على هذا الوجه يكون «مَنْ أَوْفَى بَعْهْدِهِ» مكتفيه نحو قولك ما قدم زيد فيقال بلى أى بلى قد قدم زيد قال الزجاج ها هنا وقف تام ثم استأنف من أوفى إلى الآخرة

لأنهم لما «قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل بلى عليهم سبيل (الثانى) الإضراب عن الأول و الاعتماد على البيان الثانى و على هذا الوجه لا تكون مكتفيه و الفرق بين بلى و نعم أن بلى جواب النفى و نعم جواب الإثبات إنما جاز إماله بلى لمشابهتها الاسم من وجهين (أحدهما) أنه توقف عليها كما توقف على الاسم (و الآخر) أنها على ثلاثه أحرف و لذلك خالفت لا فى الإماله.

## النزول

عن ابن عباس قال يعنى بقوله «مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا و مائتى أوقيه من ذهب فأداه إليه فمدحه الله سبحانه و يعنى بقوله «مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» فنحاص بن عازورا و ذلك أن رجلا من قريش استودعه دينارا فخانه و فى بعض التفاسير أن الذى يؤدى الأمانه النصرارى و الذين لا يؤدونهم اليهود.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه معاييب القوم و أن فيهم من تخرج عن العيب فقال «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقَنْطَارٍ» أى تجعله أمينا على قنطار أى مال كثير على ما قيل فيه من الأقوال التى مضى ذكرها فى أول السوره «يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» عند المطالبه و لا يخون فيه «وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ» أى على ثمن دينار و المراد تجعله أمينا على قليل من المال «لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» عند المطالبه و هم كفار اليهود بالإجماع «إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا» معناه إلا أن تلازمه و تتقاضاه عن الحسن و ابن زيد و قيل إلا أن تدوم قائما بالتقاضى و المطالبه عن قتاده و مجاهد و قيل إلا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه و الملازمه عن السدى قال «مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا» أى ملحا عن ابن عباس «ذَلِكَ» أى ذلك الاستحلال و الخيانه «بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» هذا بيان العله التى كانوا لأجلها لا يؤدون الأمانه و يميلون إلى الخيانه أى قالت اليهود ليس علينا فى أموال العرب التى أصبناها سبيل لأنهم مشركون عن قتاده و السدى و قيل لأنهم تحولوا عن دينهم الذى عاملناهم عليه و ذلك أنهم عاملوا جماعه منهم ثم أسلم من له الحق و امتنع من عليه الحق من أداء الحق و قالوا إنما عاملناكم و أنتم على ديننا فإذا فارقتموه سقط حقكم و ادعوا أن ذلك فى كتبهم فأكذبهم الله فى ذلك بقوله «وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم يكذبون لأن الله أمرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن و ابن جريج و إنما سموهم أميين لعدم كونهم من أهل الكتاب أو لكونهم من مكه و هى أم القرى ثم الله تعالى رد عليهم قولهم فقال «بلى» و فيه نفى لما قبله و إثبات لما بعده كأنه قال ما أمر الله بذلك و لا أحبه و لا أراد به بل أوجب الوفاء بالعهد و أداء الأمانه «مَنْ أَوْفَى بَعْهْدِهِ» يحتمل أن يكون الهاء فى

بعهده عائده على اسم الله فى قوله «وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ» فىكون معناه بعهد الله، و عهد الله إلى عباده أمره و نهيه، و يحتمل أن يكون عائده إلى من و معناه من أوفى بعهد نفسه لأن العهد يضاف تاره إلى العاهد و تاره إلى المعهود له «وَأَتَقَى» الخيانه و نقض العهد «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» معناه فإن الله يحبه إلا أنه عدل إلى ذكر المتقين لىبين الصفه التى يجب بها محبه الله و هذه صفه المؤمن فكأنه قال و الله يحب المؤمنين و لا يحب اليهود

و روى عن النبى أنه قال لما قرأ هذه الآيه قال كذب أعداء الله ما من شىء كان فى الجاهليه إلا و هو تحت قدمى إلا الأمانه فإنها مؤداه إلى البر و الفاجر

و عنه قال ثلاث من كن فيه فهو منافق و إن صلى و صام و زعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا أؤتمن خان

و عنه (صلى الله عليه و آله) قال من أؤتمن على أمانه فأداها و لو شاء لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شاء.

### سوره آل عمران (٣): آيه ٧٧

#### اشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)

#### النزول

نزلت فى جماعه من أحبار اليهود أبى رافع و كنانه بن أبى الحقيق و حى بن الأخطب و كعب بن الأشرف كتموا ما فى التوراه من أمر محمد و كتبوا بأيديهم غيره و حلفوا أنه من عند الله لثلاث نفوتهم الرياسه و ما كان لهم على أتابعهم عن عكرمه و قيل نزلت فى الأشعث بن قيس و خصم له فى أرض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآيه نكل الأشعث و اعترف بالحق و رد الأرض عن ابن جريج و قيل نزلت فى رجل حلف يمينا فاجره فى تنفيق سلعه عن مجاهد و الشعبى.

#### المعنى

ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على أفعالهم الخبيثه فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ» أى يستبدلون «بِعَهْدِ اللَّهِ» أى بأمر الله و ما يلزمهم الوفاء به و قيل معناه أن الذين يحصلون بنكث عهد الله و نقضه «وَأَيْمَانِهِمْ» أى و بالأيمان الكاذبه «ثَمَنًا قَلِيلًا» أى عوضا نزرا و سماه قليلا لأنه قليل فى جنب ما يفوتهم من الثواب و يحصل لهم من



العقاب وقيل العهد ما أوجبه الله على الإنسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما فى عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانتقياد للحق «أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ» أى لا- نصيب وافر لهم فى نعيم الآخرة «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» فيه قولان (أحدهما) أنه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم عن الجبائى (و الآخر) أنه لا يكلمهم أصلا و تكون المحاسبه بكلام الملائكه لهم بأمر الله إياهم استهانه بهم «وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» معناه لا يعطف عليهم و لا يرحمهم كما يقول القائل للغير أنظر إلى يريد ارحمنى و فى هذا دلالة على أن النظر إذا عدى بحرف إلى لا- يفيد الرؤيه لأنه لا- يجوز حملها هنا على أنه لا يراهم بلا- خلاف «وَلَا يُزَكِّيهِمْ» أى لا يطهرهم و قيل لا ينزلهم منزله الأذكىاء عن الجبائى و قيل لا يطهرهم من دنس الذنوب و الأوزار بالمغفره بل يعاقبهم و قيل لا يحكم بأنهم أذكىاء و لا يسميهم بذلك بل يحكم بأنهم كفره فجره عن القاضى «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» مؤلم موجه

و فى تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول من حلف على يمين كاذبه ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالى و هو عليه غضبان و تلا هذه الآيه

و روى مسلم بن الحجاج فى الصحيح بإسناده من عده طرق عن أبى ذر الغفارى عن النبى (صلى الله عليه و آله) قال ثلاثه لا يكلمهم الله يوم القيامة و لا ينظر إليهم و لا يزكّيهم و لهم عذاب أليم المنان الذى لا يعطى شيئا إلا منه و المنفق سلطه بالحلف الفاجر و المسبل إزاره

و عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله و هو عليه غضبان أورده مسلم أيضا فى الصحيح.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٧٨

### اشاره

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)

### اللغه

أصل اللى الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها و منه لويت الغريم لويا و ليانا إذا مطلته حقه قال الشاعر:

تطيلين ليانى و أنت مليه

و أحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

## الحديث لى الواجد ظلم

و الألسنه جمع اللسان على التذكير كحمار و أحمره و يقال ألسن على التأنيث كعناق و أعنق و الفرق بين حسبت و زعمت أن زعمت يحتمل أن يكون يقينا و ظنا و حسبت لا يحتمل اليقين أصلا.

## الإعراب

لفريقا نصب بأنه اسم أن و اللام للتأكيد دخلت على اسم أن إذا كان مؤخرا و لا يجوز إن لزيادا فى الدار لثلا يجتمع حرفا تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فأما قولهم جاءنى القوم كلهم أجمعون فكلهم تأكيد للقوم و أجمعون تأكيد للكل.

## النزول

قيل نزلت فى جماعه من أحبار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس فى كتاب الله من نعت النبى ص و غيره و أضافوه إلى كتاب الله و قيل نزلت فى اليهود و النصرارى حرفوا التوراه و الإنجيل و ضربوا كتاب الله بعضه ببعض و ألحقوا به ما ليس منه و أسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس.

## المعنى

«وَ إِنْ مِنْهُمْ» أى من أهل الكتاب و هو عطف على قوله وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ «لَفَرِيقًا» أى طائفه «يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ» معناه يحرفون الكتاب عن جهته و يعدلون به عن القصد بألسنتهم فجعل الله تحريف الكتاب عن الوجهه ليا باللسان و هذا قول مجاهد و قتاده و ابن جريج و الربيع و قيل يفسرونه بخلاف الحق «لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ» أى لتظنوه أيها المسلمون من كتاب الله تعالى و ما هو من الكتاب المنزل على موسى و لكنهم يخترعونه و يبتدعونه و يقولون هو من عند الله «وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و فى هذا دليل على أن المعاصى ليست من عند الله و لا من فعله لأنها لو كانت من فعله لكانت من عنده على أكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفى بأنها ليست من عند الله و كما لا يجوز أن يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لإطلاق النفى بأنه ليست من الكتاب كله لا يجوز أن يكون من عند الله لإطلاق النفى بأنه ليس من عند الله «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ» فى نسبتهم ذلك إلى الكتاب «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» إن ذلك كذب و قيل و هم يعلمون ما عليهم فى ذلك من العقاب.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٩ الى ٨٠

## اشاره

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون (٧٩) و لا تأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أ يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون



قرأ ابن عامر و أهل الكوفه «تُعَلِّمُونَ» بالثشديد و الباقون تعلمون و قرأ عاصم غير الأعشى و البرجمى و حمزه و ابن عامر و يعقوب «وَلَا يَأْمُرُكُمْ» بنصب الرء و الباقون بالرفع.

## الحجه

حجه من قال «تُعَلِّمُونَ» بالثشديد أن التعليم أبلغ فى هذا الموضع لأنه إذا علم الناس و لم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بترك عمله داخلا فى جملة من وبخ بقوله «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» و حجه من قرأ تعلمون أن العالم الدارس قد يدرك بعلمه و درسه مما يكون داعيا إلى التمسك بعلمه و العمل به ما لا يدركه العالم المعلم فى تدريسه و من قرأ يأمركم فعلى القطع من الأول أراد و لا يأمركم الله و من نصبه فعلى قوله «ما كان لِيَشْرَ» أن «يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا» و مما يقوى الرفع ما روى فى حرف ابن مسعود يأمركم فهذا يدل على الانقطاع من الأول و مما يقوى النصب ما جاء فى السير أن اليهود قالوا للنبي ص يا محمد أ تريد أن نتخذك ربا فقال الله عز و جل «ما كان لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ» و لا أن يأمركم.

## اللغه

البشر يقع على القليل و الكثير فهو بمنزله المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر و هؤلاء بشر كما تقول هذا خلق و هؤلاء خلق و إنما وقع المصدر على القليل و الكثير لأنه جنس الفعل فصار كأسماء الأجناس مثل الماء و التراب و نحوه و الربانى هو الرب يرب أمر الناس بتدبيره و إصلاحه إياه يقال رب فلان أمره ربابه و هو ربان إذا دبره و أصلحه و نظيره نعس ينعس و هو نعسان و أكثر ما يجىء فعلان من فعل يفعل فيكون العالم ربانيا لأنه بالعلم رب الأمر و يصلحه و قيل أنه مضاف إلى علم الرب و هو علم الدين الذى يأمره به إلا أنه غير فى الإضافة ليدل على هذا المعنى كما قيل فى الإضافة إلى البحرين بحراني و كما

قيل للعظيم الرقبه رقبانى و للعظيم اللحيه لحيانى ف قيل لصاحب علم الدين الذى أمر به الرب ربانى.

## النزول

قيل أن أبا رافع القرضى من اليهود و رئيس وفد نجران قال يا محمد أ تريد أن نعبدك و نتخذك إلها فقال معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعباده غير الله ما بذلك بعثنى و لا بذلك أمرنى فأنزل الله الآيه عن ابن عباس و عطاء و قيل نزلت فى نصارى نجران عن الضحاك و مقاتل و قيل أن رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أ فلا نسجد لك قال لا ينبغى أن يسجد لأحد من دون الله و لكن أكرموا نبيكم و اعرفوا الحق لأهله فأنزل الله الآيه.

## المعنى

لما تقدم ذكر أهل الكتاب و أنهم أضافوا ما يتدينون به إلى الأنبياء نزههم الله عن ذلك فقال «ما كان لبشر» يعنى ما ينبغى لبشر كقوله «و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً» و «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا» أى لا ينبغى و قيل لا يجوز معناه لبشر و لا يحل له «أن يؤتبه الله» أن يعطيه الله «الكتاب و الحكم و الثبوة» أى العلم أو الرساله إلى الخلق «ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله» أى اعبدونى من دونه أو اعبدونى معه عن الجبائى و قيل معناه ليس من صفه الأنبياء الذين خصهم الله لرسالته و اجتباهم لنبوته و أنزل عليهم كتبه و جعلهم حكماء علماء أن يدعوا الناس إلى عبادتهم و إنما قال ذلك على وجه التنزيه للنبي ص عن مثل هذا القول لا على وجه النهى و قوله «عباداً» هو من العباده قال القاضى و عبيد بخلافه لأنه بمعنى العبوديه و لا يمتنع أن يكونوا عباداً لغيره «و لكن كونوا ربائين» فيه حذف أى لا ينبغى لهذا النبي أن يقول للناس اعبدونى و لكن ينبغى أن يقول لهم كونوا ربانيين و فيه أقوال (أحدها)

أن معناه كونوا علماء فقهاء عن على

و ابن عباس و الحسن (و ثانيها) كونوا علماء حكماء عن قتاده و السدى و ابن أبى رزين (و ثالثها) كونوا حكماء أتقياء عن سعيد بن جبير (و رابعها) كونوا مدبرى أمر الناس فى الولاية بالإصلاح عن ابن زيد (و خامسها) كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال أنفق بمالك أى أنفق من مالك عن الزجاج

و روى عن النبي أنه قال ما من مؤمن و لا مؤمنه و لا حر و لا مملوك إلا و لله عليه حق واجب أن يتعلم من العلم و يتفقه فيه

و قال أبو عبيده سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال و الحرام و الأمر و النهى و ما كان و ما يكون و قال أبو عبيده لم تعرف العرب الربانى و هذا فاسد لأن القرآن نزل بلغتهم و روى عن محمد بن الحنفية أنه قال يوم مات ابن عباس مات ربانى هذه الأمه و قد ذكرنا اشتقاقه قبل «بما كنتم تعلمون الكتاب»

أى القرآن «وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» أى الفقهه و من قرأ بالتشديد أراد تعلمونه لسواكم فيفيد أنهم يعلمون و يعلمون غيرهم و التخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين و دخلت الباء فى قوله «بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ» لأحد ثلاثه أشياء إما أن يريد كونوا معلمى الناس بعلمكم كما يقال أنفقوهم بمالكم أو يريد كونوا ربانيين فى علمكم و دراستكم و وقعت الباء موقع فى أو يريد كونوا ممن يستحق أن يطلق له صفه عالم بعلمه على جهه المدح بأن تعملوا بما علمتم و ذلك أن الإنسان إنما يستحق الوصف بأنه عالم إذا عمل بعلمه و يدل عليه قوله «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» «وَلَا يَأْمُرُكُمْ» أى و لا يأمركم الله عن الزجاج و قيل و لا يأمركم محمد عن ابن جريج و قيل و لا يأمركم عيسى و من نصب الرء عطفه على «أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ» فمعناه و لا كان لهذا النبى أن يأمركم «أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا» أى آلهه كما فعله الصابئون و النصارى «أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» ألف إنكار أصله الاستفهام و إنما استعمل فى الإنكار لأنه مما لو أقر به المخاطب لظهرت فضيحتة فلذلك جاء على السؤال و إن لم يكن الغرض تعرف الجواب و معناه أن الله تعالى إنما يبعث النبى ص ليدعو الناس إلى الإيمان فلا يبعث من يدعو المسلمين إلى الكفر.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٨١ الى ٨٢

#### إشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)

#### القراءة

قرأ حمزه وحده لما آتيتكم بكسر اللام و الباقون بفتحها و قرأ نافع آتيناكم على الجمع و الباقون «آتَيْتُكُمْ» على التوحيد.

#### الحج

الوجه فى قراءه حمزه لما آتيتكم بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ كان المعنى أخذ ميثاقهم لهذا و يكون ما على هذا موصوله و العائد إلى الموصول من الجملة المعطوفه على صلته و هى قوله «جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ» مظهر بمنزله المضمرة و هى

قوله «لِما مَعَكُمْ» لأنه بمنزله ما أوتوه من الكتاب و الحكمه فهذا يكون مثل قوله «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصِدِّقْ فَإِنَّ اللَّهَ لا- يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» لأنه فى معنى لا يضيع أجرهم و يجوز أن يكون ما على هذه القراءه حرفا فيكون بمعنى المصدر قال أبو على و من فتح اللام فقال «لِما آتَيْتُكُمْ» فإن ما فيه يحتمل تأويلين (أحدهما) أن يكون موصوله (و الآخر) أن يكون للجزاء فمن قدر ما موصوله فالقول فيما يقتضيه قوله «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّما مَعَكُمْ» من الراجع إلى الموصول ما تقدم ذكره فى قراءه حمزه و أما الراجع إلى الموصول من الجملة الأولى فالضمير المحذوف من الصله تقديره لما آتَيْتُكُمْ و اللام فى لما فيمن قدر ما موصوله لام ابتداء و هى المتلقيه لما أجرى مجرى القسم من قوله «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ» و موضع ما رفع بالابتداء و الخبر «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» و لتؤمنن متعلق بقسم محذوف و المعنى و الله لتؤمنن به و الذكر الذى فى به يعود إلى الذى آتَيْتُكُمْ الذى هو المبتدأ و نحوه قولك لعبد الله و الله لتأينيه و الذكر الذى فى لتنصرنه يعود إلى رسول الله المتقدم ذكره و إذا قدرت ما للجزاء كانت ما فى موضع نصب بأيتكم و آتَيْتُكُمْ فى موضع جزم بالشرط و جاءكم فى موضع جزم بالعطف على آتَيْتُكُمْ و اللام الداخلة على ما لا- يكون المتلقيه للقسم و لكن يكون بمنزله اللام فى لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ و المتلقيه قوله «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» كما أنها فى قوله «لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ» قوله «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» و هذه اللام الداخلة على أن لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تاره و إثباتها تاره كما قال «وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» فيلحق هذه اللام إن مره و لا تلحق أخرى كما أن كذلك فى قوله و الله أن لو فعلت لفعلت و و الله لو فعلت لفعلت.

## المعنى

لما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر نبينا و ما أخذ من عهده عليهم أجمعين فقال «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ» العامل فى إذ محذوف و تقديره و اذكر إذ أخذ الله و قيل هو عطف على ما تقدم من قوله «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ»

و روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) و ابن عباس و قتاده أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا ص أن يخبروا أممهم بمبعثه و نعته و يبشروهم به و يأمرهم بتصديقه

و قال طاووس أخذ الله الميثاق على الأنبياء (عليه السلام) على الأول و الآخر فأخذ الله ميثاق الأول لتأمنن بما جاء به الآخر

و قال الصادق تقديره و إذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبيا و العمل بما جاءهم به و أنهم خالفوهم فيما بعد و ما وفوا به و تركوا كثيرا من شريعته و حرفوا كثيرا منها

و قوله «لِما آتَيْتُكُمْ» بفتح اللام إذا كانت ما موصوله فتقديره للذى آتَيْتُكُمْ أى أعطيتكموه «مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ» أى نبى و قيل يعنى محمد ص «مُصَدِّقٌ لِّما مَعَكُمْ» أى لما آتَيْتُكُمْ من الكتب

«لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» أى لتؤمنن بالرسول و لتنصرنه أو يريد لتؤمنن بالذى آتيتكموه و لتنصرن الرسول و على هذا يكون المعنى أنه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء ليصدق بعضهم بعضا و يأمر بعضهم بالإيمان ببعض و يكون النصره بالتصديق و الحجه و هو المروى عن الحسن و سعيد بن جبير و طاووس و إذا كانت ما للجزء فتقديره أى شىء آتيتكم و مهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن فالشرط إيتاؤه إياهم الكتاب و الحكمه و مجىء الرسول و الجزء القسم و المقسم عليه و هو قوله «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» فأغنى جواب القسم عن الجزء كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك و قوله «من كتاب» من هذه للتبيين لما نحو قولك ما عندك من ورق و عين و هذا خاتم من فضه و يكون على هذا تقديره أن الله تعالى قال لهم مهما أوتيكم كتابا و حكمه ثم يجيئكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب و الحكمه و الله لتؤمنن به و لتنصرنه فأقروا بذلك و أعطوا عليه موثيقهم و هذا أشبه بما ذكر

أن الميثاق أخذ على الأنبياء ليأخذوا على أممهم بتصديق محمد إذا بعث و يأمرهم بنصرته على أعدائه إن أدركوه و هو المروى عن على

و ابن عباس و قتاده و السدى و اختاره أبو على الجبائى و أبو مسلم و يكون معنى قوله «جاءكم» جاء أممكم و أتباعكم و إنما خرج الكلام على النبيين لأن ما لزمهم لزم أممهم و من قرأ لما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى أخذ الله ميثاقهم لما أوتوه أى لأجل ما أوتوه من الكتاب و الحكمه و لأنهم الأفاضل و خيار الناس و يكون اللام للتعليل فيقتضى أن يكون الإيتاء سابقا لأخذ الميثاق و قوله «لَتُؤْمِنَنَّ» متعلق بأخذ الميثاق و هو فى الحاصل راجع إلى معنى الشرط و الجزء و قوله «وَلَتَنْصُرُنَّهُ» أى البشاره للأمم به قال أى قال الله لأنبيائه «أَأَقْرَرْتُمْ» به و صدقتموه «وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي» معناه و قبلتم على ذلكم عهدى و نظيره إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ و قيل معناه و أخذتم العهد بذلك على أممكم «قَالُوا» أى قال الأنبياء و أممهم «أَقْرَرْنَا» بما أمرتنا بالإقرار به «قَالَ» الله «فَأَشْهَدُوا» بذلك على أممكم «وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ»

عليكم و على أممكم عن على

و قيل فاشهدوا أى فاعلموا ذلك أنا معكم أعلم عن ابن عباس و قيل معناه ليشهد بعضكم على بعض و قيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب و هذه الآيه من مشكلات آيات القرآن و قد غاص النحويون فى وجوه إعرابها و تحقيقها و شقوا الشعر فى تدقيقها و لا تراها فى موضع أوجز لفظا و أكثر فائده و أشد تهذيبا مما ذكرته هنا و بالله التوفيق «فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ» أى فمن أعرض عن الإيمان بمحمد بعد هذه الدلالات و الحجج و بعد أخذ الميثاق على النبيين الذين سبق ذكرهم و المقصود بهذه الأمم دون النبيين لأنه قد مضى أزمانهم و جاز ذلك لأن أخذ الميثاق على



النبيين يتضمن الأخذ على أممهم

وقد روى عن علي (عليه السلام) أنه قال لم يبعث الله نبيا آدم و من بعده إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا و هو حي ليؤمنن به و لينصرنه و أمره بأن يأخذ العهد بذلك على قومه

«فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» و لم يقل الكافرون لأن المراد الخارجون في الكفر إلى أفحش مراتب الكفر بتمردهم و ذلك أن أصل الفسق الخروج عن أمر الله إلى حال توبقه و في الكفر ما هو أكبر كما أن فيما دون الكفر من المعاصي ما هو أكبر و ما هو أصغر بالإضافة إليه.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٣ الى ٨٥

#### اشاره

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)

#### القراءة

قرأ أبو عمرو و «يَبِغُونَ» بالياء و إليه ترجعون بالتاء مضمومه و قرأ بالياء فيهما ابن عباس و حفص و يعقوب و سهل و الباقون بالتاء فيهما جميعا.

#### الحججه

من قرأ بالتاء فيهما فلأن أول الآيه خطاب للنبي و من قرأ بالياء فعلى تقدير قل لهم «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ» فجاء على لفظ الغيبه لأنهم غيب و قد تقدم القول في يرجعون و ترجعون.

#### الإعراب

«أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ» عطف جمله على جمله كما لو قيل أ و غير دين الله يبغون إلا أن الفاء رتبت فكأنه قيل أ بعد تلك الآيات غير دين الله يبغون و طوعا و كرها مصدران وقعا موقع الحال و تقديره طائعين و كارهين كما يقال أتانى ركضا أى راكضا و لا

يجوز أن تقول أتاني كلاما أى متكلمنا لأن الكلام ليس بضرب من الإتيان و الرخص ضرب منه.

## النزول

عن ابن عباس قال اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله ص فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم كل فرقه زعمت أنهم أولى بدينه فقال النبي ص كلا الفريقين برىء من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ».

## المعنى

لما بين سبحانه بطلان اليهوديه و سائر الملل غير الإسلام بين عقبيه أن من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ» أى أبعده هذه الآيات و الحجج يطلبون دينا غير دين الله «وَلَهُ أَسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه أسلم من فى السماوات و الأرض بحاله الناطقه عنه الداله عليه عند أخذ الميثاق عليه عن ابن عباس (و ثانيها) أسلم أى أقر بالعبوديه و إن كان فيهم من أشرك بالعباده كقوله تعالى «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» و معناه ما ركب الله فى عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار له بالربوبيه ليتنبهوا على ما فيه من الدلاله عن مجاهد و أبى العاليه (و ثالثها) أسلم المؤمن طوعا و الكافر كرها عند موته كقوله «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» عن قتاده و اختاره البلخى و معناه التخفيف لهم من التأخر عما هذه سبيله (و رابعها) أن معناه استسلم له بالانقياد و الذكر كقوله «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» أى استسلمنا عن الشعبى و الجبائى و الزجاج (و خامسها)

أن معناه أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين عن الحسن و هو المروى عن أبى عبد الله

قال كرها أى فرقا من السيف و قال الحسن و المفضل الطوع لأهل السماوات خاصه و أما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعا و منهم من أسلم كرها «و إليه ترجعون» أى إلى جزائه تصيرون فبادروا إلى دينه و لا تخالفوا الإسلام «قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ» خطاب للنبي ص و أمر له بأن يقول عن نفسه و عن أمته «آمَنَّا بِاللَّهِ» «و ما أنزل علينا» الآيه كما يخاطب رئيس قوم بأن يقول عن نفسه و عن رعيته و قد سبق معنى الآيه فى سوره البقره فإن قيل ما معنى قوله «و نحن لله مسلمون» بعد ما سبق من الإقرار بالإيمان على التفصيل قلنا معناه و نحن له مسلمون بالطاعه و الانقياد فى جميع ما أمر به و نهى عنه و أيضا فإن أهل الملل المخالفه للإسلام كانوا يقرون كلهم بالإيمان و لكن

لم يقرؤا بلفظ الإسلام فلماذا قال «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (وَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ) أى يطلب «دينًا» يدين به «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» بل يعاقب عليه و يدل عليه قوله «وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أى من الهالكين لأن الخسران ذهاب رأس المال و فى هذه الآيه دلالة على أن من ابتغى الإسلام دينا يقبل منه فدل ذلك على أن الدين و الإسلام و الإيمان واحد و هى عبارات من معبر واحد.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٦ الى ٨٩

### اشاره

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُ هَيْمٍ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ النَّاسُ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)

### اللغه

الخلود فى اللغه طول المكث و لذلك يقال خلد فلان فى السجن و قيل للأتافى خوالد ما دامت فى مواضعها و إذا زالت لا يسمى خوالد و الفرق بين الخلود و الدوام أن الخلود يقتضى طول المكث فى نحو قولك خلد فلان فى الحبس و لا يقتضى ذلك الدوام و لذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود إلا- أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمه و الإنظار التأخير للعبد لينظر فى أمره و الفرق بينه و بين الإمهال أن الإمهال هو تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله.

### الإعراب

كيف أصله الاستفهام و المراد به هنا الإنكار لأنه لا تقع هذه الهدايه من الله أى لا يهديهم الله كقوله كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ أى لا يكون قال الشاعر:

كيف نوما على الفراش و لما

يشمل الشام غاره شعواء

و إنما دخله معنى الإنكار مع أن أصله الاستفهام لأن المسئول يسأل عن أغراض مختلفه فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان و قد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب فى السؤال و قد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار و إنما عطف قوله «شَهِدُوا» و هو فعل على إيمانهم و هو اسم لأن الإيمان مصدر و المراد به الفعل و التقدير بعد أن آمنوا و شهدوا و أجمعين تأكيد للناس و دخلت الفاء فى قوله «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لأنه يشبهه الجزاء إذ كان الكلام قد تضمن معنى إن تابوا فإن الله يغفر لهم و لا يجوز أن يكون فى موضع خبر الذين لأن الذين فى موضع نصب بالاستثناء من الجملة التى هى قوله «أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ» و لا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لأنه الأصل فى الكلام و الأسبق إلى الأفهام.

## النزول

قيل

نزلت الآيات فى رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت و كان قتل المحذر بن زياد البلوى غدرا و هرب و ارتد عن الإسلام و لحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ص هل لى من توبه فسألوا فنزلت الآية إلى قوله «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» فحملها إليه رجل من قومه فقال إنى لأعلم أنك لصدوق و رسول الله أصدق منك و أن الله أصدق الثلاثة و رجع إلى المدينة و تاب و حسن إسلامه عن مجاهد و السدى و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل نزلت فى أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبى ص قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثه حسدا و بغيا عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم.

## المعنى

لما بين تعالى أن الإسلام هو الدين الذى به النجاه بين حال من خالفه فقال «كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم و الثناء عليهم و قد كفروا بعد إيمانهم- (و ثانيها) أنه على طريق التباعد كما يقال كيف أهديك إلى الطريق و قد تركته أى لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلا من الوجه الذى هداهم به و قد تركوه و لا طريق غيره- (و ثالثها) أن المراد كيف يهديهم الله إلى الجنة و يشيهم و الحال هذه و قوله «و شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ» عطف على قوله «بَعْدَ إِيمَانِهِمْ» دون قوله «كَفَرُوا» و تقديره بعد أن آمنوا و شهدوا أن الرسول حق «و جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» أى البراهين و الحجج و قيل القرآن و قيل جاءهم ما فى كتبهم من البشاره لمحمد «و اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أى لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين و لا يشيهم و لا يهديهم إلى طريق الجنة لأن المراد الهدايه المختصه

بالمهتدين دون الهدايه العامه المراده فى قوله «وَ أَمَّا تَمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ» و المراد بالإيمان هاهنا إظهار الإيمان دون الإيمان الذى يستحق به الثواب و ليس فى الآيه ما يدل على أنهم قد كانوا فى باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به «أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ» على أعمالهم «أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ» و هى إبعاده إياهم من رحمته و مغفرته «وَ الْمَلَائِكَةُ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» و هى دعاؤهم عليهم باللعنه و بأن يبعدهم الله من رحمته «خَالِدِينَ فِيهَا» أى فى اللعنه لخلودهم فيما استحقوا باللعنه و هو العذاب و «لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» و لا يسهل عليهم «وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى و لا يمهلون للتوبه و لا يؤخر عنهم العذاب من وقت إلى وقت آخر و إنما نفى إظهارهم للتوبه و الإنابه لما علم من حالهم أنهم لا ينيبون و لا يتوبون كما قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ عَلَى أَنْ التَّبِيه لَيْسَتْ بِوَاجِبِهِ وَ إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ أَبْقَاهُ لَتَابَ وَ أَنَابَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا» أى تابوا من الكفر و رجعوا إلى الإيمان و أصلحوا ضمائرهم و عزموا على أن يثبتوا على الإسلام و هذا أحسن من قول من قال و أصلحوا أعمالهم بعد التوبه و صلوا و صاموا فإن ذلك ليس بشرط فى صحه التوبه إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» يغفر ذنوبهم «رَحِيمٌ» يوجب الجنه لهم و ذكر المغفره دليل على أن إسقاط العقاب بالتوبه تفضل منه سبحانه و أن ما لا يجوز المؤاخذه به أصلاً لا يجوز تعليقه بالمغفره و إن ما يعلق بالمغفره ما يكون له المؤاخذه به.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٩٠

### إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)

### النزول

قيل نزلت فى أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله ص قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن و قيل نزلت فى اليهود كفروا بعبسى و الإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم و كتبهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد و القرآن عن قتاده و عطاء و قيل نزلت فى أحد عشر من أصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما أردنا الرجعه رجعنا فينزل فينا ما نزل فى الحرث فلما افتتح رسول الله ص مكة دخل فى الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافراً «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» الآيه.

### المعنى

لما تقدم ذكر التوبه المقبوله عقبه الله بما لا يقبل منها فقال «إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا» قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله و على ذلك يدور معناه و قيل كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرا إلى كفرهم «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» لأنها لم تقع على وجه الإخلاص و يدل عليه قوله «وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ» و لو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين و قيل لن تقبل توبتهم عند رؤيه البأس لأنها تكون في حال الإلجاء و معناه أنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت و المعايينه عن الحسن و قتاده و الجبائي و قيل لأنها أظهرت الإسلام توريه فأطلع الله تعالى رسوله على سرائرهم عن ابن عباس و قد دل السمع على وجوب قبول التوبه إذا حصلت شرائطها و عليه إجماع الأمة «وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ» عن الحق و الصواب و قيل الهالكون المعذبون.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٩١

### اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١)

### اللغه

الملىء أصله الملاء و هو تطفيح الإناء و منه الملاء الأشراف لأنهم يملئون العين هيبه و جلاله و منه رجل ملىء بالأمر و هو أملاء به من غيره فالملىء اسم للمقدار الذى يملأ و الملىء المصدر و الفديه البدل من الشىء فى إزالة الأذيه و منه فداء الأسير لأنه بدل منه فى إزالة القتل و الأسر عنه إذا كسر مد و إذا فتح قصر تقول فدى لك أو فداء لك و يجوز قصر هذا الممدود للضروره و الافتداء افتعال من الفديه.

### الإعراب

ذهبا منصوب على التمييز و إنما استحق النصب لاشتغال العامل بالإضافه أو ما عاقبها من النون الزائده فجرى ذلك مجرى الحال فى اشتغال العامل بصاحبها و مجرى المفعول فى اشتغال العامل عنه بالفاعل و قوله «وَلَوْ افْتَدَى بِهِ» قال الفراء هذه الواو زائده و غلظه الزجاج لأن الكلام إذا أمكن حملة على فائده يحمل عليها و لا يحمل على الزيادة و قال إذا دخلت الواو فى مثل هذا كان أبلغ فى التأكيد كقولك لا- آتيك و إن أعطيتنى لأنها دخلت لتفصيل نفى القبول بعد الإجمال و لو جعلنا الواو زائده لأوهم ذلك أنه لا يقبل منه ملء الأرض ذهبا فى الافتداء و يقبل فى غيره.

### المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» أى على كفرهم «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ

أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا» أى مقدار ما يملأ الأرض من الذهب «وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ» بذله عوضا و معناه أن الكافر الذى يعتقد الكفر وإن أظهر الإيمان لا- ينفعه الإنفاق بمعنى أنه لا يوجب له الثواب و قيل معناه أنه لا يقبل منه فى الآخرة لو وجد إليه السبيل قال قتاده

يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أ رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا لكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد سألت أيسر من ذلك فلم تفعل و رواه أيضا أنس عن النبى

«أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» قد ذكرنا معناه.

## سورة آل عمران (٣): آية ٩٢

### إشارة

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)

### اللغة

البر أصله من السعة و منه البر خلاف البحر و الفرق بين البر و الخير أن البر هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك و الخير يكون خيرا و إن وقع عن سهو و ضد البر العقوق و ضد الخير الشر.

### المعنى

«لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ» أى لن تدرکوا بر الله تعالى بأهل طاعته و اختلف فى البر هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو الطاعة و التقوى عن مقاتل و عطاء و قيل معناه لن تكونوا أبرارا أى صالحين أتقياء عن الحسن «حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» أى حتى تنفقوا المال و إنما كنى بهذا اللفظ عن المال لأن جميع الناس يحبون المال و قيل معناه ما تحبون من نفائس أموالكم دون أرذالها كقوله تعالى: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ» و قيل هو الزكاة الواجبه و ما فرضه الله فى الأموال عن ابن عباس و الحسن و قيل هو جميع ما ينفقه المرء فى سبيل الخيرات عن مجاهد و جماعه

و قد روى عن أبى الطفيل قال اشترى على (عليه السلام) ثوبا فأعجبه فتصدق به و قال سمعت رسول الله ص يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة و من أحب شيئا فجعله الله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف و أنا أكفيك اليوم بالجنة

و روى أن أبا طلحة قسم حائطا له فى أقاربه عند نزول هذه الآية و كان أحب أمواله إليه فقال له رسول الله ص بخ بخ ذلك مال رابح لك

و جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله





فحمل عليها رسول الله ص أسامه بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه و قال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله أما إن الله قد قبلها منك

و أعتق ابن عمر جاريه كان يحبها و تلا- هذه الآية و قال لو لا أنى لا أعود فى شىء جعلته الله تعالى لنكحتها و أضاف أبو ذر الغفارى ضيفا فقال للضيف إنى مشغول و إن لى إبلا فأخرج و أتنى بخيرها فذهب فجاء بناقه مهزوله فقال له أبو ذر خنتنى بهذه فقال وجدت خير الإبلى فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال أبو ذر إن يوم حاجتى إليه ليوم أوضع فى حفرتى مع أن الله يقول «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و قال أبو ذر فى المال ثلاثه شركاء القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلك أو موت و الوارث ينتظر ك أن تضع رأسك ثم يستاقها و أنت ذميم و أنت الثالث فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكن إن الله يقول «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و إن هذا الجمل كان مما أحب من مالى فأحببت أن أقدمه لنفسى و قال بعضهم دلهم بهذه الآية على الفتوه فقال «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ» أى برى بكم إلا- بركم بإخوانكم و الإنفاق عليهم من مالكم و جاهكم و ما تحبون فإذا فعلتم ذلك نالكم برى و عطفى «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» جاء بالفاء على جواب الشرط و إن كان الله يعلم ذلك على كل حال و فيه وجهان (أحدهما) أن تقديره و ما تنفقوا من شىء فإن الله يجازيكم به قل أو كثر لأنه عليم لا- يخفى عليه شىء منه (و الآخر) أن تقديره فإنه يعلمه الله موجودا على الحد الذى تفعلونه من حسن النيه أو قبحها فإن قيل كيف قال سبحانه «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و الفقير ينال الجنه و إن لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الإنفاق و هو مقيد بالإمكان و إنما أطلق على سبيل المبالغه فى الترغيب و الأولى أن يكون المراد لن تنالوا البر الكامل الواقع على أشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون

و روى عن ابن عمر أن النبى ص سئل عن هذه الآية فقال هو أن ينفق العبد المال و هو شحيح يأمل الدنيا و يخاف الفقر.

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر فى الآية الأولى «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا» وصل ذلك بقوله «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا» لئلا يودى امتناع غناء الفديه إلى الفتور فى الصدقه و ما جرى مجراها من وجوه الطاعه.

**سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٣ الى ٩٤**

اشاره

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فَمَنْ قُلَّ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتُّلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤)

ص: ٣٠٩

الافتراء اقتراف الكذب و أصله قطع ما قدر من الأديم يفريه فريا إذا قطعه و على للاستعلاء و معناه هنا إضافة الكذب إلى النبي ص من جهه أنه أمر بما لم يأمر به الله و أوجب ما لم يوجب الله و فرق بين من كذب عليه و كذب له لأن من كذب عليه يفيد أنه كذب فيما يكرهه و كذب له يجوز أن يكون فيما يريد.

## النزول

أنكر اليهود تحليل النبي لحوم الإبل فقال كل ذلك كان حلالاً لإبراهيم فقالت اليهود كل شىء تحرمه فإنه محرم على نوح و إبراهيم و هلم جرا حتى انتهى إلينا فنزلت الآية عن الكلبي و أبي روق.

## المعنى

«كُلُّ الطَّعَامِ» أى كل المأكولات «كَانَ حِلًّا» أى كان حلالاً «لِبْنِي إِسْرَائِيلَ» و إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم «إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ» أى يعقوب «عَلَى نَفْسِهِ» اختلفوا فى ذلك الطعام فقيل أن يعقوب أخذه وجع العرق الذى يقال له عرق النساء فنذر إن شفاه الله أن يحرم العروق و لحم الإبل و هو أحب الطعام إليه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل حرم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدًا لله تعالى و سأل الله أن يجيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن و قيل حرم زائدتى الكبد و الكليتين و الشحم إلا- ما حملته الظهور عن عكرمه و اختلف فى أنه كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد و قيل بالنذر و قيل بنص ورد عليه و قيل حرمه كما يحرم المستظهر فى دينه من الزهاد اللذة على نفسه «مَنْ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ» معناه أن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل قبل أن تنزل التوراه على موسى فإنها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل و اختلفوا فيما حرم عليهم و حالها بعد نزول التوراه فقيل أنه حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداءً بأبيهم يعقوب (عليه السلام) عن السدى و قيل لم يحرم الله عليهم فى التوراه و إنما حرم عليهم بعد التوراه بظلمهم و كفرهم و كانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا و صب عليهم رجزا و هو الموت و ذلك قوله «فَبُظِّلَ مِنْ

الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» عن الكلبي وقيل لم يكن شىء من ذلك حراما عليهم فى التوراه و إنما هو شىء حرموه على أنفسهم اتباعا لأبيهم و أضافوا تحريمه إلى الله تعالى عن الضحاك فكذبهم الله و قال «قُلْ» يا محمد «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاهِ فَاتْلُوهَا» حتى يتبين أنه كما قلت لا كما قلتكم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى دعواكم فاحتج عليهم بالتوراه و أمرهم بالإتيان بها و إن لم يقرءوا ما فيها فإن كان فى التوراه أنها كانت حلالا للأنبياء و إنما حرمها إسرائيل فلم يجسروا على إتيان التوراه لعلمهم بصدق النبى ص و بكذبهم و كان ذلك دليلا ظاهرا على صحه نبوه نبينا محمد ص إذ علم بأن فى التوراه ما يدل على كذبهم من غير تعلم التوراه و قراءتها «فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» أى فمن افترى الكذب على الله تعالى من بعد قيام الحجه و ظهور البيئه «فَأُولَئِكَ» هم المفترون على الله الكذب و «هُمْ الظَّالِمُونَ» لأنفسهم بفعل ما أوجب العقاب عليهم و إنما قال «مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ» مع أنه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لأنه أراد بيان أنه إنما يؤاخذ به بعد إقامه الحجه عليه و من كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبى الذى لا يستحق الوعيد بكذبه.

## النظم

و وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنها تفصيل للجمله المتقدمه فإنه ذكر الترغيب فى الإنفاق من المحبوب و الطعام مما يجب فرغب فيه و ذكر حكمه عن على بن عيسى و قيل أنه لما تقدم محاجتهم فى مله إبراهيم و كان فيما أنكروا على نبينا ص تحليل لحم الجزور و ادعوا تحريمه على إبراهيم (عليه السلام) و أن ذلك مذکور فى التوراه فأنزل الله هذه الآيه تكذبا لهم.

## سوره آل عمران (٣): آيه ٩٥

### إشاره

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)

### اللغه

الاتباع لحاق الثانى بالأول لما له به من التعلق بالقوه للأول و الثانى يستمد منه و التابع ثان متدبر بتدبير الأول متصرف بتصرفه فى نفسه و أصل الحنيف الاستقامه و إنما وصف المائل القدم بأحنف تفاؤلا و قيل أصله الميل فالحنيف هو المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع.

### المعنى

ثم بين تعالى أن الصدق فيما أخبر به فقال «قُلْ صَدَقَ اللَّهُ» فى أن كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ و فى أن محمدا ص على دين

إبراهيم و أن دينه الإسلام «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» فى استباحه لحوم الإبل و ألبانها «حَنِيفًا» أى مستقيما على الدين الذى هو شريعته فى حجه و نسكه و طيب مأكله و تلك الشريعة هى الحنيفيه و قيل مائلا عن سائر الأديان الباطله إلى دين الحق «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» برأ الله تعالى إبراهيم مما كان ينسبه اليهود و النصارى إليه بزعمهم أنهم على دينه و كذلك مشركو العرب و أخبر أن إبراهيم كان بريئا من المشركين و دينهم و الصحيح أن نبينا ص لم يكن متعبدا بشريعته من تقدم من الأنبياء و لكن وافقت شريعته شريعته إبراهيم فلذلك قال «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» و إلا فالله تعالى هو الذى أوحى بها إليه و أوجبها عليه و كانت شريعته له و إنما رغب الله فى شريعته الإسلام بأنها مله إبراهيم لأن المصالح إذا وافقت ما تسكن إليه النفس و يقبله العقل بغير كلفه كانت أحق بالرغبه فيها و كان المشركون يميلون إلى اتباع مله إبراهيم (عليه السلام) فلذلك خوطبوا بذلك.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٦ الى ٩٧

### إشاره

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)

### القرءه

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و أبى جعفر «حِجُّ الْبَيْتِ» بكسر الحاء و الباقون بفتحها.

### الحجه

قال سيبويه حج حجا مثل ذكر ذكر فحج على هذا مصدر فهذا حجه لمن كسر الحاء و قال أبو زيد الحجج السنون واحدها حجه قال أبو على يدل على ذلك قوله ثمانى حَجَّجَ قال الحجه من حج البيت الواحده قال سيبويه " قالوا حجه أرادوا عمل سنه و لم يحيثوا بها على الأصل و لكنه اسم له " فقولهم لم يحيثوا بها على الأصل أراد أنه للدفعه من الفعل و لكن كسروه فجعلوه اسما لهذا المعنى كما قالوا غزاه لعمل وجه واحد و لم يجىء فيه الغزوه و كان القياس.

### اللغه

أول الشىء ابتداءه و يجوز أن يكون المبتدأ له آخر و يجوز أن لا يكون آخر

له لأن الواحد أول العدد و لا- نهايه لآخره و نعيم أهل الجنة له أول و لا نهايه له و أصل بكه البك و هو الزحم يقال بكه يبكه بكا إذا زحمه و يباك الناس إذا ازدحموا فبكه مزدحم الناس للطواف و هو ما حول الكعبه من داخل المسجد الحرام و قيل سميت بكه لأنها تبك أعناق الجبابره إذا ألدوا فيها بظلم و لم يمهلوا و البك دق العنق و أما مكه فيجوز أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكه و إبدال الميم من الباء كقوله (ضربه لازب و لازم) و يجوز أن يكون من قولهم أمتك الفصيل ما فى ضرع الناقه إذا مص مصا شديدا حتى لا يبقى منه شىء و مك المشاش مكا إذا تمشش بفيه فسميت مكه بذلك لقله مائها و أصل البركه الثبوت من قولهم برك بروكا أو بركا إذا ثبت على حاله فالبركه ثبوت الخير بنموه و منه البركه شبه الحوض يمسك الماء لثبوته فيه و منه قول الناس تبارك الله لثبوته لم يزل و لا يزال وحده.

## الإعراب

قوله تعالى «مُبَارَكًا» نصب على الحال بالظرف من بيبكه على معنى الذى استقر بيبكه مباركا و يجوز أن يكون من الضمير فى وضع كأنه قيل وضع مباركا و على هذا يجوز أن يكون قد وضع قبله بيت و لا يجوز فى التقدير الأول و أما رفع مقام إبراهيم فلائنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره هى مقام إبراهيم عن الأخفش و قيل هو بدل من آيات عن أبى مسلم و «مَنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» فى موضع جر بدلا من الناس و هو بدل البعض من الكل.

## النزول

قال مجاهد تفاخر المسلمون و اليهود فقالت اليهود بيت المقدس أفضل و أعظم من الكعبه لأنه مهاجر الأنبياء و الأرض المقدسه و قال المسلمون بل الكعبه أفضل فأنزل الله تعالى «إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ».

## المعنى

«إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ» أى بنى للناس و لم يكن قبله بيت مبنى و إنما دحيت الأرض من تحتها و هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء و الأرض من تحتها و هو خلقه الله قبل الأرض بألفى عام و كانت زبده بيضاء على الماء عن مجاهد و قتاده و السدى

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أنها كانت مهاه بيضاء يعنى دره بيضاء

و روى أبو خديجه عنه (عليه السلام) قال إن الله أنزله لآدم من الجنة و كان دره بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء و بقى رأسه و هو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبدا فأمر الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) و إسماعيل (عليه السلام) ببنيان البيت على القواعد

و قيل

معناه إن أول بيت وضع للعباده و لم يكن قبله بيت يحج إليه البيت الحرام و قد كانت قبله بيوت كثيره و لكنه أول بيت مبارك و هدى وضع للناس عن على (عليه السلام)



والحسن وقيل أول بيت رغب فيه و طلب منه البركه مكه عن الضحاك و روى أصحابنا أن أول شىء خلقه الله من الأرض موضع الكعبه ثم دحيت الأرض من تحتها

و روى أبو ذر أنه سئل النبي (صلى الله عليه و آله) عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس

«لَلَّذِي بَكَه» قيل

بكه المسجد و مكه الحرام كله يدخل فيه البيوت عن الزهري و ضميره بن ربيعه و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

وقيل بكه بطن مكه عن أبي عبيده و قيل بكه موضع البيت و المطاف و مكه اسم البلده و عليه الأ-كثر و قيل بكه هي مكه و العرب تبدل الباء ميما مثل سبد رأسه و سمده عن مجاهد و الضحاك «مُبَارَكًا» يعنى كثير الخير و البركه و قيل مباركاً لثبوت العباده فيه دائماً حتى يحكى على أن الطواف به لا- ينقطع أبداً و قيل لأنه يضاعف فيه ثواب العباده عن ابن عباس و روى فيه حديثاً طويلاً- و قيل لأنه يغفر فيه الذنوب و يجوز حمله على الجميع إذ لا تنافى «وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» أى دلالة لهم على الله تعالى لإهلا-كه كل من قصده من الجبابره كأصحاب الفيل و غيرهم و باجتماع الطبى فى حرمه مع الكلب و الذئب فلا ينفر عنه مع نفرته عنه فى غيره من البلاد و بانمحاق الجمار على كثره الرماه فلو لا أنها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجاره مثل الجبال و باستئناس الطيور فيه بالناس و باستشفاء المريض بالبيت و بأن لا يعلوه طير إعظاما له إلى غير ذلك من الدلالات و قيل معناه أنهم يهتدون به إلى جهه صلاتهم أو يهتدون إلى الجنه بحجه و طوافه «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» أى دلالات واضحات و الهاء فى فيه عائد إلى البيت و روى عن ابن عباس أنه قرأ فيه آيه بينه مقام إبراهيم فجعل مقام إبراهيم وحده هو الآيه و قال أثر قدميه فى المقام آيه بينه و الأول عليه القراء و المفسرون أرادوا مقام إبراهيم و الحجر الأسود و الحطيم و زمزم و المشاعر كلها و أركان البيت و ازدحام الناس عليها و تعظيمهم لها و قد مضى ذكر مقام إبراهيم فى سوره البقره و

سئل الصادق (عليه السلام) عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الأسود و الباب قيل و لم سمى الحطيم قال لأن الناس يحطم بعضهم بعضا و هو الموضع الذى فيه تاب الله على آدم و قال (عليه السلام) إن تهياً لك أن تصلى صلاتك كلها الفرائض و غيرها عند الحطيم فافعل فإنه أفضل بقعه على وجه الأرض و بعده الصلاه فى الحجر أفضل

و روى عن أبي حمزه الثمالى قال قال لنا على بن الحسين أى البقاع أفضل فقلنا الله تعالى و رسوله و ابن رسوله أعلم فقال لنا أفضل البقاع ما بين الركن و المقام و لو أن رجلاً عمر ما عمر نوح فى قومه ألف سنه إلا خمسين عاماً يصوم النهار و يقوم الليل فى ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئاً

و قال الصادق (عليه السلام) الركن اليمانى بابنا الذى ندخل منه الجنه

و روى أنه من روى من ماء زمزم أحدث له به شفاء و صرف عنه داء

قال

المفسرون و من تلك الآيات مقام إبراهيم (عليه السلام) و أمن الداخل فيه و أمن الوحوش من السباع الضاربه و أنه ما علا عبد على الكعبه إلا- عتق و إذا كان الغيث من ناحيه الركن اليماني كان الخصب باليمن و إذا كان من ناحيه الركن الشامي كان الخصب بالشام و إذا عم البيت كان في جميع البلدان و سائر ما ذكرناه قبل من الآيات و قوله «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» عطف على مقام إبراهيم و في مقام إبراهيم دلالة واضحة لأنه حجر صلد يرى فيه أثر قدميه و لا يقدر أحد أن يجعل الحجر كالطين إلا الله و روى عن ابن عباس أنه قال أن الحرم كله مقام إبراهيم و من دخل مقام إبراهيم يعنى الحرم كان آمنا و قيل فيه أقوال (أحدها) إن الله عطف قلوب العرب في الجاهليه على ترك التعرض لمن لاذ بالحرم و التجأ إليه و إن كثرت جريمته و لم يزد الإسلام إلا شدة عن الحسن (و ثانيها) أنه خير و المراد به الأمر و

معناه أن من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع و لا يشارى و لا يعامل حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد عن ابن عباس و ابن عمر و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام)

و على هذا يكون تقديره و من دخله فأمنوه (و ثالثها) إن

معناه من دخله عارفا بجميع ما أوجبه الله عليه كان آمنا في الآخرة من العذاب الدائم و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و أجمعت الأمة على أن من أصاب فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه ثم لما بين الله فضيله بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجه الإسلام فقال «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» و معناه و لله على من استطاع إلى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت أى من وجد إليه طريقا بنفسه و ماله و اختلف في الاستطاعة فقيل هى الزاد و الراحله عن ابن عباس و ابن عمر و قيل ما يمكنه معه بلوغ مكة بأى وجه يمكن عن الحسن و معناه القدره على الوصول إليه

و المروى عن أئمتنا أنه وجود الزاد و الراحله و نفقه من يلزمه نفقته و الرجوع إلى كفايه إما من مال أو ضياع أو حرفه مع الصحه فى النفس و تخليه السرب من الموانع و إمكان السير

«وَمَنْ كَفَرَ» معناه و من جحد فرض الحج و لم يره واجبا عن ابن عباس و الحسن «فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» لم يتعبد لهم بالعباده لحاجته إليها و إنما تعبد لهم بها لما علم فيها من مصالحهم و قيل إن المعنى به اليهود فإنه لما نزل قوله «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا» فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فأمرنا بالحج فلم يحجوا و على هذا يكون معنى «مَنْ كَفَرَ» من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر و الله غنى عن العالمين و قيل المراد به كفران النعمة لأن امتثال أمر الله شكر لنعمة

و قد روى عن أبي أمامه عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال من لم يحبس حجه ظاهره من مرض حابس أو سلطان جائر و لم يحج فليمت إن شاء يهوديا و إن شاء نصرانيا

و روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال



رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحج و العمره ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد

و فى هذه الآيه دلالة على فساد قول من قال إن الاستطاعة مع الفعل لأن الله أوجب الحج على المستطيع و لم يوجب على غير المستطيع و ذلك لا يمكن إلا قبل فعل الحج.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها إن الله تعالى أمر أهل الكتاب باتباع مله إبراهيم و من ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت و فضله و حرمة و ما يتعلق به فى قوله «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ».

### سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الى ٩٩

اشاره

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنِ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)

اللغه

البغية الطلب يقال بغيت الشىء أبغيه قال عبد بنى الحسحاس:

بغاك و ما تبغيه حتى وجدته

كأنك قد واعدته أمس موعدا

أى طلبك و ما تطلبه و يقال ابغى بكذا بكسر الهمزة أى اطلبه لى و أصله ابغ لى فحذفت اللام لكثرة الاستعمال و إذا قلت أبغى بفتح الهمزة فمعناه أعنى على طلبه و مثله احملى و احملى لى و احلب لى و احلبنى أى أعنى على الحلبة و العوج بفتح العين ميل كل شىء منتصب نحو القناه و الحائط و بكسر العين هو الميل عن طريق الاستواء فى طريق الدين و فى القول و فى الأرض و منه قوله لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً.

الإعراب

«مَنْ آمَنَ» فى موضع نصب بأنه مفعول تصدون و الكنايه فى قوله «تَبِعُونَهَا» راجعه إلى السبيل.

المعنى

ثم عاد سبحانه الكلام إلى حجاج أهل الكتاب فقال مخاطباً للنبي يأمره بخطاب اليهود و النصارى و قيل اليهود خاصة «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» أى قل يا محمد لهم



«لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بالمعجزات التى أتاهها محمد (صلى الله عليه وآله) و العلامات التى وافقت فى صفته ما تقدمت البشاره به و سماهم أهل الكتاب و إن لم يعملوا به و لم يجز مثل ذلك فى أهل القرآن لوجهين (أحدهما) أن القرآن اسم خاص لكتاب الله تعالى و أما الكتاب فلا- ينبى عن ذلك بل يجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عن وجهته (و الثانى) الاحتجاج عليهم بالكتاب لإقرارهم به فكأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب الله لم تكفرون بآيات الله و اللفظ لفظ الاستفهام و المراد به التوبيخ و إنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث أنه سؤال يعجز عن إقامه العذر فكأنه قال هاتوا العذر فى ذلك إن أمكنكم «وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ» أى حفيظ على أعمالكم محص لها ليجازيكم عليها قيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجه عليكم فيها و قال عز اسمه فى هذا الموضع «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» و فى موضع آخر «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ\*» لأنه تعالى خاطبهم فى موضع على جهه التلطف فى استدعائهم إلى الإيمان و أعرض عن خطابهم فى موضع آخر و أمر سبحانه نبيه استخفافا بهم لصددهم عن الحق «قُلْ» يا محمد «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصِدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ» أى لم تمنعون المؤمنين عن دين الإسلام الذى هو دين الله و سبيله و اختلف فى كيفية صددهم عن سبيل الله ف قيل أنهم كانوا يغرون بين الأوس و الخزرج بتذكيرهم الحروب التى كانت بينهم فى الجاهليه حتى تدخلهم الحميه و العصبيه فينسلخون عن الدين عن زيد بن أسلم فعلى هذا يكون الآيه فى اليهود خاصه و قيل الآيه فى اليهود و النصارى و معناه لم تصدون بالتكذيب بالنبى (صلى الله عليه وآله) و إن صفته ليست فى كتبكم عن الحسن و قيل بالتحريف و البهت عن الأصم «تَبْغُونَهَا عِوَجًا» أى تطلبون لسبيل الله عوجا عن سمت الحق و هو الضلال فكأنه قال تبغونها ضلالا بالشبه التى تدخلونها على الناس و قيل معناه تطلبون ذلك السبيل لا على وجه الاستقامه أى على غير الوجه الذى ينبغى أن يطلب و قوله «وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ» فيه قولان- (أحدهما)- أن معناه أنتم شهداء بتقديم البشاره بمحمد فى كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه و تريدون عدوله عنه- (و الآخر)- أن المراد و أنتم عقلاء كما قال أو أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ أَى عاقل و ذلك أنه يشهد الذى يميز به بين الحق و الباطل فيما يتعلق بالدين «وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» هذا تهديد لهم على الكفر.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٠ الى ١٠١

#### إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعِيدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)

الطاعة موافقه الإراده الجاذبه للفعل بالترغيب فيه و الإجابة موافقه الإراده الداعيه إلى الفعل و لذلك يجوز أن يكون الله مجيباً إلى عبده إذا فعل ما دعا العبد به و لم يجز أن يكون مطيعاً له و أصل الاعتصام الامتناع و عصمه يعصمه إذا منعه و لا عاصمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَى و لا مانع و العصام الحبل لأنه يعتصم به و العصم الأوعال لامتناعها بالجبال.

## النزول

نزلت في الأوس و الخزرج لما أغرى قوم من اليهود بينكم بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن أسلم و السدى و قيل نزل قوله «وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ» في مشركى العرب عن الحسن.

## المعنى

ثم حذر المؤمنين عن قبول قولهم فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله و هو خطاب للأوس و الخزرج و يدخل غيرهم من المؤمنين فى عموم اللفظ «إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» معناه إن طيعوا هؤلاء اليهود فى قبول قولهم و إحياء الضغائن التى كانت بينكم فى الجاهلية «يَرُدُّوكُمْ بِعِدِّ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ» أى يرجعوكم كفاراً بعد إيمانكم ثم أكد تعالى الأمر و عظم الشأن فقال «وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ» أى و على أى حال يقع منكم الكفر «وَ أَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ» و هذا استبعاد أن يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله و فيهم داع يدعوهم إلى الإيمان و قيل هو على التعجب أى لا ينبغي لكم أن تكفروا مع ما يقرأ عليكم فى القرآن المجيد من الآيات الداله على وحدانيه الله و نبوه نبيه (صلى الله عليه و آله) «وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» يعنى محمداً ترون معجزاته و الكفر و إن كان فظيماً فى كل حال فهو فى مثل هذه الحاله أفضع و يجوز أن يكون المراد بقوله «وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» القوم الذين كان النبى (صلى الله عليه و آله) بين أظهرهم خاصه و يجوز أن يكون المراد به جميع أمته لأن آثاره و علاماته من القرآن و غيره فينا قائمه باقيه و ذلك بمنزله وجوده فينا حياً «وَ مَنْ يَعْتَصِمْ

بِاللَّهِ» أى يتمسك بكتابه و آياته و بدينه و قيل من يمتنع بالله عن سواه بأن يعبده لا يشرك به شيئاً و قيل من يمتنع عن الكفر و الهلاك بالإيمان بالله و برسوله «فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى إلى طريق واضح قال قتاده فى هذه الآية علمان بيان كتاب الله و نبي الله فأما نبي الله فقد مضى و أما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمه منه و نعمه فيه حلاله و حرامه و طاعته و معصيته و قيل أنهم قد شاهدوا فى نفسه (صلى الله عليه و آله) معجزات كثيرة منها أنه كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه و منها أنه كان ينام عينه و لا ينام قلبه و منها أن ظله لم يقع على الأرض و منها أن الذباب لم يقع عليه و منها أن الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه و كان لا يرى له بول و لا غائط و منها أنه كان لا يطوله أحد و إن طال و منها أنه كان بين كتفيه خاتم النبوه و منها أنه كان إذا مر بموضع يعلمه الناس لطيبه و منها أنه كان يسطع نور من جبهته فى الليله المظلمه و منها أنه قد ولد مختوناً إلى غير ذلك من الآيات.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣

#### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)

#### اللغه

تقاه من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثه أوجه تقاه و وقاه و أقاه حملة على قياس وجوه و أجوه و إن كان هذا المثال لم يجىء منه شىء على الأصل نحو تخمه و تكأه غير أنه حملة على الأكثر من نظائره و الحبل السبب الذى يوصل به إلى البغيه كالحبل الذى يتمسك به للنجاه من بئر أو نحوها و منه الحبل للأمان لأنه سبب النجاه قال الأعشى:

و إذا تجوزها حبال قبيله

أخذت من الأخرى إليك حبالها

و منه الحبل للحمل فى البطن و أصل الحبل المفتول قال ذو الرمه:

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم

أم هل لها آخر الأيام تكليم

و شفا الشىء مقصور حرفه و يثنى شفوان و جمعه أشفاء و أشفى على الشىء أشرف عليه و أشفى المريض على الموت من ذلك.

## الإعراب

قوله «وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» جملة فى موضع الحال و قوله «جَمِيعاً» نصب على الحال أيضا أى و اعتصموا فى حال اجتماعكم أى كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا أصله أى لا تفرقوا فحذف أحد التاءين كراهه لاجتماع المثليين و المحذوفه الثانيه لأن الأولى علامه للاستقبال و هو مجزوم بالنهى و علامه الجزم سقوط النون و قوله تعالى «فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» الكنايه فى منها عادت إلى الحفره و ترك شفا و مثله قول العجاج:

طول الليالى أسرع فى نقضى

طوين طولى و طوين عرضى

فترك الطول و أخبر عن الليالى.

## النزول

قال مقاتل افتخر رجلا من الأوس و الخزرج ثعلبه بن غنم من الأوس و أسعد بن زراره من الخزرج فقال الأوسى منا خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين و منا حنظله غسيل الملائكه و منا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدين و منا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له و رضى الله بحكمه فى بنى قريظه و قال الخزرجى منا أربعه أحكموا القرآن أبى بن كعب و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد و منا سعد بن عباده خطيب الأنصار و رئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا و تفاخرا و ناديا فجاء الأوس إلى الأوسى و الخزرج إلى الخزرجى و معهم السلاح فبلغ ذلك النبى (صلى الله عليه و آله) فركب حمارا و أتاهم فأنزل الله هذه الآيات فقرأها عليهم فاصطلحوا.

## المعنى

لما نهى تعالى عن قبول أقوال الكافرين بين فى هذه الآيه ما يجب قبوله فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» معناه و اتقوا عذاب الله أى احترسوا و امتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق فكما يجب أن يتقى ينبغى أن يحترس منه و ذكر فى قوله «حَقَّ تُقَاتِهِ» وجوه (أحدها)

إن معناه أن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و قتاده و هو المروى عن  
أبى عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) أنه اتقاء جميع معاصيه عن أبى على الجبائى (و ثالثها) أنه المجاهده فى

ص: ٣٢٠

الله تعالى و أن لا- تأخذه فيه لومه لائم و أن يقام له بالقسط فى الخوف و الأمن عن مجاهد ثم اختلف فيه أيضا على قولين (أحدهما)

أنه منسوخ بقوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» عن قتاده و الربيع و السدى و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

(و الآخر) أنه غير منسوخ عن ابن عباس و طاووس و أنكر الجبائى نسخ الآية لما فيه من إباحه بعض المعاصى قال الرماني و الذى عندى أنه إذا وجه قوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» على أن يقوموا له بالحق فى الخوف و الأمن لم يدخل عليه ما ذكره أبو على لأنه لا- يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال إِيَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ و قوله «وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» و قد ذكرنا فى سورة البقره أن معناه لا- تتركوا الإسلام و كونوا عليه حتى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه و إنما كان بلفظ النهى عن الموت من حيث أن الموت لا بد منه و إنما النهى فى الحقيقه عن ترك الإسلام لأن لا- يهلكوا بالانقطاع عن التمكن منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على وجه التصرف و الإبدال بحسن الاستعاره و زوال اللبس

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أنتم مسلمون بالتشديد و معناه مستسلمون لما أتى به النبى (صلى الله عليه و آله) منقادون له

«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ» أى تمسكوا به و قيل امتنعوا به من غيره و قيل فى معنى حبل الله أقوال (أحدها)

أنه القرآن عن أبى سعيد الخدرى و عبد الله و قتاده و السدى و يروى ذلك مرفوعا

(و ثانيها) أنه دين الله الإسلام عن ابن عباس و أبى زيد (و ثالثها)

ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال نحن حبل الله الذى قال «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا»

و الأولى حملة على الجميع و الذى يؤيده

ما رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال أيها الناس إنى قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض

«وَ لَا تَفَرُّوا» معناه و لا تتفرقوا عن دين الله الذى أمركم فيه بلزوم الجماعه و الائتلاف على الطاعه و أثبتوا عليه عن ابن مسعود و قتاده و قيل معناه لا تتفرقوا عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الحسن و قيل عن القرآن بترك العمل به «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» قيل أراد ما كان بين الأوس و الخزرج من الحروب التى تطاولت مائه و عشرين سنه إلى أن ألف الله بين قلوبهم بالإسلام فزال تلك الأحقاد عن ابن عباس و قيل هو ما كان بين مشركى العرب من الطوائل عن الحسن و المعنى احفظوا نعمه الله و منته عليكم بالإسلام و بالائتلاف و رفع ما كان بينكم من التنازع و الاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم فى العاجل مع ما أعد لكم من الثواب الجزيل فى الأجل «إِذْ كُنْتُمْ





أَعِيدَاءَ فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» بجمعكم على الإسلام و رفع البغضاء و الشحناء عن قلوبكم «فَأَصْرِيحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ» أى بنعمه الله «إِخْوَانًا» متواصلين و أحبابا متحابين بعد أن كنتم متحاربين متعادين و صرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مراد الآخرين لأن أصل الأخ من توخيت الشيء إذا قصدته و طلبته «وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ» أى و كنتم يا أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينها و بينكم إلا الموت فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولا و هداكم للإيمان و دعاكم إليه فنجوتم بإجابته من النار و إنما قال «فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» و إن لم يكونوا فيها لأنهم كانوا بمنزله من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال أبو الجوزاء قرأ ابن عباس «وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» و أعرابى يسمع فقال و الله ما أنقذهم منها و هو يريد أن يقحمهم فيها فقال ابن عباس اكتبها من غير فقيه «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ» أى مثل البيان الذى تلى عليكم يبين الله لكم الآيات أى الدلالات و الحجج فيما أمركم به و نهاكم عنه «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى لكى تهتدوا إلى الحق و الصواب.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥

#### إشارة

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)

#### اللغة

الأمة اشتقاقها من الأم الذى هو القصد فى اللغة تستعمل على ثمانية أوجه منها الجماعه و منها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد و منها القدوه لأنه يأتى به الجماعه و منها الدين و المله كقوله «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ» \* و منها الحين و الزمان كقوله تعالى «وَإِذْ كَرَّرْنَا بِعِيدِ أُمَّةٍ» و إلى أُمَّةٍ مَعِيدُودَةٍ و منها القامه يقال رجل حسن الأمة أى القامه و منها النعمه و منها الأمة بمعنى الأم.

#### الإعراب

«مِنْكُمْ أُمَّةٌ» من هاهنا للتبعيض على قول أكثر المفسرين لأن الأمر بالمعروف و إنكار المنكر ليسا بفرضين على الأعيان و هما من فروض الكفريات فأى فرقه قامت بهما سقطا عن الباقيين و من قال إنهما من فروض الأعيان قال أن من هاهنا للتبيين و لتخصيص المخاطبه دون سائر الأجناس كقوله فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ و قول الشاعر:

ص: ٣٢٢

أخو رغائب يعطيها و يسلبها

يأبى الظلامه منه النوفل الزفر

لأنه وصفه بإعطاء الرغائب و النوفل الكثير الإعطاء و الزفر الذى يحمل الأثقال.

## المعنى

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ» أى جماعه «يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ» أى إلى الدين «وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» أى بالطاعه «وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» أى عن المعصيه «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الفائزون و قيل كل ما أمر الله و رسوله به فهو معروف و ما نهى الله و رسوله عنه فهو منكر و قيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا أو شرعا و المنكر ما ينكره العقل أو الشرع و هذا يرجع فى المعنى إلى الأول

و يروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و لتكن منكم أئمه و كنتم خير أئمه أخرجت للناس

و فى هذه الآيه دلالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و عظم موقعهما و محلهما من الدين لأنه تعالى علق الفلاح بهما و أكثر المتكلمين على أنهما من فروض الكفايات و منهم من قال إنهما من فروض الأعيان و اختاره الشيخ أبو جعفر (ره) و الصحيح أن ذلك إنما يجب فى السمع و ليس فى العقل ما يدل على وجوبه إلا إذا كان على سبيل دفع الضرر و قال أبو على الجبائى يجب عقلا و السمع يؤكده

و مما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبى ص قال من أمر بالمعروف و نهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه و خليفه رسول الله و خليفه كتابه

و عن دره ابنه أبى لهب قالت جاء رجل إلى النبى ص و هو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال أمرهم بالمعروف و أنهاهم عن المنكر و أتقاهم لله و أرضاهم

و قال أبو الدرداء لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجلب كبيركم و لا يرحم صغيركم و تدعو خياركم فلا يستجاب لهم و تستنصرون فلا تنصرون و تستغيثون فلا تغاثون و تستغفرون فلا تغفرون و قال حذيفه يأتى على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفه حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ثم أمر سبحانه بالجماعه و ترك التفرق فقال سبحانه «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا» فى الدين و هم اليهود و النصارى «وَأَخْتَلَفُوا» قيل معناه تفرقوا أيضا و ذكرهما للتأكيد و اختلاف اللفظين كقول الشاعر:

"متى أدن منه ينأ عنى و يبعد"

و قيل معناه كالذين تفرقوا بالعداوه و اختلفوا فى الديانه «مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» أى الحجج و الكتب و بين لهم الطرق «وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» عقوبه لهم

على تفرقهم و اختلافهم بعد مجىء الآيات و البينات و الآيه تدل على تحريم الاختلاف فى الدين و إن ذلك مذموم قبيح منهى عنه.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧

### اشاره

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ وُجُوهُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)

### الإعراب

العامل فى قوله «يَوْمَ» قوله عَظِيمٌ و تقديره عذابهم يوم تبيض وجوه و لا يجوز أن يكون العامل فيه عذاب لأنه موصوف قد فصلت صفه بينه و بين معموله لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة لأنها فى معنى يعذبون كما يقال المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل و الجملة خلف منه و جواب أما فى قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» فيقال لهم «أَ كَفَرْتُمْ» فحذف لدلاله اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به و قد يحذف القول فى مواضع كثيره استغناء بما قبله من البيان كقوله «وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا» أى يقولون ربنا أبصرنا لدلاله تنكيس الرأس من المجرمين على سؤال الإقاله و مثله كثير.

### المعنى

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ وُجُوهُ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ» أخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب أى ثبت لهم العذاب فى يوم هذه صفته و إنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الإيمان و الطاعه و تسود فيه الوجوه للكافرين عقوبه لهم على الكفر و السيئات بدلاله ما بعده و هو قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ» أى يقال لهم أ كفرتم بعد إيمانكم و اختلف فيمن عنوا به على أقوال (أحدها) أنهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنفاق عن الحسن (و ثانيها) أنهم جميع الكفار لإعراضهم عما وجب عليهم الإقرار به من التوحيد حين أشهدهم على أنفسهم أ لست بربكم قالوا بلى فيقول أ كفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق عن أبى بن كعب (و ثالثها) أنهم أهل الكتاب كفروا بالنبي ص بعد إيمانهم به أى

بنته و صفته قبل مبعثه عن عكرمه و اختاره الزجاج و الجبائي (و رابعها)

أنهم أهل البدع و الأهواء من هذه الأمة عن علي (عليه السلام) و مثله عن قتاده

أنهم الذين كفروا بالارتداد

و يروى عن النبي ص أنه قال و الذي نفسى بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن أصحابي أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعد إيمانهم ارتدوا على أعقابهم القهقري

ذكره الثعلبي في تفسيره فقال أبو أمامه الباهلي هم الخوارج

و يروى عن النبي ص أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية

و الألف في «أَكْفَرْتُمْ» أصله الاستفهام و المراد به هنا التقرير أى لم كفرتم و قيل المراد التقرير أى قد كفرتم «فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» أى بلفظ الذوق على التوسع و معناه انظروا ما صار إليه عاقبتكم من عذاب الله «بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» أى بكفركم «وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ» و هم المؤمنون «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ» أى ثواب الله و قيل جنة الله «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أعاد كلمه الظرف و هى قوله «فِيهَا» تأكيداً لتمكين المعنى فى النفس و قيل إنما أعادها لأنه دل بقوله «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ» على إدخاله إياهم فى الرحمة و بقوله «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» على خلودهم فيها و سمي الله تعالى الثواب رحمة و الرحمة نعمه يستحق بها الشكر و كل نعمه تفضل و الوجه فى ذلك أن سبب الثواب الذى هو التكليف تفضل فيكون الثواب على هذا الوجه تفضلاً و قيل إنما جاز أن يكون تفضلاً لأنه بمنزلة إنجاز الوعد فى أنه تفضل مستحق لأن المبتدئ به قد كان له أن لا يفعل فلما فعله وجب عليه الوفاء به لأن الخلف قبيح و هو مع ذلك تفضل لأنه جر إليه تفضل و قال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه إشراقها و إسفارها بالسرور بنيل البغية و الظفر بالمنية و الاستبشار بما يصير إليه من الثواب كقوله «وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ» و المراد باسودادها ظهور أثر الحزن عليها لما يصير إليه من العقاب كقوله «وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَّةٍ» «وَ وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ» و فى هذا القول عدول عن حقيقه اللفظ من غير ضروره و الأصح الأول.

**سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٨ الى ١٠٩**

**اشاره**

تَلَمَّكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)

ص: ٣٢٥

«تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ» أى تلك التى قد جرى ذكرها حجج الله و علاماته و بيناته «تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» نقرأها عليك بالحق يا محمد ص و على أمتك و نذكرها لك و نعرفك إياها و نقصها عليك «بِالْحَقِّ» أى بالحكمه و الصواب «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ» معناه لا- يظلمهم بأن يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه أو ينقصهم من الثواب عما استحقوه و إنما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم أو لحاجه إليه من دفع ضرر و جر نفع و تعالى الله عن صفه الجهل و الحاجه و سائر صفات النقص علوا كبيرا و كيف يجوز أن يظلم أحدا و هو الذى خلقهم و أنشأهم و ابتدعهم و آتاهم من النعم ما لا تسمو إليه هممهم و عرضهم بها لما هو أعظم منها قدرا و أجل خطرا و هو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا «وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» اختلفوا فى كيفية رجوع الأمل إلى الله تعالى ف قيل أن الأمور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله للمجازاه و قيل أن الله تعالى قد ملك عباده فى الدنيا أمورا و جعل لهم تصرفا و يزول جميع ذلك فى الآخرة و يرجع إليه كله كما قال لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ و فى وقوع المظهر موقع المضممر فى قوله «وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» قولان (أحدهما) ليكون كل واحد من الكلامين مكتفيا بنفسه (و الآخر) ليكون أفخم فى الذكر و الموضع موضع التفتيح و ليس كقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شىء

نغص الموت ذا الغنى و الفقيرا

لأن البيت مفتقر إلى الضمير و الآيه مستغنيه عنه.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١١٠

#### إشاره

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)

#### المعنى

لما تقدم ذكر الأمر و النهى عقبه تعالى بذكر من تصدى للقيام بذلك و مدحهم ترغيبا فى الاقتداء بهم فقال «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه أنتم خير أمة و إنما قال «كُنْتُمْ» لتقدم البشاره لهم فى الكتب الماضيه عن الحسن و يعضده ما

روى عن النبى ص أنه قال أنتم و فئتم سبعين أمة أنتم خيرها و أكرمها

(و ثانيها) أن المراد كنتم خير أمه عند الله في اللوح المحفوظ عن الفراء و الزجاج (و ثالثها) أن كان هاهنا تامه و «خَيْرَ أُمَّه» نصب على الحال و معناه وجدتم خير أمه و خلقتم خير أمه (و رابعها) أن كان مزیده دخولها كخروجها إلا أن فيها تأكيداً لوقوع الأمر لا- محاله لأنه بمنزله ما قد كان في الحقيقه فهى بمنزله قوله تعالى «وَ أَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» و فى موضع آخر إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرْتُمْ و نظيره قوله «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» \* لأن مغفرته المستأنفه كالماضيه فى تحقيق الوقوع (و خامسها) أن كان بمعنى صار كما فى قول الشاعر:

فخر على الألاء توسدته

و قد كان الدماء له خمارا

و معناه صرتم خير أمه خلقت لأمركم بالمعروف و نهيكم عن المنكر و إيمانكم بالله فتصير هذه الخصال على هذا القول شرطاً فى كونهم خيراً و قد روى عن بعض الصحابه أنه قال من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤد شرط الله فيه من الإيمان بالله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و اختلف فى المعنى بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصه عن ابن عباس و السدى و قيل نزلت فى ابن مسعود و أبى بن كعب و معاذ بن جبل و سالم مولى أبى حذيفه عن عكرمه و قيل أراد بهم أصحاب رسول الله ص خاصه عن الضحاك و قيل هو خطاب للصحابه و لكنه يعم سائر الأمة ثم ذكر مناقبهم فقال «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» بالطاعات «وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» عن المعاصى و يسأل فيقال أن القبيح أيضا يعرف أنه قبيح فلم خص الحسن باسم المعروف و جوابه أن القبيح جعل بمنزله ما لا- يعرف لخموله و سقوطه و جعل الحسن بمنزله النبىه الجليل القدر يعرف لنباهته و علو قدره «وَ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ» أى بتوحيده و عدله و دينه «وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ» أى لو صدقوا بالنبى ص و بما جاء به «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» أى لكان ذلك الإيمان خيراً لهم فى الدنيا و الآخرة لأنهم ينجون بها فى الدنيا من القتل و فى الآخرة من العذاب و يفوزون بالجنة «مِنْهُمْ» أى من أهل الكتاب «الْمُؤْمِنُونَ» أى المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفه نبينا و البشاره به كعبد الله بن سلام و أصحابه من اليهود و النجاشى و أصحابه من النصارى «وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» أى الخارجون عن طاعه الله تعالى و إنما وصفهم بالفسق دون الكفر الذى هو أعظم لأن الغرض الإيدان بأنهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الإقرار بالحق فى نبوه نبينا و قيل لأنهم فى الكفار بمنزله الفساق العصاه لخروجهم إلى الحال

الفاحشه التي هي أشنع و أفضع.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١١١ الى ١١٢

### اشاره

لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىً وَإِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذىَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ (١١١) ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحِجْلِ مِنَ اللَّهِ وَ حِجْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَنَهُ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبياءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِما عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)

### الإعراب

«إِلَّا أذىً» استثناء متصل و قوله «أذىً» فى تقدير النصب و معناه لن يضروكم إلا ضرراً يسيراً فالأذى وقع موقع المصدر و قيل هو استثناء منقطع لأن الأذى ليس من الضرر كقوله «لا يَدُوقُونَ فِيها بَرْدًا وَ لا شَرابًا إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَّاقًا» قال على بن عيسى هذا ليس بصحيح لأن الكلام إذا أمكن فيه الاستثناء الحقيقى لم يجر حمله على المنقطع و إن يقاتلوكم شرط و يولوكم جزاء و علامه الجزم فيهما سقوط النون و قوله «ثُمَّ لا- يُنصِرُونَ» رفع على الاستئناف و لم يجرم على العطف لأن سبب التولية القتال و ليس كذلك منع النصر لأن سببه الكفر و لأن الرفع أشكل براءوس الآى المتقدمه و هو مع ذلك عطف جمله على جمله و العامل فى الباء من قوله «بِحِجْلِ مِنَ اللَّهِ» ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال إلا بحبل و قال الفراء العامل فيه محذوف و تقديره إلا أن يعتصموا بحبل من الله و أنشد:

رأتنى بحبلها فصدت مخافه

و فى الحبل روعاء الفؤاد فروق

أراد رأتنى أقبلت بحبلها فحذف الفاعل فى الباء و قال آخر:

ص: ٣٢٨



و لست مقيدا أنى بقيد

أراد أننى قيدت بقيد قال على بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين (أحدهما) أن حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لأنه إذا احتاج إلى الصلته تبيين عنه فالحاجه إلى البيان عنه بذكره أشد و إنما يجوز حذف الشىء للاستغناء عنه بدلاله غيره عليه و لو دل عليه لحذف مع صلته لأنه معها بمنزله شىء واحد و (الوجه الآخر) أن الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف و قيل فى هذا الاستثناء أنه منقطع لأن الدله لازمه لهم على كل حال فجرى مجرى قوله و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً فعامل الإعراب موجود و المعنى على الانقطاع و مثله لا يسمعون فيها لغواً إلا سئلاماً فكل انقطاع فيه إزاله الإبهام الذى يلحق الكلام فقوله «لا- يسمعون فيها لغواً» قد يوهم أنهم من حيث لا يسمعون فيها لغواً لا يسمعون كلاماً ففيل لذلك إلا سلاماً و كذلك قوله «و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً» قد يتوهم أنه لا يقتل مؤمن مؤمناً على وجه ففيل لذلك إلا خطأً و كذلك «ضربت عليهم الدله» قد يتوهم أنه من غير جواز مواده ففيل إلا بخبل من الله و قيل إن الاستثناء متصل لأن عز المسلمين عز لهم بالذمه و هذا لا يخرجهم من الدله فى أنفسهم.

## النزول

قال مقاتل أن رءوس اليهود مثل كعب و أبى رافع و أبى ياسر و كنانه و ابن صوريا عمدوا إلى مؤمنهم كعبد الله بن سلام و أصحابه فأنبوهم لإسلامهم فنزلت الآيه.

## المعنى

«لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى» وعد الله المؤمنين أنهم منصورون و أن أهل الكتاب لا يقدرون عليهم و لا ينالهم من جهتهم مضره إلا أذى من جهه القول ثم اختلفوا فى هذا القول ففيل هو كذبهم على الله و تحريفهم كتاب الله و قيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذى «و إن يقتلوكم» أى و أن يجاوزوا عن الإيذاء باللسان إلى القتال و المحاربه «يؤلوكم الأذبار» منهزمين «ثم لا ينصرون» أى ثم لا يعاونون لكفرهم ففى هذه الآيه دلاله على صحه نبوه نبينا ص لوقوع مخبره على وفق خبره لأن يهود المدينه من بنى قريظه و النضير و بنى قينقاع و يهود خيبر الذين حاربوا النبى و المسلمين لم يثبتوا لهم قط و انهزموا و لم ينالوا من المسلمين إلا- بالسب و الطعن «ضربت عليهم الدله» أى أثبت عليهم الدله و أنزلت بهم و جعلت محيطه بهم و هو استعاره من ضرب القباب و الخيام عن أبى مسلم و قيل معناه ألزموا الدله فثبتت فيه من قولهم ضرب فلان الضريبه على عبده أى ألزمها إياه قال الحسن ضربت الدله على اليهود فلا يكون لها منعه

أبداً وقيل معناه فرضت عليهم الجزية و الهوان فلا يكونون في موضع إلا بالجزية و لقد أدركهم الإسلام و هم يؤدون الجزية إلى المجوس «أَيْنَ مَا تُقِفُوا» أي وجدوا و يقال أخذوا و ظفر بهم «إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ» أي بعهد من الله «وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ» أي و عهد من الناس على وجه الذمه و غيرها من وجوه الأمان عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و سمي العهد حبلاً لأنه يعقد به الأمان كما يعقد الشيء بالحبل «وَ بَأْوٍ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه و لعنه و قيل معناه استوجبوا غضبا من الله «وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ» أي الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلاً فسمى الذلة مسكنه عن أبي مسلم و قيل المراد به الفقر لأن اليهود أبداً يتفارقون و إن كانوا أغنياء و قد ذكرنا تفسير ما بقي من الآيه في سورة البقره.

## النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها اتصال البشاره بالظفر لما تقدم أمر المحاربه لأن الأمر قد تقدم بإنكار المنكر و قيل إنه لما تقدم أن أكثرهم الفاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عاديتهم و يؤمن مضرتهم.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٣ الى ١١٤

### اشاره

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْتَجِدُّونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)

### اللغه

قيل في واحد آناء قولان (أحدهما) إني مثل نحى و الآخر إني مثل معى قال الشاعر:

حلو و مر كعطف القدح مرته

بكل إني قضاة الليل ينتعل

و حكى الأخفش أنو بالواو و المسارعه المبادره و هى من السرعة و الفرق بين السرعة و العجله أن السرعة هى التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه و هى محموده و ضدها الإبطاء و هو

مذموم و العجله هي التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه و هي مذمومه و ضدها الأناه و هي محموده.

## النزول

قيل سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام و جماعه قالت أخبار اليهود ما آمن بمحمد ص إلا شرارنا فأنزل الله «لَيْسُوا سَوَاءً» إلى قوله «مِنَ الصَّالِحِينَ» عن ابن عباس و قتاده و ابن جريج و قيل إنها نزلت في أربعين من أهل نجران و اثنين و ثلاثين من الحبشه و ثمانيه من الروم كانوا على عهد عيسى (عليه السلام) فصدقوا بمحمد ص عن عطاء.

## المعنى

«لَيْسُوا سَوَاءً» اختلفوا في تقديره و القول الصحيح أن هذا وقف تام و قوله «مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ» ابتداء كلام و معناه ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواء أى ليس الذين آمنوا من أهل الكتاب «أُمَّةً قَائِمَةً» كعبد الله بن سلام و أصحابه و الذين لم يؤمنوا سواء فى الدرجه و المنزله ثم استأنف و بين افتراقهم فقال «مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةً قَائِمَةً» فحصل بهذا بيان الافتراق و هذا كما لو أخبر القائل عن قوم بخبر فقال بنو فلان يعملون كذا و كذا ثم قال ليسوا سواء فإن منهم من يفعل كذا و كذا و كذلك لو ذم قبيله بالبخل و الجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد و منهم الشجاع فيكون منهم الجواد و منهم الشجاع ابتداء كلام و قال أبو عبيده هو على لغة أكلونى البراغيث و مثله قوله تعالى «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ» و قال الشاعر:

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى

فأعرضن عنى بالخدود النواضر

قال الزجاج و الرماني و ليس الأمر كما قال لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فأخبر الله أنهم غير متساويين و لأن هذه اللغة رديئه فى القياس و الاستعمال و قال الفراء المعنى منهم أمه قائمه و أمه غير قائمه اكتفاء بذكر أحد الفريقين كما قال أبو ذؤيب:

عصيت إليها القلب إنى لأمرها

مطيع فما أدرى أرشد طلابها

و لم يقل أم غى و قال آخر:

أواك فلا أدرى أ هم همته

و ذو الهم قدما خاشع متضائل

و لم يقل أم غيره لأن حاله فى التغير ينبئ أن الهم غيره أم غيره فعلى هذا يكون

رفع أمه على معنى الفعل و تقديره لا يستوى أمه هاديه و أمه ضاله و على القول الأول رفع بالابتداء و أنكر الزجاج هذا القول و قال ما بنا حاجه هنا إلى محذوف لأن ذكر الفريقين قد جرى في قوله مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ثم قال لَيْسُوا سَوَاءً و لا يحتاج إلى أن يقدروا أمه غير قائمه و قد تقدم صفتهم في قوله يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ و قوله «أُمَّةٌ قَائِمَةٌ» فيه وجوه (أحدها) أن معناها جماعه ثابتة على أمر الله عن ابن عباس و قتاده و الربيع (و ثانيها) عادله عن الحسن و مجاهد و ابن جريج (و ثالثها) قائمه بطاعه الله عن السدى- (و رابعها) أن التقدير ذو أمه قائمه أى ذو طريقه مستقيمه عن الزجاج و أنشد للنابعه:

(و هل يأتى ذو أمه و هو طائع)

أى ذو طريقه من طرائق الدين قال على بن عيسى و هذا القول ضعيف لأنه عدول عن الظاهر و حكم بالحذف من غير دلالة «يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ» يقرءون كتاب الله و هو القرآن «آنَاءَ اللَّيْلِ» ساعاته و أوقاته عن الحسن و الربيع و قيل يعنى جوف الليل عن السدى و قيل أراد به وقت صلاه العتمه لأن أهل الكتاب لا يصلونها يعنى أنهم يصلون صلاه العتمه عن ابن مسعود و قيل إنه الصلاه ما بين المغرب و العشاء الآخره عن الثورى و هى الساعه التى تسمى ساعه الغفله «وَهُمْ يَسْتَجِدُونَ» قيل أراد السجود المعروف فى الصلاه فعلى هذا يكون معناه و هم مع ذلك يسجدون و يكون الواو لعطف جمله على جمله و قيل معناه يصلون بغير السجود فعبر بالسجود عن الصلاه لأن السجود أبلغ الأركان فى التواضع عن الزجاج و الفراء و البلخى قالوا لأن القراءه لا تكون فى السجود و لا فى الركوع و على هذا يكون الواو للحال أى يتلون آيات الله بالليل فى صلاتهم و هو قول الجبائى أيضا «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» أى بتوحيده و صفاته «وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» المتأخر عن الدنيا يعنى البعث يوم القيامة «وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» بالإقرار بنبوه محمد ص «وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» عن إنكار نبوته «وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» أى يبادرون إلى فعل الخيرات و الطاعات خوف الفوات بالموت و قيل معناه يعملون الأعمال الصالحه غير متساقلين فيها لعلمهم بجلاله موقعها و حسن عاقبتها «وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى من جملتهم و فى عدادهم و هذا نفى لقولهم ما آمن به إلا شرارنا و فى هذه الآيه دلالة على عظم موقع صلاه الليل من الله تعالى

و قد صح عن النبى ص أنه قال ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل الأخير خير له من الدنيا و ما فيها و لو لا أنى أشق على أمتى لفرضتها عليهم

و قال أبو عبد الله إن البيوت التى يصلى فيها بالليل بتلاوه القرآن تضىء لأهل السماء كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض

و قال (عليه السلام) عليكم بصلاه الليل فإنها سنه نبيكم و دأب الصالحين قبلكم و مطرده الداء عن أجسادكم.

اشاره

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه إلا أبا بكر بالياء فيهما و الباكون بالتاء إلا أبا عمرو فإنه كان يحير.

الحجه

وجه القراءه بالياء أن يكون كناية عن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقه واحده و وجه التاء أنه خلطهم بغيرهم من المكلفين و يكون خطابا للجميع في أن حكمهم واحد.

الإعراب

«وَمَا يَفْعَلُوا» ما للمجازاه و يفعلوا مجزوم بالشرط و إنما جوزى بما و لم يجاز بكيف لأن ما أمكن من كيف لأنها تكون معرفه و نكره لأنها للجنس و كيف لا تكون إلا نكره لأنها للحال و الحال لا يكون إلا نكره لأنها للفائده.

المعنى

«وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ» أى من طاعه «فلن تكفروه» أى لم يمنع عنكم جزاؤه و سمي منع الجزاء كفرا على الاتساع لأنه بمنزله الجحد و الستر له و معناه لا تجحد طاعتكم و لا تستر بمنع الجزاء و هذا كما يوصف الله تعالى بأنه شاكِر و حقيقه أنه يثبت على الطاعه ثواب الشاكِرين على النعمه فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر لأن الشكر فى الأصل هو الاعتراف بالنعمه و الكفر ستر النعمه فى المنعم عليه بتضييع حقها «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» أى بأحوالهم فيجازيهم و إنما خص المتقين بالذكر و إن كان عليما بالكل لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنبه بذلك على أنه لا يضيع شىء من عملهم قل أم كثر لأن المجازى عليهم بكل ذلك و هذه الآيه تدل على أن شيئا من أعمال الخير و الطاعه لا يبطل البتة خلافا لقول من قال بالإحباط.

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)



يقال أغنى عنه إذا دفع عنه ضررا لولاه لنزل به و إذا قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشئيين صار بدلا من الآخر فى نفى الحاجة و الغنى الاختصاص بما ينفى الحاجة فإن اختص بمال ينفى الحاجة فذلك الغنى بالجاء و الأصحاب و غير ذلك فأما الغنى فى صفات الله فهو اختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شىء و قولنا فيه أنه غنى معناه أنه لا تجوز عليه الحاجة أصحاب النار إنما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها و قد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكهم و أصحاب الرجل أتباعه و أعوانه و أصحاب العالم المتعلمون منه فالإضافات مختلفة و أصل المصاحبه الملازمه و النار أصله من النور و هو جسم لطيف فيه حراره و نور و اعتماد علوى و الريح واحده الريح و منه الروح لدخول الريح الطيبه على النفس و كذلك الارتياح و التروح و الراحة من التعب و منه الروح لأنها كالريح فى اللطافه و منه الرائحة لأن الريح تحملها إلى الحس و الصر البرد الشديد و أصله من الصرير و هو الصوت قال الزجاج الصر صوت لهب النار التى كانت فى تلك الريح و يجوز أن يكون الصر صوت الريح الباردة الشديده و ذلك من صفات الشمال فإنها توصف بأن لها قعقه و الصره شده الصياح.

### المعنى

لما تقدم وصف المؤمنين عقبه سبحانه بيان حال الكافرين فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا» و إنما خص الأموال و الأولاد بالذكر لأن هذين معتمد الخلق و أعز الأشياء عليهم فإذا لم يغنيا عن الإنسان شيئا فغيرهما غناؤه أبعد «وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» أى ملازموها «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون ثم ضرب مثلا لإنفاقهم فقال «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ» أى شبه ما ينفقون من أموالهم «فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» قيل هو ما ينفقون على الكفار فى عداوه الرسول و قيل هو ما أنفقه أبو سفيان و أصحابه بيدرو أحد لما تظاهروا على النبى ص و قيل هو ما أنفقه سفله اليهود على علمائهم و قيل هو مثل لجميع صدقات الكفار و نفقاتهم فى الدنيا عن مجاهد و فى الآيه حذف و تقديره مثل إهلاك ما ينفقون «كَمَثَلِ إِهْلَاكِ رِيحٍ» فيها صر فحذف الإهلاك لدلاله آخر الكلام عليه و فيه تقدير آخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون تشبيه ذلك الإنفاق من الحرث بالريح «فِيهَا صِرٌّ» قيل برد شديد عن ابن عباس و الحسن و قتاده و جماعه و قيل السموم الحاره القاتله عن ابن عباس أيضا «أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ» أى زرع قوم «ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بالمعاصى فظلمهم

اقتضى هلاك حرثهم عقوبه لهم و قيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا فى غير موضع الزراعه أو فى غير وقتها فجاءت الريح «فَأَهْلَكَتْهُ»  
تأديبا لهم من الله فى وضع الشىء غير موضعه الذى هو حقه «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ» فى إهلاك زرعهم لأنهم استحقوا ذلك بظلمهم  
و قيل فى قتلهم و سبيهم لأنهم استحقوا بكفرهم «وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١١٨

### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ  
أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)

### اللغه

البطانه خاصه الرجل الذين يستبتنون أمره مأخوذه من بطانه الثوب الذى يلى البدن لقربه منه و هى نقيض الظهاره و يسمى بها  
الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث قال الشاعر:

أولئك خلصانى نعم و بطانتى

و هم عيبتى من دون كل قريب

«لَا يَأْلُونَكُمْ» أى لا يقصرون فى أمركم خبالا و لا يتركون جهدهم يقال ألا يألو ألو إذا فتر و ضعف و قصر و ما ألوته خيرا و شرا  
أى ما قصرت فى فعل ذلك و قال امرؤ القيس:

و ما المرء ما دامت حشاشه نفسه

بمدرك أطراف الخطوب و لا ألى

أى مقصر فى الطلب و الخبال الشر و الفساد و منه الخبل بفتح الباء و سكونها للجنون لأنه فساد العقل و رجل مخبل الرأى أى  
فاسد الرأى و منه الاستخبال طلب إعارة المال لفساد الزمان قال زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا

و إن يسألوا يعطوا و إن ييسروا يغلوا

و أصل العنت المشقه عنت الرجل يعنت عنتا دخلت عليه المشقه و أكمه عنوت صعبه المسلك لمشقه السلوك فيها و أعنت  
فلان فلانا حملة على المشقه الشديده فيما يطالبه فيه و منه قوله تعالى وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ.



«مِنْ دُونِكُمْ» من للتبعيض و التقدير لا- تتخذوا بعض المخالفين فى الدين بطانه و يجوز أن يكون لتبيين الصفه فكأنه قال لا تتخذوا بطانه من المشركين و هذا أولى لأنه أعم و لا يجوز أن يتخذ المؤمن الكافر بطانه على كل حال و قيل إن من هاهنا زائده و هذا غير حسن لأن الحرف إذا صح حمله فى الفائده لا- يحكم فيه بالزياده و قوله «خَبَالًا» نصب بأنه المفعول الثانى لأن الألو يتعدى إلى مفعولين و يجوز أن يكون مصدرًا لأن المعنى يخلونكم خبالًا و موضع قوله «وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ» يجوز أن يكون نصبا بأنه صفه لبطانه و يجوز أن يكون لا موضع له من الإعراب لأنه استئناف جملة و ما فى قوله «ما عَنِتُّمْ» مصدرية و تقديره ودوا عنتكم.

## النزول

نزلت فى رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقه و القرابه و الجوار و الحلف و الرضاع عن ابن عباس و قيل نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين و يخالطونهم عن مجاهد.

## المعنى

نهى الله المؤمنين عن موالاه الكفار و مخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا «لا تَتَّخِذُوا بِطَانَهُ مِنْ دُونِكُمْ» أى لا- تتخذوا الكافرين أولياء و خواص من دون المؤمنين تفشون إليهم أسراركم و قوله «مِنْ دُونِكُمْ» أى من غير أهل ملتكم ثم بين تعالى العله فى منع مواصلتهم فقال «لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا» أى لا يقصرون فيما يؤدى إلى فساد أمركم و لا يدعون جهدهم فى مضررتكم و قال الزجاج لا يتقون فى إلقاءكم فيما يضركم قال و أصل الخبال ذهاب الشىء و قوله «وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ» معناه تمنوا إدخال المشقه عليكم و قيل تمنوا إضلالكم عن دينكم عن السدى و قيل تمنوا أن يعتتوكم فى دينكم أى يحملونكم على المشقه فيه عن ابن عباس و قوله «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» معناه ظهرت أماره العداوه لكم على ألسنتهم و فى فحوى أقوالهم و فلتات كلامهم «وَ مَا تُخْفَىٰ صُدُورُهُمْ» من البغضاء «أَكْبَرُ» مما يبدون بألسنتهم «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» أى أظهرنا لكم الدلالات الواضحات التى بها يتميز الولى من العدو «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» أى تعلمون الفضل بين الولى و العدو و قيل إن كنتم تعلمون مواظ الله و منافعها و قيل إن كنتم عقلاء فقد آتاكم الله من البيان الشافى.

## سورة آل عمران (٣): آيه ١١٩

## إشارة

ها أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَ لَا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُوْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَ إِذَا لَقَّوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعِيْظِ قُلْ مُوتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)

العض بالأسنان معروف و منه العض علف الأمصار لأن له مضغه فى العض يسمن عليها المال و رجل لزاز الخصم لأنه يعضه بالخصومه و الأنامل أطراف الأصابع و أصله النمل المعروف فهى مشبهه به فى الدقه و التصرف بالحركه و منه رجل نمل أى نمام لأنه ينقل الأحاديث الكرهه كنقل النمله فى الخفاء و الكثره.

### الإعراب

قال الأزهرى يحتمل أن يكون أولاء منادى كأنه قال يا أولاء و قال غيره ها للتنبيه و أنتم مبتدأ و أولا خبره و تحبونهم حال و قال الزجاج جائز أن يكون أولاء فى معنى الذين كأنه قال ها أنتم الذين تحبونهم و لا يحبونكم و جائز أن يكون تحبونهم حالا و تؤمنون عطف على يحبون و لا- يجوز أن يقول ها قومك أولاء لأن المضممر أحق بالهاء التى للتنبيه لأنه كالمبهم فى عموم ما يصلح له و ليس كذلك الظاهر.

### المعنى

ثم بين سبحانه ما هم عليه من عداوه المؤمنين تأكيداً للنهى عن مصافاتهم فقال «ها أنتم أولاء تُحِبُّونَهُمْ» و قد مر ذكر معناه فى الإعراب و تقديره ها أنتم الذين تحبونهم أو ها أنتم أولاء محبين إذا قلنا أنه بمعنى الحال أى تنبهوا فى حال محبتكم إياهم و لا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفه الدين و قيل تحبونهم لأنكم تريدون لهم الإسلام و تدعونهم إلى الجنة «و لا يُحِبُّونَكُمْ» لأنهم يريدون لكم الكفر و الضلال و فيه الهلاك «و تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ» الكتاب واحد فى معنى الجمع لأنه أراد الجنس كما يقال كثر الدرهم فى أيدي الناس و يجوز أن يكون مصدراً من قولك كتبت كتاباً و المراد به كتب الله التى أنزلها على أنبيائه و فى إفراده ضرب من الإيجاز و إشعار بالتفصيل فى الاعتقاد و معناه إنكم تصدقون بها فى الجملة و التفصيل من حيث تؤمنون بما أنزل على إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه و عليهم و سائر الأنبياء و هم لا يصدقون بكتابكم «و إذا لَقُّوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا» معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا «و إذا خَلَوْا» مع أنفسهم «عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ» أى أطراف الأصابع «مِنَ الْغَيْظِ» أى من الغضب و الحق لما يرون من ائتلاف المؤمنين و اجتماع كلمتهم و نصره الله إياهم و هذا مثل و ليس هناك عض كقول الشاعر:

إذا رأوني أطال الله غيظهم

عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم

و قول أبي طالب:

(يعضون غيظا خلفنا بالأنامل)

«قُلْ» يا محمد لهم «مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» صيغته صيغته الأمر و المعنى الدعاء فكأنه قال أماتكم الله بغیظكم و فيه معنى الذم لهم لأنه لا يجوز أن يدعى عليهم هذا الدعاء إلا و قد استحقوه بما أتوه من القبيح و قيل معناه دام هذا الغيظ لما ترون من علو كلمه الإسلام إلى أن تموتوا «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بما يضمرونه من النفاق و الغيظ على المسلمين.

**سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٠**

**اشاره**

إِنْ تَمَسَّسِكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)

**القراءه**

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب لا يضركم خفيفه مكسوره الضاد و الباقون مشدده مضمومه الضاد و الراء و قرأ الحسن و أبو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب و القراءه المشهوره بالياء.

**الحجه**

من قرأ لا يضركم فهو من ضاره يضيره ضيرا و من قرأ «لا يضرُّكم» فهو من ضره يضر ضرا و الضير و الضر بمعنى واحد و قد جاء فى القرآن لا ضير و إذا مسَّكم الضرُّ\* و «لا يضرُّكم» أصله لا يضرركم نقلت ضمه الراء الأولى إلى الضاد و أدغمت فى الراء الثانيه بعد أن ضمت اتباعا لأقرب الحركات إليها و العرب تدغم فى موضع الجزم و أهل الحجاز يظهرن التضعيف قال الزجاج و هذه الآيه جاءت فيها اللغتان جميعا فقوله «إِنْ تَمَسَّسِكُمْ» على لغة أهل الحجاز و قوله «يَضُرُّكُمْ» على لغة غيرهم من العرب و يجوز لا يضركم و لا يضرركم فمن قال بالفتح فلأن الفتح خفيف يستعمل فى التقاء الساكنين فى التضعيف و من قال بالكسر فعلى أصل التقاء الساكنين.

**اللغه**

الكيد و المكيد و المكر الذى يغتال به صاحبه من جهه حيله عليه ليقع فى مكروه به و أصله الشقه يقال رأيت فلانا يكيد بنفسه أى يقاسى المشقه فى سياق المنيه و منه المكائده لا يراد ما فيه من المشقه.

**المعنى**

ثم أخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال «إِنْ تَمَسَّسِكُمْ حَسَنَةٌ» أى تصيبكم أيها المؤمنون نعمه من الله تعالى عليكم بها من ألفه أو اجتماع كلمه أو ظفر



بالأعداء «تَسِيؤُهُمْ» أى تحزنهم «وَإِنْ تُصَبِّحْكُمْ سَيِّئَةً» أى محنه بإصابه العدو منكم لاختلاف الكلمه و ما يؤدي إليه من الفرقه «يَفْرَحُوا بِهَا» هذا قول الحسن و قتاده و الربيع و جماعه من المفسرين «وَإِنْ تَصْبِرُوا» على أذاهم و على طاعه الله تعالى و طاعه رسوله و الجهاد فى سبيله «وَ تَتَّقُوا» الله بالامتناع عن معاصيه و فعل طاعته «لَا يَضُرُّكُمْ» أيها الموحدون «كَيْدُهُمْ» أى مكر المنافقين و ما يحتالون به عليكم «شَيْئاً» أى لا قليلا و لا كثيرا لأنه تعالى ينصركم و يدفع شرهم عنكم «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» أى عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لأن أصل المحيط بالشىء هو المطيف به من حواليه و ذلك من صفات الأجسام فلا يليق به سبحانه.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢١ الى ١٢٢

### إشاره

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)

### اللغه

التبوءه اتخاذ الموضع للغير يقال بوأى القوم منازلهم و بوأى لهم أيضا أى أوطنتهم و أسكنتهم إياها و تبوأوهم أى توطنوا و منه المباءه المراح لأنه رجوع إلى المستقر المتخذ و منه بوأى بالذنب أى رجعت به محتملا له و الفشل الجبن يقال فشل فشل فشلا و الفشل الرجل الضعيف.

### الإعراب

العامل فى إذ محذوف و تقديره و اذكر إذ غدوت و قيل هو عطف على ما تقدم فى السوره من قوله قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّتَقَاتِ أى فى نصره تلك الطائفه القليله على الطائفه الكثيره إذ غدا النبى ص عن أبى مسلم و قيل العامل فيه قوله مُحِيطٌ و تقديره و الله عالم بأحوالكم و أحوالهم إذ غدوت من أهلك و تبوى حال من غدوت.

### المعنى

و اذكر يا محمد «إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ» أى خرجت من المدينه غدوه «تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ» أى تهيبى للمؤمنين مواطن «لِلْقِتَالِ» و قيل معناه تجلسهم و تقعدهم فى مواضع القتال ليقفوا فيها و لا يفارقوها و اختلف فى أى يوم كان ذلك

فقيل يوم أحد عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الربيع و السدى و ابن أبى إسحاق و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل كان يوم الأحزاب عن مقاتل و قيل يوم بدر عن الحسن «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ» أى

يسمع ما يقوله النبي ص «عَلِيمٌ» بما يضمرونه لأنهم اختلفوا فمنهم من أشار بالخروج و منهم من أشار بالمقام و فيه تركيه للزاكي و تهديد للغاوى و قيل سمع بقول المشيرين على النبي ص عليهم بضمائرهم و قيل سمع بجميع المسموعات عليهم بجميع المعلومات «إِذْ هَمَّتْ» أى قصدت و عزمت «طَائِفَتَانِ» أى فرقتان «مِنْكُمْ» أى من المسلمين «أَنْ تَفْشَلَا» أى تجبنا و

الطائفتان هما بنو سلمه و بنو حارثه حيان من الأنصار عن ابن عباس و جابر بن عبد الله و الحسن و قتاده و مجاهد و الربيع و أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قال الجبائى نزلت فى طائفه من المهاجرين و طائفه من الأنصار و كان سبب همهم بالفشل أن عبد الله بن أبى سلول دعاهما إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أحد فهما به و لم يفعلاه «وَ اللَّهُ وَبَيْنَهُمَا» أى ناصرهما روى عن جابر بن عبد الله أنه قال فينا نزلت و ما أحب إنها لم تكن لقوله «وَ اللَّهُ وَبَيْنَهُمَا» و قال بعض المحققين هذا هم خطره لا هم عظيمه لأن الله تعالى مدحهما و أخبر أنه وليهما و لو كان هم عظيمه و قصد لكان ذمهم أولى من مدحهم «وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» فى جميع أحوالهم و أمورهم.

ذكر غزوه أحد

عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال كان سبب غزوه أحد أن قريشا لما رجعت من بدر إلى مكة و قد أصابهم ما أصابهم من القتل و الأسر لأنه قتل منهم سبعون و أسر سبعون قال أبو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فإن الدمعه إذا خرجت أذهبت الحزن و العداوه لمحمد فلما غزوا رسول الله ص يوم أحد أذنوا لنسائهم فى البكاء و النوح و خرجوا من مكة فى ثلاثه آلاف فارس و ألفى راجل و أخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله ص ذلك جمع أصحابه و حثهم على الجهاد فقال عبد الله بن أبى سلول يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل فى أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف و المرأة و العبد و الأمة على أفواه السكك و على السطوح فما أرادها قوم قط فظفروا بنا و نحن فى حصوننا و دروبنا و ما خرجنا إلى عدو لنا قط إلا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ و غيره من الأوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب و نحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا و أنت فينا لا حتى نخرج إليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا و من نجا منا كان قد جاهد فى سبيل الله فقبل رسول الله رأيه و خرج مع نفر من أصحابه يتبوءون موضع القتال كما قال تعالى «وَ إِذْ عَمَدُونَ مِنْ أَهْلِكَ» الآية و قعد عنه عبد الله بن أبى سلول و جماعه من الخزرج اتبعوا رأيه و وافت قريش إلى أحد و كان رسول الله عبا أصحابه و كانوا سبع مائه رجل و وضع عبد الله بن جبير فى خمسين من الرماه على باب الشعب و أشفق أن يأتى كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله بن جبير و أصحابه أن

رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان و إن رأيتموهم قد هزمنونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا و أزموا مراكزكم و وضع أبو سفیان خالد بن الوليد فى مائتى فارس كميناً و قال إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم و عبا رسول الله أصحابه و دفع الرايه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و حمل الأنصار على مشركى قريش فانهزموا هزيمه قبيحه و وقع أصحاب رسول الله ص فى سوادهم و انحط خالد بن الوليد فى مائتى فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهم فرجع و نظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ص ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم أصحابنا و نبقى نحن بلا غنيمه فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله ص قد تقدم إلينا أن لا نبرح فلم يقبلوا منه و أقبلوا ينسل رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم و بقى عبد الله بن جبير فى اثنى عشر رجلاً و كانت رايه قريش مع طلحه بن أبى طلحه العبدى من بنى عبد الدار فقتله على (عليه السلام) و أخذ الرايه أبو سعيد بن أبى طلحه فقتله على و سقطت الرايه فأخذها مسافع بن أبى طلحه فقتله على حتى قتل تسعه نفر من بنى عبد الدار حتى صار لواهم إلى عبد لهم أسود يقال له ثواب فانتهى إليه على (عليه السلام) فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين إلى صدره ثم التفت إلى أبى سفیان فقال هل أعذرت فى بنى عبد الدار فضربه على رأسه فقتله و سقط اللواء فأخذتها عمره بنت علقمه الكنانيه فرفعتها و انحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير و قد فر أصحابه و بقى فى نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من أدبارهم و نظرت قريش فى هزيمتها إلى الرايه قد رفعت فلاذوا بها و انهزم أصحاب رسول الله هزيمه عظيمه و أقبلوا يصعدون فى الجبال و فى كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمه كشف البيضه عن رأسه و قال إلى أنا رسول الله إلى أين تفرون عن الله تعالى و عن رسوله و كانت هند بنت عتبه فى وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً و مكحله و قالت إنما أنت امرأه فاكتحل بهذا و كان حمزه بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا و لم يثبت له أحد و كانت هند قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزه لأعطينك كذا و كذا و كان وحشى عبداً لجبير بن مطعم حبشياً فقال وحشى أما محمد فلم أقدر عليه و أما على فرأيتة حذراً كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمنت لحمزه فرأيتة يهد الناس هذا فمر بى فوطئ على جرف نهر فسقط و أخذت حربتى فهزرتها و رميته بها فوقع فى خاصرته و خرجت من ثنته فسقط فأيتته فشقت بطنه و أخذت كبده و جئت

به إلى هند فقلت هذه كبد حمزه فأخذتها في فمها فلاكتها فجعله الله في فمها مثل الداعضة و هي عظم رأس الركبه فلفظتها و رمت بها فقال رسول الله ص فبعث الله ملكا فحملة و رده إلى موضعه قال فجاءت إليه فقطعت مذاكيره و قطعت أذنيه و قطعت يده و رجله و لم يبق مع رسول الله إلا أبو دجانة سماك بن خرشه و على فكلما حملت طائفه على رسول الله ص استقبلهم على فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع إليه رسول الله ص سيفه ذا الفقار و انحاز رسول الله ص إلى ناحيه أحد فوقف و كان القتال من وجه واحد فلم يزل على (عليه السلام) يقاتلهم حتى أصابه في رأسه و وجهه و يديه و بطنه و رجله سبعون جراحه كذا أورده على بن إبراهيم في تفسيره فقال جبرائيل إن هذه لهي المواساه يا محمد فقال محمد أنه منى و أنا منه فقال جبرائيل و أنا منكما قال أبو عبد الله نظر رسول الله ص إلى جبرائيل بين السماء و الأرض على كرسى من ذهب و هو يقول لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على

و روى ابن أبي إسحاق و السدى و الواقدى و ابن جرير و غيرهم قالوا كان المشركون نزلوا بأحد يوم الأربعاء فى شوال سنه ثلاث من الهجره و خرج رسول الله إليهم يوم الجمعة و كان القتال يوم السبت للنصف من الشهر و كسرت ربايعه رسول الله ص و شج فى وجهه ثم رجع المهاجرون و الأنصار بعد الهزيمه و قد قتل من المسلمين سبعون و شد رسول الله بمن معه حتى كشفهم و كان الكفار مثلوا بجماعه و كان حمزه أعظم مثله و ضربت يد طلحه فشلت و سعد بن أبى وقاص كان يرمى بين يديه و هو (عليه السلام) يقول ارم فداك أبى و أمى.

النظم

لما أمر تعالى بالصبر فى قوله و إن تصبروا و تتقوا عقبه بنصره المسلمين يوم بدر و صبرهم على القتال ثم ذكر امتحانهم يوم أحد لما تركوا الصبر و قيل نظمهم و إن تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر و إن لم تصبروا نزل بكم ما نزل يوم أحد حيث خالفتم أمر رسول الله ص و ذكر أبو مسلم أنه متصل بقوله قد كان لكم آية فى فئتین كما تقدم ذكره.

ص: ٣٤٢



## إشارة

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)

## القراءة

قرأ ابن عامر منزلين مشدده الزاى وقرأ الآخرون «مُنزَلِينَ» مخففه وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم «مُسَوِّمِينَ» بكسر الواو وقرأ الباقون بفتحها.

## الحج

حجه من قرأ «مُنزَلِينَ» بالتخفيف قوله و قالوا لولا أنزلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا وَ لَأَنزَلْنَا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) و غيره و حجه ابن عامر ما نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ وَ تَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا لَأَن تَنزِلَ مَطَاوِعَ نَزْلِ وَ لَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ مِنْ قَرَأَ «مُسَوِّمِينَ» بِالْكَسْرِ فَلَأَنَّهُمْ سَوَّمُوا الْخَيْلَ وَ مِنْ قَرَأَ مُسَوِّمِينَ فَلَأَنَّهُمْ سَوَّمُوا وَ قَالَ مُسَوِّمِينَ مُعَلِّمِينَ وَ يَكُونُ مَرْسَلِينَ مِنْ سَوْمِ الْخَيْلِ إِذَا أُرْسِلَهَا وَ مِنْهُ السَّائِمَةُ وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَنْ اخْتِيَارَ الْكَسْرَ لِتُظَاهَرَ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهُمْ سَوَّمُوا خَيْلَهُمْ بِعَلَامِهِ وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ سَوَّمَتْ.

## اللغة

بدر ما بين مكة و المدينة و قال الشعبي سمي بدرًا لأن هناك ماء لرجل يسمى بدرًا فسمى الموضع باسم صاحبه و قال الواقدي هو اسم للموضع و كل شىء تم فهو بدر و سمي بدر السماء بدرًا لتمامه و امتلائه و عين بدره ممتلئة يقال استكفيتها الأمر فكفاني و كفاك هذا الأمر أى حسبك و الفرق بين الاكتفاء و الاستغناء أن الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفى الحاجة و الاستغناء الاتساع فيما ينفى الحاجة و الأمداد هو إعطاء الشىء حالًا بعد حال و المد فى السير هو الاستمرار عليه و امتد بهم السير إذا طال و استمر و أمددت الجيش بمدد و أمد الجرح فهو ممد إذا صارت فيه المده و مد النهر إذا جرى يقال مد النهر و مده نهر آخر و يقال مده فى الشر و أمدته فى الخير و أصل الفور فور القدر فهو غليانها عند شدة الحمى و منه فوره الغضب لأنه كفور القدر و منه فارت العين بالماء إذا جاشت به و منه الفواره لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها و منه جاء على الفور أى على ابتداء الحمى قبل أن تبرد عنه نفسه و قيل الفور القصد إلى الشىء بحده.

## الإعراب

«وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» فى موضع نصب على الحال و «أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ» فى موضع



رفع بأنه فاعل «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ» إمدادكم وقوله «مِنْ فَوْرِهِمْ» هذا فى موضع جر صفة لفورهم وقوله «وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ» معطوف على قوله «بُشْرَى لَكُمْ» لأن تقديره لتبشروا به و لتطمئن.

## المعنى

ثم بين الله تعالى ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ» أيها المؤمنون «بِبَدْرِ» بتقوية قلوبكم و بما أمدكم به من الملائكة و بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائكم «وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» أى ضعفاء عن المقاومه قليلو العدد قليلو العده جمع ذليل و روى عن ابن عباس أنه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجلا و الأنصار مائتين و ستة و ثلاثين رجلا و الجميع ثلاثمائة و ثلاث عشر رجلا و كان المشركون نحوا من ألف رجل

و روى عن بعض الصادقين أنه قرأ و أنتم ضعفاء و قال لا يجوز وصفهم بأنهم أذله و فيهم رسول الله ص

و كان صاحب رايه رسول الله يوم بدر أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) و صاحب رايه الأنصار سعد بن عباده و قيل سعد بن معاذ «فَاتَّقُوا اللَّهَ» أى اجتنبوا معاصيه و اعملوا بطاعته «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لتقوموا بشكر نعمته «إِذْ تَقُولُ» خطاب للنبي ص أى إذ تقول يا محمد للمؤمنين من أصحابك «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» هو إخبار بأن النبي ص قال لقومه أ لن يكفيكم يوم بدر أن جعل ربكم ثلاثه آلاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس و الحسن و قتاده و غيرهم إن الأمداد بالملائكة كان يوم بدر و قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر و كانوا فى غيره من الأيام عده و مددا و قال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف فمعناه يمددكم ربكم بتمام خمسة آلاف و قال غيره كانوا ثمانيه آلاف فمعناه بخمسه آلاف آخر و قيل إن الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم أحد و عدهم الله المدد أن صبروا عن عكرمه و الضحاك «مُنزَلِينَ» أنزلهم الله من السماء إلى الأرض لنصرتكم «بَلَى» تصديق للوعد أى يفعل كما وعدكم و يزيدكم «إِنْ تَصْبِرُوا» معناه إن صبرتم على الجهاد و على ما أمركم الله (تعالى) «وَاتَّقُوا» معاصى الله و مخالفه رسوله ص «وَيَأْتُواكُمْ» يعنى المشركين أن رجعوا إليكم «مِنْ فَوْرِهِمْ هذا» أى من وجههم هذا عن ابن عباس و الحسن و قتاده و الربيع و السدى و على هذا فإنما هو من فور الابتدار لهم و هو ابتداؤه و قيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد و أبى صالح و الضحاك و كانوا قد غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا فهو من فور الغضب و هو غليانه «يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ» بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» أى يعطكم مددا لكم و نصره و إنما قال ذلك لأن الكفار فى غزوه أحد ندموا بعد انصرافهم لم لم يغيروا المدينة و هموا بالرجوع

فأوحى الله إلى نبيه ص أن يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع إليهم و قال لهم إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ثم قال إن صبرتم على الجهاد و راجعتم الكفار أمدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فأخذوا فى الجهاد و خرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم من الجراح فأخبر المشركين من مر برسول الله أنه خرج يتبعكم فخاف المشركون أن رجعوا أن تكون الغلبة للمسلمين و أن يكون قد التام إليهم من كان تأخر عنهم و انضم إليهم غيرهم ففسدوا نعيم بن مسعود الأشجعي حتى يصدهم بتعظيم أمر قريش و أسرعوا فى الذهاب إلى مكة و كفى الله المسلمين أمرهم و القصه معروفه و لذلك قال قوم من المفسرين إن جميعهم ثمانيه آلاف و قال الحسن خمسه آلاف جميعهم منهم ثلاثه آلاف المنزليين على أن الظاهر يقتضى أن الأمداد بثلاثه آلاف كان يوم بدر لأن قوله إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْآيَةَ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ الْآيَةِ ثم استأنف حكم يوم أحد فقال بلى إِنْ تَضَرَّبُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا أَى إِنْ يَرْجِعُوا إِلَيْكُمْ بعد انصرافهم أمدكم ربكم بخمسه آلاف من الملائكة مسومين و هذا قول البلخي رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمه قال لم يمدوا يوم أحد و لا بملك واحد و على هذا فلا تنافى بين الآيتين فمتى يسأل كيف لم يمدوا بالملائكة فى سائر الحروب فالجواب أن ذلك تابع للمصلحه فإذا علم الله فى إمدادهم المصلحه أمدهم و قوله «مُسَوِّمِينَ» بالكسر أى معلمين أعلموا أنفسهم و مسومين بالفتح سومهم الله أى أعلمهم قال ابن عباس و الحسن و قتاده و غيرهم كانوا أعلموا بالصوف فى نواصى الخيل و أذناؤها و قال عروه نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق و عليهم عمائم صفر و

قال على و ابن عباس كانت عليهم عمائم بيض و أرسلوا أذناؤها بين أكتافهم

قال السدى معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقه السائمه أى المرسله فى المرعى «وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ» أى و ما جعل الله الأمداد و الوعد به فالهاء عائده على غير مذكور باسمه و هو معلوم بدلالته عليه لأن يمدد يدل على الأمداد و «بُشْرَى لَكُمْ» أى بشاره لكم لتستبشروا به و لتطمئن قلوبكم به أى و لتسكن قلوبكم فلا تخافوا كثره عدد العدو و قله عددكم «وَ مَا النَّصْرُ» أى و ما المعونه «إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و معناه أن الحاجه إلى الله تعالى لازمه فى المعونه و إن أمدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفه عين فى تقويه قلوبكم و خذلان عدوكم بضعف قلوبهم إلى غير ذلك و قيل إن معناه و ما هذا النصر إلا بإمداد الملائكة إلا- من عند الله «الْعَزِيزِ» أى القادر على انتقامه من الكفار بأيدي المؤمنين «الْحَكِيمِ» فى تدبيره للمؤمنين و للعالمين و إنما قال ذلك ليعلمهم أن حربهم للمشركين إنما هو لإعزاز الدين و قيل العزيز المنيع باقتداره و الحكيم فى تدبيره للخلق.

قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله بنفسه ستة و عشرون غزاه و أول غزاه غزاه غزوه الأبواء ثم غزوه بواط ثم غزوه العشيره ثم غزوه بدر الأولى ثم غزوه بدر الكبرى ثم غزوه بنى سليم ثم غزوه السويق ثم غزوه ذى أمر ثم غزوه أحد ثم غزوه الأسد ثم غزوه بنى النضير ثم غزوه ذات الرقاع ثم غزوه بدر الأخيره ثم غزوه دومه الجندل ثم غزوه بنى قريظه ثم غزوه بنى لحيان ثم غزوه بنى قرد ثم غزوه بنى المصطلق ثم غزوه الحديبيه ثم غزوه خيبر ثم غزوه الفتح فتح مكه ثم غزوه حنين ثم غزوه الطائف ثم غزوه تبوك قاتل منها فى تسع غزوات غزوه بدر الكبرى و هو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجره و أحد و هو فى شوال سنة ثلاث من الهجره و الخندق و بنى قريظه فى شوال سنة أربع و بنى المصطلق و بنى لحيان فى شعبان سنة خمس و خير سنة ست و الفتح فى رمضان ثمان و حنين و الطائف فى شوال سنة ثمان فأول غزوه غزاه بنفسه فقاتل فيها بدر و آخرها تبوك و أما عدد سراياه فست و ثلاثون سريه على ما عد فى مواضعه.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢٧ الى ١٢٨

#### اشاره

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)

#### اللغه

الكبت الخزي و هو مصدر كبت الله العدو أى أخزاه و أذله و قال الخليل الكبت صرح الشىء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا و حقيقه الكبت شده الوهن الذى يقع فى القلب و ربما صرع الإنسان لوجهه للخور الذى يدخله و الخائب المنقطع عما أمل و لا يكون الخيبه إلا- بعد الأمل لأنها امتناع نيل ما أمل و اليأس قد يكون قبل الأمل و قد يكون بعده و اليأس و الرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبه و الظفر.

#### الإعراب

نصب «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» على وجهين أحدهما أن يكون عطفا على ليقطع و يكون قوله «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» اعتراضا بين المعطوف و المعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك و عمرا و الآخر أن يكون أو بمعنى إلا أن فكأنه قال ليس لك من الأمر شىء إلا أن يتوب الله عليهم أو يعذبهم فيكون أمر ك تابعا لأمر الله لرضاك بتدبيره فيهم.

«لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» اختلف فى وجه اتصاله بما قبله فقليل يتصل بقوله «وَمَا النَّصِيرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ» ومعناه أعطاكم الله هذا النصر وخصكم به ليقطع طائفه من الذين كفروا بالأسر و القتل و قيل هو متصل بقوله «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ» أى و لقد نصركم الله بيدر ليقطع طرفا و قيل معناه ذلك التدبير ليقطع طرفا أى قطعه منهم و المعنى ليهلك طائفه منهم و قيل ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل و الأسر و أما اليوم الذى قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم و رؤساءهم و قادتهم إلى الكفر فى قول الحسن و الربيع و قتاده و قيل هو يوم أحد قتل فيه منهم ثمانيه عشر رجلا و إنما قال «لَيَقْطَعَ طَرَفًا» منهم و لم يقل ليقطع وسطا منهم لأنه لا يوصل إلى الوسط منهم إلا بقطع الطرف و لأن الطرف أقرب إلى المؤمنين فهو كما قال «قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ» «أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ» معناه أو يخزيهم بالخفيه مما أملوا من الظفر بكم عن قتاده و الربيع و قيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائى و الكلبى و قيل يصرعهم الله على و جوههم و قيل يصرعهم الله على و جوههم و قيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائى و الكلبى و قيل يصرعهم الله على و جوههم و قيل يظفركم عليهم عن المبرد و قيل يلعنهم عن السدى و قيل يهلكهم عن أبى عبيده «فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» لم ينالوا مما أملوا شيئا «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» قيل هو متصل بقوله «وَمَا النَّصِيرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ» فيكون معناه نصركم الله ليقطع طرفا منهما و يكتبهم و ليس لك و لا- لغيرك من هذا النصر شىء عن أبى مسلم و قيل أنه اعتراض بين الكلامين و قوله «أَوْ يَتُوبَ» عليهم متصل بقوله «لَيَقْطَعَ طَرَفًا» فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم قد استحقوا العذاب و ليس لك أى ليس إليك من هذه الأربعة شىء و ذلك إلى الله تعالى و اختلف فى سبب نزوله فروى عن أنس بن مالك و ابن عباس و الحسن و قتاده و الربيع أنه لما كان من المشركين يوم أحد ما كان من كسر رباعيه الرسول و شجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم (صلى الله عليه و آله) و هو مع ذلك حريص على دعائهم إلى ربهم فأعلمه الله أنه ليس إليه فلاحهم و أنه ليس إليه إلا أن يبلغ الرسالة و يجاهد حتى يظهر الدين و إنما ذلك إلى الله تعالى و كان الذى كسر رباعيته و شجه فى وجهه عتبه بن أبى وقاص فدعا عليه بأن لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا فمات كافرا قبل أن يحول الحول و أدمى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمية فدعا عليه فكان حتفه أن سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله

و روى أنه كان يمسح الدم على وجهه و يقول اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون

فعلى هذا يمكن أن يكون على وجل من عنادهم و إصرارهم على الكفر فأخبره تعالى (أنه ليس إليه إلا- ما أمر به من تبليغ الرسالة و دعائهم إلى الهدى) و ذلك مثل قوله «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» و قيل أنه استأذن ربه في يوم أحد في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال و إنما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبه بعض عن أبي على الجبائي و قيل أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد فنهاه الله عن ذلك و تاب عليهم و نزلت الآية «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» أى ليس لك أن تلعنهم و تدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود و قيل لما رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و المسلمون ما فعل بأصحابه و بعمه حمزه من المثله من جدد الأنوف و الأذان و قطع المذاكير قالوا لئن أدالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا و لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فنزلت الآية عن محمد بن إسحاق و الشعبي و قيل نزلت في أهل بئر معونه و هم سبعون رجلا من قراء أصحاب رسول الله و أميرهم المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى بئر معونه في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن و العلم فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل و كان فيهم عامر بن فهيره مولى أبى بكر فوجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) من ذلك وجدا شديدا و قنت عليهم شهرا فنزل «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» عن مقاتل و الأصح أنها نزلت في أحد لأن أكثر العلماء عليه و يقتضيه سياق الكلام و إنما قال «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» مع أن له (صلى الله عليه و آله) أن يدعوهم إلى الله و يؤدى إليهم بتليغهم لأن معناه ليس لك شىء من أمر عقابهم و استيصالهم أو الدعاء عليهم أو لعنهم حتى تقع إنابتهم فجاء الكلام على الإيجاز لأن المعنى مفهوم لدلاله الكلام عليه و أيضا فإنه لا يعتد بما له (صلى الله عليه و آله) في تدبيرهم مع تدبير الله لهم فكأنه قال ليس لك من الأمر شىء على وجه من الوجوه و قوله «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قيل في معناه وجهان أحدهما أو يطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم و الآخر أو يقبل توبتهم إذا تابوا كقوله غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ و لا يصح هذه الصفة إلا لله تعالى لأنه يملك الجزاء بالثواب و العقاب «أَوْ يُعَذِّبُهُمْ» أى يعذبهم الله تعالى إن لم يتوبوا «فَمَا لَهُمْ ظَالِمُونَ» أى مستحقون للعذاب بظلمهم و في هذه الآية دلالة على أن ما يتعلق بالنصر و الظفر و قبول التوبه و التعذيب فإنما هو إلى الله و ليس للنبي (صلى الله عليه و آله) من ذلك شىء و إنما إليه الهدايه و الدعاء فكأنه قال لا ترفع عنهم السيف إلى أن يتوبوا فيتوب عليهم أو يقوموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٩

#### إشارة

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩)

إنما ذكر لفظ ما لأنها أعم من من فإنها تتناول ما يعقل و ما لا يعقل لأنها تفيده الجنس و لو قال من فى السماوات لم يدخل فيه إلا العقلاء إلا أن يحمل على التغليب و ذلك ليس بحقيقه.

### المعنى

لما قال تعالى «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» عقب ذلك بأن الأمر كله له فقال «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا و اقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء إيجابا و إفناء و إعادة «يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ» من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها و لا يعاقبهم عليها رحمه منه و فضلا «وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ» أى و يعذب الكافرين و من يشاء من مذنبى المؤمنين إن مات قبل التوبه عدلا و يدل عليه مفسرا قوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ\* و لو لا ذلك لكنا نجوز العفو على الجميع عقلا- و قيل إنما أبهم الله الأمر بالتعذيب و المغفرة فلم يبين من يغفر له و من يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف و الرجاء فلا يأمن من عذاب الله تعالى و لا ييأس من رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ و يلتفت إلى هذا

قول الصادق لو وزن رجاء المؤمن و خوفه لاعتدلا

و قيل إنما علق الغفران أو العذاب بالمشيئه لأن المشيئه مطابقه للحكمه فلا يشاء إلا ما تقتضى الحكمه مشيئه و سئل بعضهم كيف يعذب الله عباده بالأجرام مع سعه رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته إذ لا تكون رحمته برقه القلب كما تكون الرحمه منا و عن ابن عباس قال معنى الآيه يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ممن لم يتب.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٠ الى ١٣٢

### إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)

### المعنى

لما ذكر سبحانه أن له التعذيب لمن يشاء و المغفرة لمن يشاء وصل ذلك بالنهاى عما لو فعلوا لاستحقوا عليه العذاب و هو الربا فقال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا» ذكر الأكل لأنه معظم الانتفاع و إن كان غيره



من التصرفات أيضا منهيها عنه و الرباء الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال و قيل هو ربا الجاهليه عن عطا و مجاهد «أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً» قيل فى معناه قولان أحدهما أن يضاعف بالتأخير أجلا بعد أجل كلما آخر عن أجل إلى غيره زيد زياده على المال و الثانى معناه تضاعفون به أموالكم و يدخل فيه كل زياده محرمة فى المعامله من جهه المضاعفه و وجه تحريم الربا هو المصلحه التى علمها الله و ذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها أنه للفصل بينه و بين البيع و منها أنه يدعو إلى العدل و يحض عليه و منها

أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق بالإقراض و إنظار المعسر من غير زياده و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و إنما أعاد تحريم الربا مع ما سبق ذكره فى سوره البقره لأمرين أحدهما التصريح بالنهى عنه بعد الإخبار بتحريمه لما فى ذلك من تصريح الخطر له و شدة التحذير منه و الثانى لتأكيد النهى عن هذا الضرب منه الذى يجرى على الأضعاف المضاعفه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى اتقوا معاصيه و قيل اتقوا عقابه بترك معاصيه «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» لكى تنجحوا بإدراك ما تأملونه و تفوزوا بثواب الجنه «وَ اتَّقُوا النَّارَ» أى اتقوا الأفعال الموجبه لدخول النار التى «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» أى هيئت و اتخذت للكافرين و الوجه فى تخصيص الكفار بإعداد النار لهم أنهم معظم أهل النار فهم العمده فى إعداد النار لهم و غيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبعية فهو كقوله «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»\* و معلوم أنه قد يدخلها غير المتقين من الأطفال و المجانين و قال الحسن تخصيص الكفار بإعداد النار لهم لا يمنع من مشاركته غيرهم إياهم كما أن تخصيص المرتدين بأسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركته سائر الكفار إياهم و مثله فى القرآن كثير و الأصل أن تخصيص الشىء بالذكر لا يدل على أن ما عداه بخلافه «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و أطيعوا الرسول فيما شرع لكم «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لكى ترحموا فلا يعذبكم و مما يسأل على هذا أن يقال إذا كانت طاعه الرسول طاعه الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيان (أحدهما) إن المقصد بها طاعه الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعه الله (و الثانى) إنما قال ذلك ليعلم أن من أطاعه فيما دعا إليه فهو كمن أطاع الله فيسارع إلى ذلك بأمر الله.

النظم

و قد قيل فى وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها قولان (أحدهما) لاتصال الأمر بالطاعه بالنهى عن أكل الربا فكأنه قال و أطيعوا الله فيما نهاكم عنه من أكل الربا و غيره (و الثانى) ما قاله محمد بن إسحاق بن يسار أنه معاتبه للذين عصوا رسول الله

لما أمرهم به يوم أحد من لزوم مراكزهم فخالفوا و اشتغلوا بالغنيمه و كان ذلك سبب هزيمه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله).

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٣ الى ١٣٤

### إشاره

وَ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)

### القراءة

قرأ أهل المدينة و الشام سارعوا بغير واو و كذلك هو في مصاحفهم و الباقرن بالواو و كذلك هو في مصاحف مكه و العراق.

### الحججه

و الفرق بينهما استتفاف الكلام إذا كان بغير واو و وصلها بما تقدم إذا قرئ بواو لأنه يكون عطفاً على ما تقدم و يجوز أيضاً ترك الواو لأن الجملة الثانيه ملتبسه بالأولى مستغنيه بذلك عن عطفها بالواو كما جاء في التنزيل ثلاثه رابعهم كلبهم و قال سبعه و ثامنهم كلبهم.

### اللغه

أصل الكظم شد رأس القربه عن ملئها تقول كظمت القربه إذ ملأتها ماء ثم شددت رأسها و فلان كظيم و مكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً و كذلك إذا كان ممتلئاً غضباً لم ينتقم و كظم البعير إذا لم يجتر و الكظامه القناه التي تجرى تحت الأرض سميت بذلك لامتلأها تحت الأرض

و في غريب الحديث لأبي عبيده عن أوس بن أبي أوس أنه رأى النبي (صلى الله عليه و آله) أتى كظامه قوم فتوضأ و مسح على قدميه

و يقال أخذ بكظمه أى مجرى نفسه لأنه موضع الامتلاء بالنفس و الفرق بين الغيظ و الغضب إن الغضب ضد الرضا و هو إرادته العقاب المستحق بالمعاصى و لعنه و ليس كذلك الغيظ لأنه هيجان الطبع بتكره ما يكون من المعاصى و لذلك يقال غضب الله على الكفار و لا يقال اغتاض منهم.

لما حذر الله تعالى عن الأفعال الموجهة للعقاب عقبه بالحث على الأفعال الموجهة للثواب فقال «وَسَارِعُوا» أى بادروا «إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» باجتنب معاصيه و معناه إلى الأعمال التي توجب المغفرة و اختلف فى ذلك ف قيل سارعوا إلى الإسلام عن ابن عباس و قيل

إلى أداء الفرائض عن على بن أبى طالب (عليه السلام)

و قيل إلى الهجره عن أبى العاليه و قيل إلى التكبيره الأولى عن أنس بن مالك و قيل إلى أداء الطاعات عن سعيد بن جبير و قيل إلى الصلوات الخمس عن يمان و قيل إلى الجهاد عن الضحاك و قيل إلى التوبه عن عكرمه «وَجَنِّه» أى و إلى جنه «عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ» و اختلف فى معناه على أقوال أحدها أن المعنى عرضها كعرض السماوات السبع و الأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض عن ابن عباس و الحسن و اختاره الجبائى و البلخى و إنما ذكر العرض بالعظم دون الطول لأنه يدل على أن الطول أعظم من العرض و ليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض و مثل الآية قوله «مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعَثُّكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» و معناه إلا كخلق و بعث نفس واحده و قال الشاعر:

كان غدیرهم بجنوب سلی

نعام قاق فى بلد قفار

أى عذیر نعام و قال آخر:

حسبت بغام راحلتى عناقا

و ما هی ویب غیرک بالعناق

أى صوت عناق و ثانيها أن معناه ثمنها لو بيعت كثمن السماوات و الأرض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع و المراد بذلك عظم مقدارها و جلاله قدرها و أنه لا يساويها شىء و إن عظم عن أبى مسلم الأصفهانى و هذا وجه مליح إلا أن فيه تعسفا و ثالثها أن عرضها لم يرد به العرض الذى هو خلاف الطول و إنما أراد سعتها و عظمها و العرب إذا وصفت الشىء بالسعه و صفته بالعرض قال امرؤ القيس:

بلاد عريضه و أرض أريضه

مواقع عيث فى فضاء عريض

و قال ذو الرمه:

فأعرض فى المكارم و استطلا

أى توسع فيها و يسأل فيقال إذا

ص: ٣٥٢

كانت الجنة عرضها كعرض السماء و الأرض فأين تكون النار فجوابه أنه

روى أن النبي (صلى الله عليه و آله) سئل عن ذلك فقال سبحانه الله إذا جاء النهار فأين الليل

و هذه معارضه فيها إسقاط المسأله لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء و يسأل أيضا فيقال إذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون لها هذا العرض و الجواب أنه قيل أن الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش عن أنس بن مالك و قيل إن الجنة فوق السماوات السبع و النار تحت الأرضين السبع عن قتاده و قيل إن معنى قولهم أن الجنة فى السماء أنها فى ناحيه السماء و جهه السماء لا أن السماء تحويها و لا ينكر أن يخلق الله فى العلو أمثال السماوات و الأرضين فإن صح الخبر أنها فى السماء الرابعه كان كما يقال فى الدار بستان لاتصاله بها و كونه فى ناحيه منها أو يشرع إليها بابها و إن كان أضعاف الدار و قيل أن الله يريد فى عرضها يوم القيامة فيكون المراد عرضها السماوات و الأرض يوم القيامة لا فى الحال عن أبى بكر أحمد بن على مع تسليم أنها فى السماء و قوله «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» أى المطيعين لله و لرسوله لاجتنابهم المقبحات و فعلهم الطاعات و يجوز لاحتجازهم بالطاعة عن العقوبه و إنما أضيفت إلى المتقين لأنهم المقصودون بها و إن دخلها غيرهم من الأطفال و المجانين فعلى وجه التبغ و كذلك حكم الفساق لو عفى عنهم و قيل معناه أنه لو لا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للأمرير و هذا يدل على أن الجنة مخلوقه اليوم لأنها لا تكون معده إلا و هى مخلوقه «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ» صفه للمتقين و فى معنى السراء و الضراء قولان (أحدهما) أن معناه فى اليسر و العسر عن ابن عباس أى فى حال كثره المال و قلته (و الثانى) فى حال السرور و الاغتمام أى لا يقطعهم شىء من ذلك عن إنفاق المال فى وجوه البر «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ» أى المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك «وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» يعنى الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو و التجاوز عنه مما لا يؤدى إلى الإخلال بحق الله تعالى و قيل العافين عن المملوكين «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى من فعل ذلك فهو محسن و الله يحبه بإيجاب الثواب له و يحتمل أن يكون الإحسان شرطاً مضموماً إلى هذه الشرائط قال الثورى الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فأما من أحسن إليك فإنه متاجره كنقد السوق خذ منى و هات.

فصل فأول ما عدد الله من أخلاق أهل الجنة السخاء و مما يؤيد ذلك من الأخبار

ما رواه أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال السخاء شجره فى الجنة أغصانها فى الدنيا

من تعلق بغصن من أغصانها قاداته إلى الجنة و البخل شجره فى النار أغصانها فى الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها قاداته إلى النار

و قال على (عليه السلام) الجنة دار الأسخياء

و قال (عليه السلام) السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار و البخيل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار

ثم عد تعالى بعد ذلك من أخلاق أهل الجنة كظم الغيظ و مما جاء فيه من الأخبار

ما رواه أبو أمامه قال قال رسول الله من كظم غيظه و هو قادر على إنفاذه ملأه الله يوم القيامة رضا و فى خبر آخر ملأه الله يوم القيامة أمانا و إيمانا

و قال أيضا كاظم الغيظ كضارب السيف فى سبيل الله فى وجه عدوه و ملأ الله قلبه رضا و فى خبر آخر ملأ الله قلبه يوم القيامة أمانا و أمانا

و قال (عليه السلام) ليس الشديد بالصرعه إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب

ثم ذكر «العافين عن الناس»

و روى أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال أن هؤلاء فى أمتى قليل إلا من عصم الله و قد كانوا كثيرا فى الأمم التى مضت

و فى هذا دليل واضح على أن العفو عن المعاصى مرغّب فيه مندوب إليه و إن لم يكن واجبا

و قال النبى (صلى الله عليه و آله) ما عفا رجل عن مظلّمه قط إلا زاده الله بها عزا

ثم ذكر سبحانه أنه يحب المحسنين و المحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح و يكون المحسن أيضا هو الفاعل للأفعال الحسنه من وجوه الطاعات و القربات

و روى أن جاريه لعلى بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتهاى للصلاه فسقط الإبريق من يدها فشجه فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية إن الله تعالى يقول «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ» فقال لها قد كظمت غيظى قالت «وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» قال قد عفا الله عنك قالت «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» قال اذهبي فأنت حره لوجه الله.

**سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٥ الى ١٣٦**

**اشاره**

وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ

هُم يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعَمَ أَجْرٍ الْعَامِلِينَ (١٣٦)

## اللغة

أصل الفاحشه الفحش و هو الخروج إلى عظيم القبح أو رأى العين فيه

ص: ٣٥٤

و لذلك قيل للطويل المفرط أنه لفاحش الطول و أفحش فلان إذا أفصح بذكر الفحش و الإصرار أصله الشد من الصره و الصر  
شده البرد فكأنما هو ارتباط الذنب بالإقامه عليه و قيل أصله الثبات على الشىء و قال الحطيئه يصف الخيل:

عوابس بالشعث الكمأه إذا انتقوا

علالتها بالمخصرات أصرت

أى إذا اختاروا بقيه جريها بالسياط ثبتت على جريها.

## الإعراب

و الذين عطف على المتقين و قيل رفع على الاستئناف كأنه عطف جمله على جمله فعلى القول الأول هم فرقه واحده و على  
القول الثانى هم فرقتان و يجوز أن يكون راجعا إلى الأولين و يكون محله رفعا على المدح و قوله «إِلَّا اللَّهُ» يرتفع الله حملا على  
المعنى لا على اللفظ إذ ليس قبله جحد و تقديره و هل يغفر الذنوب أحد إلا الله أو هل رأى أحد يغفر الذنوب إلا الله و معناه لا  
يغفر الذنوب إلا الله لأن الاستفهام قد يقع موقع النفي «وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» المخصوص بالمدح محذوف و تقديره و نعم أجر  
العاملين أجرهم.

## النزول

روى أن قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفاره ذنبه مكتوبه  
على عتبه بابه (أجدع أنفك أو أذنك افعل كذا) فسكت رسول الله (صلى الله عليه و آله) فنزلت الآية فقال ألا أخبركم بخير من  
ذلكم و قرأ عليهم هذه الآية

عن ابن مسعود و فى ذلك تسهيل لما كان قد شدد فيه على بنى إسرائيل إذ جعل الاستغفار بدلا منه و قيل نزلت فى نبهان التمار  
أته امرأه تبتاع منه تمرا فقال لها إن هذا التمر ليس بجيد و فى البيت أجود منه و ذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه فقبلها  
فقال له اتق الله فتركها و ندم و أتى النبي (صلى الله عليه و آله) و ذكر له ذلك فنزلت الآية عن عطاء.

## المعنى

«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» اختلفوا فى الفاحشه و ظلم النفس فقيل الفاحشه الزنا و ظلم النفس سائر المعاصى  
عن السدى و جابر و قيل الفاحشه الكبائر و ظلم النفس الصغائر عن القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى و قيل الفاحشه اسم  
لكل معصيه ظاهره و باطنه إلا أنها لا تكاد تقع إلا على الكبيره عن على بن عيسى و قيل فعلوا فاحشه فعلا أو ظلموا أنفسهم قولاً  
«ذَكَرُوا اللَّهَ» أى ذكروا و عید الله فانزجروا عن المعصيه و استغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان و إنما مدحهم



لأنهم تعرضوا للذكر و قيل ذكروا الله بأن قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فإننا تبنا نادمين عليها مقلعين عنها و قوله «وَمَنْ يَغْفِرِ الذَّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» من لطيف فضل الله تعالى و بليغ كرمه و جزيل منته و هو الغايه فى ترغيب العاصين فى التوبه و طلب المغفره و النهايه فى تحسين الظن للمذنبين و تقويه رجاء المجرمين و هذا كما يقول السيد لعبد و قد أذنب ذنبا اعتذر إلى و من يقبل عذرك سوى و إذا سئل أن العباد قد يغفر بعضهم لبعض الإساءه فالجواب أن الذنوب التى يستحق عليها العقاب لا يغفرها إلا الله و أيضا فإنه أراد سبحانه غفران الكبائر العظام و الإساءه من بعضنا إلى بعض صغيره بالإضافه إليها «وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا» أى لم يقيموا على المعصيه و لم يواظبوا عليها و لم يلزموها و قال الحسن هو فعل الذنب من غير توبه و هو قريب من الأول و ذلك لا يكفى فإن التوبه مجرد الاستغفار مع الإصرار و ذلك إن الاستغفار إنما يؤثر عند ترك الإصرار

و قد روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال لا صغيره مع الإصرار و لا كبيره مع الاستغفار

يعنى لا تبقى الكبيره كبيره مع التوبه و الاستغفار و لا تبقى الصغيره صغيره مع الإصرار و فى تفسير ابن عباس الإصرار السكون على الذنب بترك التوبه و الاستغفار منه و قوله «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» يحتمل وجوها (أحدها) أن معناه و هم يعلمون الخطيئه ذاكرين لها غير ساهين و لا ناسين لأنه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه و إن لم يتب منه بعينه عن الجبائى و السدى (و ثانيها) إن معناه و هم يعلمون الحجه فى أنها خطيئه فإذا لم يعلموا و لا- طريق لهم إلى العلم به كان الإثم موضوعا عنهم كمن تزوج أمه من الرضاع و النسب و هو لا- يعلم به فإذا لا- يأتى و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن (و ثالثها) إن المراد و هم يعلمون إن الله يملك مغفره ذنوبهم عن الضحاك «أُولَئِكَ» إشاره إلى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون فى السراء و الضراء إلى آخر الكلام أى هؤلاء «جَزَاؤُهُمْ» على أعمالهم و توبتهم «مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أى ستر لذنوبهم «وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» قد مر تفسيرها فى سوره البقره «وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» هذا يعنى ما وصفه من الجنات و أنواع الثواب و المغفره بستر الذنوب حتى تصير كأنها لم تعمل فى زوال العار بها و العقوبه عليها و الله تعالى متفضل بذلك لأن إسقاط العقاب عند التوبه تفضل منه و أما استحقاق الثواب بالتوبه فواجب لا- محاله عقلا لأنه لو لم يكن مستحقا بالتوبه لقبح تكليفه التوبه لما فيها من المشقه.

النظم

قيل إن الآيه اتصلت بما قبلها لأنها من صفه المتقين و قيل بل هما فرقان بين تعالى أن الجنه للمتقين المنفقين فى السراء و الضراء إلى آخر الآيه و لمن عثر ثم تاب و لم يصر.

ص: ٣٥٦

## إشارة

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)

## اللغة

السنة الطريقة المفعولة ليقتردي بها و من ذلك سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لبيد:

من معشر سنت لهم آباؤهم

و لكل قوم سنة و إمامها

و قال سليمان بن قته:

و إن الأولى بالطف من آل هاشم

تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

و أصل السنة الاستمرار في جهة يقال سن الماء إذا صبه حتى يفيض من الإناء و سن السكين بالمسن إذا أمره عليه لتحديده و منه السن واحد الأسنان لاستمرارها على منهاج و الأسنان لاستمرار الطعن به و السنن استمرار الطريق و العاقبة ما يؤدي إليها السبب المتقدم و ليس كذلك الآخرة لأنه قد كان يمكن أن تجعل هي الأولى في العده و الموعظه ما يلين القلب و يدعو إلى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح و الدعاء إلى الجميل و قيل الموعظه هو ما يدعو بالرغبة و الرهبة إلى الحسنه بدلا من السيئه.

## المعنى

لما بين سبحانه ما يفعله بالمؤمن و الكافر في الدنيا و الآخرة بين أن ذلك عادته في خلقه فقال «قَدْ خَلَتْ» أى قد مضت «مِنْ قَبْلِكُمْ» يا أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) و قيل هو خطاب لمن انهزم يوم أحد «سُنَنٌ» من الله في الأمم السالفة إذا كذبوا رسله و جحدوا نبوتهم بالاستيصال و تبقية آثارهم في الديار للاعتبار و الاتعاظ عن الحسن و ابن إسحاق و قيل سنن أى أمثال عن ابن زيد و قيل سنن أمم و السنة الأمة عن المفضل و قال الشاعر:

ما عاين الناس من فضل كفضلكم

و لا رأوا مثلكم فى سالف السنن

و قيل معناه أهل سنن و قيل معناه قد مضت لكل أمه سنة و منهاج إذا اتبعوها رضى الله عنهم عن الكلبي «فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» أَى تَعْرِفُوا أَخْبَارَ الْمُكْذِبِينَ وَ مَا نَزَلَ بِهِمْ لِتَتَعَذَّبُوا بِذَلِكَ وَ تَنْتَهُوا عَنِ مِثْلِ مَا فَعَلُوهُ وَ لَا تَسْلُكُوا  
فَى

ص: ٣٥٧

التكذيب و الإنكار طريقتهما فيحل بكم من العذاب ما حل بهم و أراد بالمكذبين الجاحدين للبعث و النشور و الثواب و العقاب جازاهم الله تعالى فى الدنيا بعذاب الاستيصال و فى الآخرة باليم العذاب و عظيم النكال «هذا» إشاره إلى القرآن «بَيَانٌ لِلنَّاسِ» أى دلالة و حجه لهم كافه عن الحسن و قتاده و قيل إشاره إلى ما تقدم من قوله «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ» أى هذا الذى عرفتكم بيان للناس عن ابن أبى إسحاق و اختاره البلخى و الطبرى «وَهُدَى» قال على بن عيسى الفرق بين البيان و الهدى إن البيان إظهار المعنى للغير كائنا ما كان و الهدى بيان لطريق الرشده ليسلك دون طريق الغى «وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» و إنما خص المتقين به مع كونه بيانا و هدى و موعظه للناس كافه لأن المتقين هم المنتفعون به و المهتدون بهداه و المتعظون بمواعظه.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٩ الى ١٤٠

### إشاره

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)

### القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص قرح بضم القاف فيهما و كذلك قوله (من بعد ما أصابهم القرع) و الباقر بفتح القاف.

### الحجه

قال أبو على قرح و قرح مثل ضعف و ضعف و الكره و الكره و الدفء و الدفء و الشهد و الشهد قال أبو الحسن قرح يقرح قرحا و قرحا فهذا يدل على أنهما مصدران و من قال أن القرع الجراحات بأعيانها و القرع ألم الجراحات قبل ذلك منه إذا أتى فيه بروايه لأن ذلك مما لا يعلم بالقياس.

### اللغه

الوهن الضعف و الوهن و الموهن ساعه تمضى فى الليل الأعلون واحده الأعلى و مؤنثه العليا و جمعه العليا و العلى و الفرق بين اللمس و المس أن اللمس لصوق بإحساس و المس لصوق فقط و الدوله الكره لفريق بنيل المراد و أدال الله فلانا من فلان إذا جعل الكره له عليه و تداول القوم الشىء إذا صار من بعضهم إلى بعض و ضم الدال فى الدوله و فتحها لغتان و قيل الضم فى المال و الفتح فى الحرب.

«وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» جملة في موضع الحال كأنه قال لا تحزنوا عالين أى منصورين على الأعداء و يحتمل أن يكون لا موضع لها في الإعراب لأنها اعتراض بوعده مؤكدة و تقديره و لا تهنوا و لا تحزنوا إن كنتم مؤمنين و أنتم الأعلون مع ذلك و قوله «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ» العامل في اللام محذوف يدل عليه أول الكلام و تقديره و يعلم الله الذين آمنوا نداولها و يجوز أن يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ و تقديره نداولها بين الناس بضروب من التدبير و يعلم الله الذين آمنوا.

## النزول

قيل نزلت الآية تسليه للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل و الجراح عن الزهري و قتاده و ابن أبي نجيح و

قيل لما انهزم المسلمون في الشعب و أقبل خالد بن الوليد بخيل من المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوه لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلده إلا هؤلاء النفر فأنزل الله تعالى الآية

و تاب نفر رماه فصعدوا الجبل و رموا خيل المشركين حتى هزموهم و علا المسلمون الجبل فذلك قوله «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» عن ابن عباس و

قيل نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) أصحابه بطلب القوم و قد أصابهم من الجراح ما أصابهم و قال (صلى الله عليه و آله) لا يخرج إلا من شهد معنا بالأمس فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية

عن الكلبي و دليله قوله تعالى «وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ» الآية.

## المعنى

ثم حث الله تعالى المسلمين على النجدة و نهاهم عن الوهن و الحزن و وعدهم الغلبة في الحال و حسن العاقبة في المال فقال «وَلَا تَهِنُوا» أى و لا تضعفوا عن قتال عدوكم «وَلَا تَحْزَنُوا» بما يصيبكم في أموالكم و أبدانكم و قيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح و لا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الإخوان و قيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة و لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمه «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أى الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة و قيل أراد و أنتم الأعلون في المكان «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه إن من كان مؤمنا يجب أن لا يهن و لا يحزن لثقتة بالله و يحتمل أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدى لكم بالنصرة و الظفر على عدوكم فلا تهنوا و لا تحزنوا ثم أخذ سبحانه في تسليه المؤمنين فقال «إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ» معناه إن يصبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس و قيل إن يصبكم ألم و جراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر

و قال أنس بن مالك أتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعلى (عليه السلام) يومئذ و فيه نيف و ستون جراحه من طعنه و ضربه و رميه فجعل رسول الله (صلى الله عليه و آله)



يمسحها و هي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن

و عن ابن عباس قال لما كان يوم أحد صعّد أبو سفيان الجبل فقال رسول الله ص اللهم أنه ليس لهم أن يعلونا فمكث أبو سفيان ساعه و قال يوما بيوم و أن الأيام دول و إن الحرب سجال فقال (عليه السلام) أجيوبه فقالوا لا سواء قتلتنا في الجنة و قتلاكم في النار فقال لنا عزى و لا- عزى لكم فقال النبي (صلى الله عليه و آله) و الله مولانا و لا مولى لكم فقال أبو سفيان أعل هبل فقال (صلى الله عليه و آله) الله تعالى أعلى و أجل

«وَتَلْمِكُ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» أى نصرفها مره لفرقه و مره عليها عن الحسن و قتاده و الربيع و السدى و ابن إسحاق و إنما يصرف الله الأيام بين المسلمين و بين الكفار بتخفيف المحنه عن المسلمين أحيانا و تشديدها عليهم أحيانا لا ينصره الكفار عليهم لأن الله لا ينصر الكفار على المسلمين لأن النصره تدل على المحبه و الله تعالى لا يحب الكافرين و إنما جعل الله الدنيا متقلبه لكيلا- يطمئن المسلم إليها و لتقل رغبته فيها أو حرصه عليها إذ تفنى لذاتها و يطعن مقيمها و يسعى للآخره التى يدوم نعيمها و إنما جعل الدوله مره للمؤمنين و مره عليهم ليدخل الناس فى الإيمان على الوجه الذى يجب الدخول فيه كذلك و هو قيام الحجج فإنه لو كانت الدوله أبدا للمؤمنين لكان الناس يدخلون فى الإيمان على سبيل اليمن و الفال على أن كل موضع حضره النبي (صلى الله عليه و آله) لم يخل من ظفر إما فى ابتداء الأمر و إما فى انتهائه و إنما لم يستمر ذلك لما بيناه و قوله «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» المفعول الثانى ليعلم محذوف و تقديره و تلك الأيام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح و ضروب من الحكمه و ليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالإيمان من غيرهم و على هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لأنه ليس المعنى أنه يعرف الذوات بل المعنى أنه يعلم تميزها بالإيمان و يجوز أن يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال و إذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنما يعلم قبل الإظهار أنهم سيميزون فإذا أظهروه علمهم متميزين و يكون التغير حاصلًا فى المعلوم لا فى العالم كما أن أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنه سيجىء فإذا جاء علمه جائيا و علمه يوما لا غدا فإذا انقضى فإنما يعلمه الأمس لا يوما و لا غدا و يكون التغير واقعا فى المعلوم لا- فى العالم و قيل معناه و ليعلم أولياء الله الذين آمنوا و إنما أضاف إلى نفسه تفخيما و قيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر و جزع من يجزع و إيمان من يؤمن و قيل ليظهر المعلوم من الإخلاص و النفاق و معناه ليعلم

الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر وقوله «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» قيل فيه قولان (أحدهما) إن معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد عن الحسن و قتاده و ابن إسحاق (و الآخر) و يتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلاله القدر و علو المرتبه و الشهداء يكون جمع شاهد و جمع شهيد عن أبي على الجبائي و إنما سموا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التي يشهدون بها و أما في جمع الشهيد فلأنهم بذلوا الروح عند شهود الوقعه و لم يفروا «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» ظاهر المعنى و فائدته أنه تعالى بين أنه لا يمكن الظالمين منهم لمحبتهم لهم و لكن لأحد المعاني التي ذكرها و ليحص ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٤١

### إشارة

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)

### اللغة

أصل التمحيص التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب و محصته أمحصه محصا إذا خلصته من كل عيب و يقال اللهم محص عنا ذنوبنا أى أذهبها عنا لأنه تخليص الحسنات بتكفير السيئات و أصل المحق فناء الشىء حالا بعد حال و لهذا دخله معنى النقصان و انمحق الشىء انمحاقا و امتحق الشىء و تمحق إذا ذهب بركته حالا بعد حال و المحاق آخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالا بعد حال.

### المعنى

ثم بين تعالى وجه المصلحه فى مداوله الأيام بين الناس فقال «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» قيل فى معنى الآية أقوال (أحدها) «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ» أى و ليبلى الله الذين آمنوا «وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» ينقصهم عن ابن عباس و مجاهد و السدى (و ثانيها) ليخلص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج- (و ثالثها)- ينجى الله الذين آمنوا من الذنوب بالابتلاء و يهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن على بن عيسى و إنما قابل بين التمحيص و المحق لأن محص هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك بإهلاك أنفسهم و هذه مقابله فى المعنى و فى هذه الآية دلالة على أنه تعالى إنما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب المؤمنين و محق الكافرين و إنما يمحصهم بالمداولة لشيئين- (أحدهما)- إن فى تخليتهم و تمكين الكافرين منهم تعريضا لهم للصبر الذى يستحقون به عظيم الأجر و يحط به عنهم كثيرا من أثقال الوزر- (و الثانى)- إن فى ذلك لطفًا لهم يعصمهم عن اقتراف نفوسهم الإثم.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣

### إشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)





الفرق بين التمنى والإرادة أن الإرادة من أفعال القلوب و التمنى قول القائل ليت كان كذا أو ليت لم يكن وقيل إن التمنى معنى فى القلب يطابق هذا القول و الصحيح هو الأول.

## الإعراب

أم فى قوله «أَمْ حَسِبْتُمْ» هى المنقطعة و تقديره بل أ حسبتم و هو استفهام على وجه الإنكار و الفرق بين لم و لما أن لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال و إذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كان أصلها لم مؤكدا بحرف كانت جوابا لما هو مؤكدا بحرف و قوله «وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ» نصب على الصرف عن العطف إذ ليس المعنى على نفي الثانى و الأول و إنما هو على نفي اجتماع الثانى و الأول و تقديره و إن يعلم فيكون منصوبا بإضمار أن و المعنى و لما يقع العلم بالجهاد و العلم بصبر الصابرين و روى عن الحسن أنه قرأ و يعلم الصابرين بالكسر عطفًا على الأول.

## المعنى

لما حث الله على الجهاد و رغب فيه زاد فى البيان و الأخبار بأن الجنة لا تنال إلا بالبلوى و الاختبار فقال «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ» المراد به الإنكار أى أ ظننتم أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة «وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ» أى و لما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم و يصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال و إنما جاز «وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» على معنى نفي الجهاد دون العلم لما فى ذلك من الإيجاز فى انتفاء جهادهم لأنه لو كان لعلمه و تقديره و لما لم يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم لأن المعنى مفهوم لا يشتهه «وَلَقَدْ كُنتُمْ» يا أصحاب محمد ص «تَمَنُّونَ الْمَوْتَ» أى تتمنون الموت فحذف إحدى التاءين للتخفيف و ذلك أن قوما ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أحد فلما رأوه يوم أحد عرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك عن الحسن و مجاهد و الربيع و قتاده و السدى «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» الهاء فى تلقوه و رأيتموه راجعه إلى الموت أى من قبل أن تلقوا أسباب الموت و هو الحرب فقد رأيتموها لأن

الموت لا يرى و نحو ذلك قول الشاعر:

(و الموت تحت لواء آل محلم)

أى أسباب الموت و قيل الهاء راجعه إلى الجهاد «وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» قيل أنه تأكيد للرؤية كما يقال رأيته عيانا فرأيته بعيني و سمعته بإذني لأن لا يتوهم رؤيه القلب و سمع العلم و قيل معناه و أنتم تتأملون الحال فى ذلك كيف هى فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر و قيل معناه و أنتم تنظرون إلى محمد ص و فيه حذف أى فلم انهزمتم لأنه موضع عتاب فإن قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزله الشهاده و هل يجوز ذلك قلنا ذلك لا يجوز لأن قتل المشركين لهم معصيه و لا يجوز تمنى المعاصى كما لا يجوز إرادتها و لا الأمر بها فإذا ثبت ذلك فإنما تمنوا الشهاده بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا.

**سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٤**

**اشاره**

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)

**اللغه**

محمد أخذ من الحمد، و التحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لأن التحميد لا يستوجه إلا المستولى على الأمر فى الكمال فأكرم الله عز اسمه نبيه و حبيبه ص باسمين مشتقين من اسمه تعالى محمد ص و أحمد و إليه أشار حسان بن ثابت فى قوله:

نبى أتانا بعد بأس و فتره

من الدين و الأوثان فى الأرض تعبد

ألم تر أن الله أرسل عبده

برهانه و الله أعلى و أمجد

و شق له من اسمه ليجله

فدو العرش محمود و هذا محمد

. الإعراب

إنما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط و تقديره أ تنقلبون إن مات أو قتل لأن الشرط لما انعقد به صار جمله واحده و

خبراً واحداً فكان بمنزله تقديم الاسم على الفعل في الذكر إذا قيل أزيد قام فكذلك تقديمه في القسم و الاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر:

حلفت له إن تدلج الليل لا يزل

أمامك بيت من بيوتى سائر.

ص: ٣٦٣

قال أهل التفسير سبب نزول هذه الآية أنه لما أُرْجِفَ بأن النبي ص قد قتل يوم أحد و أشيع ذلك قال أناس لو كان نبيا لما قتل و قال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به و ارتد بعضهم و انهزم بعضهم و كان سبب انهزامهم و تضعضهم إخلال الرماه لمكانهم من الشعب و كان رسول الله ص نهاهم عن الإخلال به و أمر عبد الله بن جبير و هو أخو خوات بن جبير على الرماه و هم خمسون رجلا- و قال لا- تبرحوا مكانكم فإننا لا نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم و جاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد و على ميسرتهم عكرمه بن أبي جهل و معهم النساء يضربن بالدفوف و ينشدن الأشعار فقالت هند:

نحن بنات طارق

نمشى على النمارق

إن تقبلوا نعاتق

أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

و كان أبو عامر عبد عمرو بن الصيفى أول من لقيهم بالأحابيش و عبيد أهل مکه فقاتلهم قتالا شديدا و حميت الحروب فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بحقه و يضرب به العدو أو العبيد حتى ينحني فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشه الأنصارى فلما أخذ السيف اعتم بعمامه حمراء و جعل يفتخر تبخترا و يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى

أن لا أقيم الدهر فى الكيول

أضرب بسيف الله و الرسول

فقال رسول الله ص إنها لمشييه يبغضها الله و رسوله إلا فى هذا الموضع ثم حمل النبي ص و أصحابه على المشركين فهزمهم و قتل على بن أبى طالب (عليه السلام) أصحاب اللواء كما تقدم بيانه و أنزل الله نصرته على المسلمين قال الزبير فرأيت هندا و صواحبتها هاربات مصعدات فى الجبال ناديه خدامهن ما دون أخذهن شىء فلما نظرت الرماه إلى القوم قد انكشفوا و رأوا النبي و أصحابه ينتهبون الغنيمه أقبلوا يريدون النهب و اختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا أمر الرسول و قال بعضهم ما بقى من الأمر شىء ثم انطلق عامتهم و لحقوا بالعسكر فلما رأى خالد بن الوليد قله الرماه و اشتغال المسلمين بالغنيمه و رأى ظهورهم خاليه صاح

فى خيله من المشركين و حمل على أصحاب النبى ص من خلفهم فهزموهم و قتلوهم و رمى عبد الله بن قمية الحارثى رسول الله بحجر و كسر أنفه و رباعيته و شجه فى وجهه فأثقله و تفرق عنه أصحابه و أقبل يريد قتله فذب مصعب بن عمير و هو صاحب رايه رسول الله يوم بدر و يوم أحد و كان اسم رايته العقاب عن رسول الله ص حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمية فرجع و هو يرى أنه قتل رسول الله ص و قال إنى قتلت محمدا و صاح صائح ألا إن محمدا قد قتل و يقال أن ذلك الصائح كان إبليس لعنه الله فانكف الناس و جعل رسول الله ص يدعو الناس و يقول إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين و رمى سعد بن أبى وقاص حتى اندقت سية قوسه و أصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبيست و أصيبت عين قتاده بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله مكانها فعادت كأحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ص أدركه أبى بن خلف الجمحى و هو يقول لا نجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه أحد منا فقال دعوه حتى إذا دنا منه و كان أبى قبل ذلك يلتقى رسول الله فيقول عندى رمكه أعلفها كل يوم فرق ذره أقتلك عليها فقال رسول الله بل أنا أقتلك إن شاء الله فلما كان يوم أحد و دنا منه تناول رسول الله الحربه من الحرث بن الصمه ثم استقبله فطعنه فى عنقه و خدش خدشه فتدهده عن فرسه و هو يخور كما يخور الثور و هو يقول قتلنى محمد فاحتمله أصحابه و قالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه بريعه و مضر لقتلتهم أليس قال لى أقتلك فلو بزق على بعد تلك المقاله لقتلنى فلم يلبث إلا يوما حتى مات قال و فشا فى الناس أن رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى فياخذ لنا أمانا من أبى سفيان و بعضهم جلسوا و ألقوا بأيديهم و قال أناس من أهل النفاق إن كان محمد قد قتل فألحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن نضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قد قتل محمد فرب محمد لم يقتل و ما تصنعون بالحياه بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله و موتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعنى المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم أن رسول الله انطلق إلى الصخره و هو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله فأشار إلى أن أسكت فانحازت إليه طائفه من أصحابه فلامهم النبى على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا و أمهاتنا أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» الآية.

ثم بين سبحانه أنه لا ينبغي أن يترك أمر الله تعالى كان الرسول بين أظهرهم أو لم يكن فقال «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» يعنى أنه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا رساله و مضوا و ماتوا و قتل بعضهم و أنه يموت كما مات الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه و لا القتل و قيل أراد أن أصحاب الأنبياء لم يردوا عند موتهم أو قتلهم فافتدوا بهم ثم أكد ذلك فقال «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ» معناه أ فإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد إيمانكم فسمى الارتداد انقلابا على العقب و هو الرجوع القهقري لأن الرده خروج إلى أقبح الأديان كما أن الانقلاب خروج إلى أقبح ما يكون من المشى و الألف فى قوله «أَفَإِنْ مَاتَ» ألف إنكار صورته صوره الاستفهام و مثله أ تختار الفساد على الصلاح و الخطأ على الصواب و فى قوله «مَاتَ أَوْ قُتِلَ» دلالة على أن الموت غير القتل لأن الشىء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنيه الحياه و الموت فساد البنيه التى تحتاج إليها الحياه و قيل الموت معنى يضاد الحياه و الصحيح الأول «وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ» يعنى من يرتد عن دينه «فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا» لأنه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائده عليه لأنه مستحق للعقاب الدائم «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» أى يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله و اعترافهم بها و قيل المراد بالشاكرين المطيعين لأن الطاعات هى شكر الله على نعمه و هذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد لأن قوله «فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا» دليل على معنى الوعيد فكأنه قال من يرتد عاد ضرره عليه و من شكر و آمن فنفعه يعود إليه.

### فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد صلى الله عليه و آله

كانت كفار قريش يشتمون مذمما يعنون اسم النبى ص

فروى أبو هريره عن النبى ص قال أ لم تروا كيف صرف الله عنى لعن قريش و شتمهم يشتمون مذمما و أنا محمد

و فى مسند على بن موسى الرضا عن آباءه عن النبى ص أنه قال إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه و أوسعوا له فى المجلس و لا تقبحوا له وجهها و ما من قوم كان لهم مشوره فحضر معهم من اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم و ما من مائده وضعت فحضرها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس فى كل يوم ذلك المنزل مرتين

و عن أنس بن مالك قال كان النبى ص فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله فقال الرجل إنما أدعو ذاك فقال رسول الله تسموا باسمى و لا تكنوا بكينيتى

و عن أبى هريره قال قال رسول الله ص

لا تجمعوا بين اسمي و كنيتي أنا أبو القاسم الله يعطى و أنا أقسم

ثم رخص في ذلك لعلى (عليه السلام) و ابنه

و عن على بن أبى طالب قال قال لى رسول الله ص أن ولد لك غلام نحلته اسمى و كنيتى.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٥

#### إشارة

وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَيَجْزَى الشَّاكِرِينَ (١٤٥)

#### الإعراب

كتابا نصب على المصدر لفعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كل ما يكون فقد كتبه الله فتقديره كتب الله ذلك كتابا و قال الأَخفش اللام فى قوله «وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» منقوله عما دخل عليه فى غيره و تقديره و ما كان لنفس لتموت أى لأن تموت.

#### المعنى

«وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» و معناه ما كان نفس لتموت إلا بإذن الله و مثله «ما كان لله أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» أى و ما كان الله ليتخذ ولدا و قوله «ما كان لكم أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا» معناه ما كنتم لتنبتوا شجرها لأن إنبات الشجر لا يدخل تحت قدره البشر فى الآيه إخبار بأن الموت لا يكون إلا بإذن الله و هذا تسليه عما لحق النفوس بموت النبى ص من جهة أنه بإذن الله و معناه أنه إن مات فإنما يموت بإذن الله و علمه كغيره من الناس فلا عذر لأحد فى ترك دينه بعد موته و قيل أن فيه حضا على الجهاد من حيث لا يموت أحد إلا بإذن الله أى لا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلا قد حضر و لا يقدم الجهاد أجلا- لم يحضر فلا- معنى للانهازام و قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» يحتمل أمرين (أحدهما) بعلم الله (و الثانى) بأمر الله و قال أبو على الجبائى فيه دلالة على أنه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على ضده من الحياه غير الله و لو كان من مقدور غيره لم يكن بإذنه و قوله «كِتَابًا مُؤَجَّلًا» معناه كتب الله لكل حى أجلا و وقتا لحياته و وقتا لموته لا يتقدم و لا يتأخر و قيل حتما موقتا و حكما لازما مبرما «وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن المراد من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ فى الآخرة عن ابن إسحاق أى فلا يعتر بحاله فى الدنيا (و ثانيها) من أراد بجهاده ثواب الدنيا و هو النصيب من الغنيمه نؤته منها فبين أن حصول الدنيا للإنسان ليس بموضع غبطه



لأنها مبدولة للبر و الفاجر عن أبي على الجبائي (و ثالثها) من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل مع مواقعه الكبائر جوزى بها فى الدنيا دون الآخرة لإحباط عمله بفسقه و هذا على مذهب من يقول بالإحباط «و مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا» أى و من یرد بالجهاد و أعماله ثواب الآخرة نُؤْتَهُ مِنْهَا فلا ینبغى لأحد أن یطلب بطاعاته غیر ثواب الله و مثله قوله تعالى «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ» الآیه، و قریب منها

قول النبى ص من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له فى الآخرة من نصيب

و من فى قوله «مِنْهَا» یحتمل أن تكون زائده و یحتمل أن تكون للتبعیض لأنه إنما یرتفع الثواب على قدر العمل «و سَيَنْجِزِي الشَّاكِرِينَ» أى نعطيهم جزاء الشكر و فى تكراره قولان (أحدهما) أنه للتأكيد و للتنبیه على عظم منزله الشاكرين (و الثانى) أن معناه و سنجزى الشاكرين من الرزق فى الدنيا لثلاث يتوهم أن الشاكر یحرم ما یعطى الكافر من نعيم الدنيا عن ابن إسحاق

و روى أبان بن عثمان عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه أصاب عليا (عليه السلام) يوم أحد ستون جراحه و أن النبى ص أمر أم سليم و أم عطية أن تداوياه فقالتا أنا لا نعالج منه مكانا إلا انفتق مكان آخر و قد خفنا عليه فدخل رسول الله ص و المسلمون یعودونه و هو قرحه واحده فجعل یمسحه بيده و یقول إن رجلا لقی هذا فى الله فقد أبلى و أعذر و كان القرع الذى یمسحه رسول الله ص یلتئم فقال على (عليه السلام) الحمد لله إذ لم أفر و لم أولى الدبر

فشكر الله له ذلك فى موضعين من القرآن و هو قوله «و سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» من الرزق فى الدنيا «و سَيَنْجِزِي الشَّاكِرِينَ» قال أبو على الجبائي و فى هذه الآیه دلالة على أن أجل الإنسان إنما هو أجل واحد و هو الوقت الذى یموت فيه لأنه لا ینقطع بالقتل عن الأجل الذى أخبر الله بأنه أجل لموته و قال ابن الإخشيد لا دليل فيه على ذلك لأن للإنسان أجلا یموت فيه لا محاله و أجلا هو موهبه من الله له و مع ذلك فلن یموت إلا عند الأجل الذى جعله الله أجلا لموته و الأقوى الأول.

النظم

اتصل قوله «و ما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» بما قبله لأنه حث على الجهاد و قيل لأنه تسليه عما حق النفوس من الوجوم یموت النبى ص و قيل للبيان بأن حالهم لا یتخلف فى التكليف بأن یموت النبى ص فىنبغى أن یتمسك بأمره فى حياته و بعد وفاته.

ص: ٣٦٨

## إشارة

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَ تَبَّتْ أَعْقَامُنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)

## القراءة

قرأ ابن كثير كائن على وزن كاعن و أبو جعفر يلين الهمزة و هو قراءة الحسن و الباقون «كأَيِّنْ» على وزن كعين و قرأ أهل البصره و ابن كثير و نافع قتل بضم القاف بغير ألف و هي قراءة ابن عباس و الباقون «قاتل» بالألف و هي قراءة ابن مسعود.

## الحج

أصل كائن أى دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا و على أن من كأن و كثر استعمال الكلمه فصارت ككلمه واحده فقلبت قلب الكلمه الواحده فصار كيان فحذفت الياء الثانيه كما حذفت فى كينونه فصار كيان مثل كيعن ثم أبدلت من الياء الألف كما أبدلت من طائى فصار كائن ثم لينت الهمزة على قراءة أبى جعفر قال الشاعر:

و كائن رددنا عنكم من مدجج

يجىء أمام القوم يردى مقنعا

و قال آخر:

و كائن إليكم عاد من رأس فنيه

جنودا و أمثال الجبال كتائبه

و قد حذفت الياء من أى فى قول الفرزدق:

تنورت نسرا و المساكين أيهما

على من الغيث استهلته مواطره

و أما قتل فيجوز أن يكون مسندا إلى ضمير نبي و إذا أسند هذا إلى الضمير احتمل هذا «مَعَهُ رَبِّيُونَ» أمرين (أحدهما) أن يكون صفه لنبي فإذا قدرته هذا التقدير كان قوله

«رَبِّيُونَ» مرتفعاً بالظرف بلا خلاف لأن الظرف إذا اعتمد على ما قبله جاز أن يرفع على مذهب سيبويه أيضاً (و الآخر) ألا تجعله صفة و لكن حالاً من الضمير في قتل و الأحسن أن يكون الاسم الذى أسند إليه قتل قوله «رَبِّيُونَ» فيكون على هذا التقدير قوله «مَعَهُ» متعلقاً بقتل و على القيلتين الآخرين اللذين هما الصفة و الحال متعلقاً فى الأصل بمحذوف و كذلك من قرأ «قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ» فهو يجوز فيه ما جاز فى قراءة من قرأ قتل و حجه من قرأ قتل قوله «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ» و حجه من قرأ «قَاتَلَ» أن القاتل قد مدح كما يمدح المقتول قال تعالى «وَقَاتِلُوا وُقَاتِلُوا» و من جعل قوله «مَعَهُ رَبِّيُونَ» صفة أضمر للمبتدأ الذى هو كآين خبراً و موضع الكاف الجاره هى فى كآين مع المجرور رفع كما أن موضع الكاف فى قوله كذا و كذا رفع و لا معنى للتشبيه فيها كما أنه لا معنى للتشبيه فى كذا و كذا.

## اللغة

الوهن الضعف و قال «وَمَا ضَعُفُوا» من حيث إن انكسار الجسم بالخوف و غيره و الضعف نقصان القوة و الاستكانة أصلها من الكينه و هى الحال السيئه يقال فلان بات بكينه أى بنيه سوء و الإسراف مجاوزة المقدار و الإفراط بمعناه و ضدهما التقدير و قيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزياده أو نقصان و الأول أظهر يقال أسرفت الشىء أى نسيت لأنه جاوزه إلى غيره بالسهو عنه.

## المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله «وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ» أى و كم من رسول «قَاتَلَ» أى حارب أو قتل «مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ» ذكرنا تقديره فى الحجه و قيل فى ربيون أقوال (أحدها) أنهم علماء فقهاء صبر عن ابن عباس و الحسن (و ثانيها) أنهم جموع كثيرة عن مجاهد و قتاده (و ثالثها) أنهم منسوبون إلى الرب و معناه المتمسكون بعبادة الله عن الأخفش و قال غيره أنهم منسوبون إلى علم الرب (و رابعها)

أن الربيون عشره آلاف عن الزجاج و هو المروى عن أبى جعفر

(و خامسها) أن الربيون الأتباع و الربانيون الولاه عن ابن زيد و من أسند الضمير الذى فى قتل إلى نبي فالمعنى كم من قتل ذلك النبي و كان معه جماعه كثيره فقاتل أصحابه بعد «فَمَا وَهَنُوا» و ما فتروا و من أسند قتل إلى الربيين دون ضمير نبي فالمعنى ما وهن باقيتهم بعد ما قتل كثير منهم فى سبيل الله إلى هذا ذهب الحسن لأنه كان يقول لم يقتل نبي قط فى معركة و إلى الأول ذهب ابن إسحاق و قتاده و الربيع و السدى فعلى هذا يكون النبي المقتول و الذين معه لا يهنون،

بين الله سبحانه أنه لو قتل النبي كما أرفج بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا و يهنوا كما لم يهن من

كان مع الأنبياء بقتلهم و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن دينهم عن ابن عباس وقيل «فَمَا وَهَنُوا» أى فما جنبوا عن قتال عدوهم «وَ مَا ضَعُفُوا» أى ما فتروا «وَ مَا اسْتَكَانُوا» أى و ما خضعوا لعدوهم عن الزجاج «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» فى الجهاد قال ابن الأنبارى أى فقد كان واجبا عليكم أن تقاتلوا على أمر نبيكم لو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم و لم يرجعوا عن دينهم «وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ» عند لقاء العدو «إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» و المعنى ما كان قولهم إلا استغفارهم أى إلا- قولهم «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» و قوله «أَنْ قَالُوا» اسم كان و قولهم خبره و الضمير يعود إلى النبى و من معه على أحد القولين و إلى الربيبين فى قول الآخر و قوله «اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» أى استرها علينا بترك عقابنا و مجازاتنا عليها «وَ إِسْرَافَنَا فى أمرنا» أى تجاوزنا الحد و تفریطنا و تقصيرنا، رغب الله تعالى أصحاب الرسول فى أن يقولوا هذا القول و لا يقولوا قولاً يدل على الضعف فيطمع الأعداء فيهم «وَ تَبَّتْ أَقْدَامُنَا» فى جهاد عدوك بتقوية القلوب و فعل الألفاظ التى معها تثبت الأقدام فلا تزول للانهازم و قيل معناه ثبتنا على الدين فتثبت به أقدامنا «وَ انصُرْنَا» على القوم و أعنا «عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» باللقاء الرعب فى قلوبهم و إمدادنا بالملائكة ثم بين تعالى ما آتاهم عقيب دعائهم فقال «فَاتَاهُمُ اللَّهُ» يعنى الذين وصفهم أعطاهم الله «ثَوَابَ الدُّنْيَا» و هو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم و قهروهم و غلبوهم و نالوا منهم الغنيمه و حسن ثواب الآخرة و هو الجنة و المغفرة و يجوز أن يكون ما آتاهم فى الدنيا من الظفر و الفتح و النصر و أخذ الغنيمه ثوابا مستحقا لهم على طاعتهم لأن فى ذلك التعظيم لهم و الإجلال و لذلك تقول إن المدح على فعل الطاعة و التسميه بالأسماء الشريفة بعض الثواب و يجوز أن يكون أعطاهم الله ذلك تفضلا منه تعالى أو لما لهم فيه من اللطف فيكون تسميته بأنه ثواب مجازا و توسعا و الثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم و التبجيل «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» فى أقوالهم و أفعالهم و المحسن فاعل الحسن و قيل المحسن الذى يحسن إلى نفسه بطاعه ربه و قيل الذى يحسن إلى غيره.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِدُّوكُمْ عَلَىٰ أَغْصَابِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) يَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠)

اللغه

الطاعه موافقه الإراده المرغبه فى الفعل و بالترغيب ينفصل عن الإجابة و إن

كان موافقه الإراده حاصله و فى الناس من قال الطاعه هى موافقه الأمر و الأول أصح لأن من فعل ما يقتضى العقل وجوبه أو حسنه كان مطيعا لله و إن لم يكن هناك أمر.

## الإعراب

يردوكم جزم لأنه جواب الشرط فتقبلوا عطف عليه و خاسرين نصب على الحال و بل حقيقته الإضراب عن الأول إلى الثانى.

## النزول

قيل

نزلت فى المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم و ارجعوا إلى دينهم عن على (عليه السلام) و قيل هم اليهود و النصارى عن الحسن و ابن جريج.

## المعنى

ثم أمر سبحانه بترك الائتمار لمن تبطهم عن الجهاد من الكفار و قال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا» أى إن أصغيتم إلى قول اليهود و المنافقين إن محمد ص قتل فارجعوا إلى عشائركم «يُرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ» أى يرجعوكم كفارا كما كنتم «فَتَنقَلِبُوا» أى ترجعوا «خَاسِرِينَ» لأنفسكم فلا خسران أعظم من أن تبدلوا الكفر بالإيمان و النار بالجنة «بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ» أى لهو أولى بأن تطيعوه و هو أولى بنصرتكم «وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» إنما قال ذلك و إن كان نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهارا فى الحجه أى إن اعتد بنصره غيره فهو خير ناصر لأنه لا يجوز أن يغلب و غيره يجوز أن يغلب و إن نصر فهو الناصر فى الحقيقه إن شاء أمدكم بأهل الأرض و إن شاء نصركم بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائكم.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٥١

### إشارة

سُنُّلِقَىٰ فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ مَا وَاهُمُ النَّارُ وَ بُئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١)

### القراءة

قرأ ابن عامر و أبو جعفر و الكسائى و يعقوب و أبو حاتم الرعب بضم العين و قد تقدم القول فى مثله.

### اللغة

السلطان هنا معناه الحجه و البرهان و أصله القوه فسلطان الملك قوته

و السلطان البرهان لقوته على دفع الباطل و التسليط على الشىء التقويه على الشىء مع الإغراء به و السلاطه حده اللسان مع شده الصحب للقوه على ذلك مع إثثار فعله و السليط الزيت لقوه استعماله بحدته و الإلقاء أصله فى الأعيان يدل عليه قوله وَ أَلْقَى الْمَالِوَا حَ فَمَا لَقُوا حِبَالَهُمْ وَ اسْتعمل فى غير عين اتساعا إذ ليس الرعب و كذلك قوله وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَ مثل الإلقاء فى ذلك الرمي قال سبحانه الَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ أَى بالزنا فهذا اتساع لأنه ليس بعين و كذلك قوله:

رمانى بأمر كنت منه و والدى

بريا و من حول الطوى رمانى

و المثوى المنزل و أصله من الثواء و هو طول الإقامة و أم المثوى ربه البيت و الثوى الضعيف لأنه مقيم مع القوم.

## النزول

قال السدى لما ارتحل أبو سفيان و المشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به و ستأتى هذه القصة فيما بعد إن شاء الله فنزلت الآية.

## المعنى

ثم بين سبحانه أن من جملة نصرته للمؤمنين إلقاءه الرعب فى قلوب المشركين فقال «سَيُلْقَى» أى سنقذف «فى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» أى الخوف و الفرع «بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ» أى بشركهم بالله و قولهم عليه ما لا يجوز من الند و الشرك «مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا» أى برهانا و حجه يعنى لم يجعل لهم فى ذلك حجه «وَ مَا أَوْاهُ» أى مستقرهم «النَّارُ» يعذبون بها «وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» معناه و بئس مقام الظالمين النار و روى أن الكفار دخلوا مكة كالمنهزمين مخافة أن يكون لرسول الله و أصحابه الكره عليهم

و قال رسول الله ص نصرت بالرعب مسيرة شهر.

ص: ٣٧٣

## إشارة

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَّهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)

## اللغة

الحس القتل على وجه الاستئصال و أصله من الإحساس و منه هل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ و سمي القتل حسا لأنه يبطل الحس و الفشل الجبن.

## الإعراب

صدق يتعدى إلى مفعولين و جواب إذا في قوله «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ» قيل فيه وجهان (أحدهما) أنه محذوف و تقديره حتى إذا فشلتم امتحنتم (و الثانى) أنه على زياده الواو و التقديم و التأخير و تقديره حتى إذا تنازعتم فى الأمر فشلتم عن الفراء و قال هذا كقوله فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نَادَيْنَاهُ وَ معناه ناديناها و الواو زياده و حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا و أنشد:

حتى إذا قملت بطونكم

و رأيتم أبناءكم شبا

و قلبتم ظهر المجن لنا

إن اللئيم العاجز الخب

و البصريون لا يجيزون هذا و يأولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ فى الكلام و أحسن.

## النزول

ذكر ابن عباس و البراء بن عازب و الحسن و قتاده أن الوعد المذكور فى الآيه كان يوم أحد لأين المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى إذا أخل الرماه بمكانهم الذى أمرهم الرسول بالمقام عنده فأتاهم خالد من ورائهم و قتل عبد الله بن جبير و من معه و تراجع المشركون و قتل من المسلمين سبعون رجلا و نادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا و فى ذلك نزلت الآيه.

## المعنى

ثم بين تعالى أنه صدقهم وعده فقال «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَّهُ» معناه وفى الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم فى قوله

بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية و قيل كان الوعد

قول رسول الله للرماء لا تبرحوا هذا المكان فإننا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم

«إِذْ تَحْسُونَهُمْ» أى تقتلونهم «بِإِذْنِهِ» أى بعلمه و قيل بلطفه لأن أصل الأذن هو الإطلاق فى الفعل و اللطف تيسير للفعل كما أن الأذن كذلك فحسن إجراء اسمه عليه «حَتَّى إِذَا فُشِلْتُمْ» معناه جئتم عن عدوكم و كففتم

ص: ٣٧٤



«وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ» أى اختلفتم «وَعَصَيْتُمْ» أمر نبيكم فى حفظ المكان «مِنْ بَعِيدٍ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ» من النصره على الكفار و هزيمتهم و الظفر بهم و الغنيمه و أكثر المفسرين على أن المراد بالجميع يوم أحد و قال أبو على الجبائى معناه أن تحسونهم يوم بدر حتى إذا فشلتم يوم أحد و تنازعتم و عصيتهم يوم أحد من بعد ما أراكم ما تحبون يوم بدر و الأولى أن يكون حكايه عن يوم أحد على ما بيناه و جواب إذا هاهنا محذوف يدل الكلام عليه و تقديره حتى إذا فعلتم ذلك ابتلاكم و امتحنكم و رفع النصره عنكم «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا» يعنى الغنيمه و هم الذين أدخلوا المكان الذى رتبهم النبى ص فيه و أمرهم بلزومه «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ» أراد عبد الله بن جبير و من ثبت مكانه أى يقصد بجهاده إلى ما عند الله و روى عن ابن مسعود قال ما كنت أدرى أن أحدا من أصحاب رسول الله ص يريد الدنيا حتى نزلت فينا هذه الآية يوم أحد «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ» قد ذكرنا فى إضافه انصرافهم إلى الله سبحانه و وجوه (أحدها) أنهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه و منهم من لم يعص لأنهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا بإذن الله لثلاثا يقتلوا لأن الله تعالى أوجب ثبات المائة للمائتين فإذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز أن يذكر الفريقين بأنه صرفهم و عفا عنهم يعنى صرف بعضهم و عفا عن بعض عن أبى على الجبائى (و ثانيها) أن معناه رفع النصره عنكم و كلكم إلى أنفسكم بخلافكم للنبي ص فانهمتم عن جعفر بن حرب (و ثالثها) أن معناه لمن يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بالمظاهرة فى الإنعام عليكم و التخفيف عنكم عن البلخى و قوله «لِيَبْتَلِيَكُمْ» معناه ليختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر مظاهره فى العدل و ذلك أنه تعالى إنما يجازى عباده على ما يفعلونه دون ما قد علمه منهم «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ» أى صفح عنكم بعد أن خالفتهم أمر الرسول و قيل عفا عنكم تتبعهم بعد أن أمركم بالتبع لهم عن البلخى قال لما بلغوا حمراء الأسد عفا عنهم فى ذلك.

و قال أبو على الجبائى هو خاص بمن لم يعص الله بانصرافه و الأولى أن يكون عاما فى الجميع فإنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد عفا لهم عن المعصيه «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى ذو من و نعمه عليهم بنعم الدنيا و الدين و قيل بغفران ذنوبهم و قيل بأن لا يستأصلهم كما فعل بمن كان قبلهم

و روى الواحدى بإسناده عن سهل بن سعد الساعدى قال خرج رسول الله يوم أحد و كسرت رباعيته و هشمت البيضه على رأسه فكانت فاطمه بنته تغسل عنه الدم و على بن أبى طالب (عليه السلام) يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمه أن الماء لا يزيد الدم إلا كثره أخذت قطعه حصير فأحرقته حتى إذا صار رمادا ألزمته الجرح فاستمسك الدم.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٣ الى ١٥٤

#### اشاره

إِذْ تُضَيِّعُ جُدُونَ وَ لَا تَلُؤُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمْتُمْ لَكَيْلًا تَخْزَنُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعِيدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)



قرأ أهل الكوفه غير عاصم تغشى طائفه بالتاء و الباقون «يغشى» بالياء وقرأ أهل البصره كله لله بالرفع و الباقون بالنصب.

### الحجه

قال أبو على حجه من قرأ «يغشى» بالياء قوله إذ يُغشِّيكمُ النُّعاسَ أَمَنَّهُ و النعاس هو الغاشى و لأن يغشى أقرب إلى النعاس فأسناد الفعل إليه أولى و يقال غشيتنى النعاس و غلب على النعاس و لا يسهل غشيتنى الأمنة و حجه من قرأ بالتاء أن النعاس و إن كان بدلا من الأمنة فليس المبدل منه فى طريق ما يسقط من الكلام يدللك على ذلك قولهم الذى مررت به زيد أبو عبد الله و قال:

و كأنه لهق السراه كأنه

ما حاجبيه مغير بسواد

فجعل الخبر على الذى أبدل منه و حجه من نصب كله أن كله بمنزله أجمعين فى

أنه الإحاطه و العموم فالوجه أن لا- يلى العوامل كما لا يليها أجمعون و حجه أبى عمرو فى رفعه كله و ابتداؤه به أنه و إن كان فى أكثر الأمر بمنزله أجمعين لعمومها فقد ابتدئ بها كما ابتدئ بسائر الأسماء نحو قوله وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا فابتدأ به فى الآيه.

## اللغه

الفرق بين الإصعاد و الصعود أن الإصعاد فى مستوى من الأرض و الصعود فى ارتفاع يقال أصعدنا من مكه إذا ابتدأنا السفر منها و منه قول الشاعر:

هواى مع الركب اليمانيين مصعد

جنيب و جثمانى بمكه موثق

و روى عن الحسن أنه قرأ تصعدون بفتح التاء و العين و قال إنهم صعّدوا فى الجبل فرارا و قال الفراء الإصعاد الابتداء فى كل سفر و الانحدار الرجوع عنه و لا- تلون أى لا- تعرجون على أحد كما يفعله المنهزم و لا يذكر هذه إلا فى النفى لا يقال لويت على كذا و أصله من لى العنق للالتفات و النعاس الوسن و ناقه نعوس توصف بالسماحه فى الدر.

## الإعراب

قوله «إِذْ تُصَيِّدُونَ» العامل فى إذ قوله وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ و اللام فى قوله «لِكَيْلَا تَحْزَنُوا» يتعلق به أيضا و قيل يتعلق بقوله «فَأَنَابُكُمْ» و لا- تحزنوا منصوب بكى و آمنه مفعول أنزل و نعاسا بدل منها و طائفه الأولى مفعول يغشى و طائفه الثانية مرفوعه بالابتداء و خبرها يظنون و «فَدَأَ أَهْمَتُهُمْ أَنفُسَهُمْ» فى موضع رفع بالصفه و يجوز أن يكون قد أهتمتهم أنفسهم خبرا و الواو فى طائفه واو الحال على تقدير يغشى النعاس طائفه فى حال ما أهمت طائفه منهم أنفسهم فالجمله فى موضع الحال و يجوز النصب على أن يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا و عمرا أكرمه فيكون منصوبا على إضمار فعل الذى قد ظهر تفسيره.

## المعنى

ثم ذكر تعالى المنهزمين من أصحاب رسول الله يوم أحد فقال «إِذْ تُصَيِّدُونَ» معناه و لقد عفا عنكم إذ تذهبون فى وادى أحد للانهمام فرارا من العدو عن قتاده و الربيع «وَلَا تَلُوُونَ عَلَى أَحَدٍ» أى لا تقيمون على من خلفتم فى الحرب و لا تلتفتون إليهم و لا يقف أحد منكم على أحد «وَالرَّسُولُ» يعنى محمدا ص «يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ» أى يناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا إلى عباد الله ارجعوا إلى أنا رسول الله يقال فلان جاء فى آخر الناس و آخره الناس و أخرى الناس إذا جاء خلفهم «فَأَنَابُكُمْ غَمًّا بِغَمِّ» اختلف فيه على أقوال (أحدها) أن معناه جعل مكان ما ترجونه من الثواب أن غمكم بالهزيمة و ظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله إذ عصيتموه و ضيعتم أمره فالغم

الأول لهم و الثاني للنبي ص و اختاره الزجاج (و ثانيها) أن معناه غما على غم أو غما مع غم أو غما بعد غم كما يقال نزلت بفلان و على فلان حتى فعل كذا و يقال ما نزلت بزيد حتى فعل أى مع زيد و أراد به كثره الغم بالندم على ما فعلوا و بما أصابهم من الشدائد و أنهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله (و ثالثها) أن الغم الأول القتل و الجراح و الثاني الإرجاف بقتل محمد ص عن قتاده و الربيع (و رابعها) أثابكم غما يوم أحد بغم ألحق المشركين يوم بدر عن الحسن و فى هذا القول نظر لأن ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين إنما توجب المجازاه بالكرامه دون الغم (و خامسها) أن المراد غم المشركين بما ظهر من قوه المسلمين على طلبهم و خروجهم إلى حمراء الأسد فجعل هذا الغم عوضا عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسين بن على المغربى و إنما قيل فى الغم ثواب لأن أصله ما يرجع إلى المجازاه على الفعل طاعه كان أو معصيه ثم كثر فى جزاء الطاعه فهو كما قال الشاعر:

و أرانى طربا فى إثرهم

طرب الواله أو كالمختبل

و قيل أنه مما وضع مكان غيره كقوله تعالى فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ\* أى ضعه موضع البشاره فهو كما قال الشاعر:

أخاف زيادا إن يكون عطاؤه

أداهم سودا أو مدحرجه سمرا

«لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ» معناه فعل بكم هذا الغم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمه و لا تتركوا أمر النبى (صلى الله عليه و آله) و لئلا تحزنوا على ما أصابكم من الشدائد فى سبيل الله و ليكن غمكم بأن خالفتم النبى فقط و تقديره ليشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره و قيل معناه و لقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فإن عفو الله تعالى يذهب كل حزن «وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» فيه ترغيب فى الطاعه و ترهيب عن المعصيه ثم ذكر ما أنعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا و أقبلوا يعتذرون إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأنزل النعاس عليهم فى تلك الحاله حتى كانوا يسقطون على الأرض و كان المنافقون لا يستقرون حتى طارت عقولهم فقال «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا» لفظ الإنزال توسع و معناه ثم وهب الله لكم أيها المؤمنون بعد ما نالكم من يوم أحد من الغم أمنه يعنى أمنا نعاسا أى نوما و هو بدل الاشتمال عن أمنه لأن النوم يشتمل على الأمن لأن الخائف لا ينام ثم ذكر سبحانه إن تلك الأمنه لم تكن عامه بل

كانت لأهل الإخلاص وبقى لأهل النفاق الخوف و السهر فقال «يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ» يعنى المؤمنين ألقى عليهم النوم و كان السبب فى ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال فقعد المسلمون تحت الجحف متهيئين للحرب فأنزل الله الأمانة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم أو يغيروا على المدينة لسوء الظن فطير عنهم النوم عن ابن إسحاق و ابن زيد و قتاده و الربيع «وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» أى و جماعه قد شغلتهم أنفسهم و قيل حملتهم على الهم و منه قول العرب همك ما أهمك و معناه كان همهم خلاص أنفسهم و العرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف و جل شغله هم نفسه عن غيره «يَظُنُّونَ بِإِلَهِهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ» أى يتوهمون أن الله لا- ينصر محمدا و أصحابه كظنهم فى الجاهليه و قيل كظن أهل الجاهليه و هم الكفار و المكذبون بوعد الله و وعيده فكان ظن المنافقين كظنهم و قيل ظنهم ما ذكر بعده من قوله «يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ» فهذا تفسير لظنهم يعنى يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر و الفتح و الظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب و الإنكار أى أنطمع أن يكون لنا الغلبه على هؤلاء أى ليس لنا من ذلك شىء و قيل إن معناه إنا أخرجنا كرها و لو كان الأمر إلينا ما خرجنا عن الحسن و كان هذا القائل عبد الله بن أبى و معتب بن قشير و أصحابهما عن الزبير بن العوام و ابن جريج «قُلْ» يا محمد «إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ» ينصر من يشاء و يخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره و لا ناصر لمن خذله و ربما عجل النصر و ربما أخره لضرب من الحكمة و لا يكون لوعده خلف و المراد بالأمر فى الموضوعين النصر «يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ» أى يخفون فى أنفسهم الشك و النفاق و ما لا يستطيعون إظهاره لك «يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ» أى من الظفر كما وعدنا «شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا» أى ما قتل أصحابنا شكا منهم فيما وعده الله تعالى نبيه من الاستعلاء على أهل الشرك و تكذيبا به «قُلْ» يا محمد لهم فى جواب ذلك «لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ» و منازلكم «لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن معناه لو لزمتم منازلكم أيها المنافقون و المرتابون و تخلفتم عن القتال لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون و يقتلون و التقدير و لو تخلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون (و الثانى) إن معناه لو كنتم فى منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل أى كتب آجالهم و موتهم و قتلهم فى اللوح المحفوظ فى ذلك الوقت إلى مصارعهم و ذلك إن ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لا محاله و ليس فى ذلك أن المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم و كتبه لأنه كما علم

أنهم لا يختارون ذلك علم أنهم قادرون و لو وجب ذلك لوجب أن يكون تعالى قادرا على ما علم أنه لا يفعله و القول بذلك كفر «وَلِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ» أى يختبر الله ما فى صدوركم بأعمالكم لأنه قد علمه غيبا فيعلمه شهاده لأن المجازاه إنما تقع على ما علم مشاهدته لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج و قيل معناه ليعاملكم معامله المبتلين مظاهره فى العدل عليكم و قيل أنه عطف على قوله ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» أى يخلص و قيل هذا خطاب للمنافقين أى يأمركم بالخروج فلا تخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم و تنكشف أسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم و قيل معناه ليبتلى أولياء الله ما فى صدوركم كما فى قوله «الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» و قيل أنه عطف على قوله «أَمَنَهُ نِعَاسًا» أى ليظهر عند هذه الأحوال موافقه باطنكم ظاهرهم «وَلِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» أى يطهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعه و يخلص نياتكم و هذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» معناه أن الله لا يبتليكم ليعلم ما فى صدوركم فإن الله عليم بذلك و إنما ابتلاكم ليظهر أسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٥

#### اشاره

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)

#### المعنى

ثم ذكر الله الذين انهزموا يوم أحد أيضا فقال «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ» أى إن الذين ولوا الدبر على المشركين بأحد منكم أيها المسلمون عن قتاده و الربيع و قيل هم الذين هربوا إلى المدينه فى وقت الهزيمه عن السدى «يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ» جمع المسلمين و سيدهم رسول الله و جمع المشركين و رئيسهم أبو سفيان «إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ» أى طلب زلتهم عن القتيبي و قيل أزل و استزل بمعنى «بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا» من معاصيهم السالفه فلحقهم شؤمها و قيل استزلهم بمحبتهم للغنيمه مع حرصهم على تبقيه الحياه عن الجبائى قال و فى ذلك الزجر عما يؤدى إلى الفتور فيما يلزم من الأمور و قيل استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكروها القتل قبل إخلاص التوبه منها و الخروج من المظلمه فيها عن الزجاج «وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ» أعاد تعالى ذكر العفو تأكيداً لطمع المذنبين فى العفو و منعاً لهم عن اليأس و تحسينا لظنون المؤمنين «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ»

قد مر معناه و ذكر أبو القاسم البلخي أنه لم يبق مع النبي (صلى الله عليه و آله) يوم أحد إلا- ثلاثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين و ثمانية من الأنصار فأما المهاجرون فعلى (عليه السلام) و أبو بكر و طلحه و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص و قد اختلف في الجميع إلا في على (عليه السلام) و طلحه

و قد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال و رأيتني أصدع في الجبل كأنى أروى و لم يرجع عثمان من الهزيمة إلا بعد ثلاث فقال له النبي (صلى الله عليه و آله) لقد ذهبت فيها عريضه.

## سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٦ الى ١٥٨

### إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَشِيرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)

### القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ نافع و أهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر و وافقهم حفص في سائر المواضع إلا هاهنا و قرأ الباقون «مُتُّمْ» بضم الميم و قرأ «مِمَّا يَجْمَعُونَ» بالياء حفص عن عاصم و الباقون تجمعون بالتاء.

### الحجج

قال أبو على حججه من قرأ بالتاء قوله «لا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا» و حججه من قرأ بالياء أن قبلها أيضا غيبه و هو قوله «و قالوا لِإِخْوَانِهِمْ» و ما بعده فحمل الكلام على الغيبه و الأشهر الأقيس في «مُتُّمْ ضم الميم و الكسر شاذ في القياس و نحوه مما شذ فضل يفضل في الصحيح و أنشدوا:

ذكرت ابن عباس بدار ابن عامر

و ما مر من عمرى ذكرت و ما فضل



و أما «تجمعون» بالتاء فالمعنى على تجمعون أيها المقتولون في سبيل الله أو المائتون و معنى الياء أنه لمغفره من الله خير مما يجمعه غيركم.

## اللغة

الضرب في الأرض السير فيها و أصله الضرب باليد و قيل هو الإيغال في السير و غزى جمع غاز نحو ضارب و ضرب و طالب و طلب.

## الإعراب

قوله «وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ» وضع إذا موضع إذ لأحد أمرين إما لأنه متصل بلا- تكونوا كهؤلاء إذا ضرب إخوانهم في الأرض و إما لأن (الذى) إذا كان مبهما غير موقت يجرى مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موضع المستقبل نحو إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصِيدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ معناه يكفرون و يصدون و يجوز لأكرم من الذى أكرمك إذا زرته لإبهام الذى و لا يجوز لأكرم من هذا الذى أكرمك إذا زرته لتوقيت الذى من أجل الإشارة إليه بهذا و قوله «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَشْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» اللام فيه يتعلق بلا تكونوا أى لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَشْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» دونكم و قيل أنه يتعلق بقوله «وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ» فيكون لام العاقبه عن أبى على الجبائى و قوله «وَلَيْسَ قَتْلُكُمْ» استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم فى قوله «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» و قد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج إلى جواب و كان جواب القسم أولى بالذكر لأن له صدر الكلام مما يذكر فى حشوه و اللام فى قوله «وَلَيْسَ قَتْلُكُمْ» تحتل أمرين (أحدهما) أن يكون خلفا من القسم و يكون اللام فى قوله «لِإِلَى اللَّهِ» جوابا كقولك (و الله إن تم أو قتلتم لتحشرون إلى الله) (و الثانى) أن تكون مؤكدا لما بعدها كما تؤكد أن ما بعدها و تكون الثانية جوابا لقسم محذوف و النون لا بد منها فى الفعل المضارع مع لام القسم لأن القسم أحق بالتأكيد من كل ما يدخله النون من جهة أن ذكر القسم دليل على أنه من مواضع التأكيد فإذا جازت فى غيره من الأمر و النهى و الاستفهام و العرض و الجزاء مع ما لزم فى القسم لأنه أحق بها من غيره و الفرق بين لام القسم و لام الابتداء إن لام الابتداء يصرف الاسم إليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك و قد علمت أن زيدا ليقوم و ليس كذلك لام القسم لأنها لا تدخل على الاسم و لا يكسر لها إن نحو قد علمت أن زيدا ليقوم و يلزمها النون فى المستقبل.

## المعنى

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين فى أقوالهم و أفعالهم

فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا» يريد عبد الله بن أبي سلول و أصحابه من المنافقين عن السدى و مجاهد و قيل هو عام «وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ» من أهل النفاق «إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ» أى سافروا فيها لتجاره أو طلب معاش فماتوا عن السدى و ابن إسحاق و إنما خص الأرض بالذكر لأن أكثر أسفارهم كان فى البر و قيل اكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى «سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ» و قيل لأن الأرض تشتمل على البر و البحر «أَوْ كَانُوا غُرَى» أى غزاه محاربين للعدو فقتلوا «لَوْ كَانُوا» مقيمين «عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» معناه قالوا هذا القول ليشبوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك و خرجوا و نالوا العز و الغنيمه فصار حسره فى قلوبهم و اللام على هذا فى ليجعل لـم العاقبه و قيل معناه و لا تكونوا كهؤلاء الكفار فى هذه المقالة لكى يجعل الله تلك المقالة سببا لإلزام الحسره و الحزن فى قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبه فيما أملوا من الموافقه و لما فاتهم من عز الظفر و الغنيمه «وَاللَّهُ يُحِبُّ وَيُمِيتُ» أى هو الذى يحيى و يميت فى السفر و الحضر عند حضور الأجل لا مقدم لما أخر و لا مؤخر لما قدم و لا راد لما قضى و لا محيص عما قدر و هذا يتضمن منع الناس عن التخلف فى الجهاد خشيه القتل فإن الإحياء و الإمامته بيد الله سبحانه فلا حياه لمن قدر الله موته و لا موت لمن قدر الله حياته «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى مبصر و قيل عليم و هذا يتضمن الترغيب فى الطاعه و الترهيب عن المعصيه ثم حث سبحانه على الجهاد و بين أن الشهاده خير من أموال الدنيا المستفاده بأن قال «وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ» أيها المؤمنون «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى الجهاد «أَوْ مُتُّمْ» قاصدين مجاهده الكفار استوجبتم «لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةً» و المغفره الصفح عن الذنوب و الرحمه الثواب و الجنه و هاتان «خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» من الأموال و المقاصد الدنيويه و هذا يتضمن تعزیه المؤمنين و تسليتهم عما أصابهم فى سبيل الله و فيه تقويه لقلوبهم و تهوين للموت و القتل عليهم ثم قال «وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ اللَّهُ تَحْشُرُونَ» أى سواء متم أو قتلتم فإن مرجعكم إلى الله فيجزى كلا منكم كما يستحقه المحسن على إحسانه و المسىء على إساءته فأثروا ما يقربكم منه و يوجب لكم رضاه من العمل بطاعته و الجهاد فى سبيله و لا تركنوا إلى الدنيا و فى هذا المعنى البيت الذى

ينسب إلى الإمام الحسين بن على:

فإن تكن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرئ بالسيف فى الله أفضل

(سؤال) إن قيل كيف عادل بين مغفره الله و رحمته و بين حطام الدنيا مع تفاوت ما

بينهما ولا يقول أحد الدرره خير من البعره (فجوابه) إن الناس يؤثرون الدنيا على الآخرة حتى أنهم يتركون الجهاد في سبيل الله محبه للاستكثار من الدنيا وإيثارا للمقام فيها فعلى هذا جاز ذلك.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٩

### اشاره

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)

### اللغه

(الفظ الغليظ) الجافى القاسى القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظه و أنت فظ على وزن فعل إلا أنه أدغم كصب و الفظاظه خشونه الكلام و الافتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع فإن أصل الفظاظه الجفوه و الفظ ماء الكرش و الفص بالضاد تفريق الشىء و الانفضاض التفرق و شاورت الرجل مشاوره و شوارا و الاسم المشوره و قيل المشوره و فلان حسن الشوره و الصوره أى الهياه و اللباس و أنه لصير شير و هو حسن الشاره و معنى قولهم شاورت فلانا أظهرت فى الرأى ما عندى و ما عنده و شرت الدابه أشورها إذا امتحتها فعرقت هيئتها فى سيرها و شرت العسل و أشرته إذا أخذته من مواضع النحل و غسل مشور و مشار قال الشاعر:

كان القرنفل و الزنجبيل

باتا بفيها و أريا مشورا

و قال عدى بن زيد:

و غناء يأذن الشيخ له

و حديث مثل ما ذى مشار

و العزم عقد القلب على الشىء تريد أن تفعله و العزيمه كذلك قال ابن دريد يقال عزمت عليك يعنى أقسمت عليك و التوكل إظهار العجز و الاعتماد على الغير و التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه و الثقه بحسن تدبيره و أصله الاتكال و هو الاكتفاء فى فعل ما يحتاج إليه ممن يستند إليه و منه الوكاله لأنه عقد على الكفايه بالنيابه و الوكيل هو المتكل عليه بتفويض الأمر إليه.



«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» يعنى الوثائقين به و المعتمدين عليه و المنقطعين إليه الواكِلين أمرهم إلى لطفه و تدبيره و فى هذه الآيه دلالة على اختصاص نبينا بمكارم الأخلاق و محاسن الأفعال و من عجيب أمره ص أنه كان أجمع الناس لدواعى الترفع ثم كان أدناهم إلى التواضع و ذلك أنه كان أوسط الناس نسبا و أوفرهم حسبا و أسخاهم و أشجعهم و أزكاهم و أفصحهم و هذه كلها من دواعى الترفع ثم كان من تواضعه أنه كان يرقع الثوب و يخصف النعل و يركب الحمار و يعلف الناضح و يجيب دعوة المملوك و يجلس فى الأرض و يأكل على الأرض و كان يدعو إلى الله من غير زئو و لا كهر و لا زجر و لقد أحسن من مدحه فى قوله:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها

أبر و أوفى ذمه من محمد

و فى الآيه أيضا ترغيب للمؤمنين فى العفو عن المسىء و حثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم و على مشاورة بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من الأمور و نهيهم عن الفظاظه فى القول و الغلظه و الجفاء فى الفعل و دعائهم إلى التوكل عليه و تفويض الأمر إليه و فيها أيضا دلالة على ما نقوله فى اللطف لأنه سبحانه نبه على أنه لو لا رحمته لم يقع اللين و التواضع و لو لم يكن كذلك لما أجابوه فبين أن الأمور المنفره منفيه عنه و عن سائر الأنبياء و من يجرى مجراهم فى أنه حجه على الخلق و هذا يوجب تنزيههم أيضا عن الكبائر لأن التنفير فى ذلك أكثر.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٠

#### اشاره

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)

#### المعنى

لما أمر الله سبحانه نبيه بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ» على من ناواكم «فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» أى فلا يقدر أحد على غلبتكم و إن كثر عدد من يناوئكم و قل عددكم «وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ» أى يمنعكم معونته و يخل بينكم و بين أعدائكم بمعصيتكم إياه «فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» الهاء عائده إلى اسم الله على الظن و المعنى على حذف المضاف و تقديره من بعد خذلانه يعنى أنه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله إياكم و من هاهنا معناه التقرير بالنفى فى صورته الاستفهام أى لا

ينصركم أحد من بعده و إنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لأن جوابه يجب أن يكون بالنفي فصار ذكره يغنى عن ذكر جوابه و كان أبلغ لتقرير المخاطب فيه «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» ظاهر المراد و تضمنت الآية الترغيب فى طاعه الله التى يستحق بها النصره و التحذير من معصيه الله التى يستحق بها الخذلان مع إيجاب التوكل عليه الذى يؤمن معه أن يكلمهم إلى أنفسهم فيهلكوا قال أبو على الجبائى و فى الآية دليل على أن من غلبه أعداء الله من الباغين لم ينصره الله لأنه لو نصره لما غلبوه و ذلك بحسب ما فى المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل الأبرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على أمان من غلبه الفجار و هذا إنما هو فى النصره بالغلبه فأما النصره بالحجه فإن الله نصر المؤمنين من حيث هداهم إلى طريق الحق بما نصب لهم من الأدله الواضحه و البراهين القاطعه و لو لا ذلك لما حسن التكليف و قال أبو القاسم البلخى المؤمنون منصورون أبداً إن غلبوا فهم المنصورون بالغلبه و إن غلبوا فهم المنصورون بالحجه و لا يجوز أن ينصر الله الكافر على وجه و قال الجبائى النصره بالغلبه ثواب لأنه لا يجوز أن ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم و قال ابن الإخشيد ليس بصواب كيف تصرفت الحال لأن الله تعالى أمرنا أن ننصر الفئه المبغى عليها و قد لا تكون مستحقه للثواب فأما الخذلان فلا خلاف أنه عقاب و الخذلان هو الامتناع من المعونه على عدو فى وقت الحاجه إليها لأنه لو امتنع إنسان من معونه من يستغنى عن معونته لم يكن خاذلاً له.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٦١

#### إشارة

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَ مَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)

#### القرءاء

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم «أَنْ يُغْلَ» بفتح الياء و ضم الغين و قرأ الباقون بضم الياء و فتح الغين.

#### الحجه

من قرأ «يُغْلَ» فمعناه يخون. يقال غل فى الغنيمه يغل إذا خان فيها و أغل بمعناه و قال النمر بن تولب:

جزى الله عنا جمره بنت نوفل

جزاء مغل بالأمانه كاذب

بما سألت عنى الوشاه ليكذبوا

على و قد أوليتها فى النوائب

و من قرأ يغل فمعناه على وجهين (أحدهما) ما كان لنبي أن يخون أى ينسب إلى الخيانه أى يقال له غللت كقولك أسقيته أى قلت له سقاك الله قال ذو الرمه:

و أسقيه حتى كاد مما أبته

تكلمنى أحجاره و ملاعبه

و قال الكميت:

و طائفه قد أكفرتنى بحبكم

و طائفه قالت مسىء و مذنب

أى نسبتنى إلى الكفر (و الآخر) ما كان لنبي أن يخان بمعنى يسرق منه و يؤخذ من الغنيمه التى حازها و يكون تخصيص النبي بذلك تعظيما للذنب قال أبو على الفسوى الحجه لمن قرأ «أَنْ يُعْلَلَّ» إنما جاء فى التنزيل من هذا النحو أسند الفعل فيه إلى الفاعل نحو ما كان لنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ءِ و ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ و لا- يكاد يقال ما كان لزيد أن يضرب و ما كان لزيد ليضرب فيسند الفعل فيه إلى المفعول به فكذلك قوله و ما كان لنبي أن يغل يسند الفعل فيه إلى الفاعل و يروى عن ابن عباس أنه قرأ «يُعْلَلُ» فقيل له أن عبد الله قرأ يغل فقال ابن عباس بلى و الله و يقتل و روى عن ابن عباس أيضا أنه قال و قد كان النبي يقتل فكيف لا يخون.

## اللغه

أصل الغلول من الغلل و هو دخول الماء فى خلل الشجر يقال انغل الماء فى أصول الشجر و الغلول الخيانه لأنها تجرى فى الملك على خفاء من غير الوجه الذى يحل كالغلل و منه الغل الحقد لأنه يجرى فى النفس كالغلل و منه الغليل حراره العطش و الغله كأنها تجرى فى الملك من جهات مختلفه و الغلاله لأنها شعار تحت البدن.

## النزول

روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير أنها نزلت فى قطيفه حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي ص أخذها و فى روايه الضحاك عنه أن رجلا- غل بمخيطة أى بإبره من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية و عن مقاتل أنها نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماه المركز طلبا للغنيمه و قالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له و لا يقسم كما لم يقسم يوم بدر و وقعوا فى الغنائم فقال رسول الله أظنتم أنا نغل و لا- نقسم لكم فأنزل الله الآية و قيل أنه قسم المغنم و لم يقسم للطلائع فلما قدمت

الطلائع قالوا أقسم الفىء و لم يقسم لنا فعرفه الله الحكم فنزلت الآية و قيل نزلت فى أداء الوحي كان النبى ص يقرأ القرآن و فيه عيب دينهم و سب آلهتهم فسألوه أن يطوى ذلك فأنزل الله الآية.

## المعنى

لما قدم تعالى أمر الجهاد و ذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنائم و النهى عن الخيانة فيها فقال «و ما كان لنبى أن يغل» و تقديره و ما كان لنبى الغلول لأن أن مع الفعل بمعنى المصدر أى لا تجتمع النبوه و الخيانة و قيل معناه ما كان له أن يكتم شيئا من الوحي عن ابن إسحاق و تقديره ما كان له أن يغل أمته فيما يؤدى إليهم و قيل اللام من قوله و تقديره ما كان النبى ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من و لمد معناه ما كان الله ليتخذ ولدا و على القراءة الأخرى ما كان لنبى أن يخون أى يخونه أصحابه أو بمعنى يكتمونونه شيئا من المغنم على ما مضى القول فيه و خصه بالذكر و إن كان لا يجوز أن يغل غيره من إمام أو أمير للمسلمين لوجهين (أحدهما) لعظم خيانتته و أنها أعظم من خيانه غيره و هذا كقوله «فأجثبوا الرجس من الأوثان» و إن كان اجتناب جميع الأرجاس واجبا (و الآخر) أن النبى إنما خص بالذكر لأنه القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانة عليه و هو صاحب الأمر فحرمتها على غيره أولى و أجدر و قوله «و من يغل يأت بما غل يوم القيامة» معناه أنه يأتى حاملا على ظهره كما

روى فى حديث طويل ألا لا يغلن أحد بعيرا فيأتى به على ظهره يوم القيامة له رغاء ألا لا يغلن أحد فرسا فيأتى به على ظهره له حمحمه فيقول يا محمد يا محمد فأقول قد بلغت قد بلغت لا أملك لك من الله شيئا

عن ابن عباس و أبى حميد و أحمد الساعدى و ابن عمر و قتاده و قال الجبائى و ذلك ليفضح به على رءوس الأشهاد و قال البلخى فيجوز أن يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كان الله إذا فضحه يوم القيامة جرى ذلك مجرى أن يكون حاملا له و له صوت

و قد روى فى خبر آخر أن النبى ص كان يأمر مناديا فينادى فى الناس ردوا الخيط و المخيط فإن الغلول عار و شنار يوم القيامة فجاء رجل بكبه شعر فقال إنى أخذتها لأخيط بردعه بعيرى فقال النبى ص أما نصيبى منها فهو لك فقال الرجل أما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا حاجة لى فيها

و الأولى أن يكون معناه و من يغلل يواف بما غل يوم القيامة فيكون حمل غلوله على عنقه أماره يعرف بها و ذلك حكم الله تعالى فى كل من وافى يوم القيامة بمعصيته لم يتب منها أو أراد الله تعالى أن يعامله بالعدل أظهر عليه من معصيته علامه تليق بمعصيته ليعلمه أهل القيامة بها و يعلموا سبب استحقاقه العقوبه كما قال تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» و هكذا حكمه تعالى فى كل من وافى القيامة بطاعه فإنه تعالى يظهر من طاعته علامه يعرف



بها «ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» أى يعطى كل نفس جزاء ما عملت تماما وافيًا «وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ» أى لا ينقص أحد مقدار ما يستحقه من الثواب ولا يزداد أحد عن مقدار ما استحقه من العذاب و فى هذه الآية دلالة على فساد قول المجبره إن الله لو عذب أوليائه لم يكن ذلك منه ظلما لأنه قد بين أنه لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلما.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٢ الى ١٦٣

#### اشاره

أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَ بئسَ المصيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)

#### اللغه

باء أى رجع يقال باء بذنبه يبوء بوءا إذا رجع به و بوأته منزلا- أى هيأته له لأنه يرجع إليه و السخط من الله هو إرادته العقاب لمستحقه و لعنه و هو مخالف للغيب لأن الغيب هو هيجان الطبع و انزعاج النفس فلا- يجوز إطلاقه على الله تعالى و المصير المرجع و يفرق بينهما بأن المرجع هو انقلاب الشئ إلى حال قد كان عليها و المصير انقلاب الشئ إلى خلاف الحال التى هو عليها نحو مصير الطين خزفا و لا يقال رجع الطين خزفا لأنه لم يكن قبل خزفا و الدرجه الرتب و المدرجان مشى الصبى لتقارب الرتب و الترقى فى العلم درجه بعد درجه أى منزله بعد منزله كالدرجه المعروفه.

#### النزول

لما أمر رسول الله ص بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعه من المنافقين و اتبعه المؤمنون فأنزل الله تعالى هذه الآية.

#### المعنى

لما بين تعالى أن كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير و شر عقبه بيان من كسب الخير و الشر فقال «أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ» و فيه أقوال (أحدها) أن معناه أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله فى فعل الغلول عن الحسن و الضحاك و اختاره الطبرى لأنه أشبه بما تقدم (و ثالثها) أفمن اتبع رضوان الله بالجهاد فى سبيله «كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» فى الفرار منه رغبه عنه عن الزجاج و الجبائى و هذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول «وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ» أى مصيره و مرجعه جهنم «وَ بئسَ المصيرُ» أى المكان الذى صار إليه و المستقر و الآية استفهام و المراد به التقرير و الفرق بين الفريقين أى ليس من اتبع رضوان الله أى رضاه كمن باء بسخطه «هُم»

دَرَجَاتٍ» أى هم ذوو درجات «عِنْدَ اللَّهِ» فالمؤمنون ذوو درجة رفيعة و الكافرون ذوو درجة خسيسه و قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن المراد اختلاف مرتبى أهل الثواب و العقاب بما لهؤلاء من النعيم و الكرامه و لأولئك من العقاب و المهانه و عبر عن ذلك بدرجات مجازا و توسعا (و الثانى) أن المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فإن الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض كما

جاء فى الخبر أن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى النجم فى أفق السماء

و النار دركات بعضها أسفل من بعض و مثله فى حذف المضاف قول ابن هرمة أنشده سيبويه:

أنصب للمنيه تعتر بهم

رجالى أم هم درج السيول

أى هم ذوو درج «وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» أى عليم و فى هذا ترغيب للناس فى اتباع مرضاه الله تعالى و تحذيرهم عما يوجب سخطه و إعلام بأن أسرار العباد عنده علانيه و فيه توثيق بأنه لا يضيع عمل عامل لديه إذ لا يخفى شىء من ذلك عليه فيثيب على الطاعة و يعاقب على المعصيه.

**سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٤**

**اشاره**

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)

**اللغه**

أصل المن القطع يقال منه يمنه إذا قطعه و المن النعمه لأنه يقطع بها عن البليه يقال من فلان على بكذا أى استنقذنى به مما أنا فيه و المن تكدير النعمه لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها و المنه القوه لأنه يقطع بها الأعمال.

**المعنى**

ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثه نبينا فقال «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ» أى أنعم الله «عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا» منهم خص المؤمنين بالذكر و إن كان ص مبعوثا إلى جميع الخلق لأن النعمه عليهم أعظم لاهتدائهم به و انتفاعهم ببيانه

ص: ٣٩١

و نظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وقوله «مِنْ أَنْفُسِهِمْ» فيه أقوال (أحدها) أن المراد به من رهطهم يعرفون منشأه و صدقه و أمانته و كونه أميا لم يكتب كتابا و لم يقرأه ليعلموا أن ما أتى به وحي منزل و يكون ذلك شرفا لهم و داعيا إياهم إلى الإيمان (و ثانيها) أن المراد به أنه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا بالعرب (و ثالثها) أنه عام لجميع المؤمنين و المراد بأنفسهم أنه من جنسهم لم يعث ملكا و لا جنيا و موضع المنه فيه أنه بعث فيهم من عرفوا أمره و خبروا شأنه و قوله «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» يعنى القرآن «و يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» مضى بيانه فى سورة البقره «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» يعنى أنهم كانوا فى ضلال ظاهر بين أى كفارا و كفرهم هو ضلالهم فأنقذهم الله بالنبي ص.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٥

### إشارة

أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)

### الإعراب

إنما دخلت الواو فى «أَوْ لَمَّا» لعطف جملة على جملة إلا أنه تقدمها ألف الاستفهام لأن له صدر الكلام و إنما وصلت هذه الواو الكلام الثانى بالأول ليدل على تعلقه به فى المعنى و ذلك أنها وصلت التفریع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقه واحده.

### المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر الجهاد فقال «أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا» أى حين أصابكم القتل و الجرح و ذلك ما أصاب المسلمين يوم أحد فإنه قتل من المسلمين سبعون رجلا و كانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثلها فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا و أسروا سبعين عن قتاده و عكرمه و الربيع و السدى أى و قد أصبتم أيها المسلمون يوم بدر مثلها و قيل قتلهم منهم بدر سبعين و بأحد سبعين عن الزجاج و هذا ضعيف لأنه خلاف ما ذكره أهل السير فإنه لا خلاف بينهم أنه قتل منهم بأحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور «قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا» أى من أى وجه أصابنا هذا و نحن مسلمون و فينا رسول الله ص و ينزل عليه الوحي و هم مشركون و قيل إنهم إنما استنكروا ذلك لأنه وعدهم بالنصر من الله إن أطاعوه عن الجبائى و قوله «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» أى قل يا محمد ما أصابكم من الهزيمة و القتل من عند أنفسكم أى بخلافكم أمر ربكم و ترككم طاعه الرسول ص و فيه أقوال (أحدها) أن ذلك بمخالفتهم الرسول فى الخروج من

المدينه للقتال يوم أحد و كان النبي ص دعاهم إلى أن يتحصنوا بها و يدعوا المشركين إلى أن يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك فى الجاهليه و نحن الآن فى الإسلام و أنت يا رسول الله نبينا أحق بالامتناع و أعز عن قتاده و الربيع (و ثانيها)

أن ذلك باختيارهم الفداء من الأسرى يوم بدر و كان الحكم فيهم القتل و شرط عليهم أنكم إن قبلتم الفداء قتل منكم فى القابل بعدتهم فقالوا رضينا فإننا نأخذ الفداء و ننتفع به و إذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن على (عليه السلام) و عبيده السلماني و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

(و ثالثها) أن ذلك بخلاف الرماه يوم أحد لما أمرهم رسول الله ص به من ملازمه مراكزهم «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى فهو قادر على نصركم فيما بعد و إن لم ينصركم فى الحال لمخالفتكم.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧

#### اشاره

وَ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنِ اللَّهُ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا- لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمًا يَوْمًا أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)

#### الإعراب

الفاء إنما دخلت فى قوله «فَيَاذَنِ اللَّهُ» لأن خبر ما الذى بمعنى الذى يشبه جواب الجزاء لأنه معلق بالفعل فى الصله كتعليقه بالفعل فى الشرط كقولك الذى قام فمن أجل أنه كريم أى لأجل قيامه صح أنه كريم و من أجل كرمه قام.

#### المعنى

«وَ مَا أَصَابَكُمْ» أيها المؤمنون «يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ» جمع المسلمين و جمع المشركين يعنى يوم أحد من النكبه بقتل من قتل منكم «فَيَاذَنِ اللَّهُ» أى بعلم الله و منه قوله وَ أَدَانُ مِنَ اللَّهِ أى إعلام و قيل بتخليه الله بينكم و بينهم التى تقوم مقام الإطلاق فى الفعل برفع الموانع و التمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف و قيل بعقوبه الله فإن الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبه و كان ذلك عقوبه لهم من الله على ترك أمر رسول الله و لا- يجوز أن يكون المراد بالإذن هاهنا الإباحه و الإطلاق كما يقتضيه اللفظ لأن الله

لا- يبيح المعاصى و لا- يطلقها و قتل الكافر المسلم من أعظم المعاصى فكيف يأذن فيه «وَ لِيُعَلِّمَ» الله «الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيُعَلِّمَ الَّذِينَ نَافَقُوا» معناه و ليميز المؤمنين من المنافقين لأن الله عالم بالأشياء قبل كونها فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به إلا أن الله أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا أى ليظهر المعلوم من المؤمن و المنافق «قِيلَ لَهُمْ» أى للمنافقين «تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قالوا إن عبد الله بن أبى و المنافقين معه من أصحابه انخذلوا يوم أحد نحو من ثلاثائه رجل و قالوا علام نقتل أنفسنا و قال لهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصارى «تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و اتقوا الله و لا تخذلوا نبيكم «أَوْ اذْفَعُوا» عن حريمكم و أنفسكم إن لم تقاتلوا فى سبيل الله و قيل معناه أقيموا معنا و كثروا سوادنا و هذا يدل على أن تكثير سواد المجاهدين محدود فى الجهاد و بمنزله القتال «قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ» يعنى قال المنافقون لو علمنا قتالا لقاتلناهم قالوا ذلك إبلاء لعذرهم فى ترك القتال و الرجوع إلى المدينة فقال لهم أبعدهم الله، الله يغنى عنكم و قيل إنما القائل لذلك رسول الله يدعوهم إلى القتال عن الأ-صم «هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ» يعنى بإظهار هذا القول صاروا أقرب إلى الكفر إذ كانوا قبل ذلك فى ظاهر أحوالهم أقرب إلى الإيمان حتى هتكوا الستر فعلم المؤمنون منهم ما لم يعلموه و اللام بمعنى إلى يعنى هم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان كقوله تعالى «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا» أى إلى هذا «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» ذكر الأفواه تأكيدا لأن القول قد يضاف إليها و قيل إنما ذكر الأفواه فرقا بين قول اللسان و قول الكتاب و المراد به قولهم لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ و إضمارهم أنه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم و لم ينصروا النبى (صلى الله عليه و آله) و قيل معناه يقولون بأفواههم من التقرب إلى الرسول و الإيمان ما ليس فى قلوبهم فإن فى قلوبهم الكفر «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» أى بما يضمرونه من النفاق و الشرك.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٨

#### إشارة

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)

#### اللغة

الدرء الدفع يقال درأ عنه أى دفع عنه قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضيئي

أ هذا دينه أبدا و ديني

. الإعراب

موضع الذين يحتمل أن يكون نصبا على البدل من الضمير في يكتمون و يحتمل أن يكون رفعا على خبر الابتداء على تقديرهم الذين قالوا.

### المعنى

«الَّذِينَ قَالُوا» يعنى المنافقين «لِإِخْوَانِهِمْ» فى النسب لا فى الدين يعنى عبد الله بن أبى و أصحابه قالوا فى قتلى أحد «وَقَعَدُوا» هم يعنى هؤلاء القائلون عن جابر و قتاده و السدى و الربيع «لَوْ أَطَاعُونَا» فى القعود فى البيت و ترك الخروج إلى القتال «مَا قُتِلُوا قُلٌّ» لهم يا محمد (صلى الله عليه و آله) «فَادْرُوا» أى فادفعوا «عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى هذه المقاله و لا يمكنهم دفع الموت لأنه يجوز أن يدخل عليهم العدو فيقتلهم فى قعر بيوتهم و إنما ألزمهم الله دفع الموت عن أنفسهم بمقاتلتهم أنهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لأن من علم الغيب فى السلامه من القتل يجب أن يمكنه أن يدفع عن نفسه الموت فينبغى أن يدفعه هذا القائل فإنه أجدى عليه و فى هذا ترغيب فى الجهاد و بيان أن كل أحد يموت بأجله. فلا ينبغى أن يجعل ذلك عذرا فى القعود عن الجهاد لأن المجاهد ربما يسلم و القاعد ربما يموت فيجب أن يكون على الله التكلان.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٩ الى ١٧١

#### اشاره

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَ فَضْلِهِ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)

#### القراءه

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ الكسائى وحده إن الله

ص: ٣٩٥

## الحج

من قرأ «قُتِلُوا» بالتخفيف فالوجه فيه إن التخفيف يصلح للقليل والكثير و وجه الفتح في أن أن المعنى و يستبشرون بأن الله لا يضع أجرهم و يتوفر ذلك عليهم و يوصله إليهم من غير نقص و بخس و وجه الكسر على الاستئناف.

## اللغة

أصل البشارة من البشره لظهور السرور فيها و منه البشر لظهور بشرته و المستبشر من طلب السرور في البشارة فوجده و لحقت الشىء و ألحقته غيرى و قيل لحقت و ألحقت لغتان بمعنى واحد و جاء في الدعاء أن عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء أى لاحق و النعمة هى المنفعة التى يستحق بها الشكر إذا كانت خاليه من وجوه القبح لأن المنفعة على ضربين - (أحدهما) - منفعة اغترار و حيله - (و الآخر) - منفعة خالصه من شائبه الإساءه و النعمة تعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبى (صلى الله عليه و آله) على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له لأن دعاءه أنفع من وجهين - (أحدهما) - حسن النية فى دعائه إلى الحق ليستجيب له (و الآخر) بقصده الدعاء إلى حق يعلم أن يستجيب له المدعو و إنما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة فى الجلاله و عظم المنزله.

## الإعراب

أحياء رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أى بل هم أحياء و لا يجوز نصب فيه بحال لأنه يصير التقدير فيه بل احسبهم أحياء و المراد بل أعلمهم أحياء و يرزقون فى موضع رفع صفه لأحياء و فرحين نصب على الحال من يرزقون و هو أولى من رفعه عطفاً على بل أحياء لأن النصب ينبئ عن اجتماع الرزق و الفرح فى حال واحده و لو رفع على الاستئناف لكان جائزاً و قال الخليل موضع «أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» جر بالباء على تقدير بأن لا خوف عليهم و قال غيره موضعه نصب على أنه بدل من قوله «بِاللَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا» و هو بدل الاشتمال مثل قوله يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ.

## النزول

قيل نزلت فى شهداء بدر و كانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار و ستة من المهاجرين و قيل نزلت فى شهداء أحد و كانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزه بن عبد المطلب و مصعب بن عمير و عثمان بن شماس و عبد الله بن جحش و سائرهم

و قال الباقر (عليه السلام) و كثير من المفسرين أنها تناول قتلى بدر و أحد معا

و قيل نزلت في شهداء بئر معونه و كان سبب ذلك

ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار بإسناده عن أنس بن مالك و غيره قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة و كان سيد بنى عامر بن صعصعه على رسول الله المدينة و أهدى له هديه فأبى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يقبلها و قال يا أبا براء لا أقبل هديه مشرك فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك و قرأ عليه القرآن فلم يسلم و لم يعد و قال يا محمد إن أمرك هذا الذى تدعو إليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إنى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) المنذر بن عمرو و أخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمه و حرام بن ملحان و عروه بن أسماء بن صلت السلمى و نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى و عامر بن فهيره مولى أبى بكر و ذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونه فلما نزلوا قال بعضهم لبعض أياكم يبلغ رساله رسول الله أهل هذه الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى عامر بن الطفيل فلما أتاهم لم ينظر عامر فى كتاب رسول الله فقال حرام يا أهل بئر معونه أنى رسول الله إليكم و أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله فآمنوا بالله تعالى و رسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت و رب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه و قالوا لن نخفر أبا براء قد عقد لهم عقدا و جوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصيه و رعلا و ذكوانا فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه و به رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق و كان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمري و رجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير يحوم حول العسكر فقالوا و الله إن لهذا الطير لسانا فأقبلا لينظرا إليه فإذا القوم فى دمائهم و إذا الخيل التى أصابتهم واقفه فقال الأنصارى



لعمر بن أميه ما ذا ترى قال أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل و أخذوا عمرو بن أميه أسيرا فلما أخبرهم أنه من ضمير أطلقه عامر بن الطفيل و جز ناصيته و أعتقه عن رقبه زعم أنها كانت على أبيه فقدم عمرو بن أميه على رسول الله و أخبره الخبر فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) هذا عمل أبى براء و قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه و ما أصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض أبا براء على عامر بن الطفيل:

بنى أم البنين أ لم يرعكم

و أنتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامر بأبى براء

ليخفره و ما خطأ كعمد

ألا أبلغ ربيعه ذا المساعى

فما أحدثت فى الحدثن بعدى

أبو ك أبو الحروب أبو براء

و خالك ماجد حكم بن سعد

و قال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعا كل وجه

خفاره ما أجار أبو براء

بنى أم البنين أ ما سمعتم

دعاء المستغيث مع النساء

و تنويه الصريخ بلى و لكن

عرفتم أنه صدق اللقاء

فلما بلغ ربيعه بن أبى براء قول حسان و قول كعب حمل على عامر بن الطفيل و طعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل أبى براء إن مت قدمى لعمى و لا يتبعن سواى و إن عشت فسأرى فيه رأىى قال فأنزل الله فى شهداء بئر معونه قرآنا بلغوا قومنا عنا بأنا قد لقينا

ربنا فرضى عنا و رضينا عنه ثم نسخت و رفعت بعد ما قرأناها و أنزل الله تعالى «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» الآية.

## المعنى

لما حكى الله سبحانه قول المنافقين فى المقتولين الشهداء تشييطا للمؤمنين عن جهاد الأعداء ذكر بعده ما أعد الله للشهداء من الكرامه و خصهم به من النعيم فى دار المقامه فقال «وَلَا تَحْسَبَنَّ» و الخطاب للنبي أو يكون على معنى لا تحسبن أيها السامع أو أيها الإنسان «الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى الجهاد و فى نصره دين الله

ص: ٣٩٨

«أَمْوَاتًا» أى موتى كما مات من لم يقتل فى سبيل الله فى الجهاد «بَلْ أَحْيَاءٌ» أى بل هم أحياء وقد مر تفسيره فى سورة البقره عند قوله «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ» الآية وقوله «عِنْدَ رَبِّهِمْ» فيه وجهان (أحدهما) أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافه لأن ذلك من صفه الأجسام وذلك مستحيل على الله تعالى (و الآخر) أنهم عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن أبى على الجبائى

و روى عن ابن عباس و ابن مسعود و جابر أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها

و روى عنه أنه قال لجعفر بن أبى طالب و قد استشهد فى غزاه موته رأيتة و له جناحان يطير بهما مع الملائكه فى الجنة

و أنكر بعضهم حديث الأرواح و قال الروح عرض لا- يجوز أن يتنعم و هذا لا يصح لأن الروح جسم رقيق هوائى مأخوذ من الريح و يدل على ذلك أنه يخرج من البدن و يرد إليه و هى الحساسه الفعاله دون البدن و ليست من الحياه فى شىء لأن ضد الحياه الموت و ليس كذلك الروح و هذا قول على بن عيسى «يُزْرَقُونَ» من نعيم الجنة غدوا و عشيا و قيل يرزقون النعيم فى قبورهم «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» أى يسرون بما أعطاهم الله من ضرور نعمه فى الجنة و قيل فى قبورهم و قيل معناه فرحين بما نالوا من الشهاده و جزائها «وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ» أى يسرون بإخوانهم الذين فارقوهم و هم أحياء فى الدنيا على مناهجهم من الإيمان و الجهاد لعلمهم بأنهم إن استشهدوا لحقوا بهم و صاروا من كرامه الله إلى مثل ما صاروا هم إليه يقولون إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا عن ابن جريج و قتاده و قيل أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه فيسر بذلك و يستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدمه فى الدنيا عن السدى و قيل معناه لم يلحقوا بهم فى الفضل إلا- أن لهم فضلا عظيما بتصدقهم و إيمانهم عن الزجاج «أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا- هُمْ يَحْزَنُونَ» أى يستبشرون بأن لا خوف عليهم و ذلك لأنه بدل من قوله «بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ» لأن الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار هنا إنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين و معناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لأن الله تعالى يتولاهم و لا هم يحزنون على ما خلفوا من أموالهم لأن الله قد أجزل ما عوضهم و قيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأن الله محص ذنوبهم بالشهاده و لا

هم يحزنون على مفارقه الدنيا فرحا بالآخرة «يَسْتَبِشِرُونَ» يعنى هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله الذين وصفهم الله بأنهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله «بِنِعْمِهِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ» الفضل و النعمه عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد قيل فى تكراره قولان (أحدهما) إن المراد أنها ليست نعمه على قدر الكفايه من غير مضاعفه السرور و اللذه فالنعمه ما استحقوه بطاعتهم و الفضل ما زادهم من المضاعفه فى الأجر (و الآخر) إنه للتأكيد و تمكين المعنى فى النفس و المبالغه «وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» أى يوفر جزاءهم و إنما ذكر ذلك و إن كان غيرهم يعلم ذلك لأنهم يعلمونه بعلم الموت ضروره و إنما يعلمونه فى دار التكليف استدلالا و ليس الاستدلال كالمشاهده و لا الخبر كالمعانيه فإن مع الضروره و العيان يتضاعف سرورهم و يشتد ارتباطهم و فيه دلالة على أن الثواب مستحق و إن الله لا يبطئه البتة و إن الإثابه لا تكون إلا من قبله تعالى و لذلك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه و ما روى فى الأخبار من ثواب الشهداء أكثر من أن يحصى أعلاها إسنادا

ما رواه على بن موسى الرضا (عليه السلام) عن الحسين بن على (عليه السلام) قال بينما أمير المؤمنين يخطب و يحضهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن فضل الغزاه فى سبيل الله فقال كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه و آله) على ناقته العضباء و نحن منقلبون عن غزوه ذات السلاسل فسألته عما سألتنى عنه فقال الغزاه إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براه من النار فإذا تجهزوا لغزورهم باهى الله بهم الملائكه فإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان و البيوت و يخرجون من الذنوب كما تخرج الحيه من سلخها و يوكل الله بكل رجل أربعين ملكا يحفظونه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و لا يعمل حسنه إلا ضعف له و يكتب له كل يوم عباده ألف رجل يعبدون الله ألف سنه كل سنه ثلاثمائة و ستون يوما اليوم مثل عمر الدنيا و إذا صاروا بحضره عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم و أشرعت الأسنه و فوقت السهام و تقدم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكه بأجنحتها يدعون الله بالنصره و التثبيت فينادى مناد الجنه تحت ظلال السيوف فتكون الطعنه و الضربه على الشهيد أهون من شرب الماء البارد فى اليوم الصائف و إذا زال الشهيد من فرسه بطعنه أو ضربه لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامه فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرحبا بالروح الطيب الذى أخرج من البدن الطيب أبشر فإن لك ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و يقول الله عز و جل أنا خليفته فى أهله من أرضاهم فقد أرضانى و من أسخطهم فقد أسخطنى و يجعل الله روحه فى حواصل طير

خضر تسرح فى الجنه حىث ىشاء تأكل من ثمارها و تأوى إلى قنادىل من ذهب معلقه بالعرش و يعطى الرجل منهم سبعىن غرفه من غرف الفردوس سلوك كل غرفه ما بىن صنعاء و الشام ىملاً نورها ما بىن الخافقىن فى كل غرفه سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعاً من ذهب على كل باب سبعون غرفه مسبله فى كل غرفه سبعون خىمه فى كل خىمه سبعون سرىرا من ذهب قوائمها الدر و الزبرجد مرموله بقضبان الزمرد على كل سرىر أربعون فراشا غلظ كل فراش أربعون ذراعاً على كل فراش زوجه من الحور العىن عرباً أتراباً فقال أخبرنى یا أمىر المؤمنىن عن العروبه فقال هى الغنجه الرضىه الشهىه لها سبعون ألف و صىف و سبعون ألف و صىفه صفر الحلى بىض الوجوه علىهن تیجان اللؤلؤ على رقابهن المنادىل بأىدیهن الأكوبه و الأبارىق فإذا كان یوم القىامه فو الذى نفسى بىده لو كان الأنبىاء على طرىقهم لترجلوا لهم لما یرون من بهائهم حتى یأتوا إلى موائد من الجواهر فىقعدون علیها و ىشفع الرجل منهم فى سبعىن ألفاً من أهل بىته و جىرانه حتى أن الجارىن ىتخاصمان آیهما أقرب جواراً فىقعدون معى و مع إبراهىم على مائده الخلد فىنظرون إلى الله عز و جل فى كل یوم بكره و عشا.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٢ إلى ١٧٤

#### إشاره

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)

#### اللغه

استجاب و أجاب بمعنى و قىل استجاب طلب الإجابه و أجاب فعل الإجابه و القرخ الجرح و أصله الخلوص من الكدر و منه ماء قراح أى خالص و القراح من الأرض ما خلى طىنه من السبخ و غيره و القرىحه خالص الطبعه و اقترحت علىه كذا أى اشتهىته علىه لخلوصى على ما تتوق نفسه إليه كأنه قال استخلصته و فرس قارح طلع نابه لخلوصه عن

نقص الصغار ببلوغ تلك الحال و القرع الجراح لخلوص ألمه إلى النفس و الإحسان هو النفع الحسن و الإفضال النفع الزائد على أقل المقدار حسبنا الله أى كافينا الله و أصله من الحساب لأن الكفاية بحسب الحاجه و بحساب الحاجه و منه الحسابان و هو الظن و الوكيل الحفيظ و قيل هو الولي و أصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل فى صفات الله هو المتولى للقيام بتدبير خلقه لأنه مالكمهم الرحيم بهم و هو فى صفه غيره و إنما يعتد بالوكيل.

## الإعراب

موضع الذين يحتمل ثلاثه أوجه من الإعراب الجر على أن يكون نعتا للمؤمنين و الأحسن و الأشبه بالآيه أن يكون فى موضع الرفع على الابتداء و خبره الجملة التى هى «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» و يجوز النصب على المدح و تقديره أعنى الذين استجابوا إذا ذكروا و كذلك القول فى موضع الذين فى الآيه الثانيه لأنهما نعت لموصوف واحد و قوله «لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ» فى موضع نصب على الحال و تقديره فانقلبوا بنعمه من الله و فضل سالمين و العامل فيه فانقلبوا.

## النزول

لما انصرف أبو سفيان و أصحابه من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرفهم عن المسلمين و تلاوموا فقالوا لا محمدا قتلهم و لا الكواعب أردفتهم قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم فارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله ص فأراد أن يهرب العدو و يريهم من نفسه و أصحابه قوه فنسب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان و قال ألا عصابه تشدد لأمر الله تطلب عدوها فإنها أنكأ للعدو و أبعث للسمع فانتدب عصابه منهم مع ما بهم من القراح و الجراح الذى أصابهم يوم أحد و نادى منادى رسول الله ألا لا يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس و إنما خرج رسول الله ص ليرهب العدو و ليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوه و إن الذى أصابهم لم يوهنهم من عدوهم فينصرفوا فخرج فى سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الأسد و هى من المدينة على ثمانيه أميال

و ذكر على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره أن رسول الله ص قال هل من رجل يأتينا بخبر القوم فلم يجبه أحد فقال أمير المؤمنين أنا آتيك بخبرهم قال اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل و جنبوا الإبل فإنهم يريدون المدينة و إن كانوا ركبوا الإبل و جنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة فمضى أمير المؤمنين (عليه السلام) على ما به من الألم و الجراح حتى كان قريبا من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل و جنبوا الخيل فرجع و أخبر رسول الله ص بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل جبرائيل فقال يا محمد ص إن الله عز و جل يأمرك أن تخرج و لا يخرج معك إلا من به جراحه فأقبلوا يكمدون جراحاتهم و يداوونها فأنزل الله تعالى على نبيه ص «وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ» فخرجوا

على ما بهم من الألم و الجراح حتى بلغوا حمراء الأسد

و روى محمد بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت عن أبي السائب أن رجلا من أصحاب النبي ص من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا قال شهدت أحدا أنا و أخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله ص بالخروج فى طلب العدو قلنا لا- تفوتنا غزوه مع رسول الله فو الله ما لنا دابه نركبها و ما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله ص و كنت أيسر جرحا من أخى فكنت إذا غلب حملته عقبه و مشى عقبه حتى انتهينا مع رسول الله ص إلى حمراء الأسد فمر برسول الله معبد الخزاعى بحمراء الأسد و كانت خزاعه مسلمهم و كافرهم عيبه رسول الله بتهامه صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا و معبد يومئذ مشرك فقال يا محمد ص و الله لقد عز علينا ما أصابك فى قومك و أصحابك و لوددنا أن الله كان أعفأك فيهم ثم خرج من عند رسول الله ص حتى لقي أبا سفيان و من معه بالروحاء و أجمعوا الرجعه إلى رسول الله ص و قالوا قد أصبنا حد أصحابه و قادتهم و أشرفهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراك يا معبد قال محمد ص قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا و قد اجتمع عليه من كان تخلف عنه فى يومكم و ندموا على صنيعهم و فيه من الحق عليكم ما لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال فأنا و الله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فو الله لقد أجمعنا الكره عليهم لنستأصلهم قال فأنا و الله أنهاك عن ذلك فو الله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت أبياتا من شعر قال و ما قلت قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى

إذ سألت الأرض بالجرد الأبايل

تردى بأسد كرام لا تنابله

عند اللقاء و لا خرق معازيل

فظلت عدوا أظن الأرض مائله

لما سموا برئيس غير مخذول

و قلت ويل لابن حرب من لقاءكم

إذا تغطمت البطحاء بالخيـل

إنى نذير لأهل السبل ضاحيه

لكل ذى إربه منهم و معقول

من جيش أحمد لا و خش تنابله

و ليس يوصف ما أثبت بالقييل

قال فثنى ذلك أبا سفيان و من معه و مر به ركب من عبد قيس فقال أين تريدون فقالوا

ص: ٤٠٣



نريد المدينة قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رساله أرسلكم بها إليه و أحمل لكم إبلكم هذه زيبا بعكاظ غدا إذا وافيتونا قالوا نعم قال فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا الكره عليه و على أصحابه لنستأصل بقيتهم و انصرف أبو سفيان إلى مكة و مر الركب برسول الله و هو بحمراء الأسد فأخبره بقول أبي سفيان فقال رسول الله و أصحابه حسبنا الله و نعم الوكيل ثم انصرف رسول الله إلى المدينة بعد الثالثه و قد ظفر فى وجهه ذلك بمعونه ابن المغيره بن العاص و أبى قره الجمحى و هذا قول أكثر المفسرين و قال مجاهد و عكرمه نزلت هذه الآيات فى غزوه بدر الصغرى و ذلك أن أبا سفيان قال يوم أحد حين أراد أن ينصرف يا محمد موعد بيننا و بينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله ذلك بيننا و بينك فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنه من ناحية الظهران ثم ألقى الله عليه الرعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى و قد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان إنى واعدت محمدا و أصحابه أن نلتقى بموسم بدر الصغرى و أن هذه عام جذب و لا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر و نشرب فيه اللبن و قد بدا لى أن لا أخرج إليها و أكره أن يخرج محمد و لا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراه فالحق بالمدينة فثبطهم و لك عندى عشره من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال لهم بئس رأى رأيكم أتوكم فى دياركم و قراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم فو الله لا يفلت منكم أحد فقال رسول الله ص و الذى نفسى بيده لأخرجن و لو وحدى فأما الجبان فإنه رجع و أما الشجاع فإنه تاهب للقتال و قال حسبنا الله و نعم الوكيل فخرج رسول الله فى أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى و هو ماء لبنى كنانه و كانت موضع سوق لهم فى الجاهليه يجتمعون إليها فى كل عام ثمانية أيام فأقام ببدر ينتظر أبا سفيان و قد انصرف أبو سفيان من مجنه إلى مكة فسامهم أهل مكة جيش السوق و يقولون إنما خرجتم تشربون السوق و لم يلق رسول الله و أصحابه أحدا من المشركين ببدر و وافق السوق و كانت لهم تجارات فباعوا و أصابوا للدرهم درهمين و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين و قد روى ذلك أبو الجارود عن الباقر (عليه السلام).

## المعنى

«الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ» أى أطاعوا الله فى أوامره و أطاعوا رسوله «مَنْ بَعِدَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ» أى نالهم الجراح يوم أحد «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ» بطاعه رسول الله و إجابته إلى الغزو «وَاتَّقُوا» معاصى الله لهم «أَجْرٌ عَظِيمٌ» أى ثواب جليل «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» فى المعنى بالناس الأول ثلاثة أقوال (أحدها) أنهم الركب الذين

دسهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجنّبوهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع إليهم عن ابن عباس و ابن إسحاق و قد مضت قصتهم (و الثاني)

أنه نعيم بن مسعود الأشجعي و هو قول أبي جعفر و أبي عبد الله

(و الثالث) أنهم المنافقون عن السدي «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» المعنى به أبو سفيان و أصحابه عند أكثر المفسرين أى جمعوا جموعا كثيرة لكم و قيل جمعوا الآلات و الرجال و إنما عبر بلفظ الواحد عن الجميع فى قوله «قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» لأمرين (أحدهما) أنه قد جاءهم من جهه الناس فأقيم كلامه مقام كلامهم و سمي باسمهم (و الآخر) أنه لتفخيم الشأن «فَأَخَشَوْهُمْ» أى خافوهم ثم بين تعالى أن ذلك القول زادهم إيمانا و ثباتا على دينهم و إقامه على نصره نبيهم بأن قال «فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» أى كافينا الله و ولينا و حفيظنا و المتولى لأمرنا و «نِعْمَ الْوَكِيلُ» أى نعم الكافى و المعتمد و الملجأ الذى يوكل إليه الأمور «فَأَنْقَلَبُوا» أى فرجع النبي و من معه من أصحابه «بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ» أى بعافيه من السوء و تجاره رابحه «لَمْ يَمَسْسِهِمْ سُوءٌ» أى قتل عن السدي و مجاهد و قيل النعمه هاهنا الثبوت على الإيمان فى طاعه الله و الفضل الربح فى التجاره عن الزجاج و قيل إن أقل ما يفعله الله فهو نعمه و ما زاد على ذلك فهو الموصوف بأنه فضل و الفرق بين النعمه و المنفعه أن النعمه لا تكون نعمه إلا إذا كانت حسنه و المنفعه قد تكون حسنه و قد تكون قبيحه و هذا لأن النعمه يستحق بها الشكر و لا يستحق الشكر بالقيح «وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ» بالخروج إلى لقاء العدو «وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» على المؤمنين و قد تضمنت الآية التنبيه على أن كل من دهمه أمره فينبغى أن يفرغ إلى هذه الكلمه

و قد صحت الروايه عن الصادق (عليه السلام) أنه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفرغ إلى قوله «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فإنى سمعت الله يقول بعقبها «فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسِهِمْ سُوءٌ»

و روى عن ابن عباس أنه قال آخر كلام إبراهيم (عليه السلام) حين ألقى فى النار «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» و قال نبيكم مثلها و تلا هذه الآية.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٥

### اشاره

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)

### الإعراب

كم من «ذَلِكُمْ» للخطاب لا- للضمير فلا- موضع لها من الإعراب و قوله «يُخَوِّفُ» يتعدى إلى مفعولين يقال خاف زيد القتال و خوفته القتال.

ثم ذكر أن ذلك التخويف و التثييط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال «إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» و المعنى إنما ذلك التخويف الذى كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان و ياغواثه و تسويله يخوف أولياءه المؤمنين قال ابن عباس و مجاهد و قتاده و يخوف المؤمنين بالكافرين و قال الزجاج و أبو على الفارسى و غيرهما أن تقديره و يخوفكم أولياءه أى من أوليائه بدلاله قوله «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى إن كنتم مصدقين بالله فقد أعلمتكم أنى أنصركم عليهم و مثله قوله لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا أَى لينذركم بأس شديد فلما حذف الجار نصبه و قيل معناه إن الشيطان يخوف المنافقين الذين هم أولياؤه و أنهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بأن يوسوس إليهم و يرهبهم و يعظم أمر العدو فى قلوبهم فيقعدوا عن متابعه الرسول و المسلمون لا يخافونه لأنهم يثقون بالنصر الموعود و نظيره قوله إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ و الأول أصح.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٦ الى ١٧٧

#### اشاره

و لا- يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)

#### القراءه

قرأ نافع فى جميع القرآن يحزن بضم الياء و كسر الزاى إلا قوله «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ» فإنه فتحها و ضم الزاى و قرأ الباقون فى جميع القرآن بفتح الياء و ضم الزاى و قرأ أبو جعفر عكس ما قرأ نافع فإنه فتح الياء فى جميع القرآن إلا قوله لا يَحْزُنُهُمُ فإنه ضم الياء.

#### الحجه

قال أبو على قال سيبويه تقول فتن الرجل و فتنته و حزن الرجل و حزنه و زعم الخليل إنك حيث قلت فتنته و حزنه لم ترد أن تقول جعلته حزينا و جعلته فاتنا كما إنك حين تقول أدخلته جعلته داخلا و لكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزنا و فتنه كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا و دهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حده و لم ترد بفعلته هاهنا تغيير قولك حزن و فتن و لو أردت ذلك لقلت أحزنته و أفتنته قال و قال بعض العرب

أفنت الرجل و أحزنته إذا جعلته فاتنا و حزينا فغيروا فعل قال أبو على فهذا الذى حكيتة عن بعض العرب حجه نافع فأما قراءه لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ فيشبهه أن يكون اتبع فيه أثرا و أحب الأخذ بالوجهين.

## الإعراب

قوله «شَيْئاً» نصب على أنه وقع موقع المصدر و يحتمل أن يكون نصبا بحذف الباء كأنه قال بشىء مما يضر به كما يقال ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال و لا غيره.

## المعنى

لما علم الله تعالى المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان إياهم خص رسوله بضرب من التعليم فى هذه الآية فقال «وَلَا يَحْزُنُكَ» أيها الرسول «الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» يعنى المنافقين عن مجاهد و ابن إسحاق و قوما من العرب ارتدوا عن الإسلام عن أبى على الجبائى «إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً» بكفرهم و نفاقهم و ارتدادهم لأن الله تعالى لا يجوز عليه المنافع و المضار و إنما قال ذلك على جهه التسليه لئيبه ص لأنه كان يصعب عليه كفر هؤلاء و يعظم عليه امتناعهم عن الإيمان و لا يبعد أنه ربما كان يخطر بباله أن مسارعتهم إلى الكفر و امتناعهم عن الإيمان لتفريط حصل من قبله فآمنه الله من ذلك و أخبر أن ضرر كفرهم راجع إليهم و مقصور عليهم «يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ» أى نصيبا فى الجنه و إذا كانت الإراده تتعلق بما يصح حدوثه و لا يتعلق بأن لا يكون الشىء فلا بد من حذف فى الكلام و معناه أنه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذى عرضوا له فى تكليفهم و أن يعاقبهم فى الآخرة على سبيل الجزاء لكفرهم و نفاقهم «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» هذا ظاهر المعنى و هذا يدل على بطلان مذهب المجبره لأنه تعالى نسب إليهم المسارعه إلى الكفر و إذا كان ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبه إليهم ثم استأنف تعالى الإخبار بأن من اشترى الكفر بالإيمان و هم جميع الكفار بهذه الصفه فقال «إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ» أى استبدلوا الكفر بالإيمان و قد بينا فيما تقدم أن إطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز و توسع و إنما شبه استبدالهم الكفر بالإيمان بشراء السلعه بالثمن «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً» إنما هذا لأنه إنما ذكر ذلك فى الآية الأولى على طريقه العله لما يجب من التسليه عن المسارعه إلى الضلاله و ذكر فى هذه الآية على وجه العله لاختصاص المضره بالعاصى دون المعصى و الفرق بين المضره و الإساءه إن الإساءه لا تكون إلا قبيحه و المضره قد تكون حسنه إذا كانت مستحقه أو على وجه اللطف أو فيها نفع يوفى عليها أو دفع ضرر أعظم منها «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم.

## اشاره

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)

## القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ كُلَّهُنَّ بِالْيَأِءِ وَ كَسَرَ السَّيْنِ وَ كَذَلِكَ فَلَا يَحْسِبَنَّهُمْ بَضْمَ الْبَاءِ وَ بِالْيَأِءِ وَ كَسَرَ السَّيْنِ وَ قَرَأَ حَمَزَهُ كَلِمَةً بِالتَّاءِ وَ فَتَحَ السَّيْنَ وَ فَتَحَ الْبَاءَ مِنْ يَحْسِبَنَّهِمْ وَ قَرَأَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَ الشَّامَ وَ يَعْقُوبُ كُلَّهُمَا بِالْيَأِءِ إِلَّا قَوْلَهُ فَلَا تَحْسِبَنَّ لَهُمْ بِالتَّاءِ وَ فَتَحَ الْبَاءَ إِلَّا إِنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَ يَعْقُوبُ كَسَرُوا السَّيْنَ وَ فَتَحَهَا الشَّامِيُّ وَ قَرَأَ عَاصِمٌ وَ الْكَسَائِيُّ وَ خَلْفَ كُلِّ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالتَّاءِ إِلَّا حَرْفَيْنِ «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا»، وَ لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ فَإِنَّهُمَا بِالْيَأِءِ غَيْرَ أَنْ عَاصِمًا فَتَحَ السَّيْنَ وَ كَسَرَهَا الْكَسَائِيُّ.

## الحجه و الإعراب

من قرأ بالياء فالذين في هذه الآية في موضع الرفع بأنه فاعل و إذا كان الذين فاعلا و يقتضى حسب مفعولين أو ما يسد مسد المفعولين نحو حسبت أن زيدا منطلق و حسبت أن يقوم عمرو فقوله تعالى «أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ» قد سد مسد مفعولين الذين يقتضيهما يحسبن " و ما " يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون بمعنى الذى فيكون تقديره لا يحسبن الذين كفروا أن الذى نمليه لهم خير لأنفسهم (و الآخر) أن يكون ما نملى بمنزلة الإملاء فيكون مصدرا و إذا كان مصدرا لم يقتض راجعا إليه و قال المبرد من قرأ «يَحْسِبَنَّ» بالياء فتح إن و يقبح الكسر مع الياء و هو جائز على قبحه لأن الحسبان ليس بفعل حقيقى فهو يبطل عمله مع إن المكسوره كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد حسبت أن عبد الله منطلق و قال أبو على الوجه فيه أن يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء و تدخل كل واحد منهما على الابتداء و الخبر فكأنه قال لا يحسبن الذين كفروا للآخره خيرا لهم و أما قراءه حمزه بالتاء من تحسبن و بفتح إن فقد خطأه البصريون فى ذلك لأنه يصير المعنى و لا تحسبن الذين كفروا إملاءنا و ذلك لا يصح غير أن الزجاج قال يجوز على البدل من الذين و المعنى و لا تحسبن إملاء للذين كفروا خيرا لهم و مثله فى الشعر:

و ما كان قيس هللكه هللك واحد

و لكنه بنيان قوم تهدما

قال أبو على لا- يجوز ذلك لأنك إذا أبدلت إن من الذين كفروا لزمك أن تنصب خيرا من حيث كان المفعول الثانى و لم ينصبه أحد من القراء و إذا لم يصح البدل لم يجز

فيه إلا كسر أن على أن يكون إن وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن.

## اللغة

الإملاء إطالة المده و الملى الحين الطويل و الملاً الدهر و الملوان الليل و النهار لطول تعاقبهما.

## النزول

نزلت في مشركى مكه عن مقاتل و فى قريظه و النصير عن عطاء.

## المعنى

ثم بين سبحانه أن إمهال الكفار لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب فقال «وَلَا يَحْسِبَنَّ» أى لا يظنن «الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ» أى إن إطالتنا لأعمارهم و إمهالنا إياهم خير لهم من القتل فى سبيل الله بأحد لأن قتل الشهداء أداهم إلى الجنة و بقاء هؤلاء فى الكفر يؤديهم إلى العقاب ثم ابتداء سبحانه فقال «أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ» أى إنما نطيل عمرهم و نترك المعاجله لعقوبتهم «لِيُزِدُوا إِثْمًا» أى لتكون عاقبه أمرهم بازديادهم الإثم فيكون اللام لام العاقبه مثل اللام فى قوله فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا و هم إنما أخذوه ليكون لهم سرورا و قره عين و لكن لما علم الله أنه يصير فى آخر أمره عدوا و حزنا قال كذلك و مثله فى قول الشاعر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها

و دورنا لخراب الدهر نبنيها

و قول الآخر:

ء أم سماك فلا تجزعى

فللموت ما تلد الوالده

و قول الآخر:

فللموت تغذو الوالادات سخالها

كما لخراب الدهر تبني المساكن

و قول الآخر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب

ولا يجوز أن يكون اللام لام الإرادة والغرض لوجهين (أحدهما) أن إرادته القبيح قبيحه و تلك عنه سبحانه منفيه (و الآخر) أنها لو كانت لام الإرادة لوجب أن يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق إرادته و ذلك خلاف الإجماع و قد قال عز اسمه و ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و ما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ و ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ و القرآن يصدق بعضه بعضا و على هذا فلا بد من تخصيص الآية فيمن علم منه أنه لا يؤمن لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه إليهم هذا الوعيد المخصوص و قال أبو القاسم البلخي معناه و لا يحسن الذين كفروا أن إملأنا لهم رضا بأفعالهم و قبول لها بل هو شر لهم لأننا نملئ لهم و هم يزدادون إنما يستحقون به العذاب الأليم و مثله و لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَى ذرأنا كثيرا

من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء أفعالهم وقد يقول الرجل لغيره و قد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحي إلا شرا و عطى إلا- فسادا و نظيره قوله حَتَّى أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي و معلوم أن الرسل ما أنسوهم ذكر الله على الحقيقه و ما بعثوا إلا للتذكير و التنبيه دون الإنساء مع أن الإنساء ليس من فعلهم فلا- يجوز إضافته إليهم و لكنه إنما أضيف إليهم لأن دعاءه إياهم لما كان لا ينجع فيهم و لا- يردهم عن معاصيهم فأضيف الإنساء إليهم و فى هذا المعنى قوله حكاية عن نوح فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا و روى عن أبى الحسن الأخفش و الإسكافى أنهما قالوا إن فى الآية تقديم و تأخيرا و تقديره و لا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم ليزدادوا إثما إنما نملى لهم خيرا لأنفسهم و هذا بعيد لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون إنما الأخير مفتوحه الهمزه لأنها معمول ليحسبن على هذا القول و أن يكون إنما الأولى مكسوره الهمزه لأنها مبتدأ على هذا القول و التقديم و التأخير لا يغيران الإعراب عن استحقاقه و ذلك خلاف ما عليه القراءه لأن القراءه قد أجمعوا على كسر الثانيه و أكثرهم على فتح الأولى «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» يهينهم فى نار جهنم.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٩

#### إشاره

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُوْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

#### القراءه

قرأ أهل الحجاز و الشام و أبو عمرو و عاصم «حَتَّى يَمِيزَ» و لِيَمِيزَ بالتخفيف و الباقرن بالتشديد و ضم الياء الأولى.

#### الحجّه

ماز يميز فعل متعد إلى مفعول واحد كما أن ميز فعل متعد إلى مفعول واحد و يقال مزته فلم يتميز و زلته فلم يتزل و التضعيف فى ميز ليس للتعدى و النقل كما أن التضعيف فى عوض ليس للنقل من عاض لأن متعد إلى مفعولين كما فى قول الشاعر:

عاضها الله غلاما بعد ما

شابت الأصداع و الضرس نقد

ص: ٤١٠



فلو كان التضعيف فى عوض للنقل لتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فعوض و عاض لغتان فى معنى واحد مثل ميز و ماز.

## النزول

قيل أن المشركين قالوا لأبى طالب إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا و من يكفر فإن وجدنا مخبره كما أخبر آمنة به فذكر ذلك للنبي ص فأنزل الله هذه الآية عن السدى و الكلبى و قيل سأل المؤمنون أن يعطوا علامه يفرقون بها بين المؤمن و المنافق فنزلت الآية عن أبى العالى و الضحاك.

## المعنى

«ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ» أى ليدع و معناه لا يدع الله المؤمنين «على ما أنتم عليه» يا أهل الكفر من الإبهام و اشتباه المخلص بالمنافق أى لم يكن يجوز فى حكم الله أن يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي بل يتبعكم «حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» أى الكافر من المؤمن عن قتاده و السدى و قيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم أحد على ما مضى شرحه عن مجاهد و ابن إسحاق و ابن جريج و قيل هو خطاب للمؤمنين و تقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق و على هذا فيكون قد رجع من الخبر إلى الخطاب كقوله «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ» و اختلف فى أنه بأى شىء ميز بين الخبيث و الطيب فقيل بالامتحان و تكليف الجهاد و نحوه مما يظهر به الحال كما ظهر يوم أحد بأن ثبت المؤمنون و تخلف المنافقون عن الجبائى و قيل بالآيات و الدلالات التى يستدل بها عليهم و قيل بأن ينصر الله المؤمنين و يكثرهم و يعز الدين و يذل الكافرين و المنافقين عن أبى مسلم و قيل بأن يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على إيمانه و يتميز ممن ينقلب على عقبيه «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ» أى ما كان الله ليظهر على غيبه أحدا منكم فتعلموا ما فى القلوب إن هذا مؤمن و هذا منافق «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» أى يختار من يشاء فيطلع على الغيب أى يوقفه على علم الغيب و يعرفه إياه «فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» كما أمركم «وَ إِنْ تَوَمَّنُوا» أى تصدقوا «وَ تَتَّقُوا» عقابه بلزوم أمره و اجتناب نهيه «فَلَكُمْ» فى ذلكم «أَجْرٌ عَظِيمٌ» و قيل معناه يصطفى من رسله من يشاء ممن يصلح له و لا يطلع على الغيب عن السدى و فى هذه الآية دلالة على أنه يجوز أن يصلح جماعه لرسالته فيختار منهم من يشاء إما لأنه أصلح و بالتاديه أقوم و عن المنفردات أبعد و إما لأنهم قد تساوا فى جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لأن النبوه ليست مستحقه و لا جزاء و فيها

دلالة على أن الثواب مستحق بالإيمان و التقوى خلافا لمن قال أنه تفضل.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٠

### إشاره

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

### القراءه

ذكرنا اختلاف القراءه فيه فمن قرأ «يَحْسِبَنَّ» بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن و المفعول الأول محذوف من اللفظ لدلاله اللفظ عليه و هو مثل قولك من كذب كان شرا له أى كان الكذب شرا له و كذلك فى الآيه «لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» البخل «هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ» فدخلت هو فصلا لأن تقدم يبخلون بمنزله تقدم البخل و من قرأ بالتاء فالفاعل المخاطب و هو النبى و «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» مفعول أول لتحسبن و «خَيْرًا لَّهُمْ» المفعول الثانى و فى الكلام حذف تقديره و لا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خيرا لهم و هو فصل و إنما احتجت إلى هذا المحذوف ليكون المفعول الثانى هو الأول فى المعنى لأن هذه الأفعال إنما تدخل على المبتدأ و الخبر و إذا كان الخبر مفردا فيجب أن يكون هو المبتدأ فى المعنى و البخل هو منع الواجب لأنه توعد عليه و ذم به و أصله فى اللغة المشقه فى الإعطاء و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب يعملون بالياء كناية عن الذين يبخلون و الباقر بالتاء على الخطاب.

### المعنى

«وَلَا يَحْسِبَنَّ» الباخلون «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» أى أعطاهم الله من الأموال فيبخلون بإخراج الحقوق الواجبه فيها ذلك البخل «هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ» و على القراءه الأخرى لا تحسبن أيها السامع أو لا تظنن يا محمد فالخطاب له و المراد غيره بخل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم أى ليس كذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اختلف فى معناه فقيل

يجعل ما بخل به من المال طوقا فى عنقه و الآيه نزلت فى مانعى الزكاه و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و هو قول ابن مسعود و ابن عباس و السدى و الشعبى و غيرهم

و روى عن النبى ص أنه قال ما من رجل لا يؤدى الزكاه إلا جعل فى عنقه شجاع يوم القيامة ثم تلا

هذه الآيه و قال ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه يسأله من فضل أعطاه الله إياه فيخل به عنه إلا أخرج الله له من جهنم شجاعا يتلمظ بلسانه حتى يطوقه و تلا هذه الآيه

و قيل معناه يجعل فى عنقه يوم القيامة طوقا من نار عن النخعى و قيل معناه يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم عن مجاهد و قيل هو كقوله «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ» فمعناه أنه يجعل طوقا فيعذب بها عن الجبائى و قيل معناه أنه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لأعناقهم كقوله «وَ كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» عن ابن مسلم قال و العرب تعبر بالرقبه و العنق عن جميع البدن ألا ترى إلى قوله «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ»\* و يروى عن ابن عباس أيضا أن المراد بالآيه الذين يبخلون ببيان صفه محمد ص و الفضل هو التوراه التى فيها صفته و الأول أليق بسياق الآيه «وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» معناه يموت من فى السماوات و الأرض و يبقى تعالى هو جل جلاله لم يزل و لا يزال فيبطل ملك كل مالك إلا ملكه و قد تضمنت الآيه الحث على الإنفاق و المنع عن الإمساك من قبل أن الأموال إذا كانت بمعرض الزوال إما بالموت أو بغيره من الآفات فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بإنفاقه و لا يحرص على إمساكه فيكون عليه وزره و لغيره نفعه «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» هذا تأكيد للوعد و الوعيد فى إنفاق المال لإحراز الثواب و الأجر و السلامه من الإثم و الوزر.

النظم

الوجه فى اتصال الآيه بما قبلها هو أنهم كما بخلوا بالجهد بخلوا بالإنفاق و الزكاه عن على بن عيسى و قيل أنهم مع ما تقدم من أحوالهم كتموا أمر محمد ص و بخلوا ببيانه.

### سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨١ الى ١٨٢

اشاره

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَ قَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)

القراءه

قرأ حمزه سيكتب بضم الياء و قتلهم بالرفع و يقول بالياء و قرأ الباقون

ص: ٤١٣

«سَنَكْتُبُ» بالنون و «قَتَلَهُمْ» بالنصب و «نَقُولُ» بالنون.

## الحج

الوجه فى قراءه من قرأ «سَيَنَكْتُبُ» أن النون هاهنا بعد الاسم الموضوع للغيبه فهو مثل قوله «بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ» ثم قال «سَيَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» و لو قال سيكتب بالياء لكان فى الإفراد كقوله «وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ»\* و قوله «كَتَبَ اللّٰهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي» و قوله «وَنَقُولُ» معطوف على سنكتب و الوجه فى قراءه حمزه و قتلهم أنه عطف على ما قالوا و هو فى موضع رفع و من قال «وَقَتَلَهُمْ» فإنه عطفه على ما قالوا أيضا و هو فى موضع نصب بأنه مفعول به.

## اللغة

يقال سمع يسمع سمعا إذا أدرك بحاسه الأذن و الله يسمع من غير إدراك بحاسه و السميع من هو على حاله يسمع لأجلها المسموعات إذا وجدت و السامع المدرك لذلك و قال المحققون أن الله تعالى سميع فيما لم يزل و سامع عند وجود المسموع و كونه سميعا بصيرا ليس بصفه زائده على كونه حيا و كونه مدركا بصفه زائده على كونه حيا و كونه سامعا مبصرا عالما بمعناه و قال أبو القاسم البلخى فائده كونه سميعا بصيرا أنه يعلم المسموعات و المبصرات و هو لا يثبت للقديم تعالى صفه الإدراك و قال الخليل كل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه إلا أنه توسع

و جاء فى الخبر حتى تذوقى من عسيلته و يذوق من عسيلتك

كنى بذلك عن الجماع و هذا من الكنايات المليحه و الحريق النار و كذلك الحرق بفتح الراء و الحرق بسكونه المصدر لقولهم حرقت الشىء إذا بردته بالمبرد.

## الإعراب

موضع الباء فى قوله «بِمَا قَدَمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ» رفع لأنها فى موضع خبر المبتدأ و هو ذلك و هى متصله بالاستقرار كأنه قيل ذلك استقر بما قدمت أيديكم «وَأَنَّ اللّٰهَ» إنما فتح أن لأنه معطوف على ما عمل فيه الباء و تقديره و بأن الله فموضعه جر.

## النزول

لما نزلت مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا\* قالت اليهود أن الله فقير يستقرض منا و نحن أغنياء و قائله حى بن أخطب عن الحسن و مجاهد و قيل كتب النبى ص مع أبى بكر إلى يهود بنى قينقاع يدعوهم إلى إقامة الصلاة و إيتاء الزكاه و أن يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم إلى الإسلام و الصلاة و الزكاه فقال فنحاص إن كان ما تقول حقا فإن الله إذا لفقير و نحن أغنياء و لو كان غنيا لما استقرضنا أموالنا فغضب أبو بكر و ضرب وجهه فأنزل الله هذه الآية عن عكرمه و السدى و مقاتل و محمد بن إسحاق.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه خصله أخرى من خصالهم الذميمة فقال «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ

ص: ٤١٤

قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» قيل معناه أدرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» أى ذو حاجة لأنه يستقرض منا «وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ» عن الحاجة وقد علموا أن الله لا يطلب القرض وإنما ذلك تلطيف فى الاستدعاء إلى الإنفاق وإنما قالوه تليسا على عوامهم وقيل معناه قالوا إن الله فقير لأنه يضيق علينا الرزق ونحن أغنياء لأننا نوسع الرزق على أهلينا «سَيَنْكُتُ مَا قَالُوا» قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكنى بالكتابة عن الحفظ لأنه طريق إلى الحفظ وقيل تأمر بكتب ذلك فى صحائف أعمالهم وإنما يفعل ذلك مبالغه فى الزجر عن المعصية لأن المكلف إذا علم أن أفعاله وأقواله مكتوبه فى الصحائف وأنه لا بد من عرضها عليه و من قراءته على رءوس الأشهاد يوم التناد كان ذلك أبلغ له فى الزجر عن المأثم وأمنع عن ارتكاب الجرائم «وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» أى و سنكتب قتل أسلافهم الأنبياء و رضى هؤلاء به فجازى كلا بفعله و فيه دلالة على أن الرضا بفعل القبيح يجرى مجراه فى عظم الجرم لأن اليهود الذين وصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلك بأنفسهم وإنما ذموا بذلك لأنهم بمنزله من تولاه فى عظم الإثم «وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» يعنى المحرق وإنما الفائدة فيه أن يعلم أن العذاب بالنار التى تحرق و هى الملتهبه لأن ما لم تلتهب لا- يسمى حريقا وقد يكون العذاب بغير النار و يفيد قوله «ذُوقُوا» إنكم لا تتخلصون من ذلك يقال ذق هذا البلاء أى إنك لست بناج منه «ذَلِكَ» إشاره إلى ما سبق أى ذلك العقاب «بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيُودِيَكُمْ» معناه بما كنتم عملتموه و جنيتموه على أنفسكم «وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» أى بأن الله لا- يظلم أحدا من عباده وإنما أضافه إلى اليد و إن كانت تكتسب الذنوب بجميع الجوارح لأن عامه ما يكسبه الإنسان إنما يكسبه بيده و لأن العاده قد جرت بإضافه الأعمال التى يلبسها الإنسان إلى اليد و إن كان اكتسبها بجارحه أخرى فجرى خطاب القديم تعالى على عادتهم و فى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبره لأنه يدل على أنه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلما و ذلك على خلاف ما يذهبون إليه من أنه سبحانه يعذب الكفار من غير جرم سلف منهم و أنه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لأنه لا ظلم أعظم من ذلك و إنما ذكر لفظ الظلام و هو للتكثير تأكيدا لنفى الظلم عنه.

## إشارة

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نُوْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُ بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبْرِ وَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)

## القراءة

قرأ ابن عامر وحده و بالزبر بالباء و كذلك هي في مصاحف الشام كما في فاطر و الباقون بغير باء.

## الحججه

من حذف فلأن واو العطف أغنت عن تكرار العامل و من أثبتها فإنما كرر العامل تأكيدا و كلاهما حسن.

## اللغة

القربان مصدر على وزن عدوان و خسران تقول قربت قربانا و قد يكون اسما كالبرهان و السلطان و هو كل بر يتقرب به العبد إلى الله و الزبر جمع زبور و كل كتاب فيه حكمه فهو زبور قال امرؤ القيس:

لمن طلل أبصرته فشجاني

كخط زبور في عسيب يمان

تقول زبرت الكتاب إذا كتبتة و زبرت الرجل إذا زجرتة و الزبره مجتمع الشعر على كتف الأسد و زبرت البئر إذا أحكمت طيها بالحجاره فهي مزبوره و الزبر العقل و إنما جمع بين الزبر و الكتاب و معناهما واحد لأن أصلهما يختلف هو كتاب بضم حروف بعضها إلى بعض و زبور لما فيه من الزجر على خلاف الحق و إنما سمي كتاب داود زبوراً لكثرة ما فيه من المواعظ و الزواجر.

## الإعراب

«الَّذِينَ قَالُوا» محله جر ردا على الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ عَلَى تقدير و سمع قول الذين.

## النزول

قيل نزلت الآية في جماعه من اليهود منهم كعب بن الأشرف و مالك بن الضيف و وهب بن يهودا و فنحاص بن عازورا قالوا يا محمد ص إن الله عهد إلينا في التوراه أن لا- نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن زعمت أن الله بعثك إلينا فجننا به نصدقك فأنزل الله هذه الآية عن الكلبى و قيل إن الله أمر بنى إسرائيل في التوراه

جاءكم يزعم أنه نبي فلا تصدقوه حتى يأتي بقربان تأكله النار حتى يأتيكم عيسى و محمد فإذا أتياكم فأمنوا بهما بغير قربان.

## المعنى

ثم ذكر قولهم الآخر فقال «الَّذِينَ قَالُوا» لنيبهم «إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا» أى أمرنا و قيل أوصانا فى كتبه و على ألسن رسله «أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ» أى لا نصدق رسولا فيما يقول من أنه جاء به من عند الله تعالى «حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ» أى حتى يجيئنا بما يتقرب به إلى الله من صدقه أو بر تتقبل منه و قوله «تَأْكُلُهُ النَّارُ» بيان لعلامه التقبل فإنه كان علامه قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فتأكله و كان يكون ذلك دلالة على صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس «قُلْ» يا محمد لهؤلاء اليهود «قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي» يعنى جاء أسلافكم «بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالحجج الداله على صدقهم و صحه رسالتهم و حقيقه قولهم كما كنتم تقترحون و تطلبون منهم «و بِالَّذِي قُلْتُمْ» معناه و بالقربان الذى قلتم «فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ» أراد بذلك زكريا و يحيى و جميع من قتلهم اليهود من الأنبياء يعنى لم قتلتموهم و أنتم مقرون بأن الذى جاءوكم به من ذلك كان حجه لهم عليكم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما عهد إليكم مما ادعيتموه و هذا تكذيب لهم فى قولهم و دلالة على عنادهم و على أن النبى ص لو أتاهم بالقربان المتقبل كما أرادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن آباؤهم بالأنبياء الذين أتوا به و بغيره من المعجزات و إنما لم يقطع الله عذرهم بما سألوه من القربان الذى تأكله النار لعلمه تعالى بأن فى الإتيان به مفسده لهم و المعجزات تابعه للمصالح و لأن ذلك اقتراح فى الأدله على الله و الذى يلزم فى ذلك أن يزيح علتهم بنصب الأدله فقط «فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ» هذا تسليه للنبى ص فى تكذيب الكفار إياه و ذلك بأنه تعالى أخبر بأنه ليس بأول مكذب من الرسل بل كذب قبله رسل «جاءوا بالبينات» أى بالمعجزات الباهرات «و الزُّبُرِ» أى الكتب التى فيها الحكم و الزواجر «و الْكِتَابِ الْمُنِيرِ» قيل المراد به التوراه و الإنجيل لأن اليهود كذبت عيسى و ما جاء به من الإنجيل و حرفت ما جاء به موسى من صفه النبى ص و بدلت عهده إليهم فيه و النصرى أيضا جحدت ما فى الإنجيل من نعته و غيرت ما أمرهم به فيه و المنير الذى ينير الحق لمن اشتبه عليه و قيل المنير الهادى إلى الحق.



## اشاره

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)

## اللغه

يقال لكل من نجا من هلكه و كل من لقي ما يغتبط به فقد فاز و تأويل فاز تباعد عن المكروه و لقي ما يحب و معنى قولهم مفازه للمهلكه النفول و إنما المفازه المنجاه كما سمو اللذيع سليما و الأعمى بصيرا.

## المعنى

ثم بين سبحانه أن مرجع الخلق إليه فيجازى المكذبين رسله على أعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» أى ينزل بها الموت لا محاله فكأنها ذاقته و قيل معناه كل نفس ذائقه مقدمات الموت و شدائده و سكراته كقوله تعالى «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ» و على هذا جاء

قوله لقنوا أمواتكم شهادة أن لا إله إلا الله

و هذا الظاهر يدل على أن كل نفس تذوق الموت و إن كانت مقتوله و إن القتل لا ينفك عن الموت الذى هو فعل الله و قيل أن المراد بالموت هنا انتفاء الحياه و القتل قد انتفت الحياه منه و القتل فهو داخل فى الآيه «وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ» معناه و إنما تعطون جزاء أعمالكم و ايا «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» إن خيرا فخييرا و ثوبا و إن شرا فشرا و عقابا فإن الدنيا ليست بدار جزاء و إنما هى دار عمل و الآخرة دار جزاء و ليست بدار عمل «فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ» أى بوعد عن نار جهنم و نجي عنها و أدخل الجنة «فَقَدْ فَازَ» أى نال المنيه و ظفر بالبغيه و نجا من الهلكه «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» معناه ما لذات الدنيا و شهواتها و زينتها إلا- متعه متعكموها الغرور و الخداع المضمحل الذى لا- حقيقه له عند الاختبار لأنكم تلتذون بها ثم أنها تعود عليكم بالرزايا و الفجائع و لا تركزوا إليها و لا تغتروا بها فإنها هى غرور و صاحبها مغرور و قيل متاع الغرور القوارير و هى فى الأصل ما لا بقاء له عن عكرمه و فى الآيه دلالة على أن أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا باسره و لذلك

قال (عليه السلام) موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها

و فيها دلالة على أن كل حى سيموت و لو لا ورود السمع بذلك لكان يجوز فى العقل أن يتصل حياتهم إلى وقت المجازاه و إذا قيل أليس من قولكم لا بد من القطع بين حال التكليف و حال المجازاه فجوابه أن ذلك القطع كان يجوز أن يحصل مع بقاء الحياه و فيها دلالة على أن المقتول يحصل فيه الموت و قد اختلف فى الموت قول أبى على و أبى هاشم فعند أبى على الموت معنى يضاد الحياه و عند أبى هاشم عدم الحياه فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله فى المقتول.

لَتَبْلُوَنَّ فِيْ اَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ  
فَاِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْر (١٨٦)

اللام فى قوله «لَتَبْلُؤَنَّ» لام التأكيد و فىه معنى القسم و النون تأكيد للقسم و إنما ضمت الواو فى لتبلون و لم تكسر لالتقاء الساكنين لأنها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم و مثله اشترؤا الضلالة بالهدى\* و لو كانت الواو حرف الإعراب لفتحت نحو هل تغزون زيدا.

## النزول

نزلت الآيه فى كعب بن الأشرف و كان يهجو النبى ص و المؤمنين و يحرض المشركين عليهم و يشبب بنساء المسلمين فقال ص من لى بابن الأشرف فقال محمد بن سلمه أنا يا رسول الله فخرج هو و أبو نائله مع جماعه فقتلوه غيله و أتوا برأسه إلى النبى ص آخر الليل و هو قائم يصلى عن الزهرى و قيل نزلت فى فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع

لما بعث رسول الله أبا بكر إليه ليستمده و كتب إليه كتابا فلما قرأه قال قد احتاج ربكم إلى أن نمده فهم أبو بكر بضربه ثم ذكر النبى ص لا تفتاتن بشىء حتى ترجع فكف عنه

عن عكرمه و مقاتل.

## المعنى

ثم بين تعالى أن الدنيا دار محنه و ابتلاء و أنها إنما زويت عن المؤمنين ليصبروا فيؤجروا فقال «لَتَبْلُؤَنَّ» أى لتوقع عليكم المحن و تلحقكم الشدائد «فِي أَمْوَالِكُمْ» بذهابها و نقصانها «وَ» فى «أَنْفُسِكُمْ» أيها المؤمنون بالقتل و المصاب مثل ما نالكم يوم أحد و يقال بفرض الجهاد و غيره من الفرائض و القرب التى أمرنا بها و إنما سماه بلوى مجازا فإن حقيقه الاختبار و التجربه لا يجوز على الله لأنه العالم بالأشياء قبل كونها و إنما يفعل ذلك لىتميز المحق من المبطل عن أبى على الجبائى «وَلَتَسْتَمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» يعنى اليهود و النصارى «وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» يعنى كفار مكه و غيرهم «أَذَى كَثِيرًا» يعنى ما سمعوه من تكذيب النبى ص و من الكلام الذى يغمه «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» يعنى إن صبرتم على ذلكم و تمسكتم بالطاعة و لم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الإثم «فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أى مما بأن رشده و صوابه و وجب على العاقل العزم عليه و قيل من محكم الأمور.

## اشاره

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ  
(١٨٧)

## القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم لبيّنه بالياء و لا يكتُمونه بالياء أيضا و الباقيون بالتاء فيهما.

## الحجه

حجه من قرأ بالتاء قوله «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ» و الاتفاق عليه و كذلك قوله «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» و قد تقدم القول في ذلك و حجه من قرأ بالياء أن الكلام حمل على الغيبه لأنهم غيب.

## المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم نقض الميثاق و العهد بعد حكايته عنهم التكذيب بالرسول فقال «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» قيل أراد به اليهود خاصة و قيل أراد اليهود و النصرارى و قيل أراد به كل من أوتى علما بشىء من الكتب «لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ» أى لتظهرنه للناس و الهاء عائده إلى محمد ص فى قول سعيد بن جبير و السدى لأن فى كتابهم إن محمدا رسول الله ص و إن الدين هو الإسلام و قيل الهاء عائده إلى الكتاب فيدخل فيها بيان أمر النبى ص لأنه فى الكتاب عن الحسن و قتاده «وَ لَا تَكْتُمُونَهُ» أى و لا تخفونه عند الحاجه «فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» و معناه ضيعوه و تركوه وراء ظهورهم فلم يعلموا به و إن كانوا مقرين به عن ابن عباس و يقال لمن يطرح الشىء و لا يعبأ به رماه بظهره قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتى

بظهره و لا يعبأ على جوابها

«وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» أى استبدلوا بعهد الله عليه و مخالفته و ميثاقه عوضا يسيرا من حطام الدنيا يعنى ما حصلوه لأنفسهم من المأكله و الرشا و الهدايا التى أخذوها من تحوتهم «فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ» أى بئس الشىء ذلك إذ يستحقون به العذاب الأليم و إن كان نفعا عاجلا و دلت الآيه على وجوب إظهار الحق و تحريم كتمانها فيدخل فيه بيان الدين و الأحكام و الفتاوى و الشهادات و غير ذلك من الأمور التى يختص بها العلماء و روى الثعلبى

فى تفسيره ياسناده عن الحسن بن عماره قال أتيت الزهرى بعد أن ترك الحديث فالفيتة على بابه فقلت إن رأيت أن تحدثنى فقال أو ما علمت أنى تركت الحديث فقلت إما أن تحدثنى وإما أن أحدثك فقال حدثنى فقلت

حدثنى الحكم بن عيينه عن نجم الجزار قال سمعت على بن أبى طالب (عليه السلام) يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا

قال فحدثنى أربعين حديثاً.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٨

### إشارة

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)

### القراءة

قد ذكرنا اختلاف القراءة فى «تَحْسَبَنَّ» و «تَحْسَبَنَّهُمْ» فيما قبل.

### الحجج

قال أبو على من قرأ لا يحسبن بالياء فلا يحسبنهم فالذين فى موضع رفع بأنه فاعل يحسبن و لم يوقع يحسبن على شىء قال أبو الحسن لا- يعجبني قراءة من قرأ الأولى بالياء لأنه لم يوقعه على شىء و يرى أنه لم يستحسن أن لا يعدى حسب لأنه قد جرى مجرى اليمين فى نحو علم الله لأفعلن و لقد علمت لتأتين منيتى و ظنوا ما لهم من مَحِيصٍ فكما أن القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه فكذلك ظننت و علمت فى هذا الباب و أيضاً فقد جرى فى كلامهم لغوا و ما جرى لغوا لا يكون فى حكم الجمل المفيدة و من ثم جاء نحوه:

و ما خلت أبقى بيننا من موده

عراض المذاكى المسنقات القلايصا

و إنما هو و ما أبقى بيننا فالوجه فى هذه القراءة أنه لم يعد حسبت إلى مفعوليه اللذين يقتضيهما لأن حسبت فى قوله «فلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ» لما جعل بدلا من الأول و عدى إلى مفعوليه استغنى بهما عن تعديه الأول إليهما كما استغنى فى قوله:

بأى كتاب أو بآيه سنه

ترى حبههم عارا على و تحسب



بتعديده أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعديده الآخر إليهما و الفاء زائده فالتقدير لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا بمفازة من العذاب و أما قراءه فلا تحسبنهم بضم الباء فإن فعل الفاعل الذى هو يحسبن تعدى إلى ضميره و حذفت واو الضمير لدخول النون الثقيله فإن قيل هلا لم تحذف الواو من تحسبون و أثبتها كما ثبتت فى تمود بالثوب أ تُحاجُّونى و نحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما فى الساكن الأول من زياده المد التى تقوم مقام الحركه فالقول فيه أنه حذفت كما حذفت مع الخفيفه أ لا ترى أنك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهب لم يلزمك الحذف فأجرى الثقيله مجرى الخفيفه فى هذا و قوله «بِمَفَاذِهِ مِنَ الْعَذَابِ» فى موضع المفعول الثانى و فيه ذكر للمفعول الأول و فعل الفاعل فى هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتنى أخاك لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على المبتدأ و الخبر أشبهت أن و أخواتها فى دخولها على المبتدأ و الخبر كدخول هذه الأفعال عليهما و ذلك قولك ظننتنى ذاهبا كما تقول إنى ذاهب و مما يدل على ذلك قبح دخول النفس عليها لو قلت أظن نفسى تفعل كذا لم يحسن كما يحسن أظننى فاعلا فأما قراءه نافع و أبى جعفر و ابن عامر لا يحسبن بالياء «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ» بالتاء و فتح الياء فمثل قراءه ابن كثير و أبى عمرو إلا فى قوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ» و المفعولان اللذان يقتضيهما الحسابان فى قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفاً لدلاله ما ذكر من بعد عليهما و لا يجوز البديل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما و أما قراءه حمزه بالتاء فيهما فحذف المفعول الثانى الذى يقتضيه تحسبن لأن ما يجىء من بعد قوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَاذِهِ مِنَ الْعَذَابِ» يدل عليه و يجوز أن يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن و الفاء زائده كما فى قوله (فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى).

## النزول

نزلت فى اليهود حيث كانوا يفرحون بإجلال الناس لهم و نسبتهم إياهم إلى العلم عن ابن عباس و قيل نزلت فى أهل النفاق لأنهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله ص فإذا رجعوا اعتذروا و أحبوا أن يقبل منهم العذر و يحمدا بما ليسوا عليه من الإيمان عن أبى سعيد الخدرى و زيد بن ثابت و قيل أتت يهود خيبر إلى النبى ص فقالوا نحن نعرفك و نؤمن بك و ليس ذلك فى قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الآية عن قتاده.

## المعنى

ثم بين سبحانه خصله أخرى ذميمة من خصال اليهود فقال «لَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا» أى الفارحون الذين يفرحون بالنفاق «وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» أى بالإيمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتمان أمر النبي ص و أحبوا أن يحمدوا بأنهم أئمه و ليسوا كذلك و قد عرفت المعنى فى القراءه بالتاء و الياء فى الحججه فلا معنى لإعادته و قال أبو القاسم البلخى

أن اليهود قالوا نحن أبناء الله و أحبائه و أهل الصلاه و الصوم و ليسوا أولياء الله و لا أحبائه و لا أهل الصلاه و الصوم و لكنهم أهل الشرك و النفاق و هو المروى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و قيل معناه أنهم يحبون أن يحمدوا على إبطالهم أمر محمد و تكذيبهم به و الأقوى أن يكون المعنى بالآيه من أخبر الله عنهم أنه أخذ ميثاقهم فى أن يبينوا أمر محمد و لا- يكتموه و عليه أكثر أهل التأويل و قوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازِهِ مِنَ الْعَذَابِ» أى لا تظننهم بمنجاة و بعد من النار «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم موجه.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٩

#### إشاره

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩)

#### المعنى

لما ذكر سبحانه فى الآيه المتقدمه من فرح بمعصيه ركبها و أحب أن يحمد بما لم يفعله و أخبر أنه لا نجاه لهم من عذابه قال «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى هو مالك ما فى السماوات و الأرض بمعنى أنه يملك تدبيرهما و تصرفهما على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع و الحال هذه فى الخلاص منه «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيه تنبيه على أنه قادر على إهلاك من أراد إهلاكه و على الإنشاء و الإفناء كما يشاء.



إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنَا عَذابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا ما وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ (١٩٤)

فضلها

روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن رسول الله ص كان إذا قام من الليل استاك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» إلى قوله «فَقِنَا عَذابَ النَّارِ»

وقد اشتهرت الرواية عن النبي ص أنه لما نزلت هذه الآيات قال (ويل لمن لا كها بين فكيه و لم يتأمل ما فيها)

و ورد عن الأئمة من آل محمد ص الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة و في الضجعه بعد ركعتي الفجر

و روى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) و ذكر أن النبي قال كان يؤتى بطهور فيخمر عند رأسه و يوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره إلى السماء و تلا الآيات من آل عمران «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» الآيات ثم يستن و يتطهر ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع رأسه و يسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران و يعاب بصره في السماء ثم يستن و يتطهر و يقوم إلى المسجد فيصلى أربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران و يقلب بصره في السماء ثم يستن و يتطهر و يقوم إلى المسجد فيوتر و يصلى ركعتين ثم يخرج إلى الصلاة.

اللغة

اللب العقل سمي به لأنه خير ما في الإنسان و اللب من كل شىء خير و خالصه سبحانه معناه تنزيها لك من أن تكون خلقتهما باطلا و براه مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر:

سبحانه ثم سبحانا يعود له

و قبلنا سبح الجودى و الحجر

و الأبرار جمع بر و هو الذى بر الله بطاعته إياه حتى أرضاه و أصل البر الاتساع فالبر



الواسع من الأرض خلاف البحر و البر صله الرحم و البر العمل الصالح و البر الحنظه و أبر الرجل على أصحابه أى زاد عليهم.

## الإعراب

«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ» فى موضع جر صفه لأولى الألباب «قِيَامًا وَ قُعودًا» نصب على الحال و «عَلَى جُؤبِهِمْ» أيضا فى موضع نصب على الحال و لذلك عطف على قياما و قعودا أى و مضطجعين لأن الظرف يكون حالا للمعرفه كما يكون نعتا للنكره لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط أى مستقر على الحائط و كذا مررت برجل فى الدار و تقول أنا أصير إلى فلان ماشيا و على الفرس فىكون موضع على الفرس نصبا على الحال من الضمير فى أصير و قوله «ما خَلَقْتَ هذا باطلا» أى يقولون ما خلقت هذا الخلق و لذلك لم يقل هذه و لا هؤلاء و باطلا نصب على أنه المفعول الثانى و قيل تقديره بالباطل و للباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل خبر إن فى قوله «إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ» جملة مركبه من الشرط و الجزاء و الأصل فىهما جملتان كل واحده منهما من فعل و فاعل لأن موضع من نصب بتدخل على أنه مفعول به و قوله «أَنْ آمَنُوا» يحتمل أن يكون أن هذه هى المفسره بمعنى أى و يحتمل أن يكون الناصبه للفعل لأنه يصلح فى مثله دخول الباء نحو ينادى بأن آمنوا.

## المعنى

لما بين سبحانه بأن له ملك السماوات و الأرض عقبه بيان الدلالات على ذلك فقال «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى فى إيجادهما بما فىهما من العجائب و البدائع «وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى تعاقبهما و مجىء كل واحد منهما خلف الآخر «لآياتٍ» أى دلالات على توحيد الله و صفاته العلى «لِأُولَى الْأَلْبَابِ» أى لذوى البصائر و العقول و وجه الدلاله فى خلق السماوات و الأرض أن وجودهما متضمن بأعراض حادثه و ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله و المحدث لا بد له من محدث يحدثه و موجد يوجد فدل وجودهما و حدوثهما على أن لهما محدثا قادرا و دل إبداعهما بما فىهما من البدائع و الأمور الجاربه على غايه الانتظام و الاتساق على أن مبدعهما عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم كما أن الإيجاد لا يصح إلا من قادر و دل ذلك أيضا على أن صانعهما قديم لم يزل لأنه لو كان محدثا لاحتاج إلى محدث فيؤدى إلى التسلسل و وجه الدلاله فى تعاقب الليل و النهار أن فى ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه و لا ينقصان منه و نقصان كل واحد منهما عن الآخر فى حال و زيادته عليه فى حال و ازدياد أحدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهره على أن لهما صانعا قادرا حكيما لا يدركه عجز و لا

يلحقه سهو ثم وصف سبحانه أولى الألباب فقال «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ» أى هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلقه السماوات والأرض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين أى فى سائر الأحوال لأن أحوال المكلفين لا تخلو من هذه الأحوال الثلاثة وقد أمروا بذكر الله تعالى فى جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر إمكانهم فى صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلى قائما والسقيم يصلى جالسا وعلى جنبه أى مضطجعا فسمى الصلاة ذكرا رواه على بن إبراهيم فى تفسيره و لا- تنافى بين التفسيرين لأنه غير ممتنع وصفهم بالذكر فى هذه الأحوال وهم فى الصلاة وهو قول ابن جريج و قتاده «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى ومن صفه أولى الألباب أن يتفكروا فى خلق السماوات والأرض ويتدبروا فى ذلك ليستدلوا به على وحدانيه الله تعالى و كمال قدرته و علمه و حكمته ثم يقولون «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ» أى ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل و للباطل بل خلقت لغرض صحيح و حكمه و مصلحة ليكون دليلا على وحدانيتك و حجه على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته أو يلحق نقضا بذاته فيقولون «سُبْحَانَكَ» أى تنزيها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقهما عبثا و لا لعبا بل تعريضا للثواب و الأمن من العقاب «فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» بلطفك الذى يتمسك معه بطاعتك و فى هذه الآية دلالة على أن الكفر و القبائح و الضلال ليست خلقا لله لأن هذه الأشياء كلها باطله بلا خلاف و قد نفى الله تعالى ذلك بحكايته عن أولى الألباب الذين رضى أقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه فيجب بذاك القطع على أن القبائح كلها غير مضافه إليه و منفيه عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن أولى الألباب الذين وصفهم بأنهم أيضا يقولون «رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ» قيل فى وجوه (أحدها) أن معناه فضحته و أهنته فيكون منقولا من الخزى و نظيره قوله «وَلَا تُخْزُونَ فِي ضَيْفِي» (و ثانيها) قول المفضل أن معناه أهلكته و أنشد:

أخزى الإله من الصليب إلهه

و اللابسين ملابس الرهبان

(و ثالثها) أن معناه أحلته محلا و وقفته موقفا يستحيا منه فيكون منقولا من الخزايه التى معناها الاستحياء و قال ذو الرمة:

خزايه أدركته بعد جولته

من جانب الدف مخلوطا به الغضب

و اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية فروى عن أنس بن مالك و سعيد بن المسيب و قتاده و ابن جريج أن الإخزاء يكون بالتأييد فى النار و هى خاصه بمن لا يخرج

منها و قال جابر بن عبد الله أن الخزي يكون بالدخول فيها و روى عنه عمرو بن دينار و عطاء أنه قال و ما أخزاه حين أحرقه بالنار و إن دون ذا لخزيا و هذا هو الأقوى لأن الخزي إنما هو هتك المخزي و فضيحته و من عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه و هذا غير منافي لما نذهب إليه من جواز العفو عن المذنبين لأن علي قول من قال أن الخزي هو الخلود في النار فمن عفا الله عنه لا يكون أخزاه إن أدخله النار ثم أخرجها منها بعد استيفاء العقاب و علي قول من أثبت الخزي بنفس الدخول فإنه و إن كان خزيا فليس كمثل خزي الكفار و يجوز حمل قوله «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» على كلا الوجهين و علي قول من جعله من الخزايه التي هي الاستحياء فيكون إجزاء المؤمنين محموله على الاستحياء و إجزاء الكافرين على الإهانه و الخلود في النار قوله «وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» أي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبه و القهر لأن الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبه و لا ينافي ذلك ما صحح من شفاعه النبي (صلى الله عليه و آله) و الأولياء لأهل الكبائر لأن الشفاعه على سبيل المسأله و الخضوع و التضرع إلى الله و ليست من النصره في شىء

و صح عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال ليصين أقواما شفع بذنوب أصابوها ثم يخرجون فيسميهم أهل الجنه الجهنميين رواه البخارى بإسناده فى الصحيح عن أنس بن مالك و فيما رواه أبو سعيد الخدرى عنه (عليه السلام) قال فيخرجون قد امتحشوا و عادوا حمما قال فيلقون فى نهر يقال له نهر الحياه قال فينبتون فيه كما تنبت الحبه فى جميل السيل و رواه البخارى و مسلم أيضا فى الصحيح

و ما روى فى مثل ذلك من الأخبار لا يحصى و هذا كما تراه صريح فى وقوع العفو عن مرتكبى الكبائر «رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا» قيل المنادى محمد عن ابن عباس و ابن مسعود و ابن جريج و اختاره الجبائى و قيل أنه القرآن عن محمد بن كعب القرظى و قتاده و اختاره الطبرى قال لأنه ليس يسمع كل أحد قول النبي (صلى الله عليه و آله) و لا يراه و القرآن سمعه من رآه و لم يره كما قال مخبرا عن الجن «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ و لمن نصر القول الأول أن يقول من بلغه قول النبي (صلى الله عليه و آله) و دعوته جاز أن يقول سمعنا مناديا و إن كان فيه ضرب من التجوز و معنى قوله «سَمِعْنَا مُنَادِيًا» نداء مناد لأن المنادى لا يسمع و قوله «يُنَادِي لِلْإِيمَانِ» معناه إلى الإيمان كقوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا» و معناه إلى هذا و كقول الراجز:

أوحى لها القرار فاستقرت

و شدها بالراسيات الثبت

و مثله قوله «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا» فالمعنى ربنا إننا سمعنا داعيا يدعو إلى الإيمان

والتصديق بك والإقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع أمره ونهيه وقوله «أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ» معناه بأن آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم «فَأَمَّنَّا» أى فصدقنا الداعى فيما دعا إليه من التوحيد والدين وأجبناه «فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيامة على رءوس الأشهاد بعقوبتك «وَكَفَّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا» معناه امحها بفضلك ورحمتك إيانا «وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» معناه واقبضنا إليك فى جملة الأبرار واحشرنا معهم فإن قيل ما معنى قوله «وَكَفَّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا» وقد أغنى عنه قوله «فَأَغْفِرْ لَنَا» فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبه وكفر عنا إن تبنا والثانى إن معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبه وكفر عنا باجتناب الكبائر من السيئات لأن الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب والتكفير لا يكون إلا عند فعل من العبد والأول أليق بمذهبننا «رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ» هذه حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم يقولون أعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب «وَلَا تُخْزِنَا» أى لا تفضحنا أو لا تهلكنا «يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ» وهو كلام مستأنف بدلاله أنه كسر إن والمعنى أنك وعدت الجنة لمن آمن بك وأنت لا تخلف وععدك فإن قيل ما وجه المسأله فى إنجاز الوعد والمعلوم أنه يفعله لا محاله فالجواب عنه من وجوه (أحدها) إن ذلك على وجه الانقطاع إلى الله والتضرع له والتعبد كما قال «قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ» واختاره على بن عيسى والجباى (و الثانى) إن الكلام خرج مخرج المسأله والمراد الخبر أى توفنا مع الأبرار لتؤتينا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة لأنهم علموا أن ما وعد الله به حق ولا بد أن ينجزه (و الثالث) معناه السؤال والدعاء بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامه على ألسن رسله لا أنهم قد استحقوا منزله الكرامه عند الله فى أنفسهم وشهدوا ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم لأنه لو كان كذا لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا بأنهم استوجبوا كرامه الله ولا يلىق ذلك بصفه أهل الفضل من المؤمنين (و الرابع) أنهم إنما سألو ذلك على وجه الرغبة منهم إلى الله فى أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر وإعلاء كلمه الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لأنه لا يجوز أن يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين أن الله لا يخلف الميعاد فرغبوا إليه فى تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم فى ذلك وقت فرغبوا إليه فى تعجيل ذلك لهم لما لهم فى ذلك من السرور بالظفر وهو اختيار الطبرى وقال الآيه مختصه بمن هاجر من أصحاب النبى الذين رغبوا فى تعجيل نصره على أعدائهم وقالوا لا صبر لنا على أناةك وحلمك وقوى ذلك بما بعد هذه الآيه

من قوله «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ» الآيات و إلى هذا أو ما أبو القاسم البلخي أيضا.

## سوره آل عمران (٣): آيه ١٩٥

### اشاره

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَمَّا كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَمَّا أَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

### القراءه

قرأ حمزه و الكسائي و خلف و قتلوا و قاتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل و التخفيف و قرأ الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا و شدد التاء من قتلوا ابن كثير و ابن عامر.

### الحجه

أما تقديم قاتلوا على قتلوا فلأن القتال قبل القتل و حسن التشديد لتكرار الفعل فهو مثل مُفْتَحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ و من خفف «قُتِلُوا» فلأن فعلوا يقع على الكثير و القليل و التشديد يختص بالكثير و أما تقديم قتلوا على قاتلوا فلأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولا- في المعنى و إن كان مؤخرا في اللفظ و يمكن أن الوجه فيه أن يكون لما قتل منهم قاتلوا و لم يهنوا و لم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله «فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

### اللغه

الإضاعه الإهلاك ضاع الشىء يضيع ضياعا إذا هلك و أضاع و ضيع بمعنى و منه الضيعة للقريه و أما قولهم كل رجل و ضيعة فإن الضيعة هاهنا بمعنى الحرفه هاجر فاعل من الهجر و هو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار إلى دار أى تركوا الأولى للثانيه و تهجر الرجل أى تشبه بالمهاجرين.

### الإعراب

من فى قوله «مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ» للتبيين و التفسير عن قوله «مِنْكُمْ» أى لا- أضيع عمل عامل منكم من الذكور و الإناث فهو بيان لجنس من أضيف إليه العمل و يقال

أنها مؤكده بمعنى النفي فى لا أضيع أى لا أضيع عمل ذكر و أنثى منكم و بعضكم مبتدأ و قوله «مِنْ بَعْضٍ» فى موضع رفع بأنه خبره و ثوابا مصدر مؤكد لأن معنى «وَلَا دُخِلْنَهُمْ جَنَّاتٍ» و لأثيبنهم و مثله قوله «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» لأن معنى قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد.

## النزول

روى أن أم سلمه قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون فى الهجره دون النساء فأنزل الله هذه الآيه

قال البلخى نزلت الآيه و ما قبلها فى المتبعين للنبي (صلى الله عليه و آله) و المهاجرين معه ثم هى فى جميع من سلك سبيلهم و حذا حذوهم من المسلمين.

## المعنى

ثم عقب سبحانه دعوه المؤمنين بذكر الإجابة فقال «فَأَسِيبَ تَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ» أى أجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم «أَنْتَى لَا أُضَيِّعُ» أى بأنى لا- أبطل «عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى» رجل أو امرأه «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» فى النصرة و الدين و الموالاه فحكى فى جميعكم حكم واحد فلا- أضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم فى صفه الإيمان و هذا يتضمن الحث على مواظبه الأدعيه التى فى الآيات المتقدمه و الإشاره إلى أنها مما تعبد الله تعالى بها و ندب إليها و ذلك لأنه تضمن الإجابة لمن دعا بها «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا» إلى المدينة و فارقوا قومهم من أهل الكفر «و أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» أخرجهم المشركون من مكه «و أُوذُوا فِي سَبِيلِي» أى فى طاعتي و عبادتى و دينى و ذلك هو سبيل الله فتحملوا الأذى لأجل الدين «و قَاتَلُوا» فى سبيل الله «و قُتِلُوا» فيها «لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» يعنى لأمحونها و لأتفضلن عليهم بعفوى و مغفرتى و رحمتى و هذا يدل على أن إسقاط العقاب تفضل من الله «و لَمَّا دُخِلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أبنيتها و أشجارها «ثَوَابًا» أى جزاء لهم «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» على أعمالهم «و اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» أى عنده من حسن الجزاء على الأعمال ما لا يبلغه وصف و اصف و لا يدركه نعت ناعت مما لا- رأت عين و لا- أذن سمعت و لا- خطر على قلب بشر و قيل حسن الثواب فى دوامه و سلامته عن كل شوب من النقصان و التكدير.



## إشارة

لَا يَغُرَّنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨)

## القراءة

قرأ يعقوب بروايه رويس و زيد لا- يغرنك و لا- يحطمنكم و لا- يستخفنك و إما نذهبن بك أو نرينك خفيفه فى الجميع و الباقون بالتشديد و قرأ أبو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون و الباقون «لكن» بالتخفيف.

## اللغة

الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه فى المعلوم و ليس كل إيهام غرورا لأنه قد يتوهمه تخوفا فيحذر منه فلا يقال غره و الغرر نظير الخطر و الفرق بينهما أن الغرر قبيح كله لأنه ترك الجزم فيما يمكن أن يتوثق منه و الخطر قد يحسن على بعض الوجوه لأنه من العظم من قولهم رجل خطير أى عظيم و المتاع النفع الذى يتعجل به اللذة إما بوجود اللذة أو بما يكون به اللذة نحو المال الجليل و الملك و الأولاد و الإخوان و المهاد الذى يسكن فيه الإنسان و يفترشه و واحد الأبرار بر تقول بررت والذى فأنا بر و أصله برر و لكن الرأ أدغمت للتضعيف.

## الإعراب

بنى المضارع مع نون التأكيد لأنه بمنزله ضم اسم إلى اسم كخمسه عشر و نحوه و متاع خبر مبتدأ محذوف و تقديره تقلبهم متاع قليل حذف المبتدأ لدلاله ما تقدمه عليه و بئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلاله ما تقدمه عليه تقديره بئس المهاد جهنم و نزلا مصدر مؤكد أيضا مثل ما تقدم ذكره فى قوله «تَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» لأن خلودهم فى الجنة إنزالهم فيها فصار كأنه قال نزلوها نزلا و هو بمعنى أنزلوها إنزالا و قيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبه أو صدقه عن الفراء و «خَالِدِينَ فِيهَا» منصوب على الحال أى مقدر لهم الخلود فيها.

## النزول

نزلت فى مشركى العرب و كانوا يتجرون و يتنعمون بها فقال بعض المسلمين أن أعداء الله فى العيش الرخى و قد هلكنا من الجوع فنزلت الآية و قال الفراء كانت اليهود تضرب فى الأرض فتصيب الأموال فأنزل الله تعالى «لَا يَغُرَّنْكَ» الآية.

## المعنى

«لَا يَغُرَّنْكَ» يا محمد الخطاب له و المراد غيره و قيل معناه لا- يغرنك أيها الإنسان أو أيها السامع «تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى تصرفهم «فِي الْبِلَادِ» سالمين غانمين غير مؤاخذين بأجرامهم أعلم الله تعالى إن ذلك مما لا ينبغي أن يغبطوا به لأن مأواهم و

مصيرهم إلى النار بكفرهم و لا- خير بخير بعده النار و قوله «مَتَاعٌ قَلِيلٌ» معناه تصرفهم فى البلاد و النعم متاع قليل أى يتنعمون بذلك قليلا ثم يزول و سماه متاعا لأنهم

ص: ٤٣١

متعوا به فى الدنيا «ثُمَّ مَأْوَاهُمْ» أى مصيرهم و مرجعهم «جَهَنَّمَ وَ بئسَ المِهَادُ» أى ساءَ المستقر هى ثم أعلم تعالى أن من أراد الله و اتقاه فله الجنة فقال «لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ» لكن للاستدراك فىكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبه خير إنما هى للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات و ترك المعاصى «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» بين سبحانه ما يصيرون إليه من النعيم المقيم فى دار القرار المعده للأبرار و النزل ما يعد للضيف من الكرامه و البر و الطعام و الشراب «وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب و الكرامه «خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» مما يتقلب فيه الذين كفروا لأن ذلك عن قريب سيزول و ما عند الله تعالى دائم لا يزول و يروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال ما من نفس بره و لا فاجره إلا و الموت خير لها من الحياه فأما الأبرار فقد قال الله «وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» و أما الفجار فقال تعالى «وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ» الآية و قوله فى النفس الفاجره أن الموت خير لها إنما يعنى بذلك إذا كانت تدوم على فجورها.

### سوره آل عمران (٣): آيه ١٩٩

#### إشاره

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلِيكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)

#### اللغه

أصل الخشوع السهوله من قولهم الخشعه و هى السهوده فى الرمل كالربوه و الخاشع من الأرض الذى لا يهتدى له لأن الرمل يعنى آثاره و الخاشع الخاضع ببصره و الخشوع هو التذلل خلاف التصعب.

#### الإعراب

خاشعين نصب على الحال من الضمير فى يؤمن و هو عائد إلى من و قيل هو حال من الضمير فى «أُنزِلَ إِلَيْهِمْ» المجرور بالى و الأول أحسن.

#### النزول

اختلفوا فى نزولها فقبل نزلت فى النجاشى ملك الحبشه و اسمه أصحمه و هو بالعربيه عطيه و ذلك

أنه لما مات نعاه جبرائيل لرسول الله فى اليوم الذى مات فيه فقال

رسول الله أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا و من؟ قال النجاشى فخرج رسول الله إلى البقيع و كشف له من المدينة إلى أرض الحبشه فأبصر سرير النجاشى و صلى عليه

فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على علع نصرانى حبشى لم يره قط و ليس على دينه فأنزل الله هذه الآية عن جابر بن عبد الله و ابن عباس و أنس و قتاده و قيل نزلت فى أربعين رجلا من أهل نجران من بنى الحرث بن كعب و اثنين و ثلاثين من أرض الحبشه و ثمانيه من الروم كانوا على دين عيسى فأمنوا بالنبي (صلى الله عليه و آله) عن عطاء و قيل نزلت فى جماعه من اليهود كانوا أسلموا منهم عبد الله بن سلام و من معه عن ابن جريج و ابن زيد و ابن إسحاق و قيل نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب كلهم لأن الآية قد تنزل على سبب و تكون عامه فى كل ما يتناوله عن مجاهد.

## المعنى

لما ذم تعالى أهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفه منهم بالإيمان و إظهار الحق و الصدق فقال «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أى من اليهود و النصرارى «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى يصدق بالله و يقر بوحدانيته «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ» أيها المؤمنون و هو القرآن «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ» و هو التوراه و الإنجيل «خَاشِعِينَ لِلَّهِ» أى خاضعين له مستكينين له بالطاعه متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف و قال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله «لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا» أى لا يأخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب و كتمان الحق من الرشى و المأكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم تعالى فى قوله «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ»\* بالهدى و لكن ينقادون إلى الحق يعملون بما أمرهم الله به و ينتهون عما نهاهم عنه ثم قال «أُولَئِكَ» يعنى هؤلاء الذين وصفناهم «لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» معناه لهم ثواب أعمالهم و أجر طاعاتهم عند الله مذخور حتى يوفيهم الله يوم القيامه «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» وصف الحساب بالسرعه لأنه تعالى لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه بطول الحساب لأنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها و بعد أن عملوها فلا حاجه به إلى إحصاء عدد فيقع فى الإحصاء إبطاء و قيل معناه أنه يحاسب كل الخلق معا فإذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لأنه قادر على أن يكلمهم فى حاله واحده كل واحد بكلام يخصه لأنه القادر لنفسه عن أبى على الجبائى و إنما خص الله تعالى هذه الطائفه بالوعيد لبيان أن جزاء أعمالهم موفر عليهم و لا يضرهم كفر من كفر منهم.

## اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

## اللغة

أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو و الربط الشد و منه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عن وراه ممن أرادهم بسوء و الرباط أيضا اسم لما يشد به.

## المعنى

لما حكى الله تعالى أحوال المؤمنين و الكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر على الطاعة و لزوم الدين فى الجهاد فى سبيل الله فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) إن المعنى اصبروا على دينكم أى أثبتوا عليه و صابروا الكفار و رابطوهم فى سبيل الله عن الحسن و قتاده و ابن جريج و الضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله و عن معاصيه و قاتلوا العدو و اصبروا على قتالهم فى الحق كما يصبرون على قتالكم فى الباطل و إنما أتى بلفظ صابروا هاهنا لأن فاعل إنما يأتى لما يكون بين اثنين و الرباط هو المرابطة فىكون بين اثنين أيضا يعنى أعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسِيَّطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» (و ثانيها) إن المراد اصبروا على دينكم و صابروا وعدى إياكم و رابطوا عدوى و عدوكم عن محمد بن كعب القرظى (و ثالثها) أن المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن أسلم و قيل

إن معنى رابطوا أى رابطوا الصلوات و معناه انتظروها واحده بعد واحده لأن المرابطة لم تكن حينئذ روى ذلك عن على بن أبى طالب عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات

و عن جابر بن عبد الله و أبى سلمه ابن عبد الرحمن

و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال إسباغ الوضوء فى السبرات و نقل الأقدام إلى الجماعات و انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط

و روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال معناه اصبروا على المصائب و صابروا على عدوكم و رابطوا عدوكم

و هو قريب من القول الأول و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» معناه و اتقوا أن تخالفوا الله فيما يأمركم به لكى تفلحوا بنعيم الأبد و قيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم أمره و اجتناب نهيه لكى تظفروا و تفوزوا بنيل المنيه و درك البغيه و الوصول إلى النجاح فى الطلبه و ذلك حقيقه الفلاح و هذه الآيه تتضمن جميع ما يتناوله المكلف لأن قوله «اصْبِرُوا» يتناول لزوم العبادات و اجتناب المحرمات «وَ صَابِرُوا» يتناول ما يتصل بالغير كمجاهده الجن و الإنس و ما



هو أَعْظَمُ مِنْهَا مِنْ جِهَادِ النَّفْسِ «وَ رَابِطُوا» يَدْخُلُ فِيهِ الدِّفَاعُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَ الذَّبُّ عَنِ الدِّينِ «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» يَتَنَاوَلُ الْإِنْتِهَاءَ عَنِ جَمِيعِ الْمُنَاهِي وَ الزَّوْجَرِ وَ الْإِثْمَارِ بِجَمِيعِ الْأَمْرِ ثُمَّ يَتَّبِعُ جَمِيعَ ذَلِكَ الْفَلَاحُ وَ النِّجَاحُ.

ص: ٤٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات



الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
الغمامة  
اصبحان  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

